

البناء القبلي والتحصن في المملكة العربية السعودية

دكتور
سعيد فالح الفاعري
جامعة الملك عبد العزيز

الطبعة الخامسة

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المكتب الجامعي الحديث
محطة الرمل - اسكندرية
٤٨٣١٥٩٧ / ت

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

البناء المبلى والتخضر
في الملكة العربية السعودية

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

البناء القبلي والتحصن في المملكة العربية السعودية

وكتبه
سعيد فالح الفايدي
جامعة الملك عبد العزيز

الطبعة الخامسة

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

الكتاب الجامعي الحديث
محطة الرمل - أسكنم
٤٨٦٥٢٧ / ٥

رفع
عبد الرحمن العجزي
أسكنه الفردوس
www.moswarat.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَفَعُ
عبد الرحمن البغدادي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فهرس المحتويات

رقم الصفحة	الموضوع
١	مقدمة

الباب الأول

٥	مفهوم القبيلة والبناء القبلى
٧	الفصل الأول : التجمع القبلى وأسبابه
١٠	التنظيم السياسى والاجتماعى والقرباى فى القبيلة
١٣	(أ) طبقة الأحرار
١٣	(ب) طبقة الموالى
١٤	(ج) طبقة الأرقاء
١٧	نماذج صور التنظيم لدى القبيلة
٢٠	القبيلة فى بيورى اللاماب
٢٤	نظم القرابة والزواج
٢٨	أشكال الزواج فى الجاهلية
٣٤	الضبط الاجتماعى فى القبيلة
٣٧	الفصل الثانى : أهم الدراسات السابقة عن القبيلة
٣٧	أولا : دراسة ايفانز برتشارد عن النوير
٤٠	النسق السياسى فى مجتمع النوير
٤٨	السلطة القرابية والدينية لدى النوير
٥١	نظام طبقات العمر عند النوير
٥٣	الزواج عند النوير

(ح)

رقم الصفحة

الموضوع

- ٥٤ ثانيا : دراسة محمد عبد القادر السويدي عن مجتمع الطوارق
٥٥ النظام القبلى فى الطوارق
٥٨ الطبقات الاجتماعية
٦٠ النشاط الاقتصادى فى مجتمع الطوارق
٦٣ المرأة والاسرة فى مجتمع الطوارق
٦٦ مراحل العمر فى مجتمع الطوارق
٦٩ روابط القرابة لدى مجتمع الطوارق
٧١ القيم المرتبطة بارتداء اللثام لدى الطوارق
٧٥ تعليق على هذه الدراسة

الفصل الثالث : دراسة للبناء القبلى فى المملكة العربية السعودية

- ٧٧ (بنى كبير)
٧٧ نبذة تاريخية
٧٨ بطون غامد القديمة
٧٩ بطون غامد الحالية
٧٩ قبيلة بنى كبير
٨٠ الموقع وأقسام القبيلة
٨٠ بنى كبير الحاضرة
٨٢ بنى كبير البادية
٨٣ البناء السياسى لقبيلة بنى كبير
٨٨ وحدات البناء السياسى فى بنى كبير
٩٢ الفئات الاجتماعية فى بنى كبير

رقم الصفحة	الموضوع
٩٣	(أ) فئة التجار والمزارعين
٩٣	(ب) فئة دابني الجلود
٩٣	(ج) فئة صناع الحديد
٩٣	(د) فئة صانعي الفخار
٩٣	(هـ) فئة المبيد
٩٦	دراسة مقارنة

الباب الثاني

١٠٥	البناء القبلي : تحليل بنائي وظيفي
١٠٧	الفصل الأول : دراسة التغير البنائي في القبيلة من سنة ١٩٣٠-١٩٧٨
١٠٧	تمهيد - التغير الاجتماعي والتغير البنائي
١٠٨	التغير الاجتماعي
١١٠	مفهوم البناء الاجتماعي
١١٤	التغير البنائي
١١٤	١ - التغير في القيم الاجتماعية
١١٥	٢ - تغير النظام
١١٥	٣ - التغير في مراكز الأشخاص
١٢١	التغير البنائي في بني كبير
١٣١	الفصل الثاني : الأنساق
١٣١	(أ) النسق القرابي والمائلي
١٣٥	النسق القرابي في بني كبير

(٥)

رقم الصفحة	الموضوع
١٣٨	أسس التصنيف القرابى فى بنى كبير
١٤٦	أشكال الجماعات القرابية فى بنى كبير
١٥٠	(ب) النسق الايكولوجى والاقتصادى
١٥٢	النسق الاقتصادى
١٥٣	١ - التجارة
١٥٥	٢ - الزراعة
١٥٩	٣ - الصناعة
١٦٠	(أ) ذباغة الجلود
١٦١	(ب) صناعة الفخار
١٦٢	(ج) صناعة الفضة والحديد
١٦٤	(د) نسج الصوف
١٦٧	٤ - الرعى وتربية الماشية

نظام الملكية :

١٧٣	الملكية الخاصة
١٧٨	الأملك العامة

الباب الثالث

١٨٥	الفصل الأول : مظاهر التغير الحضارى فى بنى كبير
١٨٨	عوامل التغير
١٨٨	مجالات التغير فى مجتمع بنى كبير
١٨٩	أولا : التعليم

(ك)

رقم الصفحة	الموضوع
١٩٧	ثانيا : السلطة السياسية
٢٠١	ثالثا : المواصلات
٢٠١	(أ) الطرق
٢٠٧	(ب) البريد والهاتف
٢٠٩	(ج) وسائل الاتصال
٢١٣	رابعا : الخدمات الصحية
٢٢٠	خامسا : التجارة
٢٢٣	الفصل الثاني : آثار التغير البنائى والحضارى فى بنى كبير
٢٢٥	أولا : المنزل فى قرية العبادل
٢٢٩	(أ) مرحلة البناء
٢٣١	(ب) مرحلة قطع الأخشاب
٢٣٣	(ج) مرحلة الطينة
٢٣٥	أهمية مجالس الرجال
٢٣٦	المنزل الحديث
٢٤٠	ثانيا : النشاط الاقتصادى وتقسيم العمل
٢٤٨	النموذج العام لمجتمع بنى كبير
٢٥٣	ثالثا : الهجرة من القرية الى المدينة

(ل)

رقم الصفحة	الموضوع
٢٦٩	رابعا : المهر والزواج
٢٧٤	أولا : مرحلة الخطوبة
٢٧٧	ثانيا : مرحلة الدخلة
٢٨٢	المهر في قرية العبادل
٢٨٤	نص اتفاقية تحديد المهور
٢٩١	مراحل الزواج في بادية بني كبير
٢٩٤	خامسا : العلاقات الاجتماعية
٣٠٢	نص اتفاقية عدم السماح بسكن الغريب
٣٠٩	العلاقات مع المجتمعات المجاورة

الفـاتمة

٣١٣	أولا : الشعور بالأمن
٣١٧	(أ) قيام الدولة السعودية
٣١٩	(ب) التعليم
٣٢٠	ثانيا : البترول والهجرة
٣٢٣	الضمان الاجتماعي
٣٢٤	اعانة المزارع
٣٢٥	اعانة الماشية
٣٢٩	ثالثا : التكنولوجيا الحديثة

(م)

رقم الصفحة	الموضوع
٣٣٣	رابعا : العلاقات الاجتماعية
	المراجع :
٣٤١	أولا : المراجع باللغة العربية
٣٤٧	ثانيا : المراجع باللغة الانجليزية
٣٤٩	قائمة الوثائق والصور

قائمة الوثائق والصور

رقم الصفحة	الموضوع
٣٥١	١ - خريطة توضيحية لمنطقة البحث
٣٥٣	٢ - ايصال النقود الذي كان يجمع من سكان القبيلة
٣٥٥	٣ - خطاب من فقيه الى شخص استفتاه في مسألة
٣٥٧	٤ - خطاب من الملك عبد العزيز الى شيخ قبيلة بني كبير
٣٥٩	٥ - خطاب من الملك عبد العزيز الى ثلاثة من مشايخ قبائل غامد
٣٦١	٦ - القرية : اناء الماء الوحيد في المنطقة
٣٦٣	٧ - آنية الفخار
٣٦٥	٨ - المرح : الأساس في المنزل القديم
٣٦٧	٩ - الحصن ويجواره منزل قديم
٣٦٩	١٠ - الطريقة القديمة لحرث الأرض الزراعية
٣٧١	١١ - نص الوقف الخاص بالعقار
٣٧٣	١٢ - عقد بيع جزء من العقار
٣٧٥	١٣ - السانبة
٣٧٧	١٤ - اتفاقية تحديد المهور
٣٧٩	١٥ - اتفاقية عدم السماح للغريب بالسكن داخل القرية
٣٨١	١٦ - اشتراك بني كبير والرهوه في الحمى
٣٨٣	١٧ - السيارة تحمل أغناما في طريقها الى السوق
٣٨٥	١٨ - السيارة تنوب عن الثور في العمل على البئر
٣٨٧	١٩ - موتور لآخراج الماء من البئر بدلا من الثور
٣٨٩	٢٠ - قلعتان تحيط بهما منازل حديثة
٣٩١	٢١ - الحمار . كان الوسيلة الوحيدة للمواصلات

(س)

رقم الصفحة	الموضوع
٣٩٣	٢٢ - لايزال الحمار وسيلة نقل لدى بعض أسر البادية
٣٩٥	٢٣ - خيمة في البادية تقف الى جوارها سيارة
٣٩٧	٢٤ - آنية القهوة والشاي
٣٩٩	٢٥ - شباك المنزل القديم
٤٠١	٢٦ - باب الحوش في المنزل القديم
٤٠٣	٢٧ - باب العلو في المنزل القديم
٤٠٥	٢٨ - وثيقة توضح حدوث مجاعة في المنطقة

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مقدمة الطبعة الأولى

لابد أن نشير في البداية الى أن التحضر ، وإن كانت له أبعاده المستقبلية في حياة الأمم – على اعتبار أنه يحقق للشعوب الرفاهية والعدالة الاجتماعية – الا أنه في نفس الوقت لابد أن تتعرض الشعوب وهي تسير نحو التحضر لآثار تفس بناءها الاجتماعي ، وأن تبرز مشكلات طارئة كنتيجة حتمية للوصول الى مرحلة التحضر . . .

وعملية تحديث أو تنمية المجتمعات ، ليست مشكلة سياسية ، أو اجتماعية ، أو ثقافية ، أو تربوية أو اقتصادية ، فحسب ، بل اننا نعتقد أنها (جزء من هذا الكل) . . . فلا بد للقائمين على التخطيط وبرامج التنمية ، أن يدركوا أن مشكلتهم تمثل جزءا من تلك المشكلات ، وأن يسيروا وفق خطة تضمن تلافي ظهور مشكلات التحضر أو الحد من انتشارها على الأقل . . . فلا يجوز مثلا أن نهتم بالجانب الاقتصادي ونغفل الاجتماعي ، أو أن نهتم بالاثنين على حساب الجانب الثقافي وهكذا . . .

إذا لابد للعملية من نظرة متكاملة الى كل الظروف ونحن نسير نحو مرحلة التحضر .

وهذه الدراسة جاءت كواجب وطني رأيت أنه لابد من أدائه لكشف الايجابيات والسلبيات . التي تتعرض لها المجتمعات القبلية في بلادنا ونحن نسير بخطى سريعة نحو التقدم وتحديث المجتمعات المحلية .

وتوصلنا من خلال هذه الدراسة (الميدانية) الى مجموعة من الحقائق لعل من أبرزها – أن المفهوم السائد لدى المهتمين بميدان الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع ينطوي على فهم مؤداه . . . أن المجتمعات

القبلية مجتمعات بدوية ، وستكتشف هذه الدراسة (بطلان هذا المفهوم)
على الأقل بالنسبة للمجتمع العربي السعودي ويقول أكثر دقة في (مجتمع
قبيلة بنى كبير) •

ثم توصلنا الى حقيقة أخرى مؤداها : أن أساس البناء الاجتماعي
للقبيلة يرتبط ارتباطا وثيقا بالأرض وبنظام الملكية الذي يحدد اطار هذا
الارتباط ، وتدخل مجموعة من العوامل لتزيد هذا الارتباط قوة
أو ضعفا • كما حددنا ذلك برسم توضيحي على (ص ٢١٥) من هذه
الدراسة •

ولقد حاولنا أيضا أن يكون الجزء النظري هو الأقل نصيبا في هذه
الدراسة • ايماننا منا بأن الدراسة الانثروبولوجية لا بد أن تتباعد عن
تكرار القول ، وأن يهتم الدارس بالجزء الميداني منها ، اذا أراد لدراسته
هذه أن تحقق الهدف الذي من أجله يسعى •

ولم ترتبط في هذه الدراسة بمنهج معين ، أو نحدد اطارا نظريا
واحدا نسير بموجبه ، بل لجأنا عوضا عن ذلك الى (المنهج التكاملي)
الذي يتيح أمامنا فرص اختيار المنهج والوسيلة في البحث حسب
مقتضياته وظروفه •

وقد ضمنا (خلاصة) أو ما أسميناه بخاتمة البحث بعض
ما توصلنا اليه من نتائج ، وقدمنا (نقدا ذاتيا) لهذه الدراسة • وأوردنا
بعض نقاط وأغفلنا أخرى ، قلنا أنها قد تكون خلف ما سيلاحظه
البعض من تقصير •

ولا أزال أكرر التأكيد بأن مجتمعاتنا العربية في حاجة الى مزيد
من جهد أبنائها ، ولايزال القائمون على برامج التخطيط والتنمية في
حاجة الى ادراك حقيقة مفادها : أنه اذا أردنا لبرامج التخطيط النجاح
فلا بد من معرفة المجتمع الذي سوف تنفذ فيه هذه البرامج والتعامل معه
وفق خطة واضحة ، تستند الى خلفية علمية عن هذا المجتمع وإمام

تام بثقافته التي تحكم اتجاهات وسلوك أفرادها ، والافتقدت هذه البرامج أهم عناصر نجاحها ومن بينها عدم اقبال أو تعاون الأفراد من أجل انجاح هذه البرامج .

ولعل عدم اقتناع هؤلاء بهذا من بين الأسباب التي جعلت المجتمعات العربية لا تزال في عداد (المجتمعات النامية) حتى الآن على الرغم من مرور سنوات طويلة على بدء عمليات التحديث والتنمية . وأمل أن أكون قد حققت بعض الواجب الذي كنت أطمع في تحقيقه وأشرف بالقيام به من أجل وطني وأبناء أمتي .

وما توهيقي الا بالله .

سعيد فالج الغامدي

جدة في ١٠ من جمادى الأولى سنة ١٤٠١ هـ

الموافق ١٦ مارس ١٩٨١

رقع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مقدمة الطبعة الخامسة

منذ أن صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب في عام ١٤٠١ هـ ، وجدت تشجيعاً كريماً من القراء على مختلف مستوياتهم ، إضافة إلى تشجيع ملحوظ من وزارة الاعلام في المملكة العربية السعودية التي دأبت على تشجيع الكتاب معنوياً ومادياً ، لدفعهم نحو المزيد من الدراسة والبحث . ثم كان لوزارة المعارف الفضل في اصدار طبعة خاصة بها تحمل اسم المكتبات المدرسية لتكون بين أيدي منسوبيها في كافة أنحاء المملكة . ولقد كان لكثير من المؤسسات والادارات الحكومية والجامعات في المملكة العربية السعودية الفضل في اصدار أربع طبعات من هذا الكتاب حتى الآن عن طريق اقتنائه والاقبال عليه بشكل كبير .. وكانت ترجمته إلى اللغة اليابانية ليكون نموذجاً للدراسة في المجتمع العربي السعودي للمهتمين بالدراسات الاجتماعية هناك ، قمة التشجيع الذي أفخر به والذي دفعني إلى المزيد من الدراسة والبحث .. وفي هذه الطبعة لم أضف إلى محتويات هذا الكتاب أي جديد . وأردت أن أحفظ له الصفة التاريخية لما كان عليه المجتمع السعودي في فترة من حياته . وأعتقد أنه يمكن ملاحظة الجديد في هذا المجتمع في بحوث أخرى مثل كتاب . التراث الشعبي في القرية والذنية الذي أصدرته في عام ١٤٠٥ هـ ، والشباب والقيم الأسرية في المملكة العربية السعودية عام ١٤٠٩ هـ وبعض الدراسات الأخرى أهمها دراسة من تقيد الأدوار في الأسرة الريفية التي ستصدر في العدد القادم من مجلة كلية الآداب بجامعة الملك عبد العزيز لعام ١٤١٠ هـ .

والله نسأل التوفيق والسداد .

سعيد فالح الغامدي

جده . حي السلامة

في ١/١ - ١٤٠١ هـ

رفع
عبد الرحمن العبدوي
أسكنه الفردوس
www.moswarat.com

الباب الأول

مفهوم القبيلة والبناء القبلي

الفصل الأول : التجمع القبلي وأسبابه

الفصل الثاني : أهم الدراسات السابقة عن القبيلة

الفصل الثالث : دراسة لبناء القبلي في المملكة العربية السعودية
(بنى كبير)

رَفَع
عبد الرحمن العجوي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الباب الأول مفهوم القبيلة والبناء القبلي

الفصل الأول التجمع القبلي وأسبابه

مادامت الطبيعة غير مستقرة وغير مأمونة ، وطالما أن أسباب المعيشة غير متوفرة بما فيه الكفاية فلا أقل من أن تتوحد الجماعات البدوية في تجمع قبلي . تشكل الأسرة فيه أصغر الوحدات ويمتد هذا التجمع أو التنظيم حتى القبيلة الأم . ومع مرور الزمن ربما ضم معها عددا من القبائل الأخرى بفعل روابط الدم والمصاهرة وروابط التحالف والجوار (١) .

ويرى ابن خلدون أن التجمع القبلي في أماكن معينة ، إنما هو أمر فرضته الحاجة إلى الاستمرار في الحياة وأن اجتماعهم هذا لم يكن إلا من أجل التعاون لتحميل القوت والضروريات من أجل البقاء ، كما أن اعتمادهم على الحيوانات ومنتجاتها هو الذي حدا بهم إلى سكنى البراري والقفار ، حيث يقيمون في بيوت من الشعر يسهل عليهم نقلها عندما يحل الجذب في مكان فيرحلون إلى مكان آخر . كما أن الحياة في ظروف طبيعية قاسية قد وحدت بينهم ودعت إلى نشأة علاقات وصلات قوية فيما بينهم تتمثل في دفع الخطر الذي قد يتعرضون له وصد المعتدي . أو القيام بغارات على مناطق أخرى لتأمين سبل العيش وتوفيره (٢) .

(١) جورج بالاندييه . علم الاجتماع . ترجمة أحمد الخشاب . المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية . القاهرة . مركز مطبوعات اليونسكو . العدد الثالث عشر . السنة الرابعة ١٩٧٣ ص ١٧٤ .

(٢) عبد الرحمن بن خلدون — المقدمة — الباب الثاني — الفصل الأول (تحقيق على عبد الواحد وافي) « دار الشعب » القاهرة . ص ١١٠ .

وفي الحالات التي لا تتوفر فيها وسائل مواصلات سريعة وسهلة . تكون الجماعة المحلية هي الوحدة السكانية الوخيدة التي يمكن تنظيمها على شكل مجتمع متكامل ومتماسك يؤدي وظائفه بصورة مستمرة . والقبيلة نموذج واضح لهذا المجتمع حيث أنها في أبسط أشكالها تعنى جماعة من الناس على هيئة وحدات تحتل منطقة أو مناطق متجاورة وتحس بشعور الوحدة ، هذه الوحدة التي تنشأ عن وجود أوجه عديدة للتشابه في الثقافة والاتصالات الودية المتكررة . وكذا لوجود عدد من المصالح المشتركة فيما بينها ، ويشملها تنظيم قبلي يتفاوت في تفصيلاته ومدى اتقانه . (١)

ويرى . ج و . ببيج . أن القبيلة عبارة عن تجمع عدد من الناس ينتمون الى أصل مشترك ويشتركون في ملكية منطقة معينة من الأرض ، وتقوم بينهم صلات قرابية ويتكلمون لغة واحدة أو لهجة واحدة . (٢)

ويرى آخرون بأن القبيلة عبارة عن وحدة اجتماعية تجمع عدة معاصر أو مجتمعات محلية ولا يشترط في هذه المعشائر أن تكون ذات علاقة نسب واحد . بل قد يحدث أن تندمج عائلة أو عشيرة في قبيلة أخرى تبعا لظروف محلية مختلفة ، كان تحل بها هزيمة على يد قبيلة أخرى أقوى منها فيتمرض أفرادها للسبى وينفرط عقدها . ومنها أن تفتقر الى وسائل القوة المادية مما يؤدي الى إعاقة استقلالها القبلي كأن تجذب مراعيها وتتناقص مواشيها فنشبت عشائرها وتنضوي تحت ولاية قبيلة أخرى تمتاز بالقوة والغنى والمنعة فتصبح تحت حمايتها وقد تنتقل زعامة القبيلة من عائلة الى أخرى ويصحب ذلك تغيير في

(١) رالف لنتون — دراسة الإنسان — ترجمة عبد الملك الناشف : منشورات المكتبة المصرية . بيروت ١٩٦٤ . ص ٣٠٩ .

(٢) ج و . ببيج — الشعوب البدائية — ترجمة — محمود محمد مرسى . الألف كتاب — مكتبة النهضة العربية — القاهرة .

اسم القبيلة ذاتها^(١) .

ويمكن أن نتعرف على القبيلة وأسباب التجمع القبلى إذا حددنا أهم السمات القبيلة وهى :

(أ) لا بد لقيام القبيلة من توافر ثلاث مكونات رئيسية تتمثل فى المكان المحدد واللغة الواحدة والحضارة المشتركة . فاذا فقد واحد من هذه المكونات فقدت القبيلة شرطا أساسيا من شروط وجودها .

(ب) يحدث نتيجة لاحتلال كل أعضاء القبيلة لمكان واحد . واشتراكهم جميعا فى لغة واحدة . وخضوعهم لنمط حضارى موحد أو لأنماط حضارية مشتركة أن تسود بينهم مظاهر التعاون والود والتماسك الاجتماعى ، ويقوى شعورهم بالانتماء الى المجتمع الواحد . ومن أبرز سمات هذا التماسك الاشتراك فى الطقوس الدينية التى يشارك فيها ممثلون عن مختلف الوحدات الاجتماعية الفرعية - الأسرة - البطن - العشيرة - ، كما يتجلى ذلك ساعات الخطر .

(ج) تضم القبيلة عدة تنظيمات شكلية تعمل على تأكيد وحدتها وتماسكها الاجتماعى وبالتالي تحافظ على كيانها واستمرار وجودها ، وأهم تلك التنظيمات - التنظيم السياسى - حيث يمثل القبيلة رئيس يحظى باحترام الجميع وان كان يشاركه فى ادارة ورعاية شؤون القبيلة مجلس يسمى « مجلس القبيلة »^(٢) .

(د) أن الشكل القبلى من الناحية « المورفولوجية » يتميز ببساطة التركيب سواء كان ذلك من حيث عدد السكان أو كثافتهم أو بالنسبة لحركة الهجرة الداخلية والخارجية ، أو عدد المؤسسات الاجتماعية .

(١) صلاح مصطفى الفوال - علم الاجتماع البدوى - الكتاب الاول - دار النهضة العربية - القاهرة ط ١ ١٩٧٤ .
(٢) عاطف وصفى . الأنثروبولوجيا الاجتماعية - دار المعارف . القاهرة . ١٩٦٧ من ١٦٨ - ١٦٩ .

وعلى الرغم من بساطة هذا الشكل المورفولوجي فإنه يتضمن أشكالا أخرى بسيطة أيضا ولكنها تتدرج في نطاق هذه البساطة مثل - المعشر - العشيرة - البطن - الفخذ ، وهي كلها فروع للقبيلة^(١) .

(هـ) أن القبيلة تؤلف وحدة اجتماعية وسياسية واقتصادية متكاملة تميل الى أن تكون مجتمعا مغلقا على نفسه ولا يتصل اتصالا وثيقا بالخارج من الناحية الثقافية حتى بالنسبة للقبائل المجاورة الا في حدود ضيقة .

وهذا ما يؤكد تميز القبيلة بالمكان واللغة والحضارة الواحدة بل أنه في أغلب الأحيان تتميز القبيلة بملبس خاص وبعادات وتقاليد خاصة^(٢) .

التنظيم السياسي والاجتماعي والقرايى في القبيلة :

في ظل ظروف طبيعية قاسية وفي سبيل تأمين الموارد الغذائية تضطر القبائل الى الدخول في « أحلاف » كأن تتحد قبيلة مع أخرى أو أكثر اما اتحادا يرضاه الطرفان نتيجة للخوف من عدو مشترك والى ادراك للمنافع الناجمة عن القيام بمعمل موحد . أو أن تقوم جماعة قوية باخضاع أخرى أضعف منها وتجريدها من استقلالها السياسى وحققها في حكم نفسها واخضاعها لسلطتها . ولعل تشكيل الاحلاف في أول الأمر ظاهرة تميزت بها القبائل التي تتخذ مواقف دفاعية أكثر من تلك التي تتبع السياسة الهجومية . إذ أنه ليس هناك قبيلة تتنازل بمحض ارادتها عن استقلالها السياسى ما لم تدرك أنها

(١) احمد الخشاب . دراسات انثروبولوجية . دار المعارف بمصر . ١٩٧٠ ص ٤٥٣ .

(٢) عاطف وصفي - الانثروبولوجيا الاجتماعية مرجع سابق . وانظر أيضا رالف لنتون - المرجع السابق ص ٢٦٥ . وانظر أيضا الفصل الثاينى دراسة السويدى عن مجتمع الطوارق .

ستجنى من وراء ذلك مردودا هاما مقابل هذا التنازل . (١)

وأساس العلاقة في المجتمعات القبلية تقوم على الترابط الآلى الميكانيكى القائم على التشابه . ذلك لأنها تمتاز بالشكل البسيط الذى يتميز بضيق نطاق العلاقات الاجتماعية بوجه عام ثم تجانس الجماعة وتمائل أفرادها ، ويحكم هذه العلاقة عوامل اقتصادية هي ضرورة المشاركة في تحصيل الرزق والغذاء اللازم وتدير الحاجيات المادية المختلفة .

لكن هذا النوع من الأشكال رغم بساطته يتطلب وجود سلطة في أيد ذات سيادة وقوة نفوذ فكان منصب « شيخ القبيلة » ومجلس شيوخها حيث تكون لأحكامهم قوة خاصة لازمة للتنفيذ . نظرا لارتباط هذه الأحكام بالمصلحة العامة .

ومن ناحية أخرى فان جميع الأفراد في القبيلة يشتركون في كل شىء ولأى غرض فالجميع يشتركون في أداء وظيفة معينة بما يجعل المظهر الجماعى هو الشائع في الزراعة والانتاج وحتى في الفنون أيضا .

ويغلف هذا النظام كله قانون المحافظة على التراث والتقاليد والأحكام والقواعد . مما يعطى لهذا الترابط الآلى جذورا زمنية تجعل للماضى في القبيلة قيمة كبيرة يستمدون منها قيمة الحاضر وقوته .

والى جانب ذلك يقوم العامل المكانى بدور هام في اعطاء الشكل الاجتماعى قوته من الثبات مما يجعل الفرد في الجماعة يحس بأهمية توطئه في المكان وضرورته كمصدر لاستغلاله في جلب الرزق وضرورة المحافظة على كيانه (٢) .

(١) رالف لنتون . مرجع سابق ص ٢٢٢ .

(٢) احمد الخشاب دراسات أنثروبولوجية . مرجع سابق ص ٤٥٧ .

وللقانون العرفي أهميته في تنظيم العلاقات السياسية والاجتماعية ذلك أن القبيلة تؤمن بوجود رابطة تجمعها ترتبط بأساسين هامين هما وحدة الدم ووحدة الجماعة ، وفي ظل هذه الرابطة نشأ هذا القانون الذي ينظم العلاقة بين الفرد والجماعة على السواء في اطار التضامن بينهما في الحقوق والواجبات (١) .

ومن هنا كان لكل قبيلة شيخ أو رئيس تم اسناد السلطة اليه لتحقيق المصلحة العامة وبعونه مجلس « شيوخ القبيلة » ويشترط في هذا الشيخ أن يكون أحد أفراد القبيلة وأن يمتاز بصفات منها الشجاعة والجود والثراء وسداد الرأي وكمال التجربة وان يكون من أقوى بطون القبيلة وأعلاها شرفا وأكثرها عصبية . وقد أشار ابن خلدون الى ذلك عندما أكد أن الرئاسة عند القبائل لا تكون الا في العصبية الكبيرة القوية القادرة على التغلب على العصبية الأخرى . وقد يحدث أن تتغلب عصبية على أخرى فتفوز بالرئاسة بل أن قبائل قد تغير على أخرى وتستولى على أرضها ويصبح أفراد القبيلة المغلوبة تابعين لها . ذلك لأن عصبية القبيلة المغيرة أقوى وتتمتع بقوة رئاسية خاصة (٢) .

ومن مهام شيخ القبيلة القيادة في الحرب وتقسيم الغنائم بعدها وتوجيه القبيلة للمراعى والظعن والتدخل لحل الخلافات والمنازعات بين الأفراد بمعاونة مجلس شيوخ القبيلة . وعقد الصلح والدخول في احلاف مع آخرين والقيام بواجب الضيافة . ذلك لأن له جزءا مقابل هذه الضيافة يحصل عليه عند توزيع الغنائم (٣) .

(١) احمد ابراهيم الشريف . مكة المكرمة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول - دار الفكر العربي . القاهرة . ١٩٦٥ ص ٢٤ .
(٢) ابن خلدون - المقدمة - مرجع سابق ص ١١٩ - ١٢٠ .
انظر أيضا - احمد ابراهيم الشريف . مرجع سابق ص ٢٠ .
(٣) احمد ابراهيم الشريف . مرجع سابق ص ٢٥ .

ولقد كانت « القبيلة العربية » على سبيل المثال وحدة الحياة الاجتماعية والسياسية وكانت كل قبيلة تؤمن بوجود رابطة تجمع بين أفرادها على أساس من وحدة الدم ووحدة الجماعة — كما أسلفنا — وفي ظل هذه الرابطة وفي ظل القانون العرفي الذي نشأ على أساسها انقسم المجتمع القبلي الى ثلاث طبقات اجتماعية هي :

(أ) طبقة الأحرار أبناء القبلة الصرحاء وهم الذين يجمع بينهم الدم الواحد والنسب المشترك (١) .

وأبناء هذه الطبقة هم الذين يشكلون البناء القبلي ولم يلحق بأنسابهم أى دخيل ويتمتعون بحقوق مدنية كثيرة يقابلها كثير من الواجبات التى نظمها العرف على أساس من التضامن التام بين الفرد والجماعة فالأحرار يتمتعون بحماية القبيلة فهمى المسؤولة عن أية جريمة يرتكبها أحد منهم وعليها واجب الانتصار له مظلوماً والوقوف معه ظالماً .

كما أن للفرد من أبناء هذه الطبقة حق « الاجارة » وتعنى قبول مستجير من قبيلة أخرى لاذ بحماه ويتحمل تبعات اجارته وما على القبيلة الا أن تقبل هذا المستجير وأن تقر هذا التصرف وتدافع عن هذا الجار . بل ان هذا الجار يتمتع بما للقبيلة من حقوق ويتحمل معها ما عليها من واجبات .

ومقابل هذه الحقوق للفرد من طبقة الأحرار فان عليه واجبات تتمثل فى التضامن مع القبيلة والعمل المتقانى من أجلها والعمل فى داخل حدود الجماعة بما يحفظ لها وحدتها وعدم الخروج على اجماعها ويضحي لها ومن أجلها بالنفس والمال .

(ب) طبقة الموالى : —

المقصود بها الجار والحليف (٢) وهم أولئك الذين طلبوا حق

(١) ابن عبد ربه . العقد الفريد — المجلد الخامس . ص ٢٢٩ .

(٢) أحمد إبراهيم الشريف . مرجع سابق ص ٤٠ .

الجوار لسبب ما الى قبيلة أخرى وتم قبولهم من قبل طبقة الأحرار في القبيلة وعندها يصبح لهذه الطبقة حقوقا وعليها واجبات . ومن ضمن هذه الحقوق تمتعه بالحماية الكاملة والانتصار له في حالة الاعتداء عليه، كما أن من واجباته أن يلتزم بحدود اللياقة داخل القبيلة فلا يمارس أى عمل يسيء الى سمعتها . ورابطة الجوار هذه مؤقتة وليست دائمة . أى أنها لا ترقى الى ما يتمتع به الأحرار . . . إذ أنه في حالة خروج الجار من القبيلة أو في حالة ارتكابه لأمر يسيء الى سمعة القبيلة أو يعتدى على حرمانها . يطرد من القبيلة وتسقط عنه حمايتها .

(ج) طبقة الأرقاء : (١)

وهم الذين تم ادخالهم الى القبيلة عن طريق الشراء أو تم أسرهم في الحروب . وكل قبيلة لا تخلو من هؤلاء سواءا الرجال منهم والنساء وكانت هذه الطبقة في وضع اجتماعى سيء ودائما عليها واجبات وليس لها حقوق فليس لأحد من هذه الطبقة حق الاجارة أو ابداء الرأى والمشورة أو المشاركة في أعمال الحروب والغزوات . بل أن عليهم فقط السمع والطاعة والقيام بالأعمال والتي يحتقرها الأحرار ويستتكفون القيام بها . كرعى الأغنام وحلب المواشى وادارة الأعمال المنزلية ومباشرة الزراعة الى غير ذلك . . (٢)

وهكذا نجد أن القبيلة العربية كانت تشكل نظاما طبقيًا تفصل بين طبقاته حدود واضحة المعالم . تبدأ طبقة الأحرار التي لها المكانة الاجتماعية العليا ثم طبقة الموالى ويقبع في أسفل السلم الاجتماعى طبقة الأرقاء المغلوبين على أمرهم .

وقد تنبه ابن خلدون الى ذلك عندما أشار في مقدمته في معرض

(١) احمد ابراهيم الشريف مرجع سابق ص ٣١ .
(٢) لمزيد من التفاصيل انظر « النظام الطبقي » في الفصل الثانى من هذا البحث عن الطوارق دراسة محمد عبد القادر السويدى من مجتمع الطوارق .

حديثه عن القبائل (١) الى أن القبائل البدوية أقوام يقتصرون في حياتهم على الضروريات دون الكماليات وأن حياتهم في ظل ظروف طبيعية قاسية قد وحدث بينهم وأدت الى نشؤ علاقات وصلات قوية فيما بينهم تتمثل في دفع الخطر الذي قد يتعرضون له وصد المعتدى أو القيام بغارات على مناطق أخرى لتأمين سبل العيش .

ويؤكد ابن خلدون على الناحية القرابية للقبيلة حيث يقول . أن كل قبيلة لا بد أن تكون من عصابة واحدة وتعود الى نسب واحد مما يؤدي بالتالى الى زيادة التعاون بين الأفراد والتفانى والاخلاص في سبيل الدفاع عن القبيلة ومصالحها وصد العدوان الذى قد يقع عليها .

وذلك على العكس من القبائل المختلطة الأنساب ، التى يوجد بها دخلاء كالموالى والأرقاء وهؤلاء لا يهتمون كثيرا بمصالح القبيلة العامة . بل ربما هربوا الى خارج القبيلة في ساعات الخطر .

ويؤكد ابن خلدون على أن النسب المتصل هو الأساس في الوحدة والالتحام بين أفراد القبيلة الواحدة اذ يشعر كل هؤلاء الأفراد بأن أى عدوان يقع على أحد منهم انما هو عدوان على القبيلة كلها واعتداء على المجموع فتهد القبيلة لنصرة هذا الفرد والدفاع عنه واسترداد حقوقه والثأر له .

ويشير ابن خلدون الى أن القبائل ذات الأنساب « الصريحة » وهى التى لم يختلط بها أفراد آخرون من قبائل أخرى لا تكون الا فى القبائل التى تميل الى حياة العزلة والانطواء (٢) بعيدة عن الاتصال بالقبائل الأخرى . وذلك نظرا للظروف الطبيعية القاسية التى أملت عليهم ذلك . ويخص ابن خلدون — رعاة الابل — بهذا حيث أن رعى الابل

(١) ابن خلدون — المقدمة ص ١١١ الى ص ١١٨ .
(٢) ابن خلدون المقدمة ص ١١٨ . مرجع سابق .
وانظر أيضا . العقد الفريد — المجلد الخامس ص ٢٢٩ وما بعدها —
مرجع سابق .

يتطلب الضرب في القفار بحثاً عن الغذاء الرئيسي للابل وهو - الأشجار - ونظراً لتوغلهم هذا فلا ينزع اليهم أحد من القبائل الأخرى المجاورة .

وبصفة عامة فإن التقسيم الطبقي المشار اليه والذي كان سائداً لدى المجتمعات القبلية في الجزيرة العربية ، لاتزال جذوره قائمة حتى الآن ، لكنها تبدو بصورة أقل وضوحاً عما كانت عليه في السابق . ذلك لأن فئة الموالى التي أشرنا اليها في الفقرة (ب) لم تعد معروفة الآن ، أو بالأصح لم تعد الظروف الاجتماعية مهياً لوجود مثل هذه الفئة ، فلم يعد الشخص بحاجة الى أن يلجأ الى قبيلة أخرى تمنحه الحماية وحق الجوار أو استرداد حق مغتصب ، لأنه منذ ظهور الحكم السعودي وقيام الدولة السعودية كفلت للمواطن حق الحياة الآمنة وأصبح المواطن يلجأ الى الدولة طلباً للحماية أو استرداد حق مغتصب .

بينما من ناحية أخرى لاتزال بعض ملامح هذا التقسيم قائمة حتى الآن ، فالأفراد الذين انضموا الى القبيلة كعناصر من خارجها وخاصة أصحاب الحرف كصانعي الحديد والفخار ، لم يستطيعوا حتى الآن الاندماج كلية في القبيلة عن طريق المصاهرة وتكوين علاقات خاصة مع أفراد الفئات الأخرى لأن النظرة نحوهم لاتزال كما هي ، وسوف نشير الى ذلك في الفصل الثاني من الباب الثاني .

أما بالنسبة للفئة التي أشرنا اليها في الفقرة (ج) وهي الأرقاء . فلم يعد لها وجود الآن من الناحية الواقعية لأنه صدر أمر ملكي في عهد الملك فيصل بن عبد العزيز في عام ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤ م يقضى بإلغاء الرق في المملكة العربية السعودية ، وقد تم تحرير الرق ودفع أثمان الأرقاء من خزينة الدولة الى ملاكهم ، وبدأ الرقيق منذ ذلك التاريخ يتمتع بحريته .

والعلاقات الاجتماعية بين فئة (أ) وكل من (ب ، ج) لا تتعدى كونها علاقات محدودة ، لا ترقى الى نفس مستوى العلاقة بين أفراد الفئة الأولى .

والمجتمع القبلي في المملكة العربية السعودية لا يعرف العناصر الدخيلة والمهاجرة من الخارج اليه ، كما هو الحال بالنسبة للمدن وخاصة مدن الحجاز - ونعني بالمجتمع القبلي مجتمع قبيلة بنى كبير - وقد ينسحب ذلك أيضا على القبائل الأخرى .

فعلى الرغم من أن نظام المملكة العربية السعودية ليست به تفرقة بين المواطنين الأصليين والمواطنين بالتجنس الذين حصلوا على الجنسية اما بالاقامة الطويلة في البلاد أو بأية طريقة أخرى - الا أن المجتمعات القبلية تقيم هذه التفرقة بين أبنائها وغيرهم من العناصر المهاجرة فلا تقبل أن ينتسب اليها أى شخص غريب أو حتى أن يقيم داخل أراضيها ولعل عدم قبول المجتمع القبلي لهذه الفكرة بالاضافة الى عدم وجود عوامل جذب للمهاجرين هو الذى قضى بالألا يكون داخل المجتمع القبلي أى دخيل عليها - عدا أولئك المهاجرون من صانعى الحديد والفخار - والذى يعود تاريخ هجرتهم الى زمن طويل فقد عينت لهم القبيلة أماكن لسكناهم وقبلت بوجودهم حتى يؤدون الخدمات الضرورية للقبيلة .

ويفرق المجتمع القبلي بين أبنائه والمهاجرين بأن ينسب ابن القبيلة اليها ويعيد نسب الثانى الى وطنه الأسمى قبل الهجرة . فيقال أن هذا فلان بن فلان ثم يلحق بأخر اسمه « اسم قبيلته » بينما يقال للمهاجر بأنه فلان بن فلان ثم يرد نسبه الى وطنه الأسمى قبل هجرته .

بينما لا نجد مثل هذه التفرقة لدى سكان المدن الا لدى من كان من سكانها يعود الى أصول قبلية .

وهذا يوضح لنا أن العصبية القبلية من حيث الأنساب لا تزال قائمة حتى يومنا هذا وان كانت بصورة أقل بكثير عما كانت عليه في السابق الا أنها لم تنته تماما .

نماذج صور التنظيم لدى قبائل افريقية :

عبر « ايفانز برتشارد » عن مفهوم القبيلة وتصوره للتنظيم

السياسى والاجتماعى والقرايى فيها من خلال دراسته لهذه المنطقة . (١)
(انظر الفصل الثانى من هذه الدراسة) بقوله :

النوير شعب من رعاة الماشية يعيشون فى السودان الجنوبى فى اقليم تغطيه حشائش السافانا والمستنقعات . ويتألفون من عدة قبائل لا يجمعها معا أى شكل من أشكال الرئاسة أو نظام قانونى . وبساطة ثقافتهم المادية أضطرتهم الى الاعتماد على بيئتهم الطبيعية هذه اعتمادا كليا . كما ان حياة الرعى فى مثل هذه الظروف القاسية استلزمت وجود نوع من النظام السياسى وذلك من أجل تمكينهم من الاحتفاظ بأسلوب حياتهم ، ويقوم بين جماعات من الأفراد علاقات خاصة وهؤلاء الأفراد يرتبطون بروابط (العصبية) أى أنهم ينحدرون من جد واحد يردون نسبهم اليه فى خط الذكور (دون الاناث) . ويختلف حجم هذه الوحدة القرايية (العاصبة) باختلاف المواقف . فالأعمال اليومية العادية تقوم بها وحدات قرايية صغيرة الحجم ، يتألف كل منها فى الغالب من الأفراد والعائلات التى تسكن فى أكواخ متقاربة ، بينما يشترك فى الأعمال الكبيرة وعمليات طلب الثأر الناجم عن ارتكاب حادث قتل والمطالبة بالقصاص أو التعويض كل أفراد البدنه الكبرى الذين يعيشون فى عدد من القرى المتناثرة . والفارق فى حجم هذه الجماعات أو فى مدى توزيعها أو تمركزها الجغرافى وفى نوع الأعمال التى تشترك فيها ، يعبر فى الحقيقة عن مدى (قرب أو بعد) الجد الذى يلتقى عنده فى النسب أفراد كل جماعة منها .

فأفراد العائلات الذين يسكنون فى أكواخ متقاربة ويتعاونون معا فى الحياة اليومية منحدرون جميعا من جد واحد يرجع فى الغالب الى الجد الثالث أو الرابع للصاعد ، وذلك بعكس أفراد البدنه الكبرى الذين يتوزعون بين القرى المختلفة ولا يتعاونون الا فى المهم من الأعمال الخطيرة فان هؤلاء يرددن نسبهم وأصلهم الى جد يرجع الى الجيل

(١) ايفانز برنشارد « الانثروبولوجيا الاجتماعية » ترجمة / احمد ابو زيد . الهيئة المصرية العامة للكتاب - الطبعة الخامسة ١٩٧٥ من ص ١٣٥ - ص ١٣٨ .

العاشر أو الثاني عشر الصاعد ، بمعنى أن وحدة القرابة يتلازم مع انتشارها في المكان ومع عمقها في الزمان ، هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى فإن النوير لا يحددون وقوع الحوادث بتواريخ معينة وإنما يؤرخون لها في ألفاظ بنائهم الاجتماعي ، بمعنى أنهم يقولون أن حادثا وقع حين كانت طبقات العمر المسماة *thur* مثلا تشكل مرتبة الإبطال . وهكذا . . . (١) والقبيلة في النوير تمتاز بوحدتها الإقليمية . بحيث أن كل قبيلة لها مراعيها ومياها الخاصة (٢) ولها مناطق صيد أسماكها بحيث لا يجوز لغيرها أن تمارس ذلك في منطقتها ، كما أن كل قبيلة يوجد بها عشيرة مهيمنة وهدف يجعل للوحدة السياسية معنى قريبا . والقبيلة هناك تنقسم إلى أقسام أصغر غير أن الأقسام الأصغر تذوب في الوحدة القبلية الكبرى . ولهذا فإن الخلافات التي تقع في القبيلة يعتبرونها شؤوننا داخلية يجري حلها والبت فيها عن طريق التحكيم والطرق السلمية ، وفي نفس الوقت يتم اتحاد الأقسام الصغرى مع القبيلة الأم ضد الخصوم الخارجيين من أية قبائل أخرى ، ولهذا جاز أن نقول أو أن نعتبر القبيلة أكبر جماعة سياسية . وأن الوحدات أو الأقسام الأخرى إنما هي أقسام ووحدات داخل القبيلة الكبرى . ولهذا نجد أن هناك نظاما لفض المنازعات الداخلية ، فعندما يحدث أن يقتل شخص شخصا آخر من نفس قبيلته فإنه في أحيان كثيرة — ونادرا ما يحدث خلاف هذا — إنهاء الخلاف بدفع (الدية) لذوى القتيل بأعداد من الماشية . وبالتالي يتم تجنب وقوع حالة طلب الثأر أو (عداوة الدم) بينما يستحيل أن يتم الأمر بهذه الطريقة في حالة كون القاتل من خارج قبيلة المقتول . بل إن الحرب واقعة لا محالة .

وليس كل نزاع من هذا النوع يمكن حله بسهولة بل إن الأمر

(١) انظر تفصيل ذلك في الفصل الثاني ص ٤١ .

(٢) E. E. Evans-pritchard, the Nuer : A Description of the modes of livelihood and political Institutions of a Nilotic People (Oxford 1940) p. 275-276.

يختلف باختلاف قبيلة أو قرية القائل والمقتول • فكلما كان القائل والمقتول من قرية واحدة كلما كانت الأمور مهيأة لأن تسوى بسهولة • وكلما كبرت الوحدة الاقليمية أو الأقسام القبلية كلما كانت الأمور في تسوية النزاع أكثر تعقيدا • وذلك معناه أن للقانون القبلى فاعلية تختلف باختلاف (البعد البنائى) الذى يقوم ويفصل بين الأطراف المتنازعة ، ومهما يكن الأمر فان القبيلة على هذا الأساس تبدو وحدة متماسكة • فاما أن يتم تسوية الخلاف بالطرق السلمية وذلك مدعاة الى المحافظة على وحدة القبيلة ، واما أن يطول النزاع وعندها تنقسم القبيلة الى شطرين مستقل الواحد عن الآخر •

وحرية الحركة ميسرة لدى النوير فبإمكان شخص أن ينتقل من مكان الى آخر ، ويمكنه أن يتزوج من خارج القبيلة • وهذا يؤدي الى وجود علاقات مع الآخرين عن طريق المصاهرة ، وعلى الرغم من كل ذلك فان للنويريين لغة خاصة وثقافة موحدة • وهذا ما يفسر لنا سرعة الاتحاد بين أقسام القبيلة المختلفة في حالات الحروب بغرض الهجوم أو الدفاع على القبائل المجاورة •

القبيلة في بيورى اللاماب^(١) :

الوحدة السياسية والقرايبية في (بيورى اللاماب) هي القرية • وقد أوضح المؤلف أن « بيورى اللاماب » عبارة عن اتحاد عدد من المهاجرين الى هذه المنطقة ، هذه الهجرة تمت اما لوجود أقارب فيها للمهاجرين أو عن طريق الزواج والمصاهرة وهم في الأصل ينتمون الى عدد من القبائل • هذه القبائل اما عربية في أصلها واما نوبية ، وكلمة (لاماب)^(٢) تعنى سلالة أولئك الذين تجمعوا في هذه المنطقة وتقوم بينهم روابط قرايبية كبيرة • ويسود بين أعضاء القبيلة الود والتفاهم ،

Harold, B. Barclay. A suburban Village in the Sudan. Cornell University Press, 1964 p. 46-97. (١)

Ibid. p. 10.

(٢)

ويتم حل الخلافات فيما بينهم عن طريق تدخل المشائخ لحلها .

و (بيورى اللاماب) جزء من عمودية البرارى (والعمودية)
وحدة سياسية داخل السودان تضم عدد من القرى الصغيرة ، يحكمها
عمدة ويساعده عدد من الشيوخ .

وليست للمشائخ هناك أهمية كبرى حيث أن وظائفهم لا تتعدى
حل المنازعات والمحافظة على النظام المحلى ، بمعنى أنهم يقومون
بمساعدة العمدة فقط اضافة الى أن الشيخ يعد قائمة بالضرائب على
الأفراد ويجمعها مباشرة منهم ويسلمها بدوره الى العمدة الذى يعطيه
نسبة معينة منها لقاء خدماته وقد كان لتدخل الحكومة المركزية فى
السودان أثره الفعال فى الغاء النظام القبلى فى هذه المنطقة .

ويرى « Mitchell »^(١) أن الوضع الاجتماعى والحياة القبلية فى
أفريقيا تتناقض تناقضا شديدا مع ما هو واقع فى المدينة . فالأفريقي
« القبلى » يشعر بالاحترام الشديد الى درجة التقديس لقبيلته ،
ويعتمد الأفراد فى القبيلة اعتمادا كبيرا على السلطة السياسية التى يمثلها
(الشيوخ) لحل قضاياهم ومشكلاتهم والدفاع عن حقوقهم واستردادها
فى حالة اغتصابها من أفراد آخرين وترتبط بينهم روابط قرابة معقدة ،
ويشعرون بالولاء لموطنهم الأصلى ويظلون يذكرونه ويحنون اليه وهم
فى هجرتهم الى المدن القريبة من مواطنهم الأصلية للعمل وتحسين
مستواهم الاقتصادى ، وكثيرا ما يتعرض القبلى المهاجر لاجباطات عديدة
نتيجة لعدم اندماجه الكلى فى مجتمع المدينة ولعدم مطابقة سلوكه لسلوك
المدينين فيها ، وقد ذكر أن ثقافة القبليين تشبه ثقافة (العصر الحجرى)
فى نظمها وطرائقها ، فالؤسسات القبلية التى تقام لمواجهة الاحتياجات
فى النظم الاجتماعية القبلية تختلف اختلافا شديدا عن مثيلاتها فى مجتمع
المدينة . وهذه الأنماط فى سلوك القبلى انما هى أنماط الأصول القبلية

G. Clyde. Mitchell., In Michael Banton. The Social Anthropology of Complex of Societies p. 37-60. (1)

التي ينتمى اليها ، والقبلى ان استطاع أن يعدل في سلوكه فانما هو تعديل مكانى سرعان ما يزول بعودته الى موطنه الأصلي حيث يمارس سلوكه السابق . والعلاقات بين الأفراد في القبيلة تقوم على أساس العلاقات العائلية والقربانية والولاء للزعماء والرؤساء والامتناع عن ممارسة محرمات القبيلة والتمسك بعقائدها وكل هذه أنماط متأصلة في نفوس الأفراد وعقولهم .

وقد تحدث « شاپيرا Schapera »^(١) عن قبائل « البوشمن » الذين يعتبرون من الشعوب الشديدة البساطة ، ولا يعيشون في دولة ، فذكر أنهم بعيدون عن حياة الفوضى التي لا ضابط لها . فهم يعترفون بحقوق الأفراد من ناحية الملكية وكذا . . الزوجات « ولهم وسائلهم المقررة في عقاب الأشخاص الذين لا يحترمون هذه الحقوق حيث توقع عليهم العقوبات المختلفة التي قد تتخذ الشكل الجماعى . وبخاصة على الأفراد الذين يشكلون تهديدا للأمن العام . ويتعاون الأفراد في كثير من المناشط مثل القنص ، أو عند الانتقال من مكان الى آخر ، والدفاع عن الأرض ، ومهاجمة الأعداء ، ومع أن أفراد الجماعة من الرجال يشتركون معا في اتخاذ القرارات الا أن (الشيوخ) عندهم يتمتعون بنفوذ كبير ويقومون بأدوار قيادية . بالاضافة الى الاشراف على الشعائر الدينية ومراسيم الاحتفالات ، وهذا يعنى أن الجماعة عند (البوشمن) وحدة منظمة الى حد كبير ، لها وسائلها الخاصة في اقرار التماسك والنظام والاستقلال وعلى هذا يرى (شاپيرا) بأنها وحدة سياسية لأن الجماعة عندهم تخضع لنسق معين من الضوابط^(٢) .

هذه النماذج التي عرضناها عن صور التنظيم القبلى لدى مجتمعات قبلية في افريقيا توضح لنا أن صور التنظيم مع اختلافها في الشكل

(١) أحمد أبو زيد — البناء الاجتماعى — مدخل لدراسة المجتمع . الجزء الثانى — الانساق . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢ الطبعة الثانية ص ٤٧٢ .

(٢) أحمد أبو زيد — المرجع السابق — ص ٤٧٣ .

والمضمون تسعى لخدمة هدف واحد . وهو المحافظة على بناء القبيلة واستمرارية هذا البناء ، والسلطة التي يتمتع بها شيخ القبيلة أو زعيمها أو الوحدة الاجتماعية التي فيها الزعامة . انما هي سلطة تمثل مصلحة القبيلة ككل ، فعندما يأمر شيخ القبيلة بعقاب شخص ما خرج على القانون القبلي . فانه بذلك لا يقصد عقاب هذا الشخص مجردا وانما يعنى الردع لمن تسول له نفسه القيام بعمل مماثل ويعلن أن القانون القبلي شيء هام لا يمكن السماح بالخروج عليه ، ولذلك يوافق كل الأفراد على مثل هذا العقاب لأن في ذلك مصلحتهم ومصلحة القبيلة .

ولا تختلف صور التنظيم هذه التي عرضناها عن صورة التنظيم القبلي في مجتمع بنى كبير ، فالشيخ يتمتع بسلطة كبيرة ومجلس القبيلة يعاونه في ادارة هذه السلطة بما يتفق ومصلحة القبيلة . . ولا تقبل القبيلة في بنى كبير من أحد أن يخرج على القانون القبلي حتى ولو كان شيخ القبيلة نفسه .

وقد روى الاخباريون واقعة تقول أنه في فترة تعود الى ما قبل (٨٠) عاما كان هناك شيخ لقبيلة بنى كبير انتخبه مجلس القبيلة لشغل هذا المنصب واستمر فيه عدة سنوات ، لكن هذا الشيخ عاقب أحد الأفراد بأن استولى على متاع يخص هذا الفرد نكالا له لانه أولم وليمة ولم يبعث بنصيب الشيخ من هذه الوليمة ، فكان أن غضب الشيخ وبعث بأحد معاونيه ليستولى على متاع هذا الفرد . فأشتكى الرجل لمجلس القبيلة ظلم الشيخ وجوره . فأجتمع المجلس ونظر في تصرف هذا الشيخ . وقرر أنه تصرف غير لائق فذهب أفراد من المجلس الى الشيخ وطلبوا رد متاع الرجل فوافق الشيخ على ذلك وقرر المجلس بعدها خلع الشيخ وتنصيب آخر مكانه .

هذه الواقعة تبين لنا أن منصب شيخ القبيلة يكسبه الاحترام والتقدير ، ويفرض على أفراد القبيلة السمع والطاعة لتحقيق الضبط الاجتماعى في القبيلة ، لكن الاحترام والتقدير يسقط ويخرج الأفراد عن

الولاء للشيخ اذا صدر عنه سلوك يخالف المصلحة ويعتدى به على حقوق الآخرين وحريرتهم ويستغل سلطته لتنفيذ مطامعه الخاصة والشخصية . فاستبدال الشيخ نظرا للسلوك الذي ذكرناه يؤكد أن الشيخ ليس فوق القانون وانما أعطى سلطة لتنفيذ القانون بوجهة سليمة . هذا النموذج قد لا يكون واضحا لدى مجتمع النسوير أو البوشمن ، ذلك لان الشيخ أو الزعيم هناك يتمتع بسلطته بناء على عوامل منها قدرته في نظرهم على القيام بأعمال خارقة تتعلق بالسحر وما شابه ذلك . في حين أن الشيخ في قبيلة بنى كبير لا يدخل في الاعتبار أثناء اختياره مثل هذه الأمور وانما يتركز اختياره أيضا على عدة عوامل منها تطبيقه للقانون بطريقة موضوعية كما سنتحدث عن ذلك في فصل البناء السياسى لقبيلة بنى كبير .

نظم القرابة والزواج :

تميل بعض المجتمعات القبلية وغير القبلية الى تحبيذ فكرة الزواج من الداخل «Endogamy» أى نظام الزواج من داخل الوحدة القرابية الدموية كأن يتزوج الفرد من ابنة عمه^(١) « وهذا النوع من الزواج منتشر بين القبائل العربية ، بغرض حصر الأرض في نطاق العائلة الممتدة وتقوية الروابط القرابية . ذلك لأن الأولاد الناتجين عن هذا الزواج سيبقون في نطاق « البدنه » مما يكسبها منعة وقوة في وجه أعدائها^(٢) أما في قبائل الهند الشمالية حيث يبدو ذلك بوضوح في القرى الواقعة هناك فتوجد علاقات قرابية عن طريق الزواج واسعة الانتشار اذ يجذب القرويون فكرة الزواج من خارج مجتمعهم ، فعلى « البنجاب » على سبيل المثال

(١) روبرت رنفيلد ، المجتمع القروى وثقافته — ترجمة ، فاروق محمد المادلى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب — فرع اسكندرية ١٩٧٢ ص ١١٠ .
(٢) لم يحبز الدين الاسلامى فكرة الزواج من ذوى القربى ، بل كره هذا النوع من الزواج وجاء في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تزوجوا القرابة القريبة نان الولد يخلق ضاويا » ومن الحكم المشهورة عند العربى « اغتربوا لا تزوجوا » .

يقال أن كل قرية لها مجموعة تقليدية من القرى تتزوج من فتياتها ، ومجموعة أخرى تزوج فتياتها اليها^(١) . وهو ما يطلق عليه اسم الزواج للخارجى «Exogamy» أى نظام الزواج من خارج الوحدة الاجتماعية « والأصل فى هذا النظام يقوم على أساس الاعتقاد بأن أعضاء العشيرة الواحدة أو القبيلة أقارب منحدرين من نسل جد مشترك ، وبناء على ذلك يحرم الزواج بين أعضاء تلك العشائر أو القبائل ، وعلى العضو أن يتزوج من خارج عشيرته أو قبيلته .

ويعلق — مالىنوفسكى على ذلك ، بأنها وظيفة هامة تهدف الى تأكيد تماسك العشيرة عن طريق توجيه اشباع الدافع الجنسى نحو أفراد من خارج العشيرة حيث لا تحدث مشاجرات بين أعضاء العشيرة الواحدة بسبب التنافس على الزواج من « الفتيات الجميلات » .

وتؤدى قاعدة الزواج من الخارج دورا هاما فى توفير علاقات الود والتعاون بين العشائر التى يجمع الزواج بين بعض أفرادها ، لذلك كانت الخاصة الغالبة عند معظم الجماعات القرابية الدموية هى « تطبيق قاعدة الزواج من الخارج ، وذلك لاعتقادهم بأن الروابط القائمة بينهم تصل الى درجة روابط الأخوة والأبوة ولهذا يمتد نظام المحارم ليشمل كل أعضاء الجماعة القرابية الدموية الواحدة .

ويمكن أن نخلص من هذا الى القول بأن لكل مجتمع ثقافته فيما يختص بموضوع الزواج^(٢) فبينما نجد أحد المجتمعات يجذب فكرة الزواج الداخلى نجد أن ثقافته مجتمع آخر ترفض هذه الفكرة ، اما للاعتقاد بأن كل الأفراد تربطهم روابط الدم بالأخوة والأبوة واما من الخوف بأن مثل هذا الزواج قد يؤدى الى تعكير صفو الانسجام واسباب سوء العلاقات القائمة ولهذا قامت وسائل وأساليب يطلق عليها اسم (قواعد تحريم

(١) روبرت ردفيلد — مرجع سابق . ص ١١٣ ، ١١٤ .

(٢) علياء شكرى . الانتاجات المعاصرة فى دراسة الأسرة . دا .

المعارف . الطبعة الاولى ١٩٧٩ ص ١١٤ .

الزنا بالمحارم) وهى تعنى تحريم قيام علاقة زوجية بين بعض فئات الأقارب الدمويين .

ويمكن أن نضيف الى ذلك بأن هذه القاعدة ليست منبثقة أصلا عن طبيعة ثقافية خالصة نستبعد العامل البيولوجى والاعتبارات البيولوجية فى هذا الصدد وفى هذا أيضا لا يمكن الجزم بأن العامل البيولوجى وحده هو الذى أدى الى وجود مثل هذا النظام ذلك أننا نجد أنه لدى بعض الشعوب التى تأخذ بقاعدة تحريم الزنا بالمحارم . تحرم الزواج بين أفراد جماعات قرابية معينة فى حين تسمح بزواج أفراد هذه الجماعة القرابية من جماعات قرابية أخرى وهى جماعات قرابية تجمعها نفس رابطة الدم القرابية البيولوجية التى تجمع أفراد الجماعة الأولى .

وقد أوردت (علياء شكرى) فى كتابها السابق الاشارة اليه مثلا على ذلك فى ص ١١٥ كدليل على صحة هذه الملاحظة الأخيرة فى قواعد تحريم الزنا بالمحارم عند شعب (الكاريرا) وهو أحد الشعوب الاسترالية الأصلية فى غرب القارة الاسترالية فذكرت أن هذا الشعب لا يسمح بالزواج الا من أحد أبناء العمومة أو الخؤولة المتقاطعة . فى حين يحظر تماما الزواج بين أبناء وبنات العمومة والخؤولة المتوازية أو الأفراد الذين ينتمون الى الأجيال السابقة أو اللاحقة على جيل الفرد نفسه ، ويعنى كل هذا أن الشاب فى « الكاريرا » يستطيع أن يتزوج ابنة عمته أو ابنة خالة أى أبناء العمومة والخؤولة المباشرين . وفى نفس الوقت لا يستطيع الزواج بابنة عمه أو ابنة خالته وهن بنات العمومة والخؤولة المباشرين أيضا فهؤلاء القرىبات يربطهن بالفرد نفس الدرجة القرابية من الناحية البيولوجية ، لكنهن من الناحية الاجتماعية من وجهة نظر (الثقافة لدى شعب الكاريرا) ينتمين الى عالمين مختلفين على الأقل فيما يتعلق بالزواج .

وقد سبقت الاشارة الى تعليق (مالىونفسكى) على قاعدة الزواج من الخارج واتفق معه فى ذلك (بيلز وهويجر) فى القول بأن الدافع الجنسى يعتبر عامل تخريب وهدم بصفة عامة . ومن ثم يؤدى الى تفكك

البناء الأسرى ، وهم يرون أن المجتمع الذى يبيح الزنا بالمحارم يعجز عن الحفاظ على استقرار النظام الأسرى^(١) .

ويجب أن نلاحظ أيضا أنه بالإضافة الى ذلك فإن الزواج الخارجى يخلق نوعا من الروابط الجديدة بين الجماعات المختلفة ومن ثم التأليف بينها فى كيان كلى متعاون أكبر . وهو أيضا وسيلة لتحقيق نوع من التبادل لخلق جو من الهدوء والود بعد الكراهية والحرب .

أما عن نظام القرابة والزواج فى المجتمعات العربية قبل الاسلام فى الجزيرة العربية فإنه يمكن القول بصفة عامة بأن القرابة عند العرب قبل ظهور الاسلام لم تكن واضحة المعالم ومحددة كما هو الحال بعد ظهور الاسلام . فالقرابة آنذاك كانت قائمة على الادعاء وليس على صلات الدم . فكان الولد نفسه لا يلحق نسبه بأبيه الا اذا رضى الأب بذلك . فان لم يعترف الأب بأبوته له فإنه يصبح عضوا غريبا عن الأسرة ، وفى نفس الوقت كان النظام يسمح لرب الأسرة ألا يلتزم بهذا الاعتراف بصفة دائمة . بل كان لرب الأسرة الحق فى أن يخلع من أسرته من يشاء من أفراد اذا دعت الحاجة الى ذلك كان يقوم أحد الأفراد بارتكاب عمل مشين يستحق عليه الخلع من الأسرة . ويقطع صلته بها يصبح بذلك أجنبيا عن الأسرة لا تتأثر له . اذا اعتدى عليه أو قتل ولا تؤخذ بجرائر أعماله .

كما عرفت هذه المجتمعات نظام التبني حتى لو كان هذا الابن ليس من صلب الأب فيحدث أحيانا أن يتبنى رجل أى طفل يشاء وينسبه اليه ويدعى اليه بدلا من أبيه الأسمى ولما ظهر الدين الاسلامى حارب هذا النظام وألغاه حيث يقول تعالى : « وما جعل ادعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل » ويقول تعالى : « ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله ، فان لم تعلموا آباءهم فإخوانكم فى الدين ومواليكم » .

(١) علياء شكرى . مرجع سابق ص ١٢١ .

وهكذا حاربت الشريعة الاسلامية وألغت نظام الادعاء والتبني وأقرت فقط بـ « ابن الفرائس » الذى يأتى نتيجة لفرائس صحيح قائم على عقد زواج شرعى ليلتحق نسبه بأبيه وأمه من غير حاجة الى الاعتراف به من قبل الأب .

وقد شاع فى المجتمع العربى قبل ظهور الاسلام أشكال عدة للزواج
هى :

١ - زواج المهر أو زواج البعولة :

وهذا الشكل من الزواج لا يتيح للمرأة حق الاعتراض عليه أو أبداء الرأى فكان يدفع الرجل المهر لولى أمر المرأة التى لا تأخذ من هذا المهر شيئاً وليس أمامها سوى القبول بالأمر الواقع والا فان أهلها سيمنعونها من الزواج بعد ذلك .

٢ - زواج التمسمة :

وهو عبارة عن عقد شخص بين الرجل والمرأة لمدة معينة وبمبلغ محدد وينتهى الزواج بانتهاء المدة المتفق عليها ، وفى هذا الزواج يصبح للأبناء حق الانتساب الى الأب والارث منه .

٣ - زواج السبى :

وكان هذا الشكل من الزواج يتم بعد الحروب والغارات ، فالمنتصر يأخذ مجموعة من نساء المهزوم سبايا تم الاستيلاء عليها بقوة السلاح ويمكنه أن يضاجع واحدة أو أكثر ويوزع على الرجال المحاربين ولا يشترط أن تكون السبية راضية أو أن يقدم لها مهر .

٤ - زواج الاماء :

وذلك أن يشتري الرجل أمة فيطؤها فاذا أنجبت منه أطفالا أن شاء حررها من الرق وأولادها وان شاء أبقاها وأولادها عبيدا وبناتها اماء .

٥ - زواج المقست :

ويسمى هذا الشكل أيضا بزواج الارث فقد كان هؤلاء قبل الاسلام يرثون زوجات آبائهم وغير الأباء كما يرثون المواشى والأموال . ولكن الرجل كان لا يرث أمه التى ولدته ويرث ماعداها .

٦ - الجمع بين الأختين:

كان المجتمع العربى فى الجزيرة العربية قبل ظهور الاسلام يجيز أن يجمع الرجل بين الأخت وأختها فى بيت الزوجية وتصبحان زوجتان لرجل واحد فى آن واحد ولكن هذا الشكل كان مستقبحا على الرغم من أنه كان قائما .

٧ - تعدد الأزواج :

وكان يشرع فى الجاهلية تعدد الأزواج . دون التقييد برابطة القرابة فيما بينهم ، وقد ورد فى الأثر عن السيدة عائشة رضى الله عنها . أنها قالت : (كان يجتمع الرهط من الرجال - وهم دون العشرة - فيدخلون على المرأة فيصيبونها ، فإذا حملت ووضعت ترسل اليهم فلا يستطيع واحد منهم أن يمتنع عن الحضور ، فإذا اجتمعوا عندها تقول لهم : قد عرفتم ما كان من أمركم . « وقد ولدت » فهو ابنك يا « فلان » وتسمى من أحببت باسمه فيلحق به ولداها . ولا يستطيع أن يمتنع عنه الرجل . يتضح من ذلك أنه كان للمرأة معاشرة أقل من عشرة من الرجال . لكنهم كانوا يرون أن التى تريد عن التسعة انما هى امرأة (بغيه) ولا يشترط وجود روابط قرابة بين الرهط ، وكانت معاشرتهم للمرأة غير دائمة ، ولم تكن لهذه المعاشرة مقومات الحياة الأسرية فى الحقوق والواجبات سوى أنها تلزم من أرادت ببعض القيود فيما يتعلق بالأولاد .

٨ - زواج الاستبضاع :

وقد كان عندهم أيضا هذا النوع من الزواج وهو زواج الاستبضاع وهو يعنى أن يكون للمرأة زوج واحد ، لكن يباح لغير زوجها أن يتصل

بها في فترات محددة قبل زفافها أو بعده في فترة معينة وبقيود خاصة ، دون أن يكون لهذا الرجل حق الزواج بها • فالرجل يترك زوجته تتصل جنسيا بأحد الرجال العظماء عليها تنجب له من يحمل صفات العظمة ، وكان الزوج في تلك الفترة لا يقترب من زوجته حتى يتأكد من حملها من هذا العظيم •

٩ - زواج الشغار :

وكانت بعض قبائل العرب في الجاهلية تبيح الاختلاط بين الخطيبين دون قيود قبل الزواج ، فيحق للرجل الاتصال جنسيا بخطيبته ، فاذا قبل كل منهما الآخر تم العقد واذا لم يقع القبول بين الطرفين أمكنهما العدول عن الزواج • ويسمى عندهم هذا (نكاح السفاح) أما زواج الشغار فهو يعني أن يتم التبادل بين رجلين كل منهما من كان وليا لأمرها للآخر في عملية تبادل دون أن يدفع أحدهما لزوجته مهرا •

١٠ - تعدد الزوجات :

تمدد الزوجات لم يكن له حدود في الجاهلية بمعنى أن للرجل الحق في أن يتزوج أي عدد من النساء طالما كانت لديه المقدرة على ذلك • وقد ورد في الأثر عن عبد الله بن عمر رضى عنهما قال : « أسلم غيلان الثقفي وتحتة عشر من النساء ، واسلمن معه ، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يختار منهن أربعا ويدع خمسا » •

وعن نوفل بن معاوية قال : « أسلمت وتحتى خمسا من النساء^(١) فسألت الرسول صلى الله عليه وسلم فقال « فارق واحدة وامسك أربعا » •

وبعد ظهور الاسلام استقرت الأوضاع الاجتماعية فيما يتعلق

(١) اعتمدنا في كتابة اشكال الزواج في الجاهلية على كتاب (فتح الباري بشرح صحيح الامام ابى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى) للامام الحافظ . احمد بن حجر العسقلانى « منشورات المكتبة السلفية » القاهرة ص ١١٢ ص ١٦٢ .

بالزواج ووضع الاسلام قيودا وضوابطا تكفل استمرار الحياة الاجتماعية واستقرار الأسرة والحياة الزوجية داخل الأسرة نفسها وبالتالي في المجتمع الاسلامي كله . ورفع مكانة المرأة الاجتماعية ورد لها حقوقها التي كانت سلبية ، بأن حرم تلك الأشكال السابقة للزواج ، واعطى للمرأة الحق أن تختار الرجل الذي تشاركه الحياة ضمن اطار الشريعة الاسلامية . وأن يكون لها مهر وأن يتم العقد الشرعي في الزواج . وأتاح الاسلام للمرأة الفرصة في أن تطلب الانفصال عن زوجها اذا كرهت معاشرته نتيجة لسوء خلق أو خلق ، أو تضررت من استمرارية الحياة معه . بأن تتنازل للزوج عن بقية صداقها أو بعض أثارها .

وباختصار فان الاسلام أتى بتنظيم جديد للحياة الزوجية ووضع القيود والروابط التي تعود بالطمأنينة والاستقرار على الحياة الزوجية والأسرة ابتداء من مرحلة الخطوبة وانتهاء بمرحلة الطلاق .

الضبط الاجتماعي في القبيلة :

رأينا في أول هذا الفصل صورا للتجمع القبلي وأسبابه وعرفنا بعد ذلك التنظيم السياسي والاجتماعي والقروبي ثم نظم الزواج ، وكنا قد أشرنا اشارات متفرقة الى أن المجتمع القبلي يمتاز بالترايط والشعور بالوحدة والمصير المشترك وأشرنا من الناحية المورفولوجية الى أن القبلية نظام يمتاز بالبساطة في التركيب سواء من حيث عدد السكان وكثافتهم أو عدد المؤسسات الاجتماعية فيه وأنه يمتاز بضيق نطاق العلاقات الى آخر ذلك ولكي تسير الأمور في مجراها الطبيعي مما يحقق للقبيلة البقاء والاستمرار لابد من وجود وسائل وأساليب للضبط الاجتماعي ، وكان (شيخ القبيلة) ومجلس الشيوخ فيها يمثلون السلطة السياسية العليا لتنفيذ وتحقيق الضبط الاجتماعي ، بالإضافة الى سلطات الأب المطلقة على أسرته . « وتحريا للدقة » لابد أن نقول أن سلطات شيخ القبيلة تختلف باختلاف القبائل نفسها واختلاف ثقافتها . لكنه بوجه

عام يمكن أن نشير الى أن أهم أعمال شيخ القبيلة^(١) هي تحديد مناطق الرعى للقبيلة بالاتفاق مع شيوخ القبائل الآخرين ثم تحديد مواعيد الضعن اليها ، وهو القائد في القبيلة لاعلان الحرب أو اقرار السلم . وهو الذي يصدر الأوامر بالنسبة الى عمليات السلب والاغارة ويمثل القبيلة وينوب عنها في عقد الاتفاقيات واللقاءات مع شيوخ القبائل الأخرى وعملية الضبط الاجتماعي في المجتمعات القبلية تستند في الأصل الى العرف القائم لدى كل قبيلة وشيخ القبيلة يطبق قوانين العرف هذه بصرامة تامة ويرجع ذلك الى عزلة مثل هذه المجتمعات بالاضافة الى أنها في صراع دائم مع البيئة من أجل البقاء . والأعمال التي تمارس بسببها عمليات الضبط الاجتماعي تختلف بين جرائم كبرى وصغرى فالكبرى على سبيل المثال تتمثل في القتل وتشويه أعضاء الجسم أو تعطيلها والخطف و (قطع الجيرة) وهي تعنى الاعتداء على شخص مستجير بحمي القبيلة وسرقته أو استغلاله . أما الجرائم الصغرى فهي مثل الطعن الذي يترتب عليه جرح والضرب . وجذب شعر اللحية . والشتم .

وتختلف العقوبات باختلاف الجرائم وأنواعها فعند وقوع جريمة القتل يقوم أهل القتل بالتأثر له أو تقوم القبيلة بهذه العملية نيابة عن ذويه ان كانت الجريمة وقعت من شخص خارج القبيلة ، وفي العرف القبلي قد يتعرض الزاني لعقوبة الاعدام . وهنا ملاحظة نذكرها وهي أن القبلي شديد الانتماء الى قبيلته ، ولهذا فان عقوبة « الخلع » من القبيلة تعتبر من أشد العقوبات التي قد يتعرض لها الأفراد في هذه المجتمعات .

ومن أجل المحافظة على وحدة القبيلة وترباطها وبقائها كوحدة متماسكة فانه في أغلب الأحيان يقوم شيخ القبيلة أو الزعيم فيها بحل الخلافات والقضاء على النزاع وبدون شك فان أي من الطرفين المتنازعين سيشعر بالظلم لكنه يرضى بما يحكم به هذا الشيخ تقديرا له ولصلحة القبيلة العليا .

(١) عاطف وصفي . الانثروبولوجيا الاجتماعية . مرجع سابق .

ويمارس هؤلاء الشيوخ أو الزعماء الى جانب ذلك دورا قياديا في المجال الدينى فهم الذين يحددون أماكن ومواعيد الطقوس الدينية وتحديد أنواعها كما هو الحال لدى الزعماء عند قبائل النوير^(١) .

وفي مجتمع بنى كبير يمثل شيخ القبيلة السلطة العليا لتحقيق الضبط الاجتماعى فى القبيلة شريطة أن يرعى مصلحة القبيلة عند استخدام هذه السلطة . وقد كان من وسائل الضبط الاجتماعى . الدية أو القصاص فى حالات القتل ، أو اهدار دم الجانى فى حالة هربه أو التشهير به فى الأسواق وهجاؤه بالأشعار والذم أو طرده من القبيلة وخلعه منها أو ضربه على مشهد من الناس (وخلق لحيته) أو ايقاع عقوبة مالية عليه ، وذلك تبعا للجرم الذى اقترفه فى حق شخص أو أشخاص فى القبيلة أو خروجه على القانون القبلى . أما المهاجرون الى القبيلة أو الحلفاء الذين استقروا فى أراضيها فكانت توقع عليهم عقوبة الطرد فقط مع التشهير بهم ماعدا فى حالة القتل فان القصاص هو العقوبة الوحيدة لهؤلاء طبقا للشريعة الاسلامية^(٢) .

وهكذا نلاحظ قسوة وسائل الضبط الاجتماعى ، لكن الضرورة

(١) انظر الفصل الثانى من هذه الدراسة ص ٣٩ .
(٢) وقد نظم الدين الاسلامى العقوبات ، وأوضح الجزاء الذى لابد ان يوقع على الجناة لقاء الاعمال التى ارتكبوها فى حق الامراد والجماعات ويهدف بذلك الى حفظ النفس الانسانية وصون كرامتها ، وعدم انتشار الجريمة فى المجتمع . والدين الاسلامى بذلك حدد العقوبة التى تنتظر الجانى قبل ان يقدم على جريمته ، كما ورد فى قوله تعالى :
« وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الظالمون » سورة المائدة آية ٥ .
وكما فى قوله تعالى : « ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتل الحى بالحر والعبد بالعبد والانى بالانى فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم » .

وقال تعالى : « ولكم فى القصاص حياة يا اولى الالباب » .
سورة البقرة آية رقم ١٧٨ ، ١٧٩ .

هي التي أملت هذه القسوة ، فطبيعة الحياة القبلية القاسية ووجود الفرص الكثيرة للخروج على القانون هي التي دعت الى هذه القسوة محافظة على وحدة القبيلة واستمرارها .

تعريف القبيلة :

في ضوء العرض السابق لمفهوم القبيلة في مناطق مختلفة من العالم التي قال بها عدد من المهتمين بالقبيلة والبناء القبلي . وعلى ضوء ما توفر لدينا من فهم للقبيلة والبناء القبلي نتيجة لدراستنا الميدانية ، واطلاعنا بقدر الامكان على آراء مختلفة أشرنا الى عدد منها في الصفحات السابقة فانه يمكن أن نقول بأن مفهوم القبيلة في المجتمع العربي السعودي يعني : —

« أن القبيلة عبارة عن اتحاد يمتاز من الناحية المورفولوجية بالقدرة على الاستمرار وعلى المحافظة على استمرار صلات وروابط الدم القائمة بين أفراد القبيلة التي أوجدت هذا الاتحاد أو هذه الوحدة بين الأفراد والجماعات داخل القبيلة . وأن هذا الشعور القوي بالوحدة يرتبط في أساسه بالاضافة الى روابط الدم « بالأرض » التي تعيش عليها القبيلة . وبوحدة الهدف والمصير والمعيشة المشتركة ، والتاريخ والحضارة اللغة والدين الواحد » .

ومما يميز القبيلة في المجتمع العربي السعودي ما يلي :

(١) ليس شرطاً أن يرتبط مفهوم القبيلة بالبدو والحياة البدوية ، كما هي الفكرة السائدة لدى الكثير من الدارسين في ميادين الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع . ذلك لان معظم القبائل لا تعيش حياة البادية التي من سماتها الرئيسية الاعتماد على الماشية أو ممارسة الرعي والترحال وغيرها من الخصائص البدوية بل أن هذه القبائل عرفت حياة الاستقرار . ومارست الزراعة وهو ما يجعلها تعيش حياة ريفية وليست بدويه .

(٢) أن القانون والعرف القبلى — على الأقل بعد ظهور الاسلام يستمد فى اصوله من تعاليم الدين الاسلامى ، فالقانون والعرف جيبء بهما من أجل المحافظة على الحقوق والواجبات بالنسبة لأفراد القبيلة . والدين قد نظم هذه الحقوق وبين هذه الواجبات .

(٣) أن استمرار القبيلة أو استمرار قوتها وتطبيق قوانينها ليس مرتبطا فى الأصل بمنصب شيخ القبيلة . صحيح أن شيخ القبيلة هو السلطة السياسية المنفذة للقانون القبلى بدعم من مجلس القبيلة ، ولكن للقبيلة ممثلة فى مجلسها أن تسحب لقب مشيخة القبيلة من أى شيخ ترى أنه غير كفء للقيادة أو ليست لديه القدرة على الاستمرار فيها . بدليل أنه تعاقب على هذا المنصب فى المائة سنة الاستمرار فيها . بدليل أنه تعاقب على هذا المنصب فى المائة سنة الماضية أربعة شيوخ كل منهما ينتمى الى عائلة لا تمت بصلة الى الأولى وسنشير الى ذلك فى صفحات لاحقة .

(٤) أن القبيلة على الأقل فى « بنى كبير » تمتاز بنسب صريح يعود الى مئات السنين وحتى الى قبل البعثة النبوية وظهور الاسلام ، بمعنى أنهم يعتقدون أن الأنساب فيها لم تختلط بعناصر وافدة من خارج الجزيرة العربية كما هو الحال فى مدن المملكة ، أما بالنسبة للأفراد المتواجدين بها من صانعى الفخار ، فان القبيلة لم تلحق هؤلاء بنسبها ، ولا زالت تميز بينهم وبين الأفراد ذوى النسب الصريح فتنسبهم الى جدهم الذى وفد على القبيلة ليمارس هذه المهنة . فلا يقال مثلا (فلان الكبيرى) نسبة الى بنى كبير وانما ينسب الى جده المعروف أو الى مهنته المعروفة . فيقولون مثلا (فلان الصانع) .

(٥) أن القبيلة لم تعرف نظام الانتساب الى الأم . كما هو الحال لدى معظم القبائل خارج المملكة ، كما أنها من ناحية أخرى لا تغير اسمها تبعا لاسم شيخ القبيلة ، فقد ورد اسم بنى كبير كما أسلفنا قبل ظهور الاسلام . ولم يتغير حتى الآن على الرغم من

تعاقب الكثير من الشيوخ الذين ينتمون الى عائلات مختلفة على منصب شيخ القبيلة .

٦ — أن القبيلة ليست لها شعارات تميزها عن غيرها كما هو الحال لدى معظم القبائل خارج المملكة العربية السعودية ، بل ان السمة الوحيدة المميزة هي الانتساب كأن يقال هذا كبرى أو هذا ظبيانى نسبة الى قبيلة بن ظبيان وهكذا .

٧ — أن القبيلة لم تعرف نظما وضعية للمحارم كنظام المحارم التوتمية التي تعتبر المنتسبين الى توتم واحد أخوة يحرم زواجهم من بعضهم البعض ، أو نظام المحارم بين طبقات العمر لدى مجتمع النوير ، الذي يعتبر أصحاب طبقة العمر الواحدة أخوة لا يصح زواج بعضهم من بعض ، بل ان نظام المحارم الوحيد هو ما ورد في الشريعة الاسلامية فقط .

تلك في رأينا أهم مميزات القبيلة في المجتمع العربى السعودى ، ولسنا على أى حال نقول بأن هذه السمات تشمل جميع القبائل فى المملكة العربية السعودية لأن فى ذلك تعميم قد يكون خاطئا ، وانما يمكننا التأكيد على أن هذه السمات تنطبق تماما على القبيلة موضوع الدراسة .

الفصل الثاني

أهم الدراسات السابقة عن القبيلة

أولا : دراسة ايفانز برتشارد عن (النوير)

أقام ايفانز برتشارد حوالى عام كاملا في منطقة البحث قضاها على فترات متفرقة في الفترة ما بين عام ١٩٣٠ الى عام ١٩٣٦ ، وقد قدر عدد سكان قبائل النوير وقت اجراء البحث بحوالى مائتى ألف نسمة . ٢٠٠٠ (١)

وقدم ايفانز برتشارد لكتابة عن (النوير) بلمحة عن المنطقة الجغرافية لمجتمع النوير . فأشار الى أن البيئة الطبيعية تلعب دورا هاما في حياة السكان . فمثلا الأمطار تبدأ بغزارة في شهر « مايو » من كل عام حيث يؤدي ذلك الى فيضان الأنهار وما أن يأتي شهر يونيو حتى تكون كل المنطقة تقريبا قد تحولت الى مستنقعات . وقد تنبه النويريون الى ذلك فقاموا ببناء منازلهم في قرى تقع على روابى مرتفعة كي تحميهم من مياه الأمطار وفي هذا الفصل المطر يشتغلون بزراعة الذرة الى جانب رعى الماشية وبعد نهاية فصل الامطار يخرجون مع ماشيتهم ينتقلون بها من مكان خصب الى آخر وينصبون مخيماتهم في كل مكان حلوا به . ويستمرون هكذا حتى يبدأ سقوط الامطار من جديد وعندها يعودون الى قراهم مرة أخرى وهكذا .

والماشية لديهم تلعب دورا هاما في الحياة الاجتماعية ، حيث يقول « برتشارد » في هذا أن أحسن نصيحة تقدم للباحث عندما يريد فهم

E. E. Evans-pritchard, the nuer : A description of the mods (١)
of livelihood and political institutions of a Nilotic People-Oxford 1948.

السلوك الاجتماعي للنوير هي عبارة (فتش عن البقرة)^(١) فالغذاء الاساسى وخاصة للاطفال هو حليب الماشية ولهذا كانت البقرة لديهم ذات شأن كبير خصوصا اذا كانت تدر حليبيا كثيرا . ومن ناحية اخرى فهم يحبون كثيرا أكل لحوم الماشية وليست لديهم حرمة في أكل لحم الميتة أو الدم . فاذا مات ثور أو خروف مثلا ميتة « طبيعية » فانهم يأكلون لحم أى منهما . والنوير يأكلون دم الماشية ويشاركونهم في ذلك كثير من قبائل شرق أفريقيا المشتغلون برعى الماشية ، حيث يتم استخراج الدم من « رقاب الماشية » ثم يؤكل في فصل الجفاف . وتتلخص طريقة استخراج الدم هذ بأن يتم ربط عنق البقرة ربطا قويا حتى تبرز عروق الرقبة فتقطع بسكين حيث يسيل الدم منها في اناء أعد لهذا الغرض حتى يمتلىء ثم تطلق البقرة ويفك الرباط ولكي يلتئم الجرح يضعون عليه قليلا من روث الماشية . ثم تقوم النساء بوضع الدم بانائه على نار حتى يتجمد ثم يؤكل بعد ذلك أو بعد أن يتجمد الدم في الاناء يشوى على « الجمر » ويؤكل^(٢) .

ولأهمية الماشية عندهم فإنه كثير ما يقع بسببها القتال بل وتغير بعض القبائل على الاخرى فهي وسيلتهم في دفع المهور عند الزواج والديات عند القتل وحتى تقديم القرابين للارواح ، وليس لديهم حديثا أهم من الحديث عن العجول والثيران والبقرة . . .

وأرض النوير غنية بالحيوانات والطيور ولكنهم على الرغم من ذلك لا يأكلون لحوم الطيور على اعتبار انها أكلات خاصة بالاطفال والفقراء الذين لا يجدون الماشية التي تغنيهم عنها . ولا يأكلون أيضا لحوم الدجاج أو بيضه ولا يربونه في منازلهم . وعلى الرغم من كثرة الحيوانات في منطقتهم فأنهم لا يخرجون للصيد بل ويحتقرون هذا العمل حيث ان

Ibid, p. 16.

(١)

Ibid, p. 27-28.

(٢)

هذا عمل يختص بمن ليس لديهم ماشية فيضطر الى الخروج لصيد الحيوانات^(١) .

ثم يصف برتشارد منازلهم بعد ذلك فيقول : أن منزل الاسرة يتكون من كوخ واحد أو عدة أكواخ وحظيرة للماشية وهذه الحظيرة لها أهمية خاصة لديهم ذلك لان الماشية تأوى اليها أثناء موسم الامطار الى جانب بعض شباب الاسرة ويوقدون في وسطها نارا في المساء وحتى في النهار أيضا لتحميها من لدغات البعوض .

وللحظيرة أهمية من الناحية الاجتماعية في القرية فهي التي يقضون فيها وقت فراغهم ويستقبلون فيها ضيوفهم . والبيت الذي لا تجاوره حظيرة تنتقص مكانة اصحابه الاجتماعية اذ ربما لم تكن لديهم ماشية كثيرة ولا يملكون منها الا القليل ثم ايداعها عند أقاربهم في حظيرة أخرى وهذه صفة تنم عن الفقر بالنسبة للاسرة التي لا تملك حظيرة .

أما كوخ الزوجة فيوجد بجوار « حظيرة الماشية » وله ستار واقى للريح حيث توجد الزوجة تطهو الطعام والستار مركز الحياة الاجتماعية بالنسبة للمرأة المتروجة فعنده تستقبل صديقاتها وجاراتها أثناء العمل أو في فترة المساء حيث يتبادلن أطراف الحديث .

أما اذا كان الرجل له عدة زوجات فإن لكل زوجة كوخا مستقلا تعيش فيه مع أطفالها حيث ينام الزوج في كل كوخ وليس له كوخ خاص به . كما أن بعض الاسر الموسرة والكبيرة تقيم كوخا خاصا بالشبان وآخر بالفتيات من أبنائها وكل زوجة أيضا لها حديقة خاصة وصومعة للغلال . والزوج هو مالك الماشية لكنه يقوم بتوزيع هذه الماشية على زوجاته للانتفاع بلبنها فقط دون التصرف فيها .

والناحية الاقتصادية لديهم هي مجرد انتاج للاستهلاك لدى الغالبية

منهم فالاسرة تنتج ما تحتاج لتستهلكه ورغم ذلك فتوجد أعمال اقتصادية تحتاج الى التعاون بين الأقارب والأصدقاء مثل صيد الاسماك ورعى الماشية أو في حالة حاجة أحد الافراد الى حفر قناة لحديقته فانه يحتاج الى مساعدة أقاربه وأصدقائه دون أجر لكنه يقدم لهم ثريدا وبيرة فقط. أما ملابسهم فأنهم يسيرون عراة أو شبه عراة وقد يضع الرجل قطعة جلد على كتفه كما ان المرأة المتزوجة أحيانا تضع على خصرها قطعة من جلد الخروف أو الماعز .

النسق السياسي في مجتمع النوير :

وحدات البناء السياسي في مجتمع النوير تتداخل حتى يبدو للملاحظ الذي ينظر الى المجتمع في مواقف معينة مثل حروب الاغارة كأن النوير يكونون بناءا هرميا للسلطة والتي جعلت أصغر الوحدات الاقليمية تذوب وتتحد في الجماعة الكلية المحاربة . كما أن النوير أنفسهم يشعرون بهذه الوحدة التي تميزهم عن القبائل والشعوب المجاورة هذا بالاضافة الى أن قيم النسق السياسي تفرض أنواعا من الالتزام يتعدى حدود القبيلة الواحدة داخل النوير ليربط بين عدد من القبائل في وحدات اجتماعية مؤقتة .

وأبسط ما يميز الوحدة السياسية لدى النوير تمتعها بالاسم « المميز » وشعورها بالانتماء وهو شعور مشترك بين أعضاء القبيلة الذين يقيمون في اقليم خاص .

والنوير جميعا يميزهم اسم يجمع بينهم ويستقطب أفرادهم^(١) حتى اذا هاجر أحدهم خارج المجتمع ليستقر لدى أصهاره مثلا أو أقاربه في قبائل مجاورة أو هاجر من أجل مصالحه الخاصة . وهم يشعرون

Evans-pritchard, E. E.; The Nuer, A Description of The modes (1) of livelihood and political institutions of a nilotic people Oxford. 1948, p. 142.

بالانتماء الى مجتمع معين يضمهم في وحدة سياسية لها حدود اقليمية
تعتبر جراما على غير « النوير » الا في حدود العرف وطبقا لقواعده .

والقبيلة في النوير اذا تتمتع بخصائص معينة من حيث انها وحدة
يمييزها اسم خاص ويشارك أعضاؤها في الشعور بالانتماء والارتباط
باقليم معين ويلتزمون بالاتحاد في الحروب .

كما أن القبيلة تكون وحدة انقسامية يعكس كل قسم منها نوعا من
التناظر في علاقته بالاقسام الاخرى المماثلة ، وترتبط هذه الاقسام خلال
التوزع الانقسامي للعشيرة المسيطرة في القبيلة بحيث يتساوى توزع
الوحدات الاقليمية للقبيلة مع التوزيع الانقسامي لبدنات العشيرة
المسيطرة وبحيث يتوحد كل قسم اقليمي في النسق ببدنة ذات عمق معين
من بدنات العشيرة المسيطرة . وهذا التوحد بين التوزع الاقليمي والتوزع
الانقسامي للعشيرة المسيطرة يكون نقطة الأساس في فهم الأنشطة والعلاقات
السياسية في النوير . ويعتبر أيضا أساس فهم العملية الانقسامية
نفسها .

هذه الخصائص التي تميز القبيلة لدى النوير تميز أيضا أصغر
الوحدات التي تنقسم اليها القبيلة خلال ديناميات التفاعل الاجتماعي
الذي يعرض الوحدة الكلية للقبيلة للانقسام أو يفرض على وحداتها
الصغرى الالتحام في مواقف معينة .

والوحدة السياسية في النوير هي « القرية » حيث تتكون القرية من
جماعة تربطها وحدة الاقامة المشتركة كما ينتظمها نسق من روابط القرابة
ويكون أعضاؤها معسكرا مشتركا ويتعاونون في مناسبات اجتماعية مختلفة
ويشعر أعضاء القرية بوحدتهم وارتباطهم العاطفي بوطنهم الاقليمي
الذين يتمنون دائما العودة اليه اذا أقاموا بعيدا عنه لعدة سنوات ، كما
يحارب أعضاء القرية جنبا الى جنب ويعضد كل منهم الآخر في طلب
الثأر .

والقرية باعتبارها الوحدة السياسية تكون جماعة قرابية حيث تقوم

بين كل البدنات والجماعات القرابية من ناحية والبدنة المسيطرة من ناحية أخرى روابط القرابة الحقيقية أو المتخيلة بحيث تكون القرية ككل . . وليس الاطار القرابي للقرية محددًا فقط لوحدتها السياسية بل انه يجعل من القرية وحدة اجتماعية تحكمها قيم معينة وبخاصة فيما يتعلق بنمط الزواج الذى تفرضه قواعد الاكسوجامية Exogamus (وهو الزواج من خارج أعضاء الجماعة) على أعضاء القرية الذين تربط بينهم أنواع ودرجات مختلفة من القرابة حيث يعتبر نساء القرية جميعا بالنسبة للشعبان فيها أما أخوات أو بنات أخوات وليس للشخص فى النوير أن يمارس العلاقات الجنسية مع أمه أو أخته بالمعنى الاجتماعى لأن ذلك يعتبر زنا بالمحارم .

وهذه القواعد بطبيعة الحال التى أدت بشباب القرية الى البحث عن زوجات من خارجها قد أوجدت نسيجا من علاقة المصاهرة التى تربط بين الجماعات السياسية المتناظرة والمتقابلة .

على ان الذى يحدد مدى الوحدة السياسية فى مواقف الثأر أو الحرب هى العلاقة التى تفصل بين الاطراف المتمايزة ومراكزهم النسبية فى البناء القبلى^(١) وبمعنى آخر فان الموقف المثالى لتطبيق القيم السياسية تحكم عملية الانقسام والتحام السياسى هو موقف الثأر أو عداوة الدم Blood Fued وهذا الموقف ينشأ من وقوع حادثة القتل التى تكتسب صفة الجريمة بدرجاتها المتفاوتة طبقا للعلاقة بين القاتل والقتيل فالمسافة البنائية التى تفصل بين الجماعة الثأرية التى ينتمى اليها القاتل والقتيل تحدد أنواع ردود الفعل التى تستتبعها هذه الجريمة فقد ينتهى الامر فقط بمرور القاتل بشعائر التكفير أو التطهير دون دفع الدية (اذا كانت حالة القتل قد وقعت فى حدود الجماعة الثأرية الواحدة التى تشترك فى

(١) محمد عبده محجوب : الانثروبولوجيا السياسية . مقدمة لدراسة النظم السياسية فى المجتمعات القبلية ١٩٧٦ — الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ١١٥ وما بعدها .

دفع الدية وقبولها . وقد تمتد الى حالة الحرب بين القرى والاقسام القبلية بمستوياتها المختلفة .

والاقسام القبلية من الدرجة الاولى حتى الثالثة تعكس نفس الخصائص التي تتميز بها القبيلة ككل ، واذا قلنا بنسبية البناء السياسى فى النوير فهذا يرجع الى أن وحدة الجماعة السياسية لا تظهر بوضوح وفاعلية الا بالنسبة لموقف أو نزاع معين حيث يحدد مركز طرفى النزاع فى بناء القبيلة حجم كل من الجماعتين السياسيتين اللتين يجب عليهما أن يعضدا طرفى النزاع ، فاذا اشتبك عضو من أعضاء احدى وحدات القسم القبلى من الدرجة الثالثة مع عضو من أعضاء وحدة أخرى فى نفس القسم فلن يظهر على مسرح النزاع سوى القريتين اللتين ينتمى اليهما كل من طرفى النزاع لكن اذا كان أحد الطرفين عضوا فى قسم قبلى آخر على مدى مستويات الانقسام فى القبيلة حتى وحدات القسم القبلى من الدرجة الاولى فإن الجماعات الفرعية فى القسمين القبليين من نفس الدرجة تتحد دائما فى مواقف الدفاع والهجوم .

ويقول ايفانز برتشارد فى هذا الصدد . اننا فى دراستنا للبناء السياسى للنوير كان من الضرورى أن ننظر مع أعدائهم اليهم كما لو كانوا يكونون نسقا سياسيا منفردا . لأن السمة البنائية البارزة التي تتميز بها الجماعة السياسية فى النوير هي « نسبيتها » فالقسم القبلى يكون جماعة سياسية بالنسبة للاقسام الاخرى من نفس الدرجة لكن هذه الاقسام تتحد لتكون القبيلة كوحدة سياسية كبرى فقط بالنسبة للقبائل الاخرى النويرية أو الأجنبية المجاورة والتي تدخل فى اطار نسقهم السياسى ، وبدون هذه العلاقات لا يستقيم معنى مصالح القبيلة أو القسم القبلى لأن التميز والفردية التي تتمتع بها الجماعات السياسية فى النوير تبرزان فى علاقاتها بالجماعات الاخرى من نفس الدرجة وهذا يصدق على كل الجماعات المحلية فى النوير من أكبرها الى أصغرها (١) .

والنويريون ليست لديهم حكومة بيروقراطية سواء على مستوى مجتمع النوير أو على مستوى القبيلة أو الأقسام القبلية بدرجاتها المتفاوتة حتى مستوى القرية (كوحدة سياسية) حيث لا تتمركز السلطة فيها في شخص معين وليست هناك شخصيات سياسية تمثل الجماعات القرايبية المكونة للوحدة السياسية ككل متعاون ومتضامن ومتماسك ، ولكن الانقسام والنسبية كعملية وخاصة تميز « البناء السياسي » للنوير الذي يعكس نوعا من الثبات النسبي أيضا خلال العلاقة المتوازنة بين التوزيع الجينيولوجي^(١) العشيرة المسيطرة والبناء الاقليمي القبلي . وهذا الانقسام وتلك النسبية قامت بدور السلطة المركزية البيروقراطية في اضعاف الوحدة السياسية على مجتمع النوير مع أن اقليم هذا التوزيع القبلي يترك الفرصة مواتية لكل وحدة من الوحدات في التعبير عن تمايزها في مقابل الجماعات الموازية من نفس الدرجة دون الخضوع لسيطرة هيئة عليا أو جماعة ذات تنظيم معين تقف على رأس البناء الانقسامى . وعلى هذا يمكن تصوير البناء السياسي للنوير باختصار فيما يأتى :

أولا : هناك النسق الاقليمي الذى يقسم القبيلة الى أقسام من الدرجة الاولى والثانية والثالثة وتنقسم هذه الاخيرة الى قرى تعتبر الواحدة منها الوحدة السياسية للنواة في البناء السياسي للنوير . وتكسف العلاقة الوظيفية بين البناء الاقليمي السياسى والانساق الاجتماعية الاخرى عن نسق يجمع بين هذه الاقسام القبيلية الاقليمية في علاقة تتميز بالقابلية النسبية للانقسام والالتحام في الاحداث والمواقف الاجتماعية التى تفرض على الوحدات المتصارعة ان ترتفع فوق خلافاتها ومنازعاتها وتتحد أو تتوحد أحيانا في وحدة أكبر يصل مداها الى مستوى القبيلة ككل لتقابل اعتداء وقع على جماعة من وحداتها من شأنه أن ينال من قوة وهيبة الجماعة عامة .

ويتطابق مع البناء القبلي الاقليمي بناء للعشيرة التى تجمع بين

(Genealogy)

(١) شجرة النسب أو سلسلة النسب .

أفرادها روابط القرابة الجينالوجية بحيث تميل كل وحدة سياسية اقليمية الى أن تكون وحدة جينالوجية . وفي نفس الوقت ليس هناك حدود اقليمية للوحدات الجينالوجية التي ينتقل أعضاؤها للميش اينما أرادوا بين مجتمع النوير الذي يمكن لكل وحدة من وحداته أن تقبل بسهولة أفرادا من جماعات تنتمي الى قبائل نويرية أخرى أو مجتمعا مجاورا مثل « الدنكا » وترجع أهمية النسق العشائري الى دوره في عملية الانقسام والالتحام حينما يقوم النسق القرابي لبدنات العشيرة المسيطرة بالربط بين الوحدات السياسية المتمايزة ، بناء على الوحدة الجينالوجية التي تربط بين البدنات المسيطرة في الوحدات السياسية هذه البدنات التي تكون وحدات النسق الانقسامى الكلى للعشيرة^(١) .

والنوير يشعرون بوحدتهم كشعب تربط بينه لغة وثقافة مشتركة فهم يميزون أنفسهم عن المجتمعات الاخرى المجاورة ويشعر كل منهم نحو أى فرد ينتمى الى احدى قبائل النوير مهما بعدت المسافة البنائية بينهما بأنه قريب له فهو نويرى مثله .

ويتضح ذلك الشعور العاطفى عندما يهاجر الفرد من النوير الى خارج مجتمعه ويلتقى بشركائه في وحدة اللغة والثقافة من المهاجرين خارج المجتمع أمثاله .

لكن الامر يختلف عندما يتقابل أفراد من قبائل نويرية متجاورة أو متباعدة فعندها يشعر النويرى انه مرتبط بأفراد القبائل المجاورة أكثر من ارتباطه بأعضاء القبائل المتباعدة أو البعيدة التي تفصل بينه وبينهم مسافات طويلة تجعل فرص الاتصال والتفاعل نادرة أو منعدمة تقريبا . لكن أفراد القبيلة الواحدة يشعرون بالارتباط العاطفى وبالوحدة فيما بينهم .

وتتمثل نسبة الانتماء السياسى فى النوير فى معانى كلمة Cieng

(١) محمد عبده محبوب الانثروبولوجيا السياسية مرجع سابق .

التي تقابل (الوطن) مع افتراض نسبية معناها ، بحيث تنطبق على الحى الصغير من أحياء القرية أو القرية ككل ، أو الأقسام الإقليمية المتفاوتة حتى إقليم القبلية ككل ، فالنويري تصور تصرفاته ومعاملاته مع غيره عن قيم الارتباط لوطن معين يضيق مداه ويتسع طبقا للمسافة البنائية التي تفصل بينه وبين من يتعامل معه ، فهو نويري حين يتعامل مع نويري من قبيلة أخرى — كما انه ينتمى الى قسم قبلى أو قبيلة معينة حين يتعامل مع نويري من قبيلة أخرى ، كما انه ينتمى الى قسم قبلى معين في علاقاته مع أشخاص ينتمون الى أقسام قبلية أخرى من نفس القبيلة التي تضمهم جميعا . وبمعنى آخر فان النويري في ابرازه لانتمائه الى قرية أو قسم قبلى أو قبيلة معينة انما هو مرتبط بتلك المسافة التي تربطه أو تفصل بينه وبين من يتعامل معه .

وهذه النسبة التي تميز الانتماء السياسى ومدى حجم الجماعة السياسية في مجتمع النوير تعبر عن نفسها في خاصيتى الانقسام والالتحام اللتين تميزان الوحدة السياسية والبناء القبلى في هذا المجتمع ، فأفراد العائلات المختلفة الذين ينتمون الى قرية واحدة والذين ينقسمون نتيجة لنزاع داخلى فيما بينهم يلتحمون ليكونوا كلا سياسيا يمثل القرية في مواقع النزاع التي تتعلق بجماعة تنتمى الى قرية أخرى مجاورة وهكذا ..

وترجع هذه النسبية السياسية في مجتمع النوير الى ديناميكية الحركة والنشاط السياسى الذى يعنى بين الجماعات المختلفة بالنسبة لمستويات مختلفة من التضامن الثارى على مدى اتساع دائرة وحدود نشاط القسم القبلى أو الوحدة السياسية ، فالأفراد والجماعات يدخلون في دائرة أوسع وأكثر كثافة من النشاط والتفاعل كلما ضاقت المسافة البنائية التي تفصل بينهم . وبالمثل يضيق مدى النشاط وتقل كثافته كلما اتسعت المسافة البنائية التي تحدد العلاقة بين الافراد والجماعات الداخلة في التفاعل .

وهكذا نجد أن المبدأ الثاني الذي يحكم البناء السياسي في مجتمع النوير بالاضافة الى مبدأ النسبية يتلخص في أنه كلما كبرت الجماعة الاقليمية لتتعدى حدود القرية والاقسام القبلية من الدرجة الثالثة كلما قل مدى وعمق هذه العلاقات وصور التفاعل . وكلما صغرت الجماعة الاقليمية كلما ازداد مدى وعمق العلاقات والتفاعل بين أعضائها وبمعنى آخر فإنه كلما اتسع مجال النشاط الاجتماعي والتفاعل الاجتماعي المشترك كلما شعرت الجماعة بترابطها وتماسكها وحاولت هذه الوحدات أن تفتقر المسافة البنائية التي تفصل بينها . ومن ناحية أخرى كلما قلت فرص التفاعل والاشتراك في أنماط معينة من السلوك أو المناشط المشتركة كلما مالت وحدات الجماعة الى تأكيد تمايزها . وبذلك تتسع المسافة البنائية التي تفصل بين كل منها والآخرى . مثال ذلك : أن معسكرات الصيف في النوير وهي تحوى على عدد من الجماعات التي تنتمى الى قرى أو مناطق اقليمية سياسية مختلفة تكون وحدة كلية (وان كانت مؤقتة) تخضع لقيم معينة تحكم أنواع التفاعل التي تقوم بين أعضاء هذه الوحدة الذين ما كانت لتجمعهم في الظروف الاخرى أية رابطة سياسية وبالتالي فهذه الجماعات السياسية تتنازل مؤقتا عن تمايزها واستقلالها وتفتقر المسافة البنائية التي تفصل بينها للتغلب على الظروف الايكولوجية الصعبة .

أما المبدأ الثالث الذي يحكم البناء السياسي عند النوير فهو مبدأ التناقض أو الصراع فالحقائق السياسية يشوبها الخاط لانها لبست دائما وحتى في مستواها السياسي الخالص — مرتبطة بقيم سياسية فقط .

لان علاقات الجوار والمصاهرة والظروف الايكولوجية كلها عوامل تحدد مدى الوحدة السياسية . كما أن هذه الحقائق السياسية متصارعة أيضا لان القيم التي تحددها طبقا لمبدأ نسبية البناء السياسي .

ومن ثم فإن مدى التوافق بين الحقائق السياسية في النوير لا يبدو لنا بصورة واضحة الا اذا فهمنا الديناميكية والنسبية التي تميز البناء

السياسى والانساق الاجتماعية الاخرى فى النوير^(١) .

السلطة القرابية والدينية لدى النوير :

يعرف النويريون أنماطا متعددة للزعامة والقيادة فليدهم مثلا رجال العرافة أو الكهنة المتنبئون «Prophets» ورجال الماشية ، والسحرة الذين يمارسون الطب والمعالجة من الاصابة بالعين الشريرة والزعماء ذوى جلد الفهد . بالاضافة الى أنماط القيادة أو الزعامة فى نظام طبقات العمر^(٢) .

فالكهنة لديهم يحتلون مركزيا دينيا ممتازا ، لانهم يعتقدون أنهم أبناء الآلهة التى فى السماء ، ولهذا فهم يحترمونهم ويخافون منهم ويخضعون لهم لانهم يعتقدون ان الكهنة يستطيعون التأثير فى حياتهم . وقد ظهر الكهنة فى وقت متأخر من تاريخ النوير ويلعبون دورا أشبه بدور الانبياء ، وربما نشأت فكرة النبوة من جراء تأثير المذهب المهدي فى جنوب السودان^(٣) .

ولعب هؤلاء الكهنة المتنبئون دورا سياسيا واضحا عندما تركزت حول شخصياتهم وحدة وتضامن النوير كشعب متميز عن الشعوب الاخرى — وعندما تصدوا لمحاولات الحكومة بالتدخل فى شئون النوير وكذا فقد نجحوا فى الوصول الى اتفاق على قبول السدية التى تدفع كتعويض لاهل القتل — بين القبائل المختلفة وقاموا أيضا بوظائف اجتماعية وسياسية ودينية خاصة عند حروب النوير ضد « الدنكا » وعندما يقومون بتقديم أضحيات تضمن عودة المحاربين سالمين غانمين . والحرب لا تبدأ فى الغالب الا بعد أن يأذنوا ببديتها .

كما يوجد فى النوير « رجل الماشية » وهو شخص ينتمى الى بدنه

(١) محمد عبده محجوب الانثروبولوجيا السياسية مرجع سابق .

(٢) محمد عبده محجوب الانثروبولوجيا السياسية مرجع سابق .

(٣) Evans-Pritchard., E. E. : The Nuer. Op. Cit. p. 176-177. (٣)

معينة تتمتع بقوة زوجية فيما يختص بالماشية ، وله شهرة بالتخصص في علاج الماشية من الامراض والقدرة على اخصاب العقيم منها . ويهاب النوير رجل الماشية هذا لاعتقادهم ان لديه القدرة لأن يصب سخطه ولعنته على مواشيهم . ولهذا لا يسيئون اليه .

ويؤخذ رأى رجل الماشية عندما يريد النويريون الهجرة الى مراعي جديدة .

وأیضا من ضمن أنماط الزعامة الاخرى هناك المتخصصون في اقامة الشعائر الخاصة « بالطوطم » (١) وهؤلاء المتخصصون يستطيعون التأثير في سلوك الكائنات الطوطمية كالأسد والتمساح والطيور . . . وهم يقيمون الشعائر الخاصة بالطوطم لكنهم لا يلعبون دورا أساسيا ولا يمارسون تأثير اجتماعيا في عمليات الضبط الاجتماعي في النوير .

ويوجد أيضا السحرة المطببون الذين يتخصص البعض منهم في معالجة من يتعرضون للإصابة بالعين الشريرة ، وأصحاب « الفتش » الذين يخافهم النويريون لتقوتهم الشعائرية وهؤلاء من أكبر الشخصيات تأثيرا ومهابة في القرية . ولقد دهش آيفانز برتشارد . . لظاهر الاحترام والخوف التي يعامل بها النويريون هؤلاء الرجال من بقية أعضاء القرية مع انهم لا يتمتعون بسلطة محدودة في ضبط وتقنين الرقابة على العلاقات الاجتماعية فضلا عن أنهم لا يقومون بتمثيل القرية في علاقاتها بالجماعات المجاورة .

(١) الطوطمية نظام ديني في أصله اجتماعي في وظائفه ، وهو مرتبط بمظاهر نشاط القبيلة الاقتصادية (Totemism) والسياسي والمائلي ويجمع النظام الطوطمي جميع الأفراد على مذهب واحد هو الايمان بأصلهم الطوطمي هذا . واداء طقوس طوطمية ، فهم يعتقدون انهم من أصل واحد جماد كان أو حيوان أو نبات أو أحد الأجرام السماوية ويعتبر ذلك شعارا يميزهم . وينظر اليه على انه رمز للسيادة والعزة ، ويعتبر كل فرد في القبيلة انه ممثل لهذا الكبير فهو ذئب ان كان الطوطم ذئبا وتمثل فيه الخصائص العامة للذئب . . وهكذا . .

أما الشخصية الوحيدة التي تلعب دورها في النسق السياسي لدى النوير فهي شخصية الزعيم « ذى جلد الفهد » فهو الشخصية القيادية في الوحدة السياسية في مجتمع النوير حيث يرتبط ارتباطا مقدسا بالأرض وسمى بهذا الاسم لأنه يلبس جلد الفهد على كتفيه كرمز لمركزه الاجتماعي . ويقوم هذا الزعيم بوظائفه السياسية اعتمادا على مركزه في المجتمع ، فهو يقوم بدور الوساطة مع كبار السن من الجانبين المشتركين في النزاع ، حيث يجتمع مجلس الصلح ويعرض المجنى عليه شكواه ثم يحاول الجاني تبرير عملة . وتعطى الفرصة لكل الحاضرين للتعبير عن آرائهم - ثم يخرج الزعماء للمداولة ليعودا بتوصياتهم التي يقبلها الجانبان المتنازعان وذلك احتراما للمكانة الشعائرية والدينية التي يمثلها الزعيم ولرغبتهم المشتركة في الوصول الى تسوية .

والدور السياسي الهام الذي يلعبه الزعيم ذى جلد الفهد يتمثل في قيادة بالوساطة في تسوية حالات عداوة الدم (Blood feud) من أجل إعادة التوازن وعلاقات السلام في الجماعة المحلية التي ترغب في المحافظة على وحدتها بانهاء عداوة الدم التي تفصل بين جماعاتها لتجعل منهم فريقين يعضد كل منهما الآخر . وهم غالبا ما تربط بينهم روابط قرابية ومصالح مشتركة ولهذا فهم ليسوا على استعداد لاستمرار عداوة الدم وفي نفس الوقت لا يرغبون في تسوية النزاع عن طريق القصاص من القاتل أو أحد أعضاء الجماعة الثأرية التي ينتمي اليها لأن ذلك يؤدي الى زيادة نقصان القوة السياسية للقرية . وهنا تلجأ القرية الى الزعيم ذى جلد الفهد ليقوم بدوره السياسي والشعائري للضغط على أهل القتل بقبول « الدية » دون خدش لكرامتها . فالجماعة الثأرية الموتورة أو التي حدث العدوان عليها ترى أن الحل الأمثل أو التسوية المثلى لحالة الثأر يكون بالقصاص من القاتل . ولهذا فلا ينبغي لها أن تقبل الدية أو التعويض المادي ولكن اصرار الزعيم وتهديده المستمر بالسخط واستنزال اللعنات عليهم يضطرهم لقبول الدية احتراما لمركز الزعيم . .

وهذا الرئيس ذى جلد الفهد لا يحتل مرتبة اجتماعية معينة في نسق

التفاضل الطبقي • وان كان يعامل باحترام فائق عند قيامه بوظيفته في مساعدة الفريقين المتنازعين للوصول الى تسوية سلمية لعداوة الدم •

لكن المسافة البنائية التي تفصل بين الجماعتين الثأريتين هي التي تحدد امكانية نجاحه في هذه المهمة • فضلا على انه لا يعامل بنفس الاحترام في اوقات السلم حيث لا يميزه عن غيره من أعضاء الجماعة الا الجلد الذي يضمه على كتفيه ••

وهو حين يقوم بوظيفة في تسوية حالات الثأر أو عداوة الدم عن طريق قبول الدية فهو لا يفرض ذلك قسرا • لانه لا يملك سلطة الالزام ولا تسنده قوة تستطيع تنفيذ قراراته ، ولكنه فقط يقوم بدور الوساطة التي ترغب الاطراف المتنازعة فيها والتي لا يمكن أن تنجح الا اذا توفرت هذه الرغبة •

ومن هنا كان اطلاق كلمة « زعيم » عليه لا تبدو دقيقة ، وربما كان لقب « شيخ » الذي كان سائدا قبل قيام برتشارد بدراسته للنوير أكثر دقة في التعبير عن وظائف ذلك الرجل وامتيازاته (١) •

نظام طبقات العمر عند النوير : The Age Set System

كل فرد « ذكر » في مجتمع النوير عليه أن يمر بعملية قاسية وهو ينتقل من مرحلة الصبا الى مرحلة الرجولة وذلك بين السن من الرابعة عشرة الى السادسة عشرة هذه العملية تتمثل في « قطع الجبهة » بواسطة سكين صغيرة ست قطعات أفقية بحيث تبدأ من الاذن اليمنى وصولا الى اليسرى • ويظل أثر هذا القطع واضحا مدى الحياة حتى أن الاهالي يرون آثار هذه الجروح على عظام الجماجم بعد وفاة أصحابها (٢) •

(١) محمد عبده محجوب الانثروبولوجيا السياسية مرجع سابق ص ٢١٧ .
(٢) Evans-pritchard, the Nuer, p. 249.

كما أن كل قرية تقوم بهذه العملية على حدة • والشخص الذى يقوم بهذه العملية لديه خبرة جيدة فيها ويأخذ مقابل هذا العمل « حربة لصيد الاسماك » نظير كل صبي وتجري العملية لعدد من الصبية فى وقت واحد ، اذ أن هناك اعتقاد بأن اجراء هذه العملية لفرد واحد فقط سوف تجعله وحيدا ويهلك لا محالة ويتراوح عدد من تجرى لهم هذه العملية بين أربعة الى اثنى عشر صبيا • ويفضل أهالى النوير اجراء هذه العملية فى فصل الامطار حتى تكون لديهم المؤونة والطعام الكافى فضلا عن أنهم يعتقدون ان الرياح الشمالية التى تهب فى هذا الفصل تساعد على اندمال الجروح • ويعيش هؤلاء الصبية بعد اجراء العملية لهم معزولين لفترة تبلغ الشهرين تقريبا • وبعد انتهاء فترة العزل تقام الحفلات سرورا بهذه المناسبة • فتذبح القرابين وتقدم « البيرة » للحضور ويقدم الاب لابنه « حربة وثورا » •

ويتم تكوين طبقة العمر تدريجيا وربما استغرق ذلك أعواما قبل أن تتبلور الطبقة كوحدة اجتماعية وكل طبقة من طبقات العمر لها اسم معين وغالبا ما تسمى الطبقة بأسماء الاحداث الهامة التى تقع أثناء موسم « التكريس » (فمثلا سميت احدى الطبقات باسم «Piloat» — أى الماء الاحمر ذلك ان البيرة التى قدمت للفتيان كان لونها يميل الى الاحمرار^(١)) •

وقد أورد « برتشارد » أن عدد طبقات العمر وقت اجراء البحث كان ستة فقط •

وقد تميزت طبقة العمر العليا بقلة تعدادها نظرا لوفاة غالبية أعضائها • والواقع ان نظام طبقات العمر عند النوير يؤثر تأثيرا كبيرا فى العلاقات الاجتماعية عندهم • فعندما يصل الفتى الى مرحلة الرجولة تتغير واجباته العائلية كثيرا « فيحرم عليه حلب الماشية طوال حياته » كما

يتحدد سلوكه تجاه زملائه أفراد الطبقة ، وكذا نحو غيره من أفراد الطبقات الأخرى ويمكن تلخيص ذلك في النقاط الآتية :

(أ) يحرم على الفتى أن يتزوج إحدى بنات أحد زملائه في طبقة العمر أو أن يتصل بها جنسيا حيث انها بمثابة ابنته ويعتبر هو أبا لها .

(ب) يتعامل أفراد الطبقة الواحدة على قدم المساواة ويساعدون بعضهم في السعى لكسب الرزق وفي الحروب أيضا . كما أن وقت هراغهم يقضونه سويا حيث انهم يؤمنون بوجود رابطة قوية تجمع بينهم وتوحد مصيرهم تلك الرابطة كانت عن طريق اراقة دمائهم جميعا في وقت واحد .

(ج) يبدي أفراد طبقة العمر الواحدة احتراما لاعضاء طبقة العمر التي سبقتهم فهم أكبر منهم سنا ، يتضح ذلك أثناء مناقشتهم مع بعضهم وكذا في آداب المعاشرة والسلوك .

هذا ويعتبر الفتى الذي مر بشعائر التكريس . قد أصبح رجلا له حق الاشتراك في الحروب ورعى الماشية وله حق مغازلة الفتيات وارتقاد حفلات الرقص والزواج من الفتاة التي يريد شرط ألا تكون إحدى بنات طبقته .

الزواج عند النوير :

عندما تبلغ الفتاة سن الثانية عشرة أو الثالثة عشرة من عمرها فإن الفتيان الذين مروا بحفلات التكريس «Initiated Boys» يبدؤون التودد اليها ومطارحتها الغرام . حتى اذا بلغت سن السادسة عشرة يكون لديها عشيقا واحدا على الأقل . وعلى هذا يمكن القول بأن مرحلة ما قبل الزواج تتسم بانتشار الانحلال الخلقي بين الفتيات^(١) .

(١) Evans-pritchard. Kinship and marriage the Nuer (Oxford) 1951, p. 49.

وتتراوح سن الزواج لدى الفتيات بين السابعة عشرة والثامنة عشرة ، وأما الفتى فزواجه يخضع لعوامل عدة منها حجم الأسرة وترتيب الفتى بين أفرادها الذكور وكذا حجم قطيع الماشية التي تمتلكها الأسرة . ولا بد أن توافق أسرة الفتاة على الفتى المتقدم بطلب الزواج . لكن أسرة الفتاة في نفس الوقت لا تستطيع أرغام فتاتها على الزواج من شاب لا تحبه .

وعلى أسرة الفتى تقديم المهر ثم تقام عدة حفلات منها حفلة الخطوبة ثم حفلة الزواج وغالبا ما تكون في فصل الامطار حيث يتوشر « التريد والبيرة » ويشترك الاهالى من كل مكان في هذه الاحتفالات .

وليس مهما أو يدعو الى القلق ان وجد العريس عروسته ليست عذراء وفي صباح يوم الدخلة يقوم أحد أفراد أسرة الزوج بطلق شعر رأس العروس وعندها يعتقد الاهالى بأنها أصبحت زوجة فعلا . أما أسرة الفتاة التي تقيم ابنتهم لديهم في كوخ خاص أعد لها والتي يزورها الزوج ليلا فيه فهم يعتبرون الزواج تم كليه في حالة انجاب ابنتهم طفلا . وعندها يعتبرون أن العريس أصبحت تربطهم به روابط القرابة . وتظل الزوجة في منزل والديها حتى يتم فطام الطفل وبعدها يقيم الزوج لزوجته كوخا مستقلا بجوار كوخ أهله ويحضرها من مسكن أهلها اليه .

ثانيا - دراسة محمد عبد القادر السويدي عن مجتمع الطوارق (١) :

يعود أصل الطوارق الى (الصنهاجيين) الذين يعود أصلهم وموطنهم الاصلى الى جنوب شبه الجزيرة العربية . وهم قوم ورد ذكرهم في القرون العاشر والرابع عشر والخامس عشر قبل الميلاد على التوالي حيث أشار اليهم المؤرخون ابن حقل والبكري وليون الافريقي .

(١) محمد عبد القادر السويدي . التخطيط والتغير الاجتماعى في مجتمع الطوارق بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة في علم الاجتماع بكلية الاداب جامعة القاهرة ١٩٧٧ ، بحث غير منشور .

كما تحدث عنهم فيما بعد عبد الرحمن بن خلدون في كتاب (العبر وديوان
المبتدأ والخبر في أيام العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان
الاكبر) وأيضا ذكرهم ابن بطوطة في كتابه (نزهة المشتاق في اختراق
الآفاق) .

وأعاد الأخيران أصل الطوارق الى صنهاجة النازحون من جنوب
الجزيرة كما ذكر آنفا وان كان لم يعد أحد يذكر صنهاجة اليوم وانما
أصبح اسم الطوارق هو المقرون بالصحراء (١) .

والطوارق مجتمع يقع في صحراء الجزائر وهم الذين تمت عليهم
هذه الدراسة بينما يوجد « طوارق جبال أدوار - ن - أفوقاس - في
جمهورية مالي . وطوارق - الهجار - بالصحراء الجزائرية هم أكثر عددا
وهم الذين لا يزالون يحتفظون بكثير من سمات الطوارق الاجداد ، ولعل
السبب في ذلك راجع الى كونهم أقل اختلاطا بالعناصر الاجنبية واتباعهم
لنظام الزواج الداخلى .

النظام القبلى فى الطوارق :

نظرا للعزلة التى يعيشها مجتمع الطوارق فقد كان لهذا أثره على
التنظيم السياسى وعلى العلاقات بين المجموعة التى بيدها السلطة
والمجموعات الاخرى (٢) . فلكل قبيلة عندهم « شيخ » يمتد نفوذه
الرسمى على كل العشائر التابعة له . ثم تنقسم القبائل الى نظام طبقى
أو طائفى بين الحكام والاتباع ، وأصحاب الحرف اليدوية والجماعات
الدينية ، والعبيد ، وهذا نوع من « التنظيم الاقطاعى » . والطارقى كثير
التنقل لمسافات بعيدة قد تستغرق شهورا عديدة . ولهذا السبب أوجد
فئة من الخدم تقوم مقامة فى الاسرة ، كما أوجد الاتباع ليقوموا بتربية

(١) السويدى . نفس المرجع ص ٥٧ .

(٢) السويدى . نفس المرجع ص ٦٢ .

الماشية من الابل والماعز وتنظيم القوافل ، وطبقة الحرفيين لاشسباع حاجاته من الثقافة المادية كما أوجد مؤخرا مع بداية القرن العشرين طائفة المزارعين ، بعد ان ضعفت تجارة القوافل . وعلى هذا الاساس قامت فكرة التفاوت الطبقي لاختراع فئة لخدمة أخرى .

أما السلطة لديهم فتنقل « في خط الاناث » حيث يتركها الشيخ لاحد أبناء أخته الكبرى أى من — الخال الى ابن الاخت — وذلك حسب النظام المتبع في المجتمعات القبلية التي تتبع نظام القرابة الاموى ، ومع هذا فان الزعماء دائما من الرجال دون النساء . بمعنى ان حكومة القبيلة تقوم على أساس النظام الابوى وهو يشبه النظام السائد بين القبائل العربية^(١) والزعيم الاكبر الذى يرأس الاتحاد (مجموع قبائل الهجار) يحمل اسم « امينو آكال » « Amino-Akale » وتعنى المالك أو أمير البلاد . وتتكون هذه من مقطعين الاول « امينوا » ومعناه أمير أو سلطان . ، « آكال » معناها البلاد أو الوطن لتكون الكلمة فى مجملها تعنى « أمير البلاد » وذلك حسب اللغة « التمهائية » .

ولكل قبيلة زعيم يسمى « امرار » Amrar أى المحترم وهى تقابل كلمة « شيخ » لدى القبائل العربية^(٢) .

وتتحدد وظيفة السلطان فى اشرافه على أراضى الطوارق فى منطقة الهجار التى تعتبر ملكية جماعية كما يجمع أفراد القبائل للاعداد للحرب اذا هددت احدى قبائل الحلف فى أرضها أو ثروتها . كما يقرر رحيل

(١) تعميم خاطيء ، فليست كل القبائل العربية تتبع هذا النظام ، اذ ليس مهما الاطار الذى تتخذه القبيلة ليكون الرجل هو الزعيم . فهذا معناه انتقال الزعامة من أسرة الى أخرى وقد تنتقل الى ثالثة ورابعة فى جيل واحد . بينما الزعامة فى القبائل العربية تنتقل فى خط الذكور فى الاسرة لزعيم « بالوراثة » حيث يرثها اكبر ابنائه وهذا ما سوف نوضحه فى الفصل الثالث من هذه الدراسة .

(٢) السويدى . نفس المرجع ص ٦٤ .

الثروة الحيوانية الى المناطق المجاورة وقت الجفاف . ومع هذا فهو لا ينفرد بالسلطة اذ بإمكان مجلس القبيلة أن يخلعه من منصبه ، لكنه في الظروف العادية يبقى في منصبه لاداء وظائفه مدى الحياة .

ويقوم « أمير البلاد » بجمع الجزية من الاتباع بمساعدة شيوخ القبائل وتتضمن الجزية أشياء عينية مثل التمر ، والذرة ، والسمن ، والابل والماعز، وحتى الأشياء المصنعة التي تستوردها القبائل من الواحات أو من البلاد المجاورة .

بالاضافة الى الارباح والضرائب التي تفرضها العشيرة أو القبيلة على القوافل التي تمر بأراضيها كما يحصل « أمير البلاد » على نصف الغنائم التي يجمعها الاتباع في غاراتهم المستقلة عن تنظيمه .

وفي مقابل هذا تقوم القبيلة بحماية الاتباع والمزارعين من أى خطر خارجى وبقوة السلاح .

وقبيلة « الایموهار » تحتل مكانة سياسية واجتماعية في مجتمع الطوارق اذ تعتبر صاحبة الحكم والتوجيه في المنطقة ، فمنها يعين الطوارق رئيسهم^(١) .

وقد سبقت الاشارة الى أن النظام القبلى عند الطوارق يقوم على الانتساب الى الام . في نفس الوقت الذى تأثروا فيه بالاسلام وبالعرب وفيما يتعلق بنظام الانتساب الى الاب في بعض المسائل . وهى ظاهرة يساعد فهمها على تحليل النظام القبلى والطبقات الاجتماعية في مجتمع الطوارق . وبالتالي فهم العلاقات ومناشط السلوك التي تحكم حياتهم .

وتسمى الوحدة القبلية عند الطوارق باسم « تاوسيت » « Tawsit »

(١) لعل مرد ذلك الى أن عصبية هذه القبيلة اقوى العصبيات راجع في ذلك الفصل الاول ص ٤ وما بعدها .

وتعنى القبيلة «Tribe» و «أحيانا» العشيرة «Clan» كما يعنى «Tawsit» النسيج ويشير الى قوة الصلات التى تربط بين أفراد الجماعة . اذ كثير ما يعبر الطوارق عن الصلة الدموية القوية التى تربط بين شخص وآخر على أنها رابطة أصلية أو جذرية «EKE» نسبة الى جذر الشجرة .

وإذا كانت القبيلة هى أكبر وحدة قرابية فى مجتمع الطوارق فإن الوحدات القرابية التى تتدرج تحتها كالتالى :

(أسرة نووية ، أسرة ممتدة ، بدنة ، بطن أو عشيرة ، القبيلة) .

الطبقات الاجتماعية :

من دراسة البناء الاجتماعى لمجتمع الطوارق يتضح ان النظام الاجتماعى لديهم يتميز بتنظيم خاص لا يوجد له شبيه فى القبائل العربية الموجودة فى المغرب العربى أو فى شبه الجزيرة العربية^(١) . فالنظام الاجتماعى عند الطوارق يتكون أساسا من خمس طبقات رئيسية تكاد تكون فى معظمها مغلقة ووراثية لا يمكن تغييرها وهى حسب الترتيب التنازلى فى السلم الاجتماعى .

- ١ — طبقة النبلاء .
- ٢ — طبقة الاتباع .
- ٣ — طبقة العبيد .
- ٤ — طبقة الحرفيين .
- ٥ — طبقة الحرطانيين (المزارعين) .

فالطبقة الاولى تقع فى قمة السلم الاجتماعى . ذلك بسبب نقاوة انسابهم والمترابهم بنظام الزواج الداخلى . وهذا التقسيم الطبقي أمر

(١) السويدي . نفس المرجع ص ٦٩ .

قديم قدم تراث البداوة وهم الذين — أى طبقة النبلاء — تتركز في ايديهم السلطة والزعامة كما أسلفنا .

والطبقة الثانية : هى طبقة الاتباع وهم الذين يدفعون الجزية ، وهم في الاصل « طوارق » لكنهم ينتسبون الى خادمة كانت لدى (جد طبقة النبلاء) ولهذا كانوا أقل منزلة في السلم الاجتماعى من النبلاء . وهم بشكل عام أكثر ثروة من النبلاء من حيث عدد رؤوس الحيوانات التى يمتلكونها . وتتمثل الجزية التى يدفعها هؤلاء لطبقة النبلاء خاصة « لأمير البلاد » فى السنة ١٢ مزودا من القمر « وثمان » — عكك — من السمن . والعكة هى الاثناء الذى يوضع فيه السمن وتصنع من الجلد . « واثنى عشرة » شاء حلويا « واثنى عشر رأسا من الماعز » .

والطبقة الثالثة : هى طبقة الحرفيين ويطلق عليهم « المعلمين » ويمارسون أعمالا مثل تصنيع المعادن والاختشاب والحلاقة والحجامة . وهؤلاء يؤدون الاعمال التى من هذا النوع والتى يحتاج اليها طبقة النبلاء أو الاتباع .

أما نساءهم فيمارسن الصناعات الجلدية والتطريز وهؤلاء من حيث المكانة الاجتماعية فى السلم الاجتماعى يصنفهم بعض الطوارق فى منزلة أقل من الاتباع بينما يصنفهم لمريق آخر بين طبقتى النبلاء والاتباع^(١) .

أما طبقة الحرطانيون والعبيد — أو الخدم — فهى تعنى طبقة الفلاحين أو المزارعين فهم الذين يشكلون العنصر البشرى المستقر فى الارض .

وهم فى أسفل السلم الاجتماعى بعد الخدم .

وهم فى أصلهم اما عبيد قدماء للطوارق من « مالى والنيجر » تم

(١) السويدى . نفس المرجع ص ٧٤ .

شراؤهم أو أسرهم في الحروب ثم تحرروا • واما ينتمون الى أصل « زنجي » ويقومون بزراعة الارض وبأعمال البناء والتجارة وشيء من ممارسة الاعمال المكتبية وما اليها •

ورغم زوال الرق كنظام اجتماعي في مجتمع الطوارق التقليدي الا أن رواسبه قد بقيت الى سنوات قليلة قبل الاستقلال حيث كان عدد العبيد (الخدم) في عدة قبائل يفوق أعداد القبيلة نفسها •

وهناك طبقة أخرى على جانب من الاهمية هي طبقة « المرابطين ورجال الدين » وهم يمثلون الجماعة الدينية أو الروحية التي يحمل أفرادها « البركة » التي توارثها أبا عن جد •

ويقوم رجال الدين بتعليم القرآن الكريم واللغة العربية لجماعات صغيرة من تلاميذهم الذين ينتقلون معهم من مضرب الى آخر برفقة قبائل الطوارق • ويعلمون صغارهم المعارف الابتدائية التي تدرس عادة في الكتاتيب •

كما يقومون بكتابة الاحجية ومعالجة المرضى • ويؤمنون الناس في الصلاة ويفسرون النصوص الشرعية فيما يتعلق بالاحوال الشخصية كالزواج والميراث وما شابه ذلك وكذا يقومون بدور فعال في حل الخلافات التي تظهر بين الاحلاف من قبائل الطوارق • حيث يسارع هؤلاء الى خيام الزعماء ومجالس القبيلة للوساطة وتقديم النصح للاطراف المتنازعة •

النشاط الاقتصادي في مجتمع الطوارق التقليدي :

مجتمع الطوارق مجتمع بدوي قبلي يقوم نظامه الاجتماعي على أساس روابط القرابة التي تتمثل في انقسام الجماعات التقليدية الى وحدات قرابية ، والتي ترتبط كل منها ارتباطا تقليديا بمنطقة معينة بالذات تعتبر هي موطنها الأصلي الذي يحق لها دون غيرها من الوحدات القرابية

الآخري ان تستغل موارده الاقتصادية من ماء ونبات لصالح أعضائها كما
تقيم فيه مخيماتها الدائمة وتراول فيه نشاطها الزراعي والرعى .

غير ان هذا الارتباط التقليدي بالموطن الاصلى لا يمنع الجماعات
القرايية للطوارق من الانتشار في موسم الرعى خارج حدود وطنها
الاصلى وان تنقسم الى جماعات رعوية صغيرة تتألف في معظم الاحيان
من أفراد قلائل من الرجال حتى يمكنها الانتقال بسهولة من مكان الى
آخر . في حين نترك مخيماتها بما فيها من شيوخ ونساء وأطفال وخدم في
موطنها الاصلى : وبالقرب من المراكز الزراعية لتسهر على قطفان الماعز
والاغنام التى لا تحتمل التنقل لمسافات كبيرة في قلب الصحراء الكبرى^(١) .

وهكذا تخضع الجماعات القرايية في مجتمع الطوارق لنوعين من
التنظيم الاجتماعي تحت تأثير العامل الايكولوجي . يتمثلان في « انقسام
مؤقت في موسم الرعى ، الذى يستمر عدة أشهر » ثم التجمع بعد انتهاء
موسم الرعى والاستقرار في المخيمات التى لم تغادر حدود الوطن
الاصلى . حيث تمارس الجماعة القرايية كوحدة اجتماعية نشاطها في جمع
المحصول من المراكز الزراعية التى يباشرها المزارعون وهكذا نجد أن
« النسق الايكولوجي » يلعب دورا في التنظيم الاجتماعي القبلى للطوارق
وتنظيم الحياة الاقتصادية ، ولهذا نجد أن نظام الملكية للاراضى في المنطقة
مرتبط ارتباطا قويا بالنظام القبلى في الطوارق . وبصرف النظر عن بعض
المناطق الزراعية التى تقع حول مراكز العمران الرئيسية . والتى تتبع في
تقسيمها نظام الملكية الفردية . الا ان مناطق الرعى مقسمة بين عدد من
القبائل بحيث تمتلك كل قبيلة أو وحدة قرايية منطقة واسعة محددة
تحديدا تقريبا بواسطة علامات أرضية معروفة . ومن حق جميع أفراد
القبيلة التنقل داخل هذه المنطقة للرعى أو للزراعة بالقرب من مصادر
المياه ، ولا يحق لاي فرد من خارج القبيلة أن يرعى حيوانات في أرضها

أو يستفيد من مياه آبارها • أو عبورها بالماشية والابل دون أخذ اذن من شيخها بعد ان يدفع له مقابلا عينيا عوضا عن ذلك •

ومن أهم النتائج التي ترتبت على نظام الملكية هذا ان كثيرا من المراكز الزراعية قد تركت دون زراعة ، بينما تكررت زراعة مناطق أخرى في عدة مواسم متتالية بشكل قد يؤدي الى فقدان خصوبتها ، وكذلك الامر بالنسبة للمراعى التي قد تبقى مهملة لمدة طويلة مما يشنكل خسارة اقتصادية لهذا الاقتصاد الذي يعتمد على الزراعة وتربية الحيوانات والذي لا يكاد يسد حاجة سكان المنطقة الا في حدود ضيقة •

وبالاضافة الى النشاط الزراعى والاقتصادى كانت هناك عدة مناشط اقتصادية في مجتمع الطوارق التقليدى منها « الاغارة والسلب » حيث تمثل الاغارة عند أغلب قبائل الطوارق جزءا من الحياة الاقتصادية اليدوية • وهى الغارات التي يشنها المحاربون على قبائل بعيدة عن موطنهم الاصلى خصوصا في اوقات القحط والمجاعات التي تتعرض لها الصحراء •

والاغارة على نوعين اما على مستوى « الافراد » واما على مستوى « القبيلة » فالاغارة على مستوى الافراد تتمثل في ترصد عدد محدود من الافراد لقافلة تعبر طريقا ما وسلبها جميع ما تملك واما الغارة الثانية التي تحتل مكانا في النظام الاجتماعى القبلى الطارقى ، فهى التي تنظم بمعرفة القبيلة ويشترك فيها عدد قد يزيد عن الخمسين من المحاربين وتتم على مناطق بعيدة وتعتمد على السرعة والمفاجأة ثم النهب والفرار حتى يتعذر على الجماعات التي تعرضت للسلب والنهب اللحاق بهم ، ويرى « السويدي » بأن أقرب منطقة للاغارة على مستوى القبيلة لا تقل عن « ٧٠٠ كيلو متر (١) » •

ومع بداية القرن العشرين وتأسيس الادارة الفرنسية في وسط الصحراء وانخضاع قبائل الطوارق لها سنة ١٩٠٥ أصبحت الغارات ممنوعة

بل نادرة مما يوضح أهمية دور السلطة السياسية وسيطرتها على تحركات البدو .

ويمارس الطوارق أيضا التجارة ويتبادل القوافل نتيجة لاتصالهم بالحضارة الغربية واكتساب كثير من ملامح النظام الاقتصادي الحديث ، فعرفوا فكرة السوق والتعامل بالنقود . الأمر الذي أدى الى احداث تغييرات عميقة في حياتهم الاقتصادية وخاصة في انماط التبادل التقليدية وتجارة القوافل فهم يصدرون الفائض ويستوردون الضروري من المناطق المجاورة عن طريق قوافل الجمال والتي تنتقل في رحلة الاستيراد والتصدير لمسافات طويلة .

ويخلص الباحث الى أن النظام الاقتصادي التقليدي لمجتمع الطوارق حتى سنة ١٩٦٢ ظل محافظا على الخصائص التالية :

- ١ — سيطرة « المقايضة » كنظام للتبادل في الاقتصاد التقليدي .
- ٢ — الاعتماد الكلي للسكان في غذائهم على « التمر والذرة » وهي موارد لا تنتجها منطقة « الهجار » وانما يستوردها الطوارق من المناطق المجاورة عن طريق المقايضة .
- ٣ — نتيجة لذلك فقد تطلب هذا النوع من التنظيم الاقتصادي التقليدي تربية اعداد كبيرة من الابل لضمان تجارة القوافل والتبادل .
- ٤ — بقاء اعتماد الطارقي وارتباطه بنظام الخدم في الخيمة ، وبالحرطانيين « المزارعين » في الميدان الزراعي .^(١)

المرأة والأسرة في مجتمع الطوارق :

تحدث كثير من الرحالة وعلى رأسهم « ابن بطوطة » عن المرأة الطارقية وعن الحرية التي تتمتع بها في علاقاتها مع الآخرين حتى أنه

(١) السويدي — نفس المرجع ص ٩٤ .

بإمكانها الجلوس في مكان واحد وفي خلوة مع الغريب بعلم زوجها دون اعتراض من الأخير ، غير أن الباحث ذهب الى استشهدا بنصوص أخرى لباحثين انثروبولوجيين ليؤكد أن علاقة المرأة بالأخريين إنما هي علاقة « شريفة » للعين والقلب وليست « للفراش » (١) .

وحرية المرأة في الطوارق مكفولة عن طريق المجتمع قبل الزواج ، فالطارقي لا تسيطر عليه فكرة التفوق على المرأة قبل زواجه كما أن موقفه تجاهها لا يتغير بعد الزواج منها فالفتاة تتمتع بجميع المزايا التي يتمتع بها الشاب عادة ، ولهذا يلاحظ أن مستوى تعليمها متقدم عن الشاب ، إذ أنه منذ الصغر تهتم بها والدتها بحيث تعلمها تفصيل الملابس وترقيعها وتصنيع شعر الماعز والجلود وطريقة إقامة « الخيمة » وفكها وطريقة التزين للنساء كما تعلمها كيف تلقى الشعر وتعزف على آلة « الامزاد » الموسيقية وهي آلة تشبه الربابة العربية ، ويرى الباحث في ايجاز أن المرأة الطارقية « أمينة الثقافة » في هذا المجتمع .

وتلعب المرأة هنا دورا هاما في النظام الاجتماعي . فالطارقي يرث الطبقة التي تكون عليها أمة ، بصرف النظر عن الطبقة التي ينتمي اليها الأب . كما أن الرجل الذي يتزوج سيدة أعلى طبقة من طبقته الاجتماعية فإنه « عمليا » ينال مكانة أعلى ، حتى ولو ظلت مكانته من الناحية النظرية هي مكانة « قبيلته » ويمكن للمرأة الطارقية أن تتزوج برجل أقل منها « منزلة » اجتماعية ولا يفقدن مكانتهن أيضا . لكن الرجل إذا أراد أن يحافظ على مكانته الاجتماعية فعليه في هذه الحالة أن يتزوج من امرأة من نفس طبقته أو أعلى منها « ويحمل الأبناء عموما اسم آبائهم دون الانتساب لامهاتهم » .

غير أن الطوارق يرون أن الأم هي التي « تحمل » أبناءها قبيل الولادة لهذا فهم أبناءها وليسوا أبناء للرجل فإذا تزوجت المرأة من قبيلتها فأولادها يرجعون الى نفس القبيلة ، وإذا تزوجت من خارج

قبيلتها فالأولاد لها وليسوا لأبيهم أو قبيلته • وإذا توفي الزوج فإن الأولاد وأمهم يرجعون الى قبيلة الأم معها • وإذا كان على قيد الحياة ووقع انفصال بين الزوجين فإن الأولاد يبقون مدة معينة مع أبيهم ثم يرحلون بعدها الى قبيلة الأم » •

الزواج وتنظيم الأسرة :

من سلطات رئيس القبيلة في مجتمع الطوارق انه يستطيع أن يأمر الأفراد اما بزيادة النسل أو الحد منه أو ايقافه • اذا رأى نموا في موارد القبيلة أو نقصا فيها أو وجود قحط يؤدي الى انعدام الموارد الطبيعية وعلى هذا فقد توصل « الهجار » في اطار التوازن الايكولوجي « الى ايجاد العدد الأمثل الذي يمكن توفير الغذاء المناسب له حيث أن هذه المنطقة لا تكاد تسد حاجة السكان الى الغذاء ، وبهذا نستدل على أن الطوارق قد عرفوا تنظيم الأسرة • (١)

أما الزواج فإن الطارقي لا يقدم عليه الا في « سن متأخرة » بمعنى أنه نادرا ما يتزوج قبل سن الثلاثين والمرأة قبل الخامسة والعشرين • على عكس المجتمعات القبلية والبدوية في المجتمعات العربية الأخرى •

ومراسم الزواج تبدأ في العادة بأن يذهب عدد من أصدقاء العريس أو أقاربه أو أسرته لخطبة الفتاة التي يرغبها واذا حصلت موافقة والد العروس بدأ التفاوض حول المهر والهدايا حسب العرف المتبع في كل قبيلة فمثلا طبقة « النبلاء » يتكون مهر فئاتهم من « سبع نباق » اما الاتباع فثلاث نباق ، وأما طبقة العبيد والخدم فالمهر عندهم « ناقة واحدة » ويضع رؤوس شياه •

(١) السويدى — نفس المرجع ص ١٠١ ، ١٠٢ •

وليلة الدخلة يوضع في « خيمة العروسين » كمية من الرمل تفصل بينهما وتبقى ثلاثة أيام لا يقترب العروسان خلالها من بعضهما ، لأن وراء ذلك فلسفة تقوم على أساس انه في « الليلة الأولى » تكون العروس « اختك » وفي الثانية تكون « امك » وفي الثالثة تكون « حماتك » أما في الليلة الرابعة فهي « زوجتك » وبعدها تزال كمية الرمل هذه .^(١)

وتتم مراسم الزواج في بيت الزوجة حيث تقيم العروس في بيت أهلها لمدة عام على الأقل وقد تمتد الى سنوات خمس وهي الفترة التي تعد العروس فيها جهازها ثم يأتي الزوج لأخذها في حفلة خاصة الى منزلة وقد يصحبه معها طنل أو أكثر ثم انجابهم خلال هذه الفترة حيث أنه كان يتردد عليها ويعاشرها في دار أهلها ثم يعود للاقامة في مخيم والديه .

وهناك فلسفة أخرى وراء اقامة العروس هذه المدة بمنزل والديها وهي اعطاء الزوجين الفرصة الكافية للتعرف على طباع كل منهما كما يلمسان في نفس الوقت المسؤولية العائلية حتى لا ينفصلان أو لا يقدران الحياة الزوجية .

وتتعدد الزوجات عندهم موجود اكنه نادر على الرغم من معرفتهم ياباحة الشريعة الاسلامية لهذا التعدد . ومن ضمن الشروط التي يؤكدون عليها للخاطب قبل الزواج هو عدم « التعدد » وعدم الهجرة للاقامة خارج أرض القبيلة .

مراحل العمر في مجتمع الطوارق :

إذا كانت التنشئة الاجتماعية تهدف الى اكتساب الفرد (طفلا

(١) السويدى — نفس المرجع ص ١٠٢ ويذكر الباحث بأن هذه العادة زالت بزوال المجتمع التقليدي وتحديثه .

فمراهقا ثم راشد وشيخا) سلوكا ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة تكسبه الطابع الاجتماعي ، وتمكنه من الاندماج في الحياة أو البلوغ الآن . الطابع الاجتماعي ، وتمكنه من الاندماج في الحياة الاجتماعية ، فأن من أهم العوامل في التنشئة الاجتماعية تحديد الجماعة لأدوار أفرادها التي تطلب منهم القيام بها وذلك تبعا لجنس الفرد ومرحلته العمرية . (١)

وفي مجتمع الطوارق يمر الفرد بعدة مراحل اجتماعية تحددها الجماعة خلال مراحل نموه العديدة من الطفولة وحتى الشيخوخة .

ويطلق « الهجار » على الصغير اسم « آرا » وهو اسم يطلق على أى خلفة كانت من ذكر أو أنثى أو حيوان . ذلك لأن الطفل عند الطوارق في هذه المرحلة لا يتمتع بأية أهمية اجتماعية . كما أن عاداتهم في تسمية الأطفال تشبه الى حد كبير عادات « الهنود الحمر » الذين يعتقدون في كثير من المظاهر والحوادث الطبيعية التي توافق حدوث الولادة فكثير من أبناء الطوارق يسمون بأسماء المظاهر الطبيعية أو الحيوانات حسب تصادف ولادة الطفل مع هذه الظواهر . فهناك أسماء « البرد » لأن الطفل ولد في موسم البرد والأمطار وهناك من تدعى أو يدعى « الغزال أو النمر أو الجريوع » لأنه تصادف مرور هذا الحيوان أثناء الولادة . (٢)

وفي سن « ست سنوات » يبدأ الطفل في لباس « السروال » الذي يسمونه « عرجاج » وتقام له في هذه المناسبة حفلة خاصة يحضرها أقاربه واعتبارا من هذه المرحلة يصبح من حقه أن يشارك في حراسة قطع الماعز أو مرافقة الراعي فقط دون المشاركة وذلك عند « طبقة

(١) حامد عبد السلام زهران — علم النفس الاجتماعى — عالم الكتب — القاهرة ط ٢ ١٩٧٤ ص ٢٠١ .

(٢) ويشير الباحث الى اختفاء هذه الاسماء تحت تأثير الثقافة الاسلامية والعربية واستبدلت بالصدى والمصطفى واحمد ولد احمد وهكذا . .

النبلاء» ويبدأ في تعلم القيادة والتمييز بين آثار مختلف الحيوانات وحتى الانسان .

ونظرا لأهمية هذه المرحلة في نظر الطوارق في حياة الطفل وأثرها في تكوين شخصيته فإن الطوارق يعارضون بشدة العقاب القاسى في حق الأطفال لان شدة العقاب على حد تعبيرهم — تجعل الطفل صاحب مزاج حادولذا يقتصر العقاب في هذه السنة بالزامه بالبقاء في الخيمة . أى بحرمانه المؤقت من « الحرية » .

أما في بقية مراحل العمر فتطلق عليهم ألقاب معينة تبعا للدور الذى يستطيعون القيام به وهم بين العاشرة والثانية عشرة يبدؤون السفر الى جهات أخرى ، وعند سن البلوغ بالنسبة للفتى يبدأ في وضع اللثام ثم ينزعه ليظهر للآخرين انه قد وصل الى سن البلوغ وأما الفتاة فبعد ظهور « الحيض » تبدأ في وضع « الرداء » على جسمها .

وترى « روث بند يكت » R. Benedict أن معظم الجماعات التقليدية تحدد المراهقة من الناحية الاجتماعية ذلك لأن الاحتفالات التى تقام بهذه المناسبة الغرض منها الاعتراف — بشكل من الأشكال — بأن الطفل قد بلغ مرحلة جديدة تنسب اليه فيها مسئوليات لم يعهدها من قبل وهى عملية ذات مظاهر متنوعة لكى نفهمها علينا أن نهتم بهذه الفترة التى تسمى « مرحلة الانتقال »^(١) .

ومجتمع الطوارق كمجتمع تقليدى يحدد لأفراده فترة الانتقال من مرحلة الطفولة الى مرحلة المراهقة الى البلوغ فلكى يتبوأ المراهق مكانته الاجتماعية الجديدة يبدأ في وضع اللثام بصفة دائمة ، ويتم هذا في مناسبة خاصة يحضرها أقاربه وتقدم له فيها الهدايا أهمها « الخنجر »

(١) بنديكت روث — الوان من ثقافات الشعوب — ترجمة محمد الدسوقى وآخرون لجنة البيان العربى — القاهرة ص ٤٧ .

« ولثام أزرق » وبعدها يصبح من حقه أن يحضر الحفلات والندوات ومجالس الرجال .

وأما الفتاة فتتلقى عند بلوغها هدايا من الملابس وتقام لها مناسبة مثل الفتى .

وغالبا ما تقام مثل هذه المناسبات بمناسبة « صيام » الشاب لشهر رمضان أول مرة ويطلق على الشاب في هذه الفترة لقب « أما واد AMawad والفتاة « تماواد » Tamwad وتعنى من بلغ سن «الرشد» أو البلوغ الآن .

وعند بلوغ الطارقي سن الخامسة والعشرين يبدأ والده في التفكير لايجاد زوجة له وهي عملية في العادة تستمر من سنة الى ثلاث سنوات في المتوسط وعندما يستقر الرأي على العروس يبعثان من يقوم بمهمة الخطوبة .

وبعد الزواج يحصلان على القاب أخرى وكذا في سن الشيخوخة والارتكاز على العصا .

روابط القرابة لدى مجتمع الطوارق :

أكد « فالزن » Valsen ، على أهمية التنظيم القرابي وصلته بثبات نظام العائلة في المجتمع الأصلي ، وذلك في دراسة عن المهاجرين الى المدينة . وذكر أن هذا الثبات من شأنه أن يربط المهاجرين بأقاربهم في المجتمع الجديد ، حيث يعلمون أن هذا هو الضمان الاجتماعي الوحيد الذي يعتمدون عليه في حالة عجزهم عن العمل أو تقدمهم في السن ، وأن أصبح البدوي المهاجر « ظاهريا » مواطنا حضريا فإنه في سلوكه الاجتماعي وتقاليدته قد يثبت عكس ذلك ، إذ غالبا ما يعكس في سلوكه كثيرا من القيم الاجتماعية القبلية ، وهذا ما عبر عنه « آرثر » Arthur. B بقوله « تستطيع أن تنتزع رجلا من الريف ولكنك

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

أما في حالة وقوع النزاع مع رجل غريب فإنه كثيرا ما يلجأ الى رجال الشرطة والأمن لحل هذا النزاع .

ويشير الباحث الى أن مجتمع الطوارق - كمجتمع تقليدي - لا توجد به هيئات مميزة تختص بالنظر في المنازعات التي تنشأ بين أعضاء القبيلة أو تتولى الفصل في المنازعات ، وإنما يشرف على هذه الأمور كبار السن ورجال الدين دون أن يكون هناك أشخاص مختصين أو منقطعين لهذه المهمة ولهذا كانت الأحكام تتخذ شكل نصائح قد تقبل بها الأطراف المتنازعة أو ترفضها ، وإن كانت تقبلها في معظم الأحيان لأسباب اجتماعية أو دينية تتعلق بمكانة هؤلاء الشيوخ ورجال الدين .

ويتبع المجتمع الطارقي نظام الزواج من الداخل ومن الخارج حيث نجد أنهم يقومون بتزويج بناتهم لرجال من خارج القبيلة بنسبة تبلغ (٤٠ ٪) ذلك من أجل تدعيم القبيلة بأفراد جدد خاصة ونحن نعلم أن الانتساب لخط الاناث هو السائد لديهم . فالفرد ينسب الى أمه ويعود ليعيش معها داخل قبيلتها « كما تمت الاشارة الى ذلك من قبل » .

أما حجم الأسرة المفضلة لديهم فهي التي يتراوح الأطفال فيها بين خمسة الى عشرة أطفال . والأسرة التي يقل عدد الأطفال فيها عن خمسة فهي في نظرهم أسرة صغيرة أو قليلة العدد .

القيم المرتبطة بارتداء اللثام لدى الطوارق :

يرى «رالف لنتون» « R. Linton » انه حينما يعترف المجتمع بالعشيرة نجد وسائل للابقاء على صلة القرابة ماثلة أمام عين الفرد وللتشديد على أهميتها فإن الوحدة العشائرية يكون لها اسم « خاص » وكثيرا ما تتخذ لنفسها رمزا كحيوان أو شيء معين ينظر اليه أعضاؤها نظرة ملؤها الاحترام ، بل وكثيرا ما يحدث أن تتخذ لنفسها شعارات

مميزة من لباس أو خزف حتى انه بمجرد النظر اليهم يمكن تمييز
العشيرة التي ينتمون اليها (١)

وعند قبائل الطوارق سواء كانوا من طبقة « النبلاء » أو الاتباع ،
يمثل ارتداء اللثام المظهر العام بين الذكور البالغين ، فالشباب عند سن
السادسة عشرة أو السابعة عشرة يبدأ في ارتداء (اللثام) وحمل
« السيف » أى يصبح رجلا كامل العضوية في قبيلته . وترتبط عملية
ارتداء اللثام في المجتمع التقليدي للطوارق بمظهرين أساسيين هما : —

(أ) مرحلة العمر التي يصل اليها الطارقي لكي يصبح من حقه
ارتداء اللثام .

(ب) الطقوس المصاحبة لعملية ارتداء اللثام . (٢)

ويسمى اللثام في « انتمهائية » (التاجلموست) وهو عبارة عن
قطعة من القماش الأزرق اللامع (عند النبلاء) المصنوع في السودان
(مالي والنيجر) أو الأبيض عند « الاتباع » وتتألف أحسن أنواعه
(اللون الأزرق) من أشرطة طويلة عرض كل شريط منها حوالي ثلاثة
سنتيمترات . يخاط بعضها الى بعض . بحيث يترك فراغ بين كل شريط
وآخر يتيح لصاحب اللثام التنفس وعادة يصل طول اللثام « أربعة
أمتار ونصف المتر » . وتعود أهمية اللثام الأزرق الى أنهم يرون أنه
يساعد على تكوين طبقة من الشحم أو الدهن على وجه صاحبه تجنبه
« التشقق » الذي قد يحدث لشدة جفاف الصحراء ، ولهذا لا يغسل
الا بعد استعماله مدة طويلة .

أما اللثام الأبيض فتشير بعض الروايات الى أنه انتشر بين
الطوارق عن طريق « العرب » وهو الذي يستعمله « الأتباع » والملاحظ

(١) رالف لنتون — دراسة الانسان — ترجمة عبد الملك الناشف مرجع

سابق .

(٢) السويدي : نفس المرجع ص ١٢٢ .

أن طريقة ارتداء اللثام تشير إلى القبيلة التي ينتمي إليها الفرد . ولذا فمن الصعب التعرف على قبيلة الشخص التي ينتمي إليها إذا نزع اللثام لأنه يشكل جزءا من شخصيته ولهذا لا يمكن التنازل عنه أو التساهل في نزعه . ومن ينزع لثام طارقي في المجتمع التقليدي معناه « الموت » والعلامة التي تميز الطارقي « السيد » عن بقية الفئات الأخرى في المجتمع التقليدي هو « اللثام » فالعبيد القدماء والخدم والمزارعون لا يرتدون اللثام .

وللثام قيم اجتماعية خاصة إذ لا يمكن لطارقي أن يتكلم مع طارقي آخر أكبر منه سنا وقد نزل ممثلا إلى أرنية أنهف . فمثل هذا الموقف يحتم عليه أن يرفعه بحيث لا يظهر إلا عيناه ، وذلك احتراماً لحدته ، كما أن الطارقي لا ينزع لثامه حتى أنساء النوم أو الأكل أو حين العمل .

ومن جانب آخر فإن المرأة لا ترتدي اللثام مهما بلغت من السن متروجة كانت أو غير ذلك ، وهي تفتخر بزوجه الذي لا ينزع اللثام أمامها . وقد تمتدحه عند النساء بقولها (عشت مع زوجي عشرين سنة دون أن أرى فمه) . (١)

أي . أنه في نظرها كان طوال هذه الفترة زوجا محترما ، طاهرا نظيفا .

وقد ارتبطت بظاهرة ارتداء اللثام عدة « فروض » لبعض الرحالة الانثروبولوجيين اختلفت في تفسيرها سبب تمسك الطوارق باللثام تلخص أهمها فيما يلي : —

١ — سهولة التخفي أثناء الحرب وعند القيام بعمليات الغزو على القبائل الأخرى والقوافل .

(١) السويدى : نفس المرجع ص ٣٤٦ .

٢ — تجنبيب الوجه رمال الصحراء وحرارة شمسها المحرقة .
٣ — اخفاء الجروح الناتجة عن الحرب التي يشترك فيها الطارقي ،
حتى لا تحتقره زوجته عند العودة وبالتالي فلن تعزف له موسيقى
« الامزاد » .

٤ — الخوف من اتصال الأرواح الشريرة بنفس الانسان عن
طريق الفم والأنف .

ويرى « السويدي » بأنه نتيجة للأسئلة التي وجهها الى كبار
السن في الطوارق الذين ينتمون لعدة قبائل التقت اجاباتهم حول
تفسير واحد مؤداه أن روايات الاسلام تتفق على أن ارتداء اللثام يراد
منه تغطية الفم بشكل أساس لانه بواسطة الفم قد يورط الانسان
نفسه وبالتالي عشيرته ، ولأن كل كلمة يقولها البدوي لها مدلولها
ومغزاها « كما أوضح آخرون بأن اللثام « ستر للفم الذي يعتبر
عورة والمتلثم رجل طاهر وتقى » (١)

ولكن عندما سئلوا عن سبب عدم ارتداء المرأة اللثام اجابوا
بأن مكان المرأة هو المخيم ، فهي لا تتفاوض مع الغير ، ولا ترحل من
منطقة الى أخرى . ولا تعطى عهدا ، ولا تعقد اتفاقية ولهذا فلا ضرورة
لارتدائها اللثام ومع هذا يبقى لغز اللثام تتضارب حوله أقوال
الاخباريين وكبار السن .

وفي مجتمع الواحة « المتغير » أصبح اللثام يشكل عقبة في طريق
الطارقي نحو التكيف للحياة الجديدة ، خصوصا في ميدان « العمل
الحديث » فقد تسبب صمود الطارقي على عدم نزع اللثام في حدوث
مشكلات عديدة للطارقي نفسه وللمؤسسات التي يعمل بها ، فشركات

(١) السويدي : نفس المرجع ص ٢٤٧ .

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

والذى يمنع الانسان من التورط فى مثل هذه الأمور هى (القيم والمثل التى تعلمها فى مجتمعه وليس اللثام) . واذا علمنا أن الرجل هو الذى يضع اللثام على وجهه بخلاف المرأة لدى مجتمع الطوارق ، نميل عند ذلك الى الرأى الذى يقول بأن السبب فى وضع اللثام على الوجه انما هو لوقاية الوجه من الأتربة التى تثيرها الرياح فى الصحراء وللوقاية من حرارة الشمس المحرقة ، ذلك بالنسبة للرجل الدائم التجوال عكس المرأة الطارقية التى تقيم دائما فى دارها ولا تتعرض للأتربة وحرارة الشمس ، ولذا فلا ضرورة لأن ترتدى اللثام .

ومع مرور الزمن أصبح وضع اللثام على وجه الرجل الطارقى عادة وتقليدا توارثه الخلف عن السلف ، وأصبح شعارا لمعدد من القبائل يميزها عن غيرها . . . وفى هذا المعنى تحدث (رالف لنتون) فى كتابه (دراسة الانسان) على ص ٢٦٥ الذى سبقت الاشارة اليه فى هذه الدراسة . . . ومما يزيد تأكيد ما ذهبنا اليه هو اختلاف حجم اللثام ولونه بين طبقتى الاتباع والنبلاء فى مجتمع الطوارق . . .

واما عن قول السويدي بأن سبب ارتداء اللثام يعود الى أنهم يعتبرون الفم (عورة) يجب سترها . فهو قول غير دقيق . واذا سلمنا بذلك قبل ظهور الاسلام اعتناق سكان المنطقة للدين الاسلامى بعد ظهوره فانه لا يجوز التسليم بذلك لأن الاسلام أوضح بأن فم المرأة أو أن العورة هى المرأة بدليل أنه أمرها بالحجاب . وليس الرجل هو العورة أو هو المطلوب منه أن يتحجب . . . وعلى هذا نرى أن هناك قيمة أخرى للثام فى المجتمعات البدوية فى الجزيرة العربية تختلف اختلافا بينا عما ذهب اليه السويدي وحيث يلازم الحجاب المرأة دون الرجل كما سنوضح ذلك فى الفصل الثالث من هذه الدراسة .

الفصل الثالث

دراسة للبناء القبلي في المملكة العربية السعودية

(بنى كبير)

نبذة تاريخية :

تقول المصادر التاريخية فيما يختص بأصل قبائل غامد بأن أصل هذه القبائل يعود الى ^(١) عبد الله بن كعب بن الحارث بن عبد الله بن مالك بن نصر الملقب بـ . شنودة بن الأزد عمر وهو غامد الأب الأكبر لقبائل غامد . وغامد هذا ولد له سعد مناة وظبيان ومالك ومحميه . وولد سعد مناة . (مناة الدؤل) (وثعلبه) وولد « الدؤل » سعد بن مناه (مازن — وكبير — وواليه) ومن مازن عبد الرحمن بن مخنف بن سليمان ابن الحارث بن عوف بن ثعلبه بن عامر بن ذهل بن مازن بن ذبيان بن ثعلبه بن الدؤل بن سعد بن مناه بن غامد وهم بيت الأزد بالكوفة . ومن غامد أبو ظبيان الأعرج وهو عبد شمس بن الحارث بن كبير بن جشم بن سبيع بن مالك بن أهل بن مازن بن ذبيان بن ثعلبه بن الدؤل بن سعد مناة بن غامد وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو صاحب راية قومه يوم القادسية ، وابنه طارق وكان من الأشراف ، وابن أخيه جندب بن زهير بن الحارث بن الكبير كان على الرجانة يوم صفين مع علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وبها قتل . ومنهم أبو زينب زهير بن عوف بن الحارث بن الكبير الذي شهد على الوليد بن عقبة بشرب الخمر ، قتل يوم صفين . ومنهم عبد الرحمن بن نعيم بن زهير بن شهر ابن رزيق بن غامد بن ذهل بن التؤم بن بكر بن ثعلبه بن الدؤل

(١) أبو عباس أحمد القلقشندي . نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب : تحقيق إبراهيم الأبياري الطبعة الأولى ١٩٥٩ القاهرة . الشركة العربية للطباعة ص ١٠٨ ، ص ١٠٩ ، ١١٠ .

سعد مناة بن غامد والى خراسان • ومنهم عبد الله بن عائذ بن الهبة^(١)
ابن عوف بن قربع بن بكر بن ثعلبة كان معاوية بن أبي سفيان •
ومنهم الحجن بن المرقع بن سعد بن عبد الحارث بن الحارث
ابن عبد الرحمن بن مازن بن الدؤل بن سعد مناه بن غامد من أصحاب
علي رضي الله عنه وله رواية في الحديث • ومنهم الحارث بن لفظ بن
مهنة بن عامر بن كبير ابن الدؤل بن سعد مناة كان مع الامام علي
كرم الله وجهه يوم موقعة (الجمل) فلقى عمرو بن الأشرف الفنكى
والد مسعود وزياد وكان مع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقتل
كل منهما الآخر • وسفيان بن عوف^(٢) بن مغفل بن عوف بن عجير بن
كليب بن ذهل بن سيار بن واليه بن الدؤل بن سعد مناة بن غامد صاحب
الصوايف الى أرض الروم • ومنهم قيس وزهير ويزيد والحكم بن
المغفل أعمام سفيان الذكور وقتل قيس وزهير يوم القادسية وقتل يزيد
والحكم يوم النخيلة • ومن غامد أيضا جندب ابن كعب بن عبد الله بن
جزاء بن عامر بن مالك بن عامر بن ذهل الملقب « بجندب الخير »
وهو الذي ينسب اليه قتل الساحر بن يدي الوليد ابن عتبة • ومنهم
الشعراء أمثال • عبد شمس بن الحارث بن كبير والشاعر عبد الله
ابن سلمة •

بطون غامد القديمة :

بطون غامد القديمة ذكر منها ابن حزم في كتاب الانساب وكذا
أبو العباس في كتاب نهاية الأرب ما يلي : —

بنو ظبيان • بنو مالك • بنو محمية بن الدؤل ثعلبة بن مازن •
بنو كبير ولم يبق من هذه الأسماء من هذه البطون القديمة سوى
بنو ثعلبة وبنو كبير وبنو ظبيان •

(١) من بطون غامد بتهمة .
(٢) مدرسة سفيان بن عوف المتوسطة سميت بذلك نسبة اليه . وهي
المتوسطة الوحيدة في بني كبير •

ومن البطون القديمة أيضا بنى والبه التي تعتبر الآن داخله ضمن بنى كبير وأصبحت قرية من قرى هذه القبيلة وفيها رئاسة القبيلة حاليا .

بطون غامد الحالية :

أصبحت بطون غامد حاليا تتكون من القبائل الآتية : بنو ثعلبة ومنهم (بنو عبد الله وبنو خثيم والزهران في البادية) وبنو كبير .
وقد دخلت اليهم بطن واليه وشكر في البادية) وبالجرشى . وآل الرهوة والبشهم وغامد الزناد في تهامة . ثم آل عطوه وبنو هلال وآل مسوده .
والبادية رفاعة والقناعة والزهران . ويبلغ تعداد السكان حاليا مائة وخمسة وعشرين ألف نسمة (١) .

قبيلة بنى كبير :

نلاحظ من النبذة التاريخية السابقة أن اسم « بنى كبير » ورد ذكره مرات عديدة ، وأن مصادر التاريخ تقول أنها بطن من البطون الباقية من قبائل غامد بعد أن انقرض معظم البطون عبر التاريخ . ولم تعد بنى كبير بطنا بالمفهوم الاجتماعى الذى يعنى تبعيتها لقبيلة أخرى تتبع نظامها وقانونها وتخضع لسلطة شيخها وتدخل أراضيها ضمن أراضى أخرى . بل انها أصبحت قبيلة لها نظمها الخاصة وحدودها الاقليمية وتتميز عن غيرها من القبائل الأخرى .

ونلاحظ أنه يطلق على هذه القبيلة اسم (قبائل بنى كبير) ونرجح أن هذه التسمية جاءت بعد انضمام (بنى والبه وشكر) الى قبيلة بنى كبير الأصلية فعرفت بقبائل بنى كبير .

والاسم الرسمى المعتمد لدى أمانة المنطقة هو قبائل بنى كبير وشيخها يطلق عليه (شيخ قبائل بنى كبير) . . والمتداول بين الناس هو اسم (بنى كبير أو بنى قابوس) .

(١) هذه الاحصائية استقيناها من امانة منطقة الباحة حيث تم تعداد السكان عام ١٣٩٨ هـ ، ١٩٧٨ م .

الموقع وأقسام القبيلة :

تقع أراضي بني كبير جنوب (الباحة) وهي العاصمة الادارية لقبائل غامد وزهران • ومدينة الباحة تقع جنوب الطائف على بعد (٢٥٠) كم على امتداد سلسلة جبال السروات أو ما يسمى بالحجاز ، وهي المنطقة الحاجزة بين البحر الأحمر في غرب المملكة العربية السعودية ومنطقة نجد في الشرق • وتبعد أراضي بني كبير عن مدينة الباحة (٢٠) كم الى جنوبها • وتمتد أراضي القبيلة على امتداد وادي بني كبير من الشمال الى الجنوب وتتوزع القرى التي تشكل قبيلة بني كبير على ضفتي الوادي من الشرق والغرب •

وتنقسم بني كبير الى قسمين رئيسيين هما (الحاضرة والبادية) وعدد السكان فيهما (٢٦ ألف نسمة) منهم ثمانية عشر ألف نسمة يسكنون أراضي بني كبير الحاضرة ، وثمانية آلاف سكان البادية •

ويحد قبيلة بني كبير من الشمال الحلة وبني ظبيان • ومن الغرب بني ظبيان ومن الشرق وادي ثراز ووادي بيثشة والعقيق • ومن الجنوب بني حثيم وبلاد خثعم • (انظر الملاحق)

وتتراوح التضاريس في بني كبير ما بين سهول خصبة وجبال مرتفعة يخترقها وادي بني كبير الذي يلتقي مع وادي بيثشة في نهايته •

بني كبير الحاضرة

قلنا أن قبيلة بني كبير تنقسم الى قسمين هما الحاضرة والبادية • والحاضرة تطلق على المنطقة الواقعة على ضفتي الوادي وتتكون من ثمان عشرة قرية هي : الغير العليا ، والغير السفلى ، والحبيس ، والحذب ، والظفير ، والعبادل ، والقلبيته ، والدهامشة ، وبني البة ، والزرقاء ، الكدفة ، والسيار ، والفلاح ، وآل مسالم ، وآل سرور ، والنعيم ، وميسان ، المرزوق •

واطلاق اسم الحاضرة على هذه القرى جاء نتيجة لان السكان فيها عرفوا حياة الاستقرار بدل الترحال ، وزاولوا مهنة الزراعة ، وسكنوا المنازل . وزاولوا أيضا أنشطة اقتصادية مختلفة . كالصناعات اليدوية بالاضافة الى رعى الأغنام . على عكس البادية الذين لم يعرفوا حياة الاستقرار بعد . ولعل مصدر هذه التسمية جاء من سكان البادية أنفسهم الذى رأوا أن سكان القرى أصبحوا حضريين بمجرد استقرارهم فى منازل وممارستهم لأنشطة مختلفة .

هذه القرى الثمان عشرة تشكل بدنات ثلاث وهى البدنات التى تشكل قبيلة بنى كبير . هى :

بدنة بالحارث وبدنة الجابر وبدنة العلى ويرجع هذا التقسيم الى النسق القرابى . فحارث وجابر وعلى كل منهم الجد الأكبر لأبناء ابئدنة واليه ينتسب كل أفرادها ثم يلتقى هؤلاء الثلاثة عند جد واحد هو الذى سميت قبيلة بنى كبير باسمه .

وتشمل كل بدنة على مجموعة من القرى فى الحاضرة وفخوذ فى البادية فبالحارث تتشكل من ثلاث قرى فى الحاضرة هى : العبادل والحبيس ، والفلاح وفخذهم فى البادية يسمى (العطا) .

أما الجابر فنتكون حاضرتهم من عشر قرى هى الغبر العليا والغبر السفلى والظفير ، وبن والية ، والزرقاء ، وآل سالم وآل سرور ، والنعيم ، وميسان ، وآل مرزوق . وتتبع آل جابر أربعة فخوذ أخرى فى البادية ليس لهم اسم خاص .

بينما آل على تتكون حاضرتهم من خمس قرى هى : الحذب الكدفة ، الدهامشة ، السيار ، والقرية الخامسة تقع وسطا بين الحاضرة والبادية وهى المزرعة . ويتبع هؤلاء أربعة فخوذ فى البادية أيضا .

وكل بدنة من هذه البدنات الثلاث الرئيسية التى تتفرع الى فخوذ

تتفرع بعد ذلك الى مجموعة من « اللحام » وهو ما يعرف لدى الكتاب الاجتماعيين بالعائلات الكبيرة الممتدة . . . ويزداد النسق القرابى تعقيدا اذا علمنا أن لكل (لحمة) فى الحاضرة . لحمة أخرى فى البادية ، يدخلون مع بعضهم البعض فى علاقات مباشرة ويؤلفون وحدة اجتماعية متماسكة (أنظر تفصيل ذلك فى فصل الأنساق ص ١٢٦) .

والبدنة فى بنى كبير وحدة متماسكة فجماعة البدنة الأكسوجامية «Lineage group» لديهم خاصية الانتماء الى شخص واحد سميت البدنة باسمه وهذا عامل أولى من عوامل التماسك والوحدة بين الأفراد .

بنى كبير البادية :

يحتل سكان بنى كبير البادية مساحة جغرافية أوسع ويسكنها ثمانية آلاف نسمة تقريبا ، لهم حرية الحركة والتنقل بماشييتهم خلف المرعى والماء . دون الخروج عن أراضى القبيلة . . . وهؤلاء يشكلون فخذ بنى كبير الحاضرة لبدناتها الثلاث فبدنة بالحارث لها فى البادية فخذ العطا الذى ينقسم الى ست لحام هى ، النواعمة ، الرشدة ، الحنونة ، آل مشحن ، وآل عائض ، وآل جمعان .

أما بدنة الجابر فيتبعها الخنافرة ، السلايب الطلحات ، شكر وأخيرا آل على ويتبعهم أربع لحام هى الثمرة ، والصنادلة ، والمتابعة ، والمداهشة .

والملاحظة البارزة لدى سكان البادية هى التلاحم القوى بين اللحام التى تشكل الفخذ الواحد ، فالمرعى الخاصة بكل فخذ يمكن أن ترعى فيها اللحام التى تشكل هذا الفخذ ، كما أن منازلها متجاورة باستمرار ، وعندما ترحل احدى اللحام فان البقية ترحل معها بمعنى أنه فى حالة الترحال لا تتخلف احدى اللحام أو تخرج عن رأى

المجموعة . وكما هو الحال أيضا لدى اللحام في الحاضرة التي تنتهي الى عائلات أصغر فان البداية كذلك .

والملاحظة العامة أن العلاقات الاجتماعية تقوى كلما زادت البدنات واللحام والأسر تفرعا واستقلالا ، فتصبح كالهرم قاعدته تمثل قوة في العلاقات الاجتماعية ، وكلما صعدنا نحو القمة كلما لاحظنا ضعفا في هذه العلاقات بصرف النظر عن التلاحم القوي الذي كان يحدث فور شعور القبيلة بخطر عام ، والذي يمكن أيضا أن نرجعه الى تلاحم يبدأ من القاعدة وينتهي الى القبيلة كلها .

البناء السياسي لقبيلة بنى كبر :

كانت القبائل في الجزيرة العربية تعيش حالة مستمرة من النزاع على الأرض والماء والكلأ وحوادث القتل والنار والخطف . وكأنها أمور عادية لا بد أن تعيشها ، ولا يزال كبار السن يروون لنا كيف كانت حياتهم تعتمد على « القوة » ويكتنفها الصراع . وكيف كانت تشب الحروب بين القبائل بل أنه في أحيان كثيرة كانت تشب معارك بين البدنات المختلفة داخل القبيلة الواحدة اما لصراع على أرض ، واما لحادث قتل وطلب النار . والاعتداء على الأرض من قبل طرف آخر جريمة تستحق العقاب والاعتداء على فرد من أية وحدة اجتماعية يستلزم من وحدته الاجتماعية أن تطلب النار . . وهكذا .

ونتيجة لهذا الصراع المستمر والخوف على القبيلة من الفناء عن طريق التفكك الذي يأتي نتيجة للنزاع والتناحر المستمر . لا بد من ايجاد طريقة تحفظ التوازن داخل القبيلة وترعى مصالحها . فكان منصب شيخ القبيلة هو أخطر المناصب وأهمها . ويعاونه في تطبيق القانون وتحقيق الضبط الاجتماعي في القبيلة عدد من عرفاء القرى يشكلون (مجلس القبيلة) . فعندما تحدث مشكلة طارئة يجتمعهم الشيخ في داره ويعرض عليهم الأمر . وبعد مشاركات بين أعضاء

المجلس يبلغون شيخ القبيلة برأيهم فاذا استحسنه بدأ تنفيذه
على الفور .

سلطات الشيخ ومجلس القبيلة : (١)

لابد أن يستعين شيخ القبيلة بأهل الحكمة والرأى لمساعدته
في حل المشكلات والقضايا ، ولابدء المشورة والرأى في أى أمر طارئ .
وكان مجلس القبيلة يتألف من عرفاء القرى وكبار السن فيها المشهود
لهم بالحكمة وسداد الرأى ويشترط في أعضاء المجلس التواجد فور
طلب الشيخ . ومساعدته أيضا في فرض الأحكام وتطبيق القوانين
على الأفراد الذين يصدر المجلس بحقهم العقوبات بمعنى أن هذا
المجلس كان يسن القوانين ويساعد على تطبيقها ، لأن أعضاء المجلس
يتم انتخابهم من القرى وهم أقدر على تطبيق العقوبة على الجانى
مباشرة أو تحويله الى الشيخ لتطبيقها . وكانت العقوبات تتراوح
حسب الجرم تبدأ من الاعدام وتنتهى بالتشهير والغرامة المادية .

ف عندما تقع جريمة قتل فانها اذا كانت داخل الوحدة الاجتماعية
بمعنى أن يكون القاتل والقتيل من وحدة اجتماعية واحدة فانها غالبا
ما تنتهى بالعتفو والسماح وفي أحيان قليلة بقبول الدية لكن الأمر يختلف
عندما يقع الحادث بين وحدتين متباعدين . الأمر الذى يستدعى
من شيخ القبيلة ومجلسها القيام بنشاط أكبر من أجل تقريب وجهات
النظر . وغالبا مايسوى الأمر بالقصاص وفي أحيان قليلة كان يتم قبول
الدية .

(واللىحة) لديهم كانت لها قيمة اجتماعية كبيرة ، فخلق اللحية
من العقوبات الشديدة التى تطبق على الجناة ، فكان الرجل الذى يشهد

(١) نعى بهذه السلطة تلك التى كان يمارسها شيخ القبيلة في غياب
الحكومة المركزية ، اما بعد وجود هذه الحكومة بدخول المنطقة في الحكم
السعودى ووجود النظام الذى يسر دفة الامور وينظم الحياة الاجتماعية
فقد تلاشت هذه السلطات .

زورا أو يتهم امرأة في عرضها وشرفها أو يسرق ، أو يتفنتا على أحد المشايخ بالفاظ نابية يعاقب بحلق لحيته . وفي ذلك تشهير به وإهدار لكرامته وقد حث الاسلام على مخالفة المشركين وعدم طلق اللحية . حيث جاء في الخبر عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« خالفوا المشركين وقرءوا اللحية واحفوا الشوارب » متفق عليه .
وفي رواية (أحفوا الشوارب وأعفوا اللحية) . . ومعنى احفوا الشوارب خذوا مازاد عن الحافة فيها ، أما حلق الشوارب كاملة فهي بدعة لم تكن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم .

وهكذا نلاحظ أن تكريم اللحية واحترامها يرجع الى أن الدين الاسلامى حث على بقائها وعدم الاستهانة بها . ولأن اللحية لديهم تمثل الشرف والكرامة والرجولة ، كانت من السمات التى كانت تميز الرجال فالمثل الشعبى يقول (سبحان من زين الجبال بحياها والرجال بلحاها) والحيا هنا المقصود به العشب الذى ينبت على سفوح الجبال فيعطى للجبال منظرا جميلا ، وكثير ما كان يشتم الرجل ويهزأ بالقول (أزلق الدقن) بمعنى حليق أو عديم الدقن . وأثل العقوبات فى القانون القبلى هى (الغرامة) التى كانت توقع من أجل المخالفات الصغيرة كالاعتداء على منطقة رعى أو أرض زراعية بماشية ترعى فيها . (أنظر تفصيل ذلك فى فصل الانساق — نظام الملكية ص ١٤٣) .

وليست سلطات شيخ القبيلة محصورة فقط فى إصدار الأحكام بالعقوبات لكنه كان صاحب رأى النهائى فى الأحكام التى يصدرها مجلس القبيلة وله حق الاعتراض عليها اما بزيادتها أو التخفيف منها حسب ما تمليه المصلحة العامة . كما أنه هو الذى كان يصدر أوامره بإعلان الحرب أو السلم ، وهو الذى يتحدث باسم القبيلة لدى القبائل الأخرى . وهو الذى كان يقر أو يرفض الحلف مع قبائل أخرى . .

وبمعرفة الشيخ كان يتم اختيار الشباب وتدريبهم للحروب ، وكان منزله هو الوحيد الذي تعقد فيه الاجتماعات الخاصة بالقبيلة أو عندما يقد أحد من خارج القبيلة لأبرام صلح أو التفاهم حول أمر من الأمور ، وكان من سلطته أنه هو الذي يوزع المراعى بين الوحدات الاجتماعية المختلفة فى القبيلة ، وكان من حقه أيضا أن يسمح لأى قبيلة أخرى بالرعى فى أراضي قبيلة فى حالة اصابة أرض الأولى بالجذب •

ويقول الاخباريون أنه كان لدى شيخ القبيلة السجن الخاص للجنة والخارجين على القانون يقوم عليه مجموعة من العبيد كسجانين ومنفذين للعقوبات التى يصدرها مجلس القبيلة وشيخها •• ولذلك فقد كان الفرد الذى تسول له نفسه بارتكاب جرم يخرج به على القانون يتراجع عندما يتذكر بأن سجن الشيخ ينتظره وبأن العقوبة ستنفذ بصرامة متناهية •

وكانت تحال الى شيخ القبيلة كل مشكلات الطلاق والفقه والميراث وتوزيع التركات والديات ويستعين الشيخ فيما خفى عليه من هذه الأمور بـ (الفقيه) وهو الرجل الذى عنده المام بأمور الدين فيستشير الفقيه فى ذلك وينفذ الشيخ ما يحكم به الفقيه • ويشترط فى الفقيه هذا أن يكون على قدر من الصلاح والعلم والعدالة وهو الدور الذى يقوم به القاضى اليوم وتنفذه السلطة الادارية الرسمية فى الحكومة •

وليست قاصرة سلطات شيخ القبيلة على الأمور الداخلية اذ ربما اقترف شخص من قبيلته جريمة وقع ضررها على شخص من قبيلة أخرى وعندها فان الواجب يقضى على الشيخ بأن يلقي القبض على الجانى ويسلمه الى القبيلة الاخرى للقصاص منه وبعد أن يقوم بهذا الواجب يبذل وساطته الى نظيره الآخر للتخفيف عن الجانى ، لكن الامور فى بعض الاحيان ليست سهلة اذ ربما قامت الوحدة الاجتماعية التى ينتمى اليها الجانى باخفائه والتستر عليه والتمرد على أوامر الشيخ بتسليمه وعندها يرسل الشيخ عبيده لاحتضار الجانى فتدور معركة بين أفراد الوحدة

الاجتماعية وبين مندوبى الشيخ . لكن الشيخ فى النهاية يصل الى الجانى وذلك عن طريق المقاء المقبض على أحد أقاربه والاحتفاظ به « كرهينة » لحين تسلم الجانى الحقيقى ، وعلى الرغم من كل ذلك ، فان الامور كانت تسوى غالبا خاصة اذا أدرك أفراد الوحدة الاجتماعية أن تسليم الجانى يعود عليهم بالهدوء والطمأنينة والا أصبحوا تحت طائلة التهديد باختطاف أحد منهم وانزال العقوبة عليه .

وكان الشيخ — أحيانا — يطاول التستر على الجانى خاصة اذا كان الجانى من الرجال الذين يمارسون أدوارا هامة فى القبيلة كأن يكون محاربا شجاعا فيختار رجلا آخر أقل منه شأنا ويسلمه للوحدة الاجتماعية المعتدى عليها على أساس أنه هو الجانى الحقيقى ويطلب ايقاع العقاب عليه . ويمر هذا التصرف على القبيلة الاخرى التى لا تكون على يقين من شخصية الجانى الحقيقى ..

ولهذا الدور الهام الذى يلعبه شيخ القبيلة كان لابد أن يخضع منصب المشيخة لعدة اعتبارات هى :

١ — أن يكون الشيخ من عصابة أقوى من غيرها فى القبيلة وغالبا كان هذا الأمر يؤخذ فى الاعتبار اذا كانت القبيلة فى حالة حرب أو فى انتظار وقوع حرب جديدة مع قبائل أخرى ، ذلك لأن هذه العصابة القوية لديها أكبر عدد من الأفراد الذين سيشاركون فى الحرب بحماس شديد اذا كان الشيخ من عصبتهم .

٢ — أن يكون الشيخ من أفضل أفراد القبيلة حكمة وحسن قول وبعدا عن التهور ، خاصة وأنه هو الذى ينوب عن القبيلة لدى القبائل الاخرى للتفاوض فى الشؤون العامة وحل المشكلات الطارئة . حيث كان يستدعى شيخ القبيلة من طرف شيوخ القبائل الاخرى ليشارك بالاسهام بالرأى فى حل مشكلات تخص تلك القبيلة ، وبما انه يمثل القبيلة كلها ، فان الواقع يفرض اختياره أن يكون على قدر كبير من المعرفة وأن يحسن التحدث بطلاقة وأن يكون ملما بأمور الدين والقانون القبلى .

٣ — أن يكون شيخ القبيلة ممن لديهم فائضا ماديا ، ذلك لان منصبه يحتم عليه القيام بأدوار معينة ، منها أن يستقبل الوفود من القبائل الاخرى لاي غرض كان ، فلا بد أن يكرم هؤلاء الضيوف .
والا اتهمت القبيلة بالبخل والتقصير .

على أن هذه الاعتبارات ان توغرت في شخص وانتخب لشغل منصب شيخ القبيلة فان ذلك لا يكون مبررا له أمام مجلس القبيلة لارتكاب أعمال مخالفة ضد أي فرد . قام بعمل غير لائق فان للمجلس الحق في تنحيته واختيار البديل كما أشرنا الى هذه الحادثة عند الحديث عن الضبط الاجتماعي في الفصل الثاني من الباب الاول .

وحدات البناء السياسي في بني كبير :

تعرفنا في الصفحات السابقة الى الدور الذي يمارسه شيخ القبيلة ، وعلينا الانتقال الى دراسة البناء السياسي نفسه الذي يقودنا بالتالي الى فهم طبيعة النسق السياسي .. ومن غير شك فان الدراسات السابقة عن النسق السياسي أفادتني الى حد كبير ، عندما تعرفت على الآراء المتضاربة سواء في تعريف النسق السياسي نفسه أو أشكاله وصوره المختلفة ..

ولست بحاجة الى ترديد تلك الأقوال التي تترخ بها كتب الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع .. وفي اعتقادي بأن هؤلاء لم يتوصلوا بعد الى اتفاق على رأي محدد في هذا المجال ، وان كنت اعتقد بأن التركيز على الدراسات الحقلية هو الذي سيقود في النهاية الى الرأي المنشود في النسق السياسي . غير أنه تبقى هناك مشكلة أخرى لاتزال قائمة وهي « اختلاف المجتمعات الانسانية نفسها ، واختلاف نظمها الاجتماعية ووسائل الضبط الاجتماعي فيها ، والديانة السائدة في كل منها وحاجة كل مجتمع من هذه المجتمعات الى وجود تنظيم سياسي أو نسق للتحكم في العلاقات بين الجماعات المختلفة وتوجيه علاقات أعضاء كل جماعة من تلك الجماعات التي تؤلف المجتمع الكبير .

ومجتمع بنى كبير • مجتمع « انقسامى » تتعدد فيه الوحدات الاجتماعية وتتفرع الى فروع أصغر كلما اتجهنا نحو القاعدة • ويرتبط بذلك انقسام مكاني أيضا •

وتيسيرا للدراسة والفهم اخترت (بدنة بالحارث) لتفصيل هذا البناء •• فقد سبق أن بدنة بالحارث احدى البدنات الثلاث التي تشكل قبيلة بنى كبير ، وقلنا أنها تتشكل من ثلاث قرى فى بنى كبير الحاضرة هى « العبادل — الحبيس — الفلاح » فاذا بدأنا بالفرد فى القرية نجد أنه يحتل مكانة هامة ذلك لأن الاهتمام بالأفراد انما هو اهتمام بوحدة القبيلة وتماسكها •• فعلى الرغم من الانقسام الذى سنشير اليه ، ووجود الصراع بين الوحدات الاجتماعية فان فكرة الاسرة والعائلة تتضمن فى الوقت نفسه فكرة التضامن والتعاون • وهما أمران يحتمان على الافراد السرعة فى تسوية الخلافات • والقضاء على أسباب الصراع • دون تدخل طرف خارجي •

وليس من الصعب الى درجة كبيرة التفريق بين دائرة القرابة والسياسة فى مجتمع بنى كبير ، وذلك على الرغم من أن العلامات القرابية تميل الى الامتداد والتشعب بطريقة معقدة •

فاذا حددنا موقع هذه البدنة على خارطة بنى كبيرة (انظر الملاحق نجد أن القرى الثلاث التي تشكل هذه البدنة تقع على مسافات متباعدة قياسا الى خارطة بنى كبير الكلية فقريتي الحبيس والفلاح تبعد عن قرية العبادل التي تقع بينهما بمسافة تتراوح بين ٢ : ٣ كم مما يؤكد حدوث انقسام مكاني بهذه البدنة بعد أن تكاثر أفرادها عبر التاريخ فاقترضت المصلحة أن يحدث ذلك الانقسام •

هذه القرى الثلاث تقوم بين الافراد فيها علاقات اجتماعية قوية اذا قيست بالعلاقات بينها وبين القرى الاخرى • التي تشكل بدنتي العلى والجابر •

وتزداد هذه العلاقات قوة داخل القرية نفسها ، ثم تزيد قوة أيضا داخل اللحام نفسها ، ثم داخل العائلات الأصغر فالأصغر .. وإذا أمعنا النظر نجد أن العلاقات الاجتماعية تقوى وتضعف تبعا لقرب أو بعد الانتساب لجد واحد ، فقرية العبادل تنقسم داخليا الى (أربع لحام) تنتسب كل لحمه الى جد واحد وهذه اللحام هي « العطا — العلى بن عبادل — العاقيب — الشعبة » ويقوم بين اللحام الأربع علاقات قوية تتمثل في التعاون المطلق بين أفرادها .

ولو أخذنا بعد ذلك « لحمه العطا » لتعرف الى تقسيمها الداخلى نجد أنها تتكون من وحدات قرابية ترجع الى جد واحد هو الجد الخامس أو السادس ، بمعنى أن هذا التقسيم لا يتجاوز الخمس الى ست طبقات عمرية . وهم « آل أحمد — آل صالح — آل مسفر — آل هيال — آل هندي » . ثم تنقسم بعد ذلك هذه الوحدات الى عائلات أصغر نسبيا فإذا أخذنا « آل أحمد » كمثال نجد انهم ينقسمون الى عائلات فرعية ينتمون الى الجد الثانى أو الثالث وهم « القدران — المسفر — العلى — المارق المليحة — آل عبيد الله » .

ثم انقسمت هذه العائلات مكانيا كل منها الى قسمين ما عدا الأولى فقد انقسمت الى أسر ثلاث ليصبح التقسيم على التوالى : آل فالج . آل صالح . آل ابراهيم . ثم آل سعد وآل حقري ، ثم آل ناصر وآل سالم . ثم آل أحمد وآل سعد ، ثم آل عبد الغنى وآل عبد الرحمن ، وأخيرا آل ابراهيم وآل عبد الله ، وهنا ملاحظة هامة وهى أن التقسيم الأخير معدل أفراد الأسرة الواحدة فيه يزيد عن خمسة أفراد يعيشون عيشة مشتركة .. وأتبع هذا التقسيم خروج عن نطاق العائلة المركبة الممتدة الأكبر الى عائلات ممتدة أيضا ولكنها أصغر نسبيا من سابقتها . وتبعا لذلك فقد حدث استقلال بالارض واستقلال اقتصادى .. ومن عند هذه العائلات أو الاسر الأصغر تبدأ القاعدة فى العلاقات الاجتماعية وهى التى وصفناها بالقوة وكلما صعدنا الى أعلى كلما قلت شدة وقوة هذه العلاقات . وهكذا ..

وما ينطبق على قرية العبادل من تقسيم ينسحب على القرى الأخرى من بدنه بالحارث ، بل تزداد العلاقات الاجتماعية تعقيدا اذا علمنا ان لكل وحدة من هذه الوحدات وحدة قرابية أخرى في قرى الفلاح والحبيس منسقى معها في الجد السابع أو الثامن . وهذا التطابق ينسحب على البدنين الآخرين العلى والجابر ، وبطبيعة الحال فان هذا التقسيم يمد الى بنى كبير البادية .

ونخلص من كل هذا الى القول بأن البناء السياسى فى بنى كبير يبدأ من الفرد الى الأسرة الى العائلة . . الى كل الأشكال والصور التى اوردناها حتى ينتهى الى القبيلة الام .

بمعنى أن الأجزاء تكون التنظيم الكلى ضمن اطار لتليمى محدد أو بعبارة أخرى يمكن أن نقول « بان البناء السياسى لقبيلة بنى كبير يرتبط فى أساسه بثلاث مقومات رئيسية هى النظام القرابى ، والاطار الاقليمى ، والمصالح المشتركة » هذه المقومات بطبيعة الحال استدعت ترتيب الأدوار التى يقوم بها الأفراد ، فكل وحدة قرابية كبير أو رئيس يرجع اليه الأفراد عند حدوث أى طارئ ليفصل فى المسائل ويقدم الحلول . وهو الذى يتم اختياره من قبل رؤساء العائلات لينوب عن القرية فى مجلس شيخ القبيلة الذى أشرنا اليه فى بداية هذا الفصل .

والعائلة تقوم بدور هام فى فض المنازعات التى تقوم بين الأفراد قبل أن يتدخل أحد من (اللحمية) أو القرية أو الفخذ أو البدنة أو شيخ القبيلة . وهكذا نلاحظ ترتيبا فى التدخل فى حل المنازعات تبعا لترتيب دور الأفراد .

وعلى الرغم من هذا فان العائلة نفسها نعتبرها جزءا من النسق القرابى وليست جزءا من النسق السياسى نفسه هذا للنسق الذى يهدف الى المحافظة على نظام المجتمع بالتعاون مع الانساق والنظم الأخرى .

وعذا النسق لا يمكن أن يقوم من غراغ فلا بد من وجود حدود أقليلية ويرتبط بالأفراد الذين يعيشون في هذا الاقليم « الوطن » وبنى كبير تعرف حدودها الاقليمية منذ تاريخ قديم . واما المصالح المشتركة فانها تقتضى في أحيان كثيرة استخدام « القوة » للدفاع عنها أو لتحقيقها ، هذه القوة تستمد من البناء نفسه الذى يتألف من هيئات ومجموعة ووحدات سياسية متخصصة ، وليس معنى القوة هنا القوة الفيزيقية بل قد تتخذ أشكالا مادية أو معنوية أو أدبية يمارسها الرؤساء بهدف المحافظة على النظام الاجتماعى ككل . اما عن طريق القانون أو العرف القبلى أو عن طريق الحرب في حالة الاحساس بالخطر وقد تضطر القبيلة كما هو الحال في المجتمعات الانسانية الى اللجوء الى القوة للمحافظة على هذا النظام وخاصة اذا تكرر خرق القانون . وقد رأينا كيف أن شيخ القبيلة قد يدخل في صراع مع بعض الوحدات الاجتماعية عندما يريد أن يطبق القانون ويقتص من المعتدى .

وبما أن منصب الشيخ في بنى كبير لم يؤخذ عنوة وقهرا . وانما يتم اختيار الشيخ ، ويمكن تنحيته . فهو كما أسلفنا سلطة سياسية مختارة لتنفيذ القانون والمحافظة على النظام الاجتماعى وعلى كيان القبيلة واستمراريته . وذلك على الأقل في المائة سنة الماضية التى استطاع الاخباريون تأكيد عملية انتخاب شيخ القبيلة .

فاننا نرى أن النسق السياسى في بنى كبير ليس مستقلا عن البناء الاجتماعى للقبيلة نفسها ، بل أنه نسق متفاعل مع الانساق الاجتماعية الأخرى وهذه الانساق كلها لها دور سياسى الى جانب الوظائف التى تمارسها والمتعلقة بطبيعة العلاقات القائمة .

الفئات الاجتماعية في بنى كبير :

قلنا في بداية الفصل الثانى من هذه الدراسة بأن مجتمع بنى كبير يعرف نوعا من الفوارق الطبقيه بين فئاته المختلفة . وقد أشرنا الى شيء

من ذلك في حينه • وإذا قارنا هذا المجتمع بغيره من المجتمعات الأخرى التي درسناها كالنويز والطوارق نجد أن الفروق الطبقيّة هنا شيء لا يذكر — لكن ذلك لا يعنى عدم وجود فوارق بين الفئات المختلفة داخل المجتمع •• وقد ذكرنا في أول هذا الفصل بأن مجتمع قبيلة بنى كبير يتكون من قسمين رئيسيين هما بنى كبير الحاضرة وبنى كبير البادية • والبدو جميعا يمارسون مهنة واحدة هي (الرعى) بينما نجد أن الحاضرة يعرغون عدة مناشط اقتصادية كالتجارة والزراعة ودباغة الجلود وصناعة الفخار بالإضافة الى حرف أخرى (انظر تفصيل ذلك في الفصل الثانى من هذا الباب — النسق الاقتصادي) •

والتقسيم الطبقي في مجتمع بنى كبير جاء بناء على هذه المناشط فأصبح في المجتمع أربع فئات بالإضافة الى فئة العبيد التي كانت معروفة وقائمة حتى وقت ليس ببعيد وهذه الفئات هي :

- (أ) فئة التجار والمزارعين •
- (ب) فئة دابغى الجلود •
- (ج) فئة صنّاع الحديد •
- (د) فئة صنّاعى الفخار •
- (هـ) فئة العبيد •

والفئة الأولى التي تضم التجار والمزارعين تأتي في أعلى مرتبة في السلم الاجتماعي ، ولم يخرج منصب شيخ القبيلة عن هاتين الفئتين الى إحدى الفئات الأخرى • ولهؤلاء نظرة خاصة الى الفئات ج . د . هـ •

أما فئة دابغى الجلود فتأتى في المرتبة الثانية بعد التجار والمزارعين والنظرة اليهم ليست كالنظرة الى الفئات الثلاث ج . د . هـ • وتقوم علاقات المصاهرة بين أفراد هذه الفئة الأولى أى أنه يمكن أن يتزوج أفراد من أ ، ب كأن يتزوج الفتى من الفتاة (أ) من فتاة من الفئة (ب)

والعكس • وتفسير ذلك يرجع الى أن أفراد الفئة (ب) ليسوا مهاجرين أو دخلاء على القبيلة بل ان نسبهم يلتقى مع نسب أفراد الفئة (أ) وتتركز مهنة الدباغة بشكل أكثر في قرية (الحدب) وهي احدى القرى التابعة لجدنة العلى •

فئة الصناع • وتأتى في المرتبة الثالثة في السلم الاجتماعى ، ويمارس أفراد هذه الفئة صناعة الحديد كالسكاكين والآلات التى تستخدم لتكسير الصخور وكل ما يستخدمه أفراد القبيلة فى حياتهم اليومية من أدوات حديدية • وأفراد هذه الفئة لا تنشأ بينهم وبين أفراد الفئة أ ، ب أية علاقة مصاهرة فلا يتزوج أفراد أ ، ب من بنات (ج) كما أن بنات أ ، ب لا يتزوجن من أفراد من (ج) وتتوزع منازل أفراد هذه الفئة فى عدد من قرى القبيلة ولا تزيد عن عشرين منزلا فى القبيلة كلها ، ويميل لونهم الى السواد ولهم ملامح خاصة •

فئة صانعى الفخار : يقول الاخباريون عن هذه الفئة أنهم أصلا ليسوا من أبناء القبيلة ولا ينتمون اليها من حيث أنسابهم ، ويتركز هؤلاء فى قرية تقع فى منتصف وادى بنى حبير اسمها (المشاطيه) ولهم أسرة واحدة فى قرية (الحدب) • ويمارس أفراد هذه الفئة وخاصة النساء صناعة الفخار بالطرق التقليدية • وينتجون الانية التى يطهى فيها الطعام والتى كانت شائعة الاستخدام فى القبيلة حتى عهد قريب ، حين عرف السكان انية الطعام الحديثة قبل حوالى خمس عشرة سنة ، وقبل هذا التاريخ كان من النادر جدا أن نجد (حلة) فى بيت فى القبيلة ماعدا القدور الكبيرة التى تطهى فيها الذبائح فى أوقات المناسبات التى تحتاج الى ولائم كالاعراس والختان وما شابه ذلك • وينتج هؤلاء انية مختلفة الأحجام متعددة الأغراض (أنظر شرح ذلك فى فصل الانساق - النسق الاقتصادى) •

ولا تقوم بين هذه الفئة وفتى أ ، ب أية روابط مصاهرة •

فئة العبيد : كان تملك العبيد أمرا ميسورا لمن يملك المال وكانت

ظاهرة الرق منتشرة حتى عهد قريب الى أن كان العام ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤ م ، حين اصدرت حكومة المملكة العربية السعودية في عهد الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود أمرا بتحرير الرق والغائه من المجتمع العربي السعودي ، وكانت بعض الأسر في مجتمع بنى كبير تمتلك أعداد من العبيد يؤدون الخدمات العامة كالزراعة والرعى واعداد الأظعمة وجلب المياه والحطب الى غير ذلك من الخدمات التى تأنف الفئات أ ، ب من القيام بها ، ويأتى هؤلاء فى أدنى مرتبة فى السلم الاجتماعى .

ويمكن أن نقول بصفة عامة أن الفرد فى البناء الاجتماعى القبلى يحتل مكانة هامة يستمد منها من الدور الذى يمارسه فى البناء القبلى ، وهذا لا يعنى أننا نقول بأهمية الفرد فى البناء القبلى ونغفل أهمية الجماعة . أو أن أهمية الفرد تأتى على حساب أهمية الجماعة ، بل أننا نرى أن الاهتمام بالفرد انما هو اهتمام بالجماعة نفسها وبالتالى بالقبيلة كلها .

والأهمية التى يكتسبها الفرد تعود فى الأصل الى قدرته على المساهمة بشكل أو بآخر فى المحافظة على استمرارية بناء ووحدة القبيلة والدفاع عنها .

فبقدر ما يمارسه الفرد من أدوار ، وما يحتله من مكانة اجتماعية تبعا لهذه الأدوار ، بالاضافة الى الفئة التى ينتمى اليها بقدر ما يكتسب أهمية . وبالمقابل فان الفرد الذى لا يمارس دورا هاما ، وبالتالى لا يحتل مكانة اجتماعية ، ولا ينتمى الى فئة قوية تتمتع بمركز اجتماعى جيد ، لا يتمتع بأهمية تذكر فى البناء القبلى . اذن فالاهتمام بالفرد أو عدمه يتعلق بالدور والوضع والمكانة والانتماء لوحدة أو لجماعة معينة . ذلك أن اهتمام القبيلة ينصب بالدرجة الأولى على بقائها وحدة متماسكة قوية ، ولا يحقق لها هذا المطمع الا الأفراد الذين يشكلون الجماعات وهذه الجماعات هى التى تشكل البناء القبلى كله .

دراسة مقارنة :

إذا قارنا البناء القبلي في بني كبير بنظيره في كل من (النوير) و (الطوارق) نجد نقاط التقاء ونقاط خلاف شديدة بين المجتمعات الثلاثة ، فأما نقاط الالتقاء فتنضح في أن كل من القبائل الثلاث يميزها اسم يجمع بين أفراد كل منها ، ويشعرون بالانتماء الى مجتمع معين كما أنه يجمع كل قبيلة اسم خاص . أما السلطة السياسية فهي تبدو للملاحظ الذي ينظر الى المجتمع في مواقف معينة وكأنهم يكونون بناءا هرميا للسلطة بحيث أن هذا البناء جعل أصغر الوحدات تذوب وتتحد في الجماعة . وكما هو الحال في مجتمع النوير وكذا الطوارق فإن الوحدة السياسية في بني كبير هي (القرية) هذه القرية التي كما أسلفنا تتكون من وحدات أو جماعات تربطها وحدة الإقامة المشتركة كما ينتظمها نسق من روابط القرابة ويكون الأعضاء فيها كلا مشتركا يتعاونون في مناسبات اجتماعية مختلفة وبينهم وحدة وشعور عاطفي بالانتماء الاقليمي . والشئ الذي يحكم أو يحدد مدى الوحدة السياسية عند التعرض لمواقف الحرب مثلا هو العلاقة التي تفصل بين الأطراف المتميزة والمراكز النسبية لهم في البناء القبلي . فلو نشأ موقف نتيجة لوقوع حادثة قتل فإن ردود الفعل تتحدد نحو هذه الحادثة تبعا للعلاقة بين القاتل والقتيل والمسافة (البنائية) التي تفصل بين الجماعة التي ينتمي اليها كل من القاتل والقتيل . فقد ينتهي الأمر مثلا بالتنازل أو أخذ الدية أو قد يستدعى الأمر القصاص إذا كانت المسافة البنائية بينهما واسعة . كما أشرنا الى ذلك من قبل .

ويمكن القول بأن نسبة الانتماء السياسي في بني كبير تتحدد في معاني كلمة (الوطن) أو الديرة أو الحمى كما يسمونه مع افتراض نسبية هذا المعنى أيضا . بحيث تنطبق على (اللحمية) في القرية أو الأقسام القبلية الثلاثة التي ذكرناها وصولا الى الاقليم القبلي ككل ، فالكبرى تصدر معاملاته وتصرفاته مع غيره عن قيم الارتباط بوطن معين . يضيق مداه ويتسع طبقا للمسافة البنائية الفاصلة بينه وبين الذي يتعامل

معه . فهو كبيرى حينما يتعامل مع كبيرى مثله وهو ينتمى الى بدنة معينة عندما يتعامل مع فرد من بدنة أخرى من نفس القبيلة . وهو ينتمى الى قرية معينة عندما يتعامل مع فرد من قرية أخرى بل هو من لحمة معينة عندما يتعامل مع آخر ينتمى للحمة أخرى ولو من نفس القرية وذلك هو ما يميز الوحدة السياسية والبناء القبلى فى هذا المجتمع .

فأفراد العائلات المختلفة الذين ينتمون الى قرية واحدة والذين ينقسمون نتيجة لنزاع داخلى يحدث بينهم يلتحمون ليكونوا كلا سياسيا يمثل القرية فى مواقف النزاع التى تتعلق بجماعة تنتمى الى قرية أخرى وهكذا . وهذا ما يمكن أن نسميه أو هى تعبر عن نفسها بخاصيتى الانقسام والالتحام وهما خاصيتان تميزان الوحدة السياسية والبناء القبلى .

وأما أبرز نقاط الاختلاف فأولها يتعلق بالقانون والعرف القبلى ذلك أنه القانون والعرف فى مجتمع بغى كبير مستمد فى أساسه من الدين الاسلامى على العكس من القانون فى المجتمعين المشار اليهما وبهذا يختلف النظام الاجتماعى بين هذه المجتمعات وبعضها ، ويقوم الزعيم « ذى جلد الفهد » فى مجتمع النوير بدور يشبه الدور الذى يقوم به (الفقيه) فى مجتمع بنى كبير كما يشبه أيضا الدور الذى يلعبه شيخ القبيلة الا أن وجه الاختلاف هنا بين الزعيم ذى جلد الفهد وبين الفقيه وشيخ القبيلة يرجع الى أن الأول يرجع سبب الاحترام والتقدير له الى فكرة ارتباطه بالأرض وهو ارتباط مقدس لدى مجتمع النوير . وفى نفس الوقت فان للقبيلة فى مجتمع بنى كبير شيخ واحد ولكن فى مجتمع النوير يكثر الزعماء ويتعددون مما قد يسبب اختلافات كثيرة فى رأى بين هؤلاء الزعماء ، واما الفقيه فى مجتمع بنى كبير فيعود أهمية المركز الذى يحتله الى الناحية الدينية التى يتمتع بها وقدرته على فهم الأحكام الشرعية وسرعة البت فى المشكلات التى تطرأ فى ضوء هذا الفهم وفى حدود هذه المعرفة . ومن ناحية أخرى فان الفقيه لا علاقة له بالوظائف

السياسية التي يمارسها الزعيم ذى جلد الفهد ويعرف مجتمع النوير وكذا الى حد بعيد مجتمع الطوارق مراكز أخرى كالمركز الذي يحتله « الكاهن » وكذا رجل الماشية ولهذين المجتمعين اعتقادات مختلفة الصور في الرجلين الذين يشغلان هذين المركزين . في حين أنه لا وجود أصلا لمثل هذين المركزين في مجتمع بنى كبير .

وإذا أردنا المقارنة بن شيخ القبيلة والزعيم ذى جلد الفهد نجد أن الأول يتمتع باحترام وتقدير في أوقات السلم والحرب في حين أن الزعيم ذى جلد الفهد يفقد مكانته هذه في أوقات السلم ولا يتنبه الناس إليه الا عند الحاجة والضرورة كأن تقع حادثة قتل أو نشوب حرب في المجتمع .

ويعرف النويريون كذلك نظام (طبقات العمر) وتقوم بين هذه الطبقات علاقات وروابط . لا يوجد نظير لها في مجتمع بنى كبير حيث أنه يحرم على الفتى في مجتمع النوير الزواج بفتاة من نفس طبقة عمره . أو أن يتصل بها جنسيا ، ذلك لأن هذه الفتاة من وجهة نظر النويريين (ابنة لهذا الفتى) . ومن ناحية أخرى فان سبب قوة الروابط والعلاقات بين الذكور في الطبقة الواحدة في النوير ترجع الى أنه أريقت دماء هذه المجموعة في وقت واحد عندما أجريت لهم (عملية قطع الجبهة) وهي العلامات المميزة في الحياة لدى مجتمع النوير .

أما في مجتمع بنى كبير فان طبقات العمر بالمفهوم السائد لدى مجتمع النوير ليست معروفة .

لكن ذلك لا ينفي وجود هذه الطبقات ، فأول تمييز بين هذه الطبقات هو ما تعلق بالنوع والتفرقة بين الذكور والاناث ، ذلك أنه اذا ولد لأحدهم مولود ذكر فان البشرى تعم الجميع على عكس المولودة الانثى التي لا تلقى منهم نفس الاهتمام . وفي اليوم السابع من تاريخ ولادة الذكر تذبح الأغنام احتفالا بهذه المناسبة السعيدة . وتجري للمولود عملية (الطهارة أو الختان) ويحضر « أخواله » وهم أهل أمه

للمشاركة في هذه الفرحة ويقدمون الهدايا المكونة من رؤوس الماشية والحبوب والأقمشة والنقود ، وبما أنهم لم يكونوا يهتمون كثيرا بتاريخ الأيام والشهور فان تاريخ ولادة أحدهم كانت ترتبط باحدى المناسبات الهامة كأن يلد فرد أو مجموعة من الأفراد أثناء وقوع حرب بين القبيلة وقبيلة أخرى أو في حالة عطول أمطار غزيرة أحدثت أضرارا بالغة بأراضي القبيلة وممتلكاتها . أو في حالة حدوث قحط أو أعقبته مجاعة وأكل الناس أصنافا معينة من الحبوب . فيقال مثلا أن فلانا وفلان (فرد أو جماعة) ولدوا أثناء حرب (العوقة) وهي حرب مشهورة وقعت بين قبيلة بنى كبير وقبيلة مجاورة واستمرت مدة طويلة وذهب ضحيتها مجموعات كبيرة من الطرفين ، فأصبح تاريخ ميلاد هؤلاء محدد بالهرب أما أثناءها أو قبلها بقليل أو بعد توقفها بفترة قصيرة .

وبالمثل فانه يقال أن هذا أو ذاك ولد زمن (سيل الأربعاء) لأنه هطلت أمطار غزيرة وبشكل غير مألوف أحدثت أضرارا كبيرة في يوم أربعاء في احدى السنوات . فأصبحت هذه الحادثة تاريخا لديهم . أو أن يقال أن هؤلاء ولدوا زمن (الحمرية) وهي صنف رديء من الحبوب أكله الناس بعد أن أصاب الأرض قحط شديد قضى على المحصولات الزراعية ولم يكن للأرض من انتاج محاصيل جديدة فاضطروا الى استيراد هذا الصنف من الحبوب من أماكن أخرى كقوت لهم فأصبح لهذا الصنف الرديء من الحبوب تاريخه المشهور .

ولا تقوم بين المشتركين في زمن واحد للميلاد أية علاقة خاصة أو ينشأ بينهم نظاما للمحارم كتلك التي يعرفها النويريون وانما كل الذي يجمعهم هو الذكرى فقط أو مرحلة الطفولة أو زمن الشباب وهكذا . .

وان حدث ان قامت علاقة خاصة بين فرد وآخر فانما تعود الى أن تساوى عمريهما بالاضافة الى مكان اقامتهما المشترك أتاح لكل منهما (أن يرضع من ثدى أم الآخر) فيصبح كل منهما أخا للآخر . وهنا يخضعان لنظام المحارم في الاسلام ولا شيء خلاف هذا . .

وأما مراحل العمر التالية وهي مرحلة الطفولة والشباب والشيخوخة فهي تتميز بعلاقة اجتماعية تتضح في جماعات اللعب في مرحلة الطفولة . فأبناء طبقة العمر الواحدة يشتركون في جماعة لعب واحدة ويقومون أيضا بنشاط متشابه كأن يساعدوا أسرهم في سقيا الحيوانات أو رعى صغار الأغنام كما سنوضح ذلك عند الحديث عن النشاط الاقتصادي . أما مرحلة الشباب فهي التي تتميز بعلاقة أكثر وضوحا ذلك أنه في زمن الشباب كان أبناء طبقة العمر الواحدة يحملون السلاح ويشاركون في الدفاع عن القبيلة وأرضها . وربما سقط أحدهم قتيلًا في إحدى المعارك وفي موته ضرر للجماعة ونقص في عدد المحاربين ولهذا فإن العلاقة بين هؤلاء في مرحلة الشباب تكون علاقة مصير مشترك فيدافع كل منهم عن الآخر ويترتب على ذلك نشوء علاقة قوية .

أما في المرحلة المتقدمة من العمر فإن الذكرى تجمع أفراد هذه الطبقة . وبما أنهم أدوا واجبهم في مرحلة الشباب وقاموا بالدفاع عن القبيلة وأرضها فإن مكانتهم الاجتماعية محفوظة ويتمتعون باحترام وتقدير الجميع . إذ أضفنا إلى ذلك أن العمر الطويل قد أكسبهم الكثير من التجارب والخبرات التي يقدمونها بدورهم للأفراد الأصغر منهم سنا . وهم الذين يشكلون مجلس شيخ القبيلة الذي كثيرا ما يأخذ بأرائهم ومقترحاتهم ويسير على ضوءها في تسيير دفة أمور القبيلة . .

ويعرف كل من مجتمع النوير ومجتمع الطوارق نظام (الانتساب إلى الأم) بل إنه في مجتمع الطوارق تنتقل السلطة السياسية لديهم في خط الاناث في حين أنه لا وجود لمثل هذا النظام في مجتمع بنى كبير ، ولم نجد أيضا (على قدر جهدنا) في كتب التاريخ القديمة والحديثة ما يشير إلى وجود نظام الانتساب إلى الأم في مجتمع بنى كبير . .

ولعل سبب وجود هذا النظام في كل من النوير والطوارق يعود إلى وجود نظام الزواج من الخارج تبعا لنظم المحارم هناك . في حين أنه لا وجود لمثل هذا النظام الإلزامي في مجتمع بنى كبير ، فالرجل في

مجتمع بنى كبير يستطيع الزواج من أى امرأة يشاء من داخل وحدته الاجتماعية ماعدا - المحرمات شرعا - وهن الأم والخالة والعمة والأخت والبنت وبنات الأخ وبنات الأخت والأخت فى الرضاع وزوجة الأب وزوجة الابن الى غير ذلك من المحرمات فى الشريعة الاسلامية .

وعرف مجتمع النوير ومجتمع الطوارق كذلك (شعارا) يميزهم عن غيرهم من المجتمعات منها ما تعلق بالملبس كما هو الحال فى مجتمع الطوارق أو ما تعلق بالعلامات المميزة على الجبين والخدين كما هو فى مجتمع النوير .

وفى مجتمع بنى كبير لا وجود لمثل هذه العلامات المميزة ولا لأى شكل آخر من أشكال علامات التمييز وما يميز أبناء القبيلة عن الآخرين هو الانتماء الى الأرض والنسب الواحد المشترك فقط .

ويمتاز مجتمع بنى كبير عن غيره من المجتمعات التى أشرنا اليها فى بداية الفصل الثانى من الباب الأول من هذه الدراسة ، من حيث أن المجتمعات القبلية فى النوير والطوارق مجتمعات بدوية رعوية تعتمد فى المقام الأول فى حياتها الاقتصادية على الرعى وتربية الماشية والقنص ، ولا تمارس الزراعة الا على نطاق ضيق فى مجتمع الطوارق ، بينما نجد أن مجتمع بنى كبير مجتمع قبلى لكنه ليس مجتمعا بدويا بالمفهوم الاجتماعى ، لان قسما من هذا المجتمع وهو بنى كبير الحاضرة يمارسون الزراعة وأنشطة أخرى مختلفة بالاضافة الى ممارسة مهنة الرعى وتربية الماشية . اذن فليس شرطا أن يكون المجتمع القبلى مجتمع بدوى كما هو السائد فى الكتابات الانثروبولوجية والاجتماعية (انظر خاتمة هذه الدراسة) والنقطة الثانية المميزة لمجتمع بنى كبير عن غيره من المجتمعات المشار اليها أن منصب شيخ القبيلة ليس له علاقة بالارتباط بالأرض أو بالقدسية المعروفة لدى مجتمع النوير ، فالشيخ هناك أو الزعيم ذى جلد الفهد لم تسجل الدراسات حادثة واحدة لخلع أى منهما من منصبه لأى

طرف ثان . في حين أن منصب شيخ القبيلة في بني خبير متعلق بالبناء الاجتماعي نفسه وبتحقيق الضبط الاجتماعي في القبيلة ، وحادثه خلع الشيخ التي سبقت الإشارة إليها تؤكد هذا الاتجاه وتتفق معه تماما .

ونقطة أخرى تبين عمق الاختلاف بين مجتمع بني كبير ومجتمع الطوارق على وجه الخصوص ، وهي أن للمرأة في مجتمع الطوارق مكانة خاصة لدرجه ان انتساب اولادها يعود الى قبيلتها الأصلية مع الغاء الانتساب الى وحدة الأب الاجتماعية . وهذا ما جعل منصب الشيخ لديهم ينتقل في خط الاناث دون الرجال ، على عكس مجتمع بني كبير . وهذه الأهمية للمرأة في الطوارق تعود الى أن للمرأة في مجتمع الطوارق وضع خاص ليس معروفا لدى مجتمع بني كبير من ذلك مثلا أنه لا مانع لدى الطارقي أن يرى زوجته تجلس في خلوة مع آخر وتطارحه ما تشاء من الحديث . دون ان يثير ذلك شيئا لدى الرجل الطارقي .

والحيوانات لدى مجتمعي النوير والطوارق لها أهمية خاصة . خاصة الأبقار لدى مجتمع النوير ، فهي أساس الحياة الاجتماعية هناك وهي المهر الذي يقدم للفتاة وهي مقياس للمكانة الاجتماعية لدى النوير . في حين أنه في مجتمع بني كبير توجد أهمية خاصة للحيوانات ولحنها لا ترقى الى نفس مستوى الأهمية لدى المجتمعين السابقين ، فالأهمية الخاصة للحيوانات تتمثل في أهميتها لآكرام الضيف ، وتقديم المساعدات للآخرين الى غير ذلك من الأمور ذات العلاقة الاقتصادية .

وأخيرا فان نظم القرابة في مجتمع بني كبير تختلف عن مثيلاتها في هذين المجتمعين وربما في مجتمعات أخرى كثيرة فالقبيلة في بني كبير تبدأ أقسامها على الشكل التالي :

القبيلة ← البدنات ← الفخوذ ← اللحام ← العائلات
الكبيرة الممتدة ← العائلات الممتدة الأصغر نسبيا ← ثم الأسر

وينضوى تحت هذه التقسيمات تقسيمات أخرى فرعية (انظر بداية هذا الفصل وانظر أيضا النسق القرابي في الفصل الثاني من هذا الباب) .

هذه أهم نقاط التمييز بين مجتمع بني كبير والمجتمعات الأخرى التي أشرنا إليها . بالإضافة الى نقاط اختلاف أخرى تمتاز بها المجتمعات القبلية داخل المملكة العربية السعودية عن غيرها من المجتمعات المحلية الأخرى .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الباب الثاني

البناء القبلي : تحليل بنائي وظيفي

الفصل الأول : دراسة التغير البنائي في القبيلة من سنة ١٩٣٠ – ١٩٧٨

الفصل الثاني : الأنساق

رفع
عبد الرحمن الخوري
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الباب الثاني

البناء القبلي

تحليل بنائي وظيفي

الفصل الاول

دراسة التغير البنائي في القبيلة من ١٩٣٠ - ١٩٧٨

تمهيد : التغير الاجتماعي والتغير البنائي :

قال « هيرقلطيس » الفيلسوف (٥٤٠ - ٤٧٥ ق.م) ان التغير قانون الوجود وأن الاستقرار « موت وعدم » ومثل لفكرة التغير بجريان الماء فقال ، :

« انك لا تنزن النهر الواحد مرتين ، فان مياه جديدة تجرى من حولك أبدا » وهذا يعنى أن التغير ظاهرة طبيعية تخضع لها جميع مظاهر الكون ، والمجتمعات الانسانية بجميع ظواهرها خاضعة للتغير المستمر . أما الجمود فأمر لا يمكن التسليم به أو الموافقة عليه . غير أنه يمكن القول بأن هناك ظواهر أسرع في تغيرها من ظواهر أخرى .

ولابد لأي مجتمع أن يصيبه نوعا من التغير الاجتماعي جيلا بعد جيل ذلك لان أعضاء المجتمع دائبون على البحث عن أفكار وطرق جديدة يطبقونها في حياتهم وهذا يعنى أنه ليس هناك مجتمعا يظل ساكنا أو جامدا (١) .

(١) هيرسكوفتز ملفيل ج Herskovits, Melvill J. عمليات التغير الثقافي ، بحث في « لنتون ، رالف » الانثروبولوجيا وأزمة المعالم الحديث . ترجمة . عبد الملك الناشف . المكتبة المصرية . ١٩٦٧ بزوت ص ٢٥٣ .

ومع هذا فقد تصور كثير من الباحثين في ميدان التغير الاجتماعي في الدول النامية أن التغير الاجتماعي ظاهرة حديثة تعود الى نهاية الحرب العالمية الثانية والنظر الى المجتمع الريفي - فيما قبل عملية التحديث «Modernization» - كما لو كان مجتمعا ساكنا أو تقليديا (١) .

لكن التخلف شأنه شأن التقدم « عملية تاريخية كلية وشاملة ، مترتب عليها حقيقة أساسية هي ان الدول المتخلفة التي ظلت خاضعة لسوى أجنبية قد تعرضت لتغيرات عميقة برغم حالة التخلف التي عاشتها ، والتي امتدت لقرون عديدة من التبعية والخضوع ، ومن الطبيعي أن يكون القطاع الريفي والبدوي في الدول النامية أول من تأثر بهذا الخضوع . ولقد ظهرت المجتمعات البدوية والريفية في الدول النامية وكأنها مجتمعات جزئية « غير مرتبطة بالمجتمع الكلي من خلال أساليب الاتصال والاسواق وبناء القوة ، واذا ما استثنينا بعض القطاعات القبلية والبدوية - المنزلة - نسبيا فسوف يتضح أن الغالبية من سكان الريف في الدول النامية مرتبطة بعلاقات خضوع واضحة في المراكز الحضرية . ويصعب فهم التغيرات الاجتماعية في الدول النامية وعلى الخصوص في قطاعاتها الريفية والبدوية . ما لم يؤخذ في الاعتبار فهم التطورات التاريخية التي ساهمت في تشكيل البناء الطبقي والثقافي داخل المجتمع الكلي (٢) .

التغير الاجتماعي :

يرى بعض الباحثين أن التغير الاجتماعي يشير الى « نمط من العلاقات الاجتماعية في وضع اجتماعي معين يظهر عليه التغير خلال فترة

(١) السيد محمد الحسيني « القرية في الدول النامية ، تطيل نقدي بنائي لبعض اتجاهات التغير الاجتماعي » بحث في السيد الحسيني وآخرون « دراسات في التنمية الاجتماعية » . دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٧٧ ط ١ ص ٢٨٧ .

(٢) لسيد الحسيني . نفس المرجع ص ٢٨٤ .

محددة من الزمان (١) بينما يرى عالم الاجتماعى الفرنسى « جى روشيه » بأن التغير الاجتماعى هو بالضرورة ظاهرة جمعية ، أى هو الذى يحدث فى البناء الاجتماعى فى فترة زمنية ، لكنه يتميز فى الوقت نفسه بالاستمرارية والنسبية .

وعرّفه « سلفادور جينى » على أساس أن أبعاد التغير الاجتماعى تتمثل فى تحولات بنائية عبر التاريخ . ويرى أنه اذا نظرنا الى التغير فى سياقه التاريخى فاننا نجد أنفسنا أمام سياق يمكن أن نطلق عليه مفهوم التغير الاجتماعى . ومن هنا يمكن لمفهوم التغير الاجتماعى أن ينطبق على مفهوم « التطور الاجتماعى » أى التغير التدريجى للمجتمع . كما ينطبق أيضا على مفهوم « الثورة » أى التغير السريع .

ومن ناحية أخرى لا يوافق عدد من رواد علم الاجتماع على تطابق مفهوم التغير الاجتماعى مع التطور الاجتماعى أو التقدم الاجتماعى ، ذلك لأن التغير الاجتماعى قد يكون ارتقاءا وتقدما وقد يكون نكوصا وتخلفا لان المجتمعات تشهد التحسن والارتقاء فى بعض مظاهر حياتها وتأخرا وتخلفا فى البعض الآخر ، أما كلمة تقدم «Progress» فهى تشير الى جانب واحد من جوانب التغير الاجتماعى هو الارتقاء فقط .

كما أن « كنجسلى ديفيز » Kingsley Davis قد عرفه بأنه عبارة عن التحول الذى يقع فى التنظيم الاجتماعى سواء فى تركيبه أو بنائه أو فى وظائفه (٢) ومما سبق يتضح لنا أن التغير الاجتماعى عملية شاملة فى المجتمع تؤدي الى حدوث تغيرات بطيئة أو سريعة فى تركيب المجتمع وفى بنائه ووظائفه . ولكى نفهم «التغير البنائى» لابد أن نلم أولا بمفهوم البناء الاجتماعى بعد أن رأينا شمولية التغير الاجتماعى وحتميته .

(١) محمد عاطف غيث . « التغير الاجتماعى والتخطيط » .. ص ١٧ مرجع سابق .

(٢) انظر : محيى الدين صابر . التغير الحضارى وتنميته المجتمع ، سرس الليان . مركز تنمية المجتمع فى العالم العربى . ١٩٦٢ ص ٧٣ .

مفهوم البناء الاجتماعي :

يرى « راد كليف براون » أن كلمة « بناء » تشير بالضرورة إلى نوع من التنسيق أو الترتيب بين « الأجزاء » التي تدخل في « الكل » الذي نسميه « بناء » وعلى هذا الأساس يكون للمقطوعة الموسيقية بناء وللجملة أيضاً . ذلك لان هناك علاقات وروابط معينة تقوم بين هذه الأجزاء التي تؤلف الكل وتجعل منه « بناء » متماسكا ومتميزا . ويقتضى هذا المفهوم تكون الوحدات الجزئية الداخلة في تكوين البناء الاجتماعي هي « الأشخاص » أي أعضاء المجتمع الذي يحتل كل منهم مركزا معيناً ويؤدي دورا محددا في الحياة الاجتماعية . أما الانسان « كفرد » فانه لا يعتبر جزءا مكونا في البناء الاجتماعي . اذ ان المهم هم أعضاء المجتمع من حيث هم أشخاص « Persons » وليس من حيث هم أفراد Individuals . والفرقة هنا تعني أن الانسان « كشخص » هو عبارة عن مجموعة من العلاقات والسلوك داخل المجتمع أما من حيث هو « فرد » فهو كائن بيولوجي يتخذ وحدة للدراسة البيولوجية .

وسواء كان البناء الاجتماعي يتألف من وحدات هي الأشخاص أو الجماعات الاجتماعية Social groups وهي التي تتألف بدورها من اشخاص فالشيء المهم في دراسة البناء الاجتماعي هو « العلاقات والروابط الاجتماعية المتبادلة بين هؤلاء الأشخاص أو تلك الجماعات الاجتماعية » .

فالعلاقات التي تقوم بين « الوحدات » هي الشيء الذي يمكن دراسته عن طريق الملاحظة المباشرة ، ويصدق ذلك على العلاقات القائمة بين الزمر الاجتماعية كما يصدق على علاقات الأشخاص أحدهم بالآخر أو العلاقات الثنائية Dyadic relationships كما يسميها « براون » .

اذا فهذه الشبكة الكلية المعقدة من العلاقات « التي تتركز أصلا على العلاقات الثنائية » هي موضوع « البناء الاجتماعي » في نظر

« راد كليف براون (١) » .

أما « ايفانز برتشارد » فيرى أن البناء الاجتماعي عبارة عن « نسق اجتماعي يتميز بدرجة معينة من الثبات والاستمرار ، ويتألف من جماعات وزمر مثل العشائر والقبائل والامم التي تقوم بتنظيم علاقات الافراد ببعضهم داخل نطاقها ، كما يسمح بالتكيف الخارجى مع البيئة الطبيعية وبالتكيف الداخلى بين الافراد أو الجماعات (٢) » .

وقد لخص « راد كليف براون » تصوره الشامل للبناء الاجتماعي في النقاط الرئيسية التالية :

١ - أن البناء الاجتماعي يشمل الجماعات المستمرة في الوجود لفترة كافية من الزمن وهذه الاشكال تعرف بالاشكال المورفولوجية للمجتمع الانساني وهي عبارة عن كتل انسانية في وحدات اجتماعية مختلفة في الحجم والوظيفة .

٢ - أن البناء الاجتماعي يشمل كل العلاقات بين فرد وآخر من أعضاء مجتمع معين .

٣ - ظواهر التنوع بين افراد وجماعات مجتمع ما هذه الظواهر هي التي تحدد الادوار الاجتماعية التي يقوم بها الافراد والجماعات في المجتمع الواحد . بحيث تنتمي كل مجموعة من الادوار الاجتماعية الى مراكز اجتماعية يحددها المجتمع مثل تحديد المراكز الاجتماعية التي يشغلها الرجال وكذلك الادوار التي تشغلها النساء وكذا الاطفال والشباب والشيوخ (١) .

(١) احمد ابو زيد ، البناء الاجتماعي - المنهومات ، مرجع سابق ص ٢٤ - ص ٢٦ .

(٢) عاطف وصفى - الانثروبولوجيا الاجتماعية - مرجع سابق ص ٨٠ .

(١) انظر تفصيل ذلك في Radcliffe. Brown. Structure and Function In primitive Society, Cohen and west, 1953 p. 188-204.

أما « إيميليو وليمز » فيرى أن مفهوم البناء الاجتماعي يتضمن السيطرة والتبعية ، والطبقة والتدرج والسلطة والدولة . حيث يرى أن البناء الاجتماعي عبارة عن مجموعة من المراكز التي تربط بين الأفراد والجماعات في مجتمع معين . كما أنه يمثل المظهر السكوني للنظام الاجتماعي الذي يشمل جميع العلاقات الأساسية ، والتي تنتقل عبر الأنماط بين أفراد الجماعة الواحدة وبين الطبقات الاجتماعية في نفس المجتمع وهي علاقات تتضمن الواجبات والحقوق المقررة اجتماعيا والتي تحدد مركز الفرد في مختلف الجماعات المتكامل فيها ، كما تحدد مراكز الجماعات في نفس المجتمع الواحد .

ويرى عالم الاجتماع الإنجليزي ت. ب. بوتومور « T. B. Bottmor » أن أكثر التصورات أهمية للبناء الاجتماعي هي تلك التي تتصوره بوصفه كلا مركبا يشمل النظم الأساسية السائدة في المجتمع والجماعات المختلفة التي يتألف منها ذلك أن للمجتمع « متطلبات وظيفية » سواء ما كان منها يتعلق بالاتصال أو بالنشاط الاقتصادي أو ما يتعلق منها بأجهزة التنشئة الاجتماعية والسلطة وغيرها (١) .

وهكذا نرى أنه قد حدث بين المهتمين بعلم الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع اتفاق حول مفهوم البناء الاجتماعي العام على أساس أنه يتضمن فكرة الاستمرار والبقاء لمدة طويلة جدا من الزمن بينما نلاحظ الخلاف من الناحية الأخرى حول العناصر المحددة التي تدخل ضمن مكونات البناء الاجتماعي . ومهما يكن من اختلاف في « وجهات النظر » بين المتخصصين في الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع حول تعريف البناء الاجتماعي . فإنه يمكن القول بأن « مفهوم البناء الاجتماعي » يتضمن وجود مبدئين أساسيين ومتكاملين (٢) .

(١) بوتومور ت. ب. ، تمهيد في علم الاجتماع ، ترجمة وتطبيق . محمد الجوهري وآخرون . دار الكتب الجامعية الاسكندرية ١٩٧٢ ص ١٥٧ ، ١٥٨ .

(٢) أحمد أبو زيد ، البناء الاجتماعي ، مرجع سابق ص ٦٧ ، ص ٦٨ .

الاول هو : مبدأ الاستمرار في الزمن ، ويصدق ذلك على الجماعات وعلى العلاقات الاجتماعية التي تؤلف البناء الاجتماعي ، فالجماعات الكبيرة التي تحتفظ لعدة أجيال بكيانها وبهيكلها العام ونظام تقسيماتها الداخلية ونمط علاقاتها بعضها ببعض تعبير « وحدات بنائية » في نظر كل علماء الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع دون استثناء ، وذلك بعكس الزمر الاجتماعية المؤقتة أو السريعة الزوال التي يتفق معظم العلماء على اخراجها من البناء الاجتماعي .

وبالمثل تعتبر العلاقات الدائمة التي تقوم بين هذه الجماعات علاقات بنائية وتعبر عن مواقف بنائية . بعكس العلاقات التي تقوم بين الافراد والتي يمكن وصفها بأنها علاقات اجتماعية فحسب .

ومع أن راد كليف براون ، يعتبر العلاقات الثنائية جزءا من البناء الاجتماعي فالذي لا شك فيه أنه لم يكن يقصد بذلك العلاقات العرضية ، وإنما كان يقصد على وجه الخصوص العلاقات التي تقوم بين أفراد الأسرة ، كالعلاقة الزوجية وعلاقة الأب والابن ، وهي علاقة تمثل في حقيقة الامر أنماطا أساسية لا يمكن اغفالها في دراسة البناء الاجتماعي . فالعلاقة الاولى تمثل نمط العلاقة بين الجنسين ، والعلاقة الثانية تمثل نمط العلاقة بين الجيلين المتتاليين وهكذا .

والمبدأ الثاني : هو أن العلاقات الثابتة المستمرة التي تقوم بالضرورة بين الجماعات انتماسكة التي ينقسم اليها المجتمع تتخذ شكل أنساق ونظم تلعب دورا هاما في الحياة الاجتماعية ، أو بقول آخر تؤدي وظيفة اجتماعية معينة كما هو الحال في علاقات القرابة والعلاقات الاقتصادية .

وهذا معناه أن الدراسة البنائية لا يمكن أن تقف عند حد الاهتمام بالظواهر الاجتماعية من حيث هي كذلك ، وإنما لابد لها من أن تدرس النظم والأنساق التي تتألف بدورها من ظواهر وعلاقات مشخصة

وملموسة^(١) .

التغير البنائي :

المقصود من التغير البنائي أنه نوع من التغير يؤدي الى ظهور تنظيمات وأدوار اجتماعية جديدة تختلف اختلافاً نوعياً عن تلك الأدوار والتنظيمات القائمة في المجتمع ، ويصاحب حدوث هذا النوع من التغير حدوث تحول كبير في الظواهر والنظم والعلاقات الاجتماعية .

وقد عرف عالم الاجتماع البريطاني « موريس جينز برج »
«Morris Ginsberg» التغير البنائي بأنه : التغير الذي يحدث في بناء المجتمع . أو في حجمه وتركيب أجزائه وشكل تنظيمه الاجتماعي . وعندما يحدث هذا التغير في المجتمع يبدأ أفرادُه في ممارسة أدوار اجتماعية مختلفة عن تلك التي كانوا يقومون بها خلال الفترة السابقة للتغير^(٢) .

وإذا كان التغير الاجتماعي يعنى أساساً «التغير في البناء الاجتماعي»
فانه يمكن تحديد التغيرات البنائية في الآتى :

١ - التغير في القيم الاجتماعية :

ذلك أن أكثر التغيرات البنائية أهمية هو التغير في القيم والتي تؤثر بدورها في مضمون الأدوار الاجتماعية والتفاعل الاجتماعي . وأحسن مثال على هذا مرحلة الانتقال من النمط الاقصادي للمجتمع الى النمط التجاري - الصناعي . لأن التغيرات هنا لا تحدث خلال فترة قصيرة من الزمن وانما تستغرق أجيالاً^(٣) .

(١) انظر توضيح ذلك بالتفصيل . في الفصل الثاني من الباب الثاني من هذه الدراسة .

(٢) عبد الباسط محمد حسن « التنمية الاجتماعية » معهد البحوث والدراسات العربية . القاهرة . ١٩٧٠ ص ١١١ .

(٣) محمد عاطف فيث : التغير الاجتماعي والتخطيط . مرجع سابق ص ٢٢٠ ٢٢١ .

٢ - تغير النظام :

ومعنا التغيير في الأبنية المحدودة مثل صور التنظيم ، والأدوار ، ومضمون الدور كالتغير من نظام « تعدد الزوجات » الى نظام أحادية الزوج الزوجة .

٣ - التغير في مراكز الأشخاص :

قد يحدث التغير بواسطة أشخاص يقومون بأدوار في النسق الاجتماعي ذلك أنه خلال فترة طويلة من الزمن تصبح هذه التغيرات لا مفر منها لان أفراد المجتمع يتقدمون في السن ويحالبون « على المعاش أو يموتون » ولعل أهمية مثل هذه التغيرات تختلف . ومع ذلك فإنه من المهم ادراك أهمية الدور الذي يقوم به الأشخاص الذين يشغلون مراكز اجتماعية معينة ، لانهم بحكم مراكزهم هذه يستطيعون التأثير على الاحداث الجارية في المجتمع وبالتالي يتسببون في احداث تغير بنائى .

هذا وقد ميز بعض علماء الانثروبولوجيا الاجتماعية بين نوعين من التغير هما التغير « التنظيمى » « والتغير البنائى » وفي مقدمتهم Raymond Firth الذى يرى بأن التغير التنظيمى لا يؤدي الى تغير في العلاقات الاساسية بين الاعضاء في المجتمع أو بين الجماعات والزمرد الداخلة في تكوين البناء الاجتماعى ، وذلك بعكس التغير البنائى الذى يتطلب ضرورة حدوث تحول واسع وعميق في انماط العلاقات السائدة في المجتمع ، وعلى هذا تكون التغيرات البنائية أعمق وأقوى . بينما لا يعنى ذلك زوال البناء الاجتماعى القديم وانما يظل محتفظا ببعض خصائصه الاساسية ، لكنه اذا اختلفت بعض الانشطة والعلاقات الاجتماعية تظهر بدلا منها انماط جديدة من الانشطة والعلاقات (٢) .

(١) أحمد السويدى - مرجع سابق ص ٣١ .

Raymond Firth Elements of Social Organization, Boton, (٢)

Reacon Press 1963 p. 28-40.

ولتفسير ذلك يمكن القول بأن ظهور البترول مثلا في عدد من البلدان العربية أدى الى وجود تغيرات أساسية ليس في النظم فحسب وانما في كل البناء الاجتماعي ، وقد أدى ذلك الى هجرة عدد غير قليل من القبائل والبادية الى مراكز البترول والمدن حيث تركوا أعمالهم التقليدية التي كانت تنصب على الماشية والرعى والترحال وتجارة القوافل ، وبدأوا مثلا في ممارسة مناشط جديدة كقيادة السيارات عوضا عن ركوب الابل وكذا الاشتغال بحراسة المنشآت عوضا عن حراسة القبيلة وممتلكاتها وهكذا نجد تغيرا في الانشطة الاجتماعية وهو تغير حدث مع حداثة الظروف الجديدة التي وجد البدوي والقبلي نفسه أمامها . مما أدى الى تغير أيضا في النواحي الاقتصادية ، وكذلك فقد أدت الهجرة الى مناطق جديدة الى تغير في العلاقات القرابية التقليدية التي كانت تتركز على الصلات القرابية للعائلة « الممتدة » وتركزت في الاسرة النووية المستقلة اقتصاديا ، وأدى ذلك أيضا الى حدوث تغيرات واضحة في سلطة رؤساء القبائل التقليديين والى تغير القيم الاجتماعية التقليدية مثل نظرة المجتمع الى العمل اليدوي والى أهمية الماشية . الخ (١) .

ودون الدخول في تفاصيل أنواع التغير وعوامله ومقدماته الى آخر ذلك - فما يهمنا في هذه الدراسة هو « التغير البنائي » وسوف نشير الى هذه النقاط عند الحديث عن التغير في « بني كبير » - الا أنه لا بد من التسليم بوجود « التعارض » في المجتمع قبل وأثناء عملية التغير . الا أن هذا التعارض لا يؤدي بالمجتمع الى التمزق . وعلينا أن نلاحظ أن كل فرد من أفراد المجتمع له اهتماماته الخاصة التي يحاول بمقتضاها أن يستغل الموقف كما يتصوره . ويترتب على هذه الانفعال التي تصدر عن مجموع أعضاء المجتمع تغير البناء الاجتماعي ذاته (٢) . وعلى هذا فان أية محاولة جديدة لدراسة وتحليل التغير في المجتمع لا بد أن تعطى

(١) انظر تفصيل ذلك في الفصل الثاني من الباب الثالث في هذه الدراسة .

(٢) انظر أحمد أبو زيد . البناء الاجتماعي . المفهومات . مرجع سابق

كثيرا من الاهتمام لما يحدث في البناء الاجتماعي ، ولكن لكي تكون هذه الدراسة دراسة دينامية عفا - كما يقول غيرث - فلا بد أن تأخذ في اعتبارها أيضا أفعال وتصرفات الافراد . فكل فرد من أعضاء المجتمع يحاول بطريقته الخاصة أن يحقق أهدافا شخصية معينة ، فانه لن يتسنى له ذلك الا عن طريق الاتصال بغيره من الناس ، أى عن طريق التفاعل مع أعضاء المجتمع الآخرين . وهذا التفاعل محكوم بلا شك بالعلاقات الاساسية التي تدخل في تكوين البناء الاجتماعي ذاته . لكن استجابات الافراد تختلف داخل هذا الاطار المعقد ، ويظهر هذا بشكل واضح أمام التجديدات التي تطرأ على المجتمع ، اذ تتطلب هذه التجديدات من الافراد أن يكييفوا أنفسهم ويعدلوا في مواقفهم ومناشطهم في الوقت الذي يحتفظ فيه كل منهم ببعض القيم القديمة التقليدية التي كانت توجهه وتحكم سلوكه ، كما أن عليه في نفس الوقت أن يأخذ في اعتباره استجابات أعضاء المجتمع الآخرين لهذا الموقف الجديد وكل هذا يؤدي الى نوع من التغيير التنظيمي «Organizational change» طالما أن كل عضو من أعضاء المجتمع يراعى في استجاباته للموقف الجديد سلوك غيره من الاعضاء واستجاباتهم ، ويحاول التوفيق بين موقفه ومواقفهم والتغيير التنظيمي على أى حال لا يتبعه بالضرورة «تغيير بنائى» فاللتغيير البنائى لا يتم الا اذا حدث تعديل في العلاقات الاساسية بين أعضاء المجتمع . ويجب أن ننص في الاعتبار ونحن نتحدث عن « التغيير البنائى » أن ذلك لا يعنى أن البناء الاجتماعي يهدم تماما من أساسه ليحصل محله بناء اجتماعي جديد ، فمع أن ذلك أمر جائز من الناحية النظرية ، فان الذى يحدث في الواقع أن البناء التقليدى يظل محتفظا ببعض مقوماته الاساسية وربما كان ذلك واضحا فيما يتعلق بالقيم التي تستعصى على التغيير السريع المفاجيء . بل والتي يظل المجتمع محتفظا بها بعد أن يتغير جانب كبير من ثقافته ونظمه وأنماط السلوك التي يتبعها أعضاؤه ، فان أهم خاصية من خصائص البناء هي كما ذكرنا من قبل (القدرة على الاستمرار في الوجود) .

يتضمن فكرة التغيير الاجتماعي ، فان مفهوم البناء الاجتماعي يتضمن على العكس من ذلك فكرة الاستمرار الاجتماعي .

ولن يمكن فهم التغيير البنائي الا اذا وضعنا في اعتبارنا في ذات الوقت هاتين الخاصيتين الاساسيتين اللتين يجب بعض العلماء تسميتهما بـ « الجمود والمرونة » بينما يطلق عليها البعض « التكامل والتفكك » أو « الاستمرار والتحول » . وما يقوم بين هاتين الخاصيتين من شد وجذب . اذ أنه مهما يكن من قوة عناصر التغيير والتجديد فان « مبدأ الاستمرار الاجتماعي أو البنائي يعارض دائما قوى التغيير ويبطل كثيرا من مفعولها » . وليست عمية التغيير سوى شرع بين هذين المبدئين كما أن شدة التغيير تتوقف على مدى التفوق النسبي الذي يحرزه أحد المبدئين على الآخر وما يتبع ذلك من التوفيق بين الاوضاع الجديدة والاضاع التقليدية الذي يتوقف عليه اعادة تكامل المجتمع وتماسكه .

وإذا نحن تجاوزنا الآراء النظرية وانتقلنا الى ما هو واقع بالفعل بالنسبة للمجتمعات العربية - على الاقل - فيما يخص التغيير الاجتماعي والبنائي - لوجدنا أن المجتمعات التقليدية في البلاد العربية تمر بمرحلة تغير عميقة ، تناولت كثيرا من نظمها السياسية والاقتصادية والاجتماعية التقليدية ، مما أثر بالتالي على بنائها الاجتماعي حيث بدأت بعض أنماط الحياة التقليدية في التراجع بالتدريج لتحل محلها أنماط أخرى تتلاءم مع ظروف الحياة الجديدة التي تمر بها هذه المجتمعات .

غير أن بعض هذه التحولات والتغيرات تمت بواسطة الانتشار الثقافي للحضارة التكنولوجية الحديثة ، في حين تم البعض الآخر نتيجة لتخطيط مقصود وسياسة موضوعة استهدفت تعديل بعض أوجه الحياة وتوجيهها نحو غايات محدودة .

حتى أنه في الوقت الحالي قد أصبحت البداوة نمطا « شادا » في المجتمع الحديث وأصبح يعتبر قطاعا متخلفا في ضوء الظروف السياسية

والاقتصادية والاجتماعية المعاصرة ، فالجماعات البدوية وجدت نفسها « داخل أوطان سياسية وقوميات متعددة . وأصبحت « القبيلة » بالتالى موزعة بين عدد من الوحدات السياسية ذات الحدود الدولية - كما حدث بين جمهوريات الجزائر ومالى والنيجر وليبيا - وبين المجموعات السياسية فى الجزيرة العربية » (١) فقد وجد البدو أنفسهم داخل حدود لم تعد فيها وحدتهم القبلية ومسارحهم الجغرافية تمثل الاطار الاجتماعى والسياسى المميز .

وهكذا فان فكرة القوميات وطبيعة تكوين الدولة ذات النفوذ الادارى . كانت من أهم عوامل التغير الاجتماعى فى المجتمع البدوى . ذلك لان الدولة الحديثة بما تملكه من قوة وغرتها لها التكنولوجيا الحديثه قضت بها على عزلة البدوى وقدرته على الافلات من سلطانها ، كما قضت على وظيفته فى حراسة الصحراء (٢) .

ومن هنا فقد وجد المجتمع البدوى « جزءا من كل » هو المجتمع الكلى مثله مثل بقية المواطنين تتقاضى منه الدولة الضرائب المقررة بعد أن كان هو الذى يفرضها على سكان الصحراء وعلى القوافل العابرة ، كما أجبرته على الامتثال للاجراءات الادارية المحددة ، الى غير ذلك من الواجبات والحقوق التى حملها المجتمع السياسى القوى الى المجتمع البدوى ، التى تناولت كل اُجانب فى حياته (٣) .

ولقد زاد الاتجاه نحو التغير المخطط فى السنوات الاخيرة فى البلدان

(١) محبى الدين صابر ، لويس كامل مليكه - البدو والبدوابة - سوس الليان ١٩٦٦ ص ٦٦ .

(٢) نفس المرجع ص ٦٧ .

وانظر أيضا (بيرجمورو - العالم العربى اليوم) ترجمة محبى الدين صابر . دار مجلة شهر ١٩٦٣ بيروت ص ٦٥ .

(٣) محبى الدين صابر « عوامل التغير الحضارى فى نمط الحياة البدوية » رعاية البدو وتحضيرهم وتوطينهم . جامعة الدول العربية . القاهرة ١٩٦٥ ص ٢١٨ .

النامية ، كى تتمكن من تنمية قطاعاتها الاقتصادية والاجتماعية بشكل عام وقطاعاتها المتخلفة بشكل خاص . ذلك لان معظم هذه القطاعات ظلت بعيدة لسنوات طويلة عن خطط التنمية الوطنية ، مما جعل سكان هذه القطاعات فى عزلة اجتماعية واقتصادية وثقافية عن المجتمع الكلى (١) .

فالوطن بالنسبة لجماعات هذه الاقاليم يتحدد فى نطاق القبيلة وفى السلطة السياسية « لشيخها » ولهذا فان انعزال هذه الجماعات يعتبر من أهم المعوقات التى تحول دون نجاح خطط التنمية فى كلا المجتمعين الكلى والمحلى . سواء كانت تلك الخطط فى الميدان الاقتصادى أو الصحى أو حتى التعليمى الى غير ذلك .

وعلى هذا الاساس يتحدد هدف الخطط والمشروعات التى توضع بغرض تنمية المجتمعات المداية القروية منها والبدوية فى العمل على تكامل تلك المجتمعات الصغيرة المنعزلة فى الاقتصاد الوطنى وفى الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية للمجتمع الكلى .

ولا شك أن أهداف المشروعات المخططة تنعكس فى التغيرات التى تنظرأ على النظم والقيم الاجتماعية ونظرة الافراد الى الحياة وموقفهم التقليدى منها ، بل وحتى فى طرق تفكيرهم وسلوكهم الاجتماعى . بمعنى أن المشروعات التى يراد بها تحقيق أهداف اقتصادية أو صحية أو تعليمية كثيرا ما تترتب عليها تغيرات عميقة فى البناء الاجتماعى . لم تكن متوقعة فى أول الامر ويرجع هذا الى أن المجتمع التقليدى يشكل وحدة عضوية متكاملة ومتماسكة وأن أى تغير فى أى نظام من نظمه قد يؤدي الى تغير فى النظم الاخرى التى يقوم عليها البناء الاجتماعى كله .

وعلى هذا نرى أن أية دراسة تهدف الى الوصول لنتائج مقبولة

(١) أحمد أبو زيد « التنمية الاقتصادية والتغير الاجتماعى » المجلة الاجتماعية القومية المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية . المجلد الاول . العدد الثالث . ص ٤٥ سبتمبر ١٩٦٤ القاهرة .

لا بد أن يتم خلالها معالجة النظم الاجتماعية في إطارها العام ذلك لان كل النظم مرتبطة ببعضها البعض . ويؤثر كل منها في الآخر ، أما النظر الى هذه النظم على أن كل نظام مستقل عن الآخر وبالتالي فصلها وتجزئتها فإنه يقود الى الخطأ ، ذلك أن النظم الاجتماعية كلا متماسكا ولا يمكن لاي نظام أن يبقى في أى مجتمع مستقلا بذاته عن النظم الاخرى .

التغير البنائى فى بنى كبير :

صحيح أن مجتمع بنى كبير القبلى شأنه شأن المجتمعات الانسانية قد تعرض لتغيرات اجتماعية سواء كانت تغيرات تنظيمية أو تغيرات فى البناء نفسه .

لكن الذى حدث أنه بعد دخول المنطقة كلها فى الحكم السعودى طرأت تغيرات كثيرة فى هذا المجتمع . يمكن أن نسميها تغيرات مفاجئة أربكت النظم التى كانت قائمة بل وقضت اما فجأة واما بالتدريج على الوظائف التى كانت تمارسها هذه النظم .

فقبل أن تخضع المنطقة للحكم السعودى كان شيخ القبيلة يمثل دور الحاكم المطلق فيها لا ينازعه أحد فى هذا الحكم . وكان هو المسئول أولا وأخيرا عن شؤون القبيلة صغيرها وكبيرها . واستمر الامر كذلك حتى كان عام ١٣٣٥ هـ - ١٩١٥ م عندما تمت السيطرة لآل سعود على قبائل غامد وتأسيس امارة لهم فى منطقة بيشة كان أول أمير لها - عبد الرحمن بن ثنيان . وكان ذلك فى زمن الشيخ سعيد بن سويد . الذى سافر الى هناك وأعلن ولاءه رسميا للحكم الجديد .

ولعل أول التغير الذى طرأ أن شيخ القبيلة لم يعد له الصلاحيات المطلقة ولم يعد يستطيع أن يبيت فى كل شىء بل أصبح لا بد له من عرض الامور الهامة على الأمير الجديد فى بيشة وتلقى الأوامر منه فيما يتعلق بالبت فى هذه الامور . وبدأ سجن المجرمين وأصحاب الجنح فى بيت شيخ

القبيلة لا يستقبل هؤلاء الا لفترة محدودة ثم يتم ترحيلهم بعدها الى امارة بيشه .

وقلنا في الفصل السابق لهذا أن شيخ القبيلة كان يجمع الاموال من أفراد القبيلة سواء ما كان منها كهدايا أو زكاة كزكاة البدن التي تخرج في رمضان أو زكاة رؤوس الاموال والماشية . وقلنا أنه كان ينفق جزءا منها في اقامة المولائم لضيوف القبيلة أو كمساهمات لحل نزاعات بين الوحدات الاجتماعية في القبيلة .

ولكن يبدو أنه بعد استقرار الالكور بدأ الشيخ يفقد هذه الاموال أو جزء منها ذلك أن الحكومة الجديدة بدأت تفرض ما يسمى « بالجهاد والخدمة » وكانت تفرض هذه الضريبة على كل بيت في القبيلة ووسيلتها في ذلك شيخ القبيلة الذي كان يتولى بنفسه مع مندوبين عن الحكومة جمع هذه الاموال . وعلى سبيل المثال تم تسليم مبلغ سبعة وعشرين ألف ومائتين وثمانين قرشا سعودي لا غير (للمالية الحكومة العربية الحجازية) وهذا المبلغ يساوى . . ثلاثين جنيها أفرنجيا « وألف وثمانمائة وثمانين ريال لا غير » مناولة من الشيخ سعيد بن سويعد لاول مالية تأسست في المنطقة في (الظفير) . انظر الملاحق ص ٢٠٣ . واستتبع ظهور ادارة محلية « للحكم المنظم » انشاء المحاكم الشرعية التي يحتكم اليها الناس بعد أن كانت الاحكام تصدر عن شيخ القبيلة ومجلس القبيلة في ضوء العرف والتقاليد وعلى سبيل المثال كان في القبيلة ما يعرف بـ (النقا) والنقا هذا يعنى تسديد حقوق الغير المعنوية باسالة الدم من رأس أحد أفراد القبيلة . . ومضمونه أنه اذا اعتدى رجل من وحدة اجتماعية على فرد من وحدة أخرى دون القتل ، فان ذلك يستدعى رد الاعتبار . وكانوا يحتكمون الى شيخ القبيلة الذي يطلب من الوحدة الاجتماعية أن تقوم بالواجب نحو الوحدة المعتدى عليها فتدفع ما عليها من استحقاقات عينية ومعها اسالة الدم من أحد الافراد الذي يرشح نفسه أو تختاره الوحدة الاجتماعية المعتدية فيقف في أعلى مكان في السوق المحلي ويعلن عن خطأ قريبه واعترافه بالعدوان على الوحدة الاخرى . وفي يده اليمنى

(خنجر) يضرب بها رأسه المكسوف عدة ضربات حتى تسيل دماؤه على ملابسه وعندما ترضى الوحدة الاجتماعية المعتدى عليها ويعود الوثائم بين هذه الوحدات .

ومثال آخر فان القبيلة في حالة قتل أحد الافراد كان القصاص وطلب الثأر واجبا خصوصا اذا كانت الوحدة الاجتماعية لكل من القاتل والقتيل متباعدتان . وتبدأ القبيلة في التحقيق في هذه الحادثة فان لم تتأكد القبيلة من صحة ما تدعيه الاخرى وأن المتهم مظلوم أو نفذ عملية القتل خطأ يبرز من الوحدة التي ينتمى اليها المتهم (خمسة وعشرون رجلا) ويحلف هؤلاء أغلظ الايمان بأن القاتل ليس منهم أو بأن القتل تم خطأ . وفي حادثة وقعت في القبيلة المجاورة لبني كبير لجأت الوحدة الاجتماعية للقاتل الى رجال الحكمة والمعرفة في بني كبير لشرح ظروف حادثة القتل وانها تمت عن طريق الخطأ حيث صوب القاتل ببندقيته نحو (غراب) ينوى قتله فأصابت الرصاصة غلاما كان يقف بالقرب من مكان الغراب فأردته قتيلا . وأصرت الوحدة الاجتماعية للغلام على طلب الثأر وأحضر القاتل الى ساحة الاعدام ليضرب بالرصاص فوصلت فرقة من قبيلة بني كبير برئاسة الشاعر والحكيم فيها (عبيد الله بن سفر) الذي طلب عند وصوله أن تفرغ طبول الحرب (للعرضه) فاصطف الناس لتأدية رقصة الحرب على الطبول فقال قصيدته المشهورة بين القبائل الى اليوم :

عـوج الرقـاب	مايحكم فيها الحاكم الكذاب
الا بنص من الكتاب	وحل وايمان واغيه
رمى وصـاب	صاب الولد وأخطأ من الغراب
والله يعلم نية الضراب	هي مقديه والا مواتيـه

ويقصد هذا الرجل الحكيم بأنه لا يجوز أن نحكم على رقاب الرجال بالزور والبهتان والكذب بل لابد أن يستند هذا الحكم الى نص شرعى من القرآن الكريم أو السنة الشريفة وهي تفيد في هذا الشأن اما بالاعتراف أو بوجود شهود على الحادثة فان لم فيحلف الجانى بأنه

لم يرتكب هذه الجريمة ويتضامن معه في أداء اليمين خمسة وعشرون رجلاً آخر بأنه لم يقتل أو أن القتل وقع خطأ وعندما تدفع الدية أو يتنازل عنها أهل القتيل أن أرادوا • ويمضى في الشطر الثاني من القصيدة ليقول بأن الرامي أراد أن يرمى الغراب فأصاب الغلام وأخطأ الغراب والله وحده يعلم بنية الرامي هل هو أصابه عن عمد أم أن قدر الغلام أراد للقاتل أن يخطئ الغراب ويصيبه عن غير عمد •

ويقول الاخباريون أنه بعد قوله هذا قبل أهل القتيل اليمين وتنازلوا عن الدية وأقاموا حفلاً بهذه المناسبة •

وبدأ المجتمع بعد ظهور الحكم السعودي يعرف المحاكم الشرعية التي بدأت تتولى الفصل في أمور الناس ، وهكذا تقلصت وظائف شيخ القبيلة وكذا ضعف دور الحكماء فيها ••

وهذا لا يعنى أنهم لم يكونوا على علم بأمور الشرع بل انهم في أحيان كثيرة كانوا يعودون اليها للاحتكام الى جانب اللجوء الى العرف والقانون في أحيان كثيرة •

كتب أحد الفقهاء الى وجيه سألته في موضوع وقال :

« من عبد العزيز بن محمد الى الاخ المكرم الفاضل عمر بن عزم الله سلمه الله أمين • السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد •

خطك المكرم وصل أوصلك الله رضاه • فأما المخطوط المشهود المثبوت بالاقلام المعتبرة فهي تلزم على قوانين أهل البلاد والمعاملات والامراء • وأما بحكم الشرع فلا يلزم الا شاهدان أو امرأتان ممن ترضون من الشهود بدليل القرآن الكريم • فان كان هذا الامر قد وقع فينبغي حضوره عند قاضي • عسى يتبرهن الحق ويخذل الله صاحب المخادعة وان كان الامر مفرغ فمن قصر في باب من أبواب الشريعة ألجأه الله اليه وان تواجها يوم السبت تناظرنا فيما يصلح ان شاء الله وبلغ سلامنا الاولاد •

والسلام عليكم^(١) » .

وهذه الرسالة يعود تاريخها الى سنة ١٣٢٨ هجرية ومعنى هذا أنهم كانوا يلتزمون بالامور الشرعية وكانت تسير جنباً الى جنب مع القانون القبلي في الامور المتعلقة بالحقوق والواجبات .

على أن المغفور له الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل مؤسس الحكومة السعودية الحديثة كان يتعامل مباشرة مع شيوخ القبائل ويقدر لهم الدور الذي يؤديه وهذا خطاب من الملك عبد العزيز الى شيخ قبيلة بنى كبير نصه :

« من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الى جناب المكرم سعيد ابن سويعد سلمه الله تعالى . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . بعد ذلك بارك الله فيك . لنا فيك بعض اللازم لا بد من المراجعة بيننا وبينكم . فأنت حالا تؤكل على الله ان شاء الله وتقبل وتلتقى في الطائف وتعرفنا بذلك هذا ما لزم تعريفه » توقيع عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل .

ويعود تاريخ هذا الخطاب الى ما بعد سنة ١٣٣٥ هجرية .
وخطاب آخر يعود تاريخه الى ١٨ من شهر محرم عام ١٣٥٤ هجرية
انظر نص الخطابين في الملاحق

واستتبع ضعف مركز شيخ القبيلة ضعف في دور مجلس العرفاء . فلم تعد واجباتهم كما كانت بل اقتصر على التشاور فيما يختص بالاصلاح بين الأفراد اذا حدث نزاع على أرض أو نقود أو مواشى . وكان هؤلاء يحاولون الاصلاح ما استطاعوا فان لم يتيسر الصلح أحيل الطالب والمطلوب الى المحكمة الشرعية . غير أن التغير في الوظائف السابقة تحول الى القيام بوظائف جديدة تمثلت في التضامن الاجتماعي ولعل أبرز مظاهره الاسراع بتقديم العون والمساعدات الى من تعرض لكارثة في مال أو حكم

عليه بدفع دية نتيجة للقتل الخطأ • وبدأ الجميع يتعاونون في شق الطرق وتعييدها ويتعاونون في بناء المنازل كاحضار الحجارة اللازمة للبناء والاختشاب وبدأ شيخ القبيلة يجمع أعيانها ليشاورهم في مثل هذه الامور وهؤلاء بدورهم ينقلون ما اتفق عليه الرأي في مجلس الشيخ الى سكان القرى • وبطبيعة الحال يستجيب هؤلاء للنداء ويؤدون الواجب المطلوب تأديته • بعد أن كانت هذه المجالس تخصص في معظمها لقرارات الحرب والسلام •

وتوفي في سنة ١٣٥٥ الشيخ سعيد بن سويد وخلفه ابنه محمد بن سعيد بن سويد الذي كان أكثر مرونة من والده وأثناء توليه منصب الشيخ بدأت التغييرات في مجتمع بنى كبير تبدو أكثر وضوحا • ولعل أبرزها مطالبته المستمرة بإنشاء مدرسة في بنى كبير وتحقق له هذا الطلب في سنة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٧ م • حيث تأسست أول مدرسة ابتدائية في ذلك التاريخ وكانت في قرية العبادل • ولم تكن لدى الناس رغبة شديدة في ادخال أبنائهم الى هذه المدرسة نظرا لانهم كانوا يفضلون مشاركتهم في العمل أكثر من الرغبة في التعليم ، كما هو الحال في القبيلة كلها وفي المجتمعات البدوية والريفية في المجتمعات العربية ، ومن غير شك فان ذهاب الاولاد الى المدرسة أخل بالنظام الاقتصادي ذلك أن هؤلاء كانوا يشاركون عائلاتهم في الزراعة ورعى الاغنام في كثير من أمور حياتهم اليومية • وقد كان الصراع على أشده بين هؤلاء الصبيان الذين كانت لديهم رغبة في الذهاب الى المدرسة اما رغبة في التعليم واما للهرب من القيام بالاعمال المنوطة بهم • وكانت نتيجة هذا الصراع وعدم الاتفاق في الرأي ان هاجر منهم عدد كبير الى خارج المنطقة وكان أكثر هؤلاء يهاجرون الى المدن القريبة كالطائف ومكة المكرمة وجدة • وكانوا يقطنون المسافة التي لا تزيد عن منطقتهم بأكثر من ٢٥٠ كم في سبعة أيام ووسيلتهم ن المواصلات اما الحمير أو الجمال في أحسن الاحوال •• وهذه أول بادرة تمثلت في خروج الابن عن أمر أبيه والسفر بدون علمه أو استئذانه • على أن ٩٥٪ من هؤلاء عندما وصلوا الى المدينة لم يحاولوا

اكمال دراستهم بل اكتفوا بالعمل هناك بهدف الحصول على المال . وعندما عاد هؤلاء بعد غياب عام أو أكثر أخذوا يقصون على رفاقهم مغامرات السفر الى المدينة ومحاسن المدن وغرض العمل المتوفرة فيها . مما حدا بأعداد كبيرة من شباب المنطقة الى أن يحذوا حذو زملائهم فكانت هجرة جماعية للشباب واضرار بالناحية الاقتصادية ولو الى حين . حيث كان بعض هؤلاء يعود ومعه الهدايا الكثيرة والنقود ..

ان التعليم والهجرة والاتصال بالمجتمع الخارجى أحدثت تغيرات واضحة فى القيم والنظام ومراكز الاشخاص فى القبيلة . لكن التغير فى القيم كان أقل نصيبا من غيره . فمثلا كان هؤلاء الشباب يمارسون الزراعة فقط وقليلًا من التجارة فى مجتمعهم لكنهم بعد الهجرة بدأوا العمل كمستخدمين فى المتاجر والبيوت وكان أهلهم ينظرون الى عملهم هذا بازدراء شديد ، بينما يحاول هؤلاء اخفاء عملهم الحقيقى ويدعون أنهم يمارسون أعمالا مكتبية أو تجارية . وتعلم المهاجرون هناك (خلق اللحية) وشرب الدخان وهما أمران كانت القبيلة تعتبرهما شيئا مكروها لا يجوز الاقدام عليه ولهذا فقد وقف كبار السن ضد هاتين الظاهرتين لمحاربتها لكنها مع مرور الزمن وبسرعة انتشرت بين الشباب ..

ولعل الأهم من ذلك أن هؤلاء بدأوا يصطحبون عائلاتهم الى أماكن العمل وبهذا حدث نقص فى أعداد الاسر وازداد النشاط الاقتصادى ضعفا خصوصا اذا علمنا أن المرأة كانت تلعب دورا بارزا فى هذا النشاط^(١) ثم ان سفر المرأة بالنسبة اليهم كان أمرا غير مستحب ...

وأما التغير فى النظام فنحنى به التغير فى صور التنظيم ويشمل تنظيم الادوار ومضمون الدور . فمثلا كان الرجل يقبل على الزواج من أكثر من واحدة لغرض اقتصادى فالزوجات يقمن بأعمال الزراعة ويساعدن الزوج فى كثير من المناشط وهن بالتالى يلدن أعدادا كبيرة هذه الاعداد

(١) راجع الفصل الثانى من الباب الثانى (النسق الاقتصادى) .

بطبيعة الحال ستصبح أيدى عاملة فيما بعد وقد بدأت هذه الظاهرة تختفى بالتدريج خصوصا لدى الشباب فلم نعد نسمع بأن شابا تزوج أكثر من واحدة الا نادرا ويقابل مثل هذا الفعل بالازدراء لانهم بدأوا يدركون أن تعدد الزوجات وكثرة الانجاب تعنى المزيد من المتاعب الاقتصادية وتعنى المزيد من ضعف العلاقات بين الابناء . . الى غير ذلك .

وأما التغيير في مراكز الاشخاص فذاك أمر لا مفر من حدوثه ذلك أن عددا من الاشخاص الذين كانوا يمارسون التأثير في المجتمع قد وصلوا الى مرحلة من العمر لم يعد في استطاعتهم القيام بهذا التأثير أو (ماتوا) ، فمثلا توفي الحكماء ولم يظهر البديل واختفى الفقهاء وحل محلهم الشباب المثقف المتعلم حتى شيخ القبيلة نفسه شمله هذا التغيير فمسيخة القبيلة في الاونة الاخيرة قد انتقلت الى شاب مثقف سعى في ضوء ثقافته الى تطوير المجتمع وسار به من حسن الى أحسن فانتشرت مدارس البنين والبنات ودخلت الى المنطقة خدمات كثيرة سوف نذكرها في فصل لاحق .

على أن الشيء الذي أحدث تغيرا عميقا سواء كان تغيرا تنظيميا أو تغيرا في البناء نفسه هو ظهور البترول في المملكة العربية السعودية . فقد ضاعف ذلك من الهجرة الى مناطق البترول حيث أصبحت هذه مناطق جذب للآخرين . وأدى ذلك بطبيعة الحال الى ترك هؤلاء لاعمالهم التقليدية التي كانت تتركز على تربية الماشية والرعى وتجارة القوافل والترحال . وبدأ هؤلاء في ممارسة مناشط جديدة كقيادة السيارات وحراسة المنشآت وهما وظيفتان جديدتان بدلا من ركوب الابل وحراسة القبيلة وممتلكاتها وكل هذا التغيير في الانشطة الاجتماعية هو تغير حدث مع تغير الظروف التي وجد القبلى نفسه أمامها وجها لوجه - وذلك بطبيعة الحال أدى الى تغير في النواحي الاقتصادية والى تغير في العلاقات الاجتماعية . فبعد أن كانت الاسرة الممتدة هي المسؤولة عن الناحية الاقتصادية لافرادها وهي المهيمنة على هذا النشاط ، حيث كان رب الاسرة هو المسئول عن توزيع الادوار وملاحظة النشاط فقدت الاسرة هذه السيطرة وقل هذا النشاط بسبب هجرة أفراد من الاسرة الى المناطق الجديدة وبطبيعة

الحال فلم تعد العلاقات الاجتماعية قوية متينة كما كانت تنقسم بروح التعاون والصلاب القرابية التقليدية لهذه العائلة الممتدة . ذلك أن العائلة الممتدة انقسمت الى عدة أقسام كل منها أسرة نووية مستقلة اقتصاديا بل أصبح من حق هذه الاسر الجديدة أن تكون علاقات وصلات وروابط جديدة مع أسر أخرى بعد أن كانت تتحدد هذه الامور في نطاق الاسرة السابقة . وبالتالي فقد رب العائلة الكبير سلطته على الاسر وبالتالي حدثت تغيرات مماثلة في سلطة شيخ القبيلة وتغير في القيم . فلم يعد المهاجرون مثلا يتخرجون من القيام بالاعمال اليدوية وتقاضى الاجر من الآخرين .

ولا نستطيع أن ننكر وجود عملية (صراع أو تعارض) في المجتمع أثناء هذه التغيرات لكنها على أي حال لم تؤد الى تمزق المجتمع كما قد يخيل الى البعض من النظرة الاولى ، ثم ان التجديدات التي طرأت على المجتمع حتمت على الافراد فيها أن يكتفوا أنفسهم في النهاية بالتعديل في مواقفهم ومناشطهم وفي نفس الوقت احتفظوا ببعض القيم التقليدية التي كانت توجه السلوك وتحكمه أما المهاجرون الى مجتمعات جديدة فقد وجدوا لزاما عليهم أن يأخذوا في الاعتبار أنهم لا بد أن يستجيبوا للمواقف الجديدة ازاء سلوك الآخرين ويحاولوا التوفيق بين مواقفهم ومواقف الآخرين بمعنى أنه لا بد لهؤلاء أن يتفاعلوا مع أعضاء المجتمع الجديد .

إذا فالتعليم والاتصال بالمجتمعات الاخرى والهجرة الجماعية الى مناطق البترول وزيادة الاموال لدى الناس أدت الى تغيرات كما أسلفنا في القيم والاتجاهات والسلوك . وأصبح الفرد منهم لا يجد حرجا في أن يخرج عن مشورة الوالد أو الكبير وصولا الى شيخ القبيلة بل ان الشباب بدأوا ينظرون الى آراء كبار السن على أنها كلام يصدر عن « كبير السن المخرف » والذي لم يعد يعي ما يقول .

وقد أوردنا في الفصل السابق بأن شيخ القبيلة قبل ظهور الحكم

السعودى كانت له السيطرة المطلقة على الناس وأن كل بدنة من البدنات كانت تجتمع على قلب رجل واحد للوقوف فى وجه أى بدنة أو وحدة أخرى تعتدى على جزء أو وحدة من هذا البدنة • لكن هذه الامور لم تعد ذات أهمية كبرى فى المجتمع بل أصبحت كل قرية تلتزم بالدفاع عن مصالحها دون انتظار مساعدة من الآخرين • هذا الدفاع لم يعد يتخذ المظهر المسلح كما كان فى السابق بل أصبح دفاعا عن طريق الشكوى للسلطات الرسمية فقد أراد شيخ القبيلة (محمد بن سعيد آل سويد) أن يفتتح طريقا للسيارات يمر من مجرى السيل فى وادى بنى كبير لتستفيد القرى الواقعة على ضفتى الوادى من هذا الطريق الا أن هذه الرغبة وجدت معارضة كبيرة من ملاك الارض الواقعة على طرفى الطريق وكانت أولى هذه الاملاك تعرضا للضرر أملاك أهالى قرية « العبادل » الذين أبدوا اعتراضهم لشيخ القبيلة وكان ذلك فى عام ١٣٨٧ — ١٩٦٧ • ولما لم تجد هذه المعارضة صدق لدى شيخ القبيلة أضطر هؤلاء الى التقدم بشكوى لامارة المنطقة والامارة بدورها أحالتها الى الحاكم الشرعى وطال أمد النزاع بين القرية وشيخ القبيلة وأنصاره • ولم تنضم قريتى « الفلاح والحبيس » الى قرية العبادل وهى القرى التى تشكل بدنة (بالحارث) لمناصرتها والوقوف الى جانبها بل وقفنا موقفا حياديا حتى عندما تطلب موضوع الشكوى والمرافعات مصاريف مادية لم تساهم القريتان فى ذلك • ولم ينته النزاع الا بعد سنوات عندما رفع الامر الى المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز الذى بت فيه وأنهى هذا النزاع •

هذه الحادثة تبين لنا مدى التغير الذى حدث فى العلاقات الاجتماعية سواء بين الشيخ وأفراد القبيلة أو بين قرى البدنة الواحدة • ويبدو أن السبب فى ذلك هو شعور أفراد المجتمع بأنهم لم يعودوا فى حاجة الى التضامن السابق وهو التضامن الذى قام على أساس المصلحة العامة بعد أن كفلت لهم الحكومة المركزية الحقوق والواجبات وحققت لهم الامن والامان والاستقرار •

الفصل الثاني

الانساق

١ - النسق القرابي والعائلي :

يرى « راد كليف براون » بأن توزع الناس الى جماعات قرابية (العائلات بأشكالها المختلفة) يعتبر عاملا من عوامل البناء الاجتماعي ، وهو يرى على هذا الأساس أن القرابة نوع من الترتيب . هذا الترتيب يمكن أعضاء المجتمع من العيش معا بحيث تتضح صورة التعاون فيما بينهم على مستوى الأفراد والجماعات فيعاون كل منهم الآخر في نطاق حياة اجتماعية منظمة (١) .

ويمكن تعريف القرابة بأنها عبارة عن « العلاقات المباشرة التي تنشأ بين شخصين نتيجة لانحدار أحدهما من صلب الآخر ، كالحفيد الذي ينحدر من الجد عن طريق الأب أو نتيجة لانحدار الاثنين من سلف مشترك كما هو الحال بالنسبة للعلاقة بين أبناء العمومة التي تعود الى الجد عن طريق الأعمام » (٢) .

والقرابة من ناحية أخرى كما يرى « رالف بيلز » (٣) ظاهرة سوسولوجية ترتبط بالظواهر البيولوجية لكنها لا تتطابق معها بحال من الأحوال . فالمجتمعات المختلفة تتباين في فهم طبيعة القرابة . كما هو لدى بعض المجتمعات التي تتبنى أطفالا لم ينجبهم الزوجان ، وفي

(١) Radcliffe. Brown. Introduction to African Systems of Kinship and Marriage, London, 1950. p. 3.

Ibid. p. 4.

(٢)

(٣) رالف . ل . بيلز . مقدمة في الانثروبولوجيا العامة . ترجمة محمد

الجوهري . والسيد الحسيني . دار مصر للطبع والنشر ١٩٧٦ . الجزء الاول
ص ٤٦١ - ٤٦٨ .

مجتمعات أخرى نجد أن روابط القرابة تمتد لتشمل الأفراد الذين لا تربطهم علاقة بيولوجية كما هو متبع في مجتمعنا حيث نطلق لقب العم والعمة والخال عندما نشير إلى أزواج أو زوجات أعمامنا وخالتنا الفعليين، بل أننا نطلق صفة العم والعمة على أصدقاء الأسرة الكبار في السن والذين لا تربطنا بهم علاقات بيولوجية . وهكذا نلاحظ أن كل مجتمع قد اعتاد على مصطلحات قرابية بحيث يصبح خطأ أن نفترض أن مصطلحات مثل الأب أو الأم ، والابن ، والبنت تعنى دائما نفس المدلول عند جميع الشعوب .

وقد قدم « الفرد كروبر » أساسا للتصنيف القرابي في مقال في سنة ١٩٣٩ بعنوان «Classificatory systems of relationship» في جريدة معهد الانثروبولوجيا الملكي في بريطانيا حيث حدد هذه الأسس بثمانية هي :

١ — القرابة على أساس الجيل . فنلاحظ مثلا في المجتمعات الغربية أن جميع مصطلحات القرابة فيما عدا مصطلح ابن أو بنت العم Cousin تقتصر على جيل واحد فقط ، فمصطلحات الأب ، والأم ، والعمة ، أو الخالة والعم أو الخال تنصب على جيل الوالدين أما مصطلح الأخ والأخت فينصبان على جيل الشخص نفسه ، ومصطلحات الأبن والبنت وابن الأخ « أو ابن الأخت » بنت الأخ « أو بنت الأخت » فتقتصر على الجيل الثاني لجيل الشخص نفسه .

٢ — الأساس الثاني هو الذي يصنف الأقارب من نفس الجيل تبعا لفروق العمر ، حيث نجد في بعض المجتمعات أن الشخص يخاطب اخوته الكبار بمصطلح معين ويخاطب اخوته الصغار بمصطلح مختلف تمام الاختلاف . كذلك يميز الشخص عندهم بين أخواته تبعا للسن إلى أخوات كبار وأخوات صغار ، هذا يتضح تماما لدى شعب «النافاهو» .

٣ — وأساس التصنيف الثالث يتضمن الفرق بين الأقارب الخطيين

« المباشرين » Lineal والأقارب الجانبين « غير المباشرين » Collateral فالأقارب الخطيين هم أولئك الذين يرتبطون ببعضهم في خط واحد ، وهكذا يعتبر الأباء والأبناء أقارب خطيين . أما الأقارب الجانبون فهم أولئك الذين يرتبطون بشكل غير مباشر من خلال أحد الأقارب الذي يصل بين الخطيين ولهذا يعتبر العم أو « الخال » قريبا جانبا لدى بعض المجتمعات لأنه أما أن يكون أخا للأب أو أخا للأم . وكذلك يعتبر أبناء العم أو « الخال » أقارب جانبيين لانهم يرتبطون بالشخص بصلة قرابة غير مباشرة لأنهم أبناء أخوة الأب أو أبناء أخوة الأم .

وهناك مجتمعات أخرى لا تعرف التمييز بين الأقارب الخطيين والأقارب الجانبين كما هو الحال عند شعب « الشيريكاهو الاباشي » حيث تستخدم المصطلحات الدالة على أخوة الشخص نفسه على جميع أبناء أو بنات العم أو « الخال » بغض النظر عن مدى قرابتهم للشخص .

وكذلك لا يميز السكان الأصليون لجزر « هاواي » في مصطلحات القرابة بين الأب وأخوته الذكور . فالجميع يطلق عليهم مصطلحا واحدا .

٤ — أما الأساس الرابع عند « كروبر » فيرتبط بنوع القريب « ذكرا أو أنثى » ويبدو هذا الفرق واضحا في نظام القرابة في مجتمعا في التمييز بين الأب والأم والعممة والعم (والخال والخال) والأخ والأخت وابن الأخ وبنت الأخ . والمصطلح الوحيد الذي لا يبدو فيه هذا الأساس واضحا هو ابن أو بنت العم (وابن أو بنت الخال) الذي ينطبق على كافة الأقارب الجانبين من جيل الشخص نفسه ، بصرف النظر عن نوع القريب ذكرا أو أنثى .

٥ — ويتضمن خامس أساس للتصنيف عند « كروبر » الفروق في نوع المتكلم نفسه (الذي يخاطب أقاربه) ففي نظام القرابة في مجتمعا مثلا يستخدم الذكور والاناث نفس مصطلحات القرابة ولكن

هناك نظما قرابية أخرى عديدة تختلف فيها المصطلحات بالنسبة للمتكلم الذكر والأنثى . من هذا مثلا أنه عند « النافاهو » يخاطب الشخص ابنه بمصطلح يختلف عن ذلك الذى تخاطب به المرأة ابنها ، كما أن هناك مصطلحين للبتت أحدهما يستخدمه المتكلم الذكر، والآخر تستخدمه الأنثى .

٦ — وينصب الأساس السادس للتصنيف عند كروبر على الفروق فى نوع القريب الذى يمثل همزة الوصل فى القرابة . وقد لاحظنا من قبل أن الأقارب المجائين هم أولئك الذين يرتبطون بالشخص من خلال قريب معين .

والملاحظ على نظام القرابة فى المجتمعات الغربية — وفى مجتمعات أخرى — أن نوع القريب الذى يمثل همزة الوصل لا تترتب عليه أية نتيجة ، فجميع أبناء أو بنات العم أو « الخال » يجمعون تحت مصطلح إلا أن السائد فى مجتمعات أخرى كثيرة هو أن واحد هو Cousins تقسيم هذه الفئة « أبناء وبنات العم والخال » الى جماعتين : الأولى . هى أبناء العمومة أو الخؤولة المتقاطعة « Cross Cousins » أى أبناء الأخوال والعمات ، والجماعة الثانية هى أبناء العمومة والخؤولة المتوازية « Parallel Cousins » أى أبناء الأعمام والخالات . وواضح أن الفرق بين المجموعتين يرجع الى نوع القريب الذى يمثل همزة الوصل .

٧ — أما الأساس السابع فيميز القرابة الدموية عن قرابة المصاهرة . والقرابة الدموية تضم أولئك الذين ينتمون الى أسرة الشخص نفسه وأسرة أجداده وأحفاده ، أما قرابة المصاهرة فتضم أولئك الأقارب من خلال الزواج . أى أولئك الذين يسبق اسمهم فى مصطلحات القرابة الغربية كلمة « In-Law »

٨ — والأساس الثامن والأخير لتصنيف القرابة ينصب على الفروق فى المكانة أو الظروف المعيشية للشخص الذى تقوم علاقة القرابة من خلاله ، ويمكن أن نجد نموذجا لذلك عند شعب « الشيريكاهو الاباشى »

فعندهم ينتقل الزوج ليعيش مع أسرة زوجته ، فان علاقته تتغير من حيث أنه يتحتم عليه أن يتزوج أيا من أخوات أو بنات عمومة أرملة اللاتي لم يسبق لهن الزواج ، ومن ثم يظل بين أفراد الأسرة التي انضم اليها بعد زواجه الأول .

النسق القرابى فى بنى كبير :

يلعب النسق القرابى بمعناه الواسع دورا هاما فى حياة قبيلة بنى كبير كما هو الحال فى المجتمعات العربية . ذلك أن العلاقات والروابط القرابية تمثل هذا الدور الهام فى الحياة اليومية . ونعتقد أن مثل هذا الدور لا بد أن يحظى باهتمام الباحثين الانثروبولوجيين (العرب) بصفة خاصة .

فان كان هذا الموضوع لم يجذب اهتمام الغربيين بصفة خاصة فانه لا بد أن يكون على رأس قائمة الاهتمام لدى الباحثين العرب . فالعرب لا تلعب الروابط القرابية لديهم الدور الهام الذى تلعبه فى المجتمع العربى . ونعتقد من جهة أخرى بأنه لكى يتسنى لنا فهم البناء الاجتماعى نفسه فلا بد لنا من التعرف بشكل جيد على النسق القرابى . وكما قلنا فى فصل سابق فانه لا يمكن فصل النظم والانساق الاجتماعية فى أى مجتمع عن الأخرى ذلك انه يوجد بين هذه الاساؤ. تفاعل وتداخل وتشابك يقود فى النهاية الى فهم البناء الاجتماعى العام للمجتمع موضوع الدراسة ومتى تم فصل الأنساق تعسر الوصول الى هذا الفهم .

وبالمقابل فانه لكى يتم هذا الفهم فلا يمكن الفصل بين القرابة من ناحية والزواج والعائلة من ناحية أخرى عند دراسة أى مجتمع تقليدى بل لا بد من تحليل نظم العائلة والزواج لأن « نسق القرابة » يقوم فى أساسه على نوعين من العلاقات هما — علاقات الدم — وعلاقات المصاهرة — وهما الموضوعان الأساسيان المتعلقان بالعائلة والزواج . .

وعلى هذا فنحن نميل الى الرأى الذى يعرف البناء الاجتماعى بأنه

هو الطريقة التي ينقسم بها المجتمع الى زمر اجتماعية أو جماعات متميزة وأن هناك عناصر أساسية وجوهرية توجد في كل مجتمع كأساس لهذا التمايز والتفاضل مثل مبدأ التمايز على أساس الجنس ومبدأ التوزيع الاقليمي للجماعات ومبدأ التمايز على أساس السن والتمايز على أساس التنظيم القرابي .

والمتبع للدراسات الاجتماعية والانثربولوجية الخاصة بالنسق القرابي سوف يلاحظ أن معظم الباحثين يستخدمون كلمة « قرابة » مرادفة لكلمة (روابط الدم) بينما القرابة تعنى في أبسط تعريف لها بأنها (العلاقات التي تنشأ بين شخصين أو أكثر لانحدار أحدهما من صلب الآخر أو من سلف مشترك) بينما « روابط الدم » تنشأ عن طريق المصاهرة وليس عن طريق الاشتراك في سلف واحد . ونرى أن أية دراسة تتصف بالعمق فيما يخص (النسق القرابي) من الضروري أن تهتم بدراسة القرابة بمعناها الضيق وكذا المصاهرة التي تنشأ عن طريق الزواج .

فدراسة النسق القرابي للقبيلة كلها مثلاً لن يهيء فرصة لوصف مثل هذه الدراسة بأنها عميقة ، ذلك أن النسق القرابي في القبيلة واسع ومتشعب وتتداخل فيه روابط الدم وروابط القرابة ويبدأ من الأسرة الصغيرة وانتهاءً بالبدنة الكبرى والتي تشكل مع بدئات أخرى مجتمع القبيلة الكلي .

وتعتبر العائلة الصغيرة أو الأولية أو الأسرة نواة (للنظام القرابي) في مجتمع بنى كبير كله . على الرغم من أن الروابط القرابية تمتد الى ما وراء حدود الأسرة بكثير - شأنه في ذلك شأن المجتمعات القبيلة الاخرى - وتؤلف بناءً واحداً متميزاً يصل الى درجة كبيرة من التعقيد والتشعب ، بحيث يشمل أفراد المجتمع كله كما أسلفنا .

في حين أن (الزواج) يعتبر النواة الأولى لدراسة (نظام المصاهرة)

وهذا التعقيد والتشعب في العلاقات التي تنشأ عن طريق نظم القرابة والمصاهرة يشمل مجتمع بنى كبير كله الا اذا استثنينا التمايز القائم على أساس (النسب) « والمهنة » فروابط الدم قائمة في كل قطاعات المجتمع ولا يستثنى منها الا أولئك الذين لا تعرف لهم أنساب بمعنى أن سلفهم من المهاجرين الى أرض القبيلة استوطن بها وأنجب أولادا وأحفادا . فهو لا يتمتع بروابط القرابة لانه ليس في الأصل من القبيلة ولا يتمتع بروابط الدم التي تنشأ عن طريق المصاهرة . لأن أيا من أفراد القبيلة الصرحاء لا يرضى أن يزوجه احدى قريباته أو يتزوج هو من احدى قريبات هذا المجهول النسب ، كما هو الحال بالنسبة لصانعى الفخار وصناع الحديد في مجتمع بنى كبير .

وقد أوضحنا في فصل سابق أن كل أفراد مجتمع بنى كبير عدا من أشرنا اليهم يتوفر لديهم الشعور القوي بالانتماء الى جد وسلف واحد يشتركون فيه جميعا . ثم عرضنا أيضا للتقسيمات النوعية الثلاثة وهي البدنات التي تشكل مجتمع بنى كبير . (بالحرث والعلى والجابر) . ثم التقسيمات الاصغر وهي « اللحام » . ثم العائلات الكبيرة فالأسرة الصغيرة نسبيا .

وإذا أضفنا الى كل ذلك (علاقات روابط الدم) التي تنشأ نتيجة للمصاهرة والزواج لأصبح لدينا نطاقا أوسع للقرابة ، وهذا يستدعى التمييز بين نوعين من الأقارب هما : الأقارب العاصبون «Agnates» وهم الذين يؤلفون العصبة ونقصد بهم أولئك الذين يرتبطون ببعضهم بروابط قرابية عن طريق الذكور فقط وعليه فان الأب والابن وابن الابن يعتبرون عاصبين بعضهم لبعض . كما تعتبر البنت عاصبة لأبيها لأنها ينتسبان الى عصة احده هي الجد بالنسبة للبنت والأب بالنسبة لأبيها . في حين أن ابن البنت لا يعتبر عضوا في عصة أمه وانما يعتبر عضوا في عصة أبيه ، وهذا النوع هو ما يطلق عليه في الكتابات الحديثة «Patrilinal Kinship»

أما النوع الثانى من القرابة فهو « قرابة ذوى الأرحام »

«Matrilineal Kinship» .. بينما لا نستطيع استخدام مصطلح « القرابة الأموية » في مجتمع بنى كبير لأن هذا المجتمع لا يعرف نظام « الانتساب الأموى » أو الانتساب فى خط النساء وإنما يتبع نظام الانتساب الى الأب ، وعلى هذا فان مصطلح ذوى الأرحام نعى بها فقط الأقارب الذين تنشأ بينهم روابط قرابية عن طريق النساء بالمصاهرة كالعلاقة بين الابن وابن خالته أو ابن خاله أو ابن عمته أو حتى ابن ابنته اذا كانت متروجة فى عائلة أخرى لا تربطها مع عائلته روابط قرابة أى لأنها لا تلتقى معها فى جد واحد .

وهذا يتفق مع تصنيف « كروبر » الذى أشرنا اليه أنفا . ويختلف تماما مع التصنيف الثالث خاصة فيما يتعلق بمجتمع « الشيريكاهو الاباشى » .

وعلى هذا فانه لكى نعين نسب أى شخص لابد أن نرجع نسبه الى جد أعلى قد يعود الى أجيال سابقة لكننا نلاحظ أنه كلما كان هذا السلف بعيدا فى الماضى ، كلما اتسعت دائرة الأقارب بالنسبة لهذا الشخص نفسه .. وهذا بطبيعة الحال يخالف تماما نظام الانتساب لدى المجتمعات الغربية الذى أشار اليه (كروبر) فى الأساس الأول من تصنيفه .

وهذا يعنى بالنسبة لمجتمع بنى كبير أن نظام أونسق القرابة ، نظام متسق من العلاقات الذى يرتبط فيه الافراد بعضهم ببعض عن طريق شبكة من العلاقات القرابية التى تظهر بالتالى الجماعات القرابية كالاسرة والعائلة الكبيرة واللحمة (الفخذ) والبدنة ثم القبيلة . فى حين تعتبر العائلة الصغيرة أو الأسرة أبسط صور القرابة وعلى أساسها تقوم أشكال وصور العائلات الأخرى الأكثر تعقيدا وتركيبا ..

والشكل السائد فى مجتمع بنى كبير للعائلة هو ما يمكن تسميته بـ (العائلة المركبة Complex family والعائلة الممتدة Extended family)

فنظام تعدد الزوجات موجود في هذا المجتمع ، حيث نجد أن الرجل في أحيان كثيرة يتزوج أكثر من واحدة وينجب من كل زوجة عددا من الأطفال . وقد يصل لدى معظم الأسر الى أكثر من « عشرة أولاد » بين ذكور وإناث وهؤلاء يتزوج الذكور منهم فور بلوغهم سن الرشد ، وتعيش زوجة الابن مع الأسرة تحت سقف واحد وعيشة مشتركة . وينجب هؤلاء المتزوجون أطفالا . وتؤلف العائلة في النهاية وحدة قرابية نتيجة لوجود عضو مشترك يربطها ويؤلف بينها وهو هنا « الجد » أو كبير العائلة كما يسمونه .

ثم نلاحظ أن العلاقات في هذه الأسرة زادت اتساعا فالرجل فيها يلعب عدة أدوار ، فهو ابن في العائلة وزوج وأب في نفس الوقت ، ويقوم أو يؤدي وظائف مختلفة لكل من هذه الأدوار .

وفي حالات كثيرة يزداد الأمر تعقيدا عندما يتزوج الابن في هذه العائلة بأكثر من واحدة . وينجب من كل زوجة عددا من الأطفال ، بحيث يحل متوسط هذه الأسرة أو العائلة التي تشمل من ثلاثة الى أربعة أجيال هي الجد والجدة . ثم أبناؤهما ، ثم أبناء الأبناء فالأحفاد الى (٢٠) فردا . وكل هؤلاء يعيشون في وحدة سكنية واحدة ، ويؤلفون وحدة اقتصادية يرأسها الأب الأكبر للعائلة وتقوم بينهم علاقات غاية في التعقيد ، فيحرص أفراد العائلة على استمرارية هذه العلاقات والمحافظة عليها .

ويتخاطبون بالفاظ معينة فالذكور والاناث يخاطبون كبير العائلة بلفظ « أبى » وذلك بالنسبة للجيل الأول وهم أبناء رب العائلة وبناته . وتستخدم زوجة الابن هذه الكلمة أيضا عند مناداتها لوالد زوجها أما أبناء الأبناء فينادون الأبوين الرئيسيين (بجدى وجدتى) .

وبالنسبة للأخوة والأخوات ، فيستخدمون عند مخاطبتهم لبعضهم البعض لفظ (أخى وأختى) خاصة اذا كان المدعو أكبر سنا من الداعي . لكن مدى التمسك بهذه الألفاظ عند المخاطبة يتفاوت بين الذكور والاناث

فنجد أن الأخ ينادى أخته الكبرى باسمها مجردا من لفظ (أختى) بينما يجد حرجا أو هو لا يستطيع أن يفعل ذلك بالنسبة للأخ الأكبر من الذكور والسبب في ذلك يعود الى أنهم ينظرون الى المرأة نظرة أقل احتراما بالنسبة للرجل . فالرجل هو المهم في المقام الأول داخل الأسرة وعلى هذا فلا يجوز أن يبدى احتراما للمرأة تلك التي لا تبلغ أهمية الرجل ومكانته في العائلة .

أما الأبناء فينادون « أعمامهم » وهم اخوة الأباء « وعماتهم » أخوات الآباء بأسمائهم مسبوقة بلفظ « أبى وأمى » فالعلم والعممة يضعونها في مرتبة الأب والأم عند المخاطبة .

وهكذا تلاحظ أن المرأة بالنسبة للأخ لا تنال الاحترام بقدر ما تناله من ابن أخيها فهي مع الأخ تفقد لقبها وتنادى باسمها مجردا بينما ابن الأخ يحفظ لها هذا اللقب ويرفعها الى مرتبة الأم ، ولعل ذلك يعود الى الفرق الواضح في العمر بين الاثنين والى أنها شريكة في ارث والدها مع أخيها والد هؤلاء الأبناء فيعاملونها معاملة حسنة حتى لا تطالب بهذا الارث وتتنازل عنه لأبناء أخيها ، أما حين معاملتها معاملة غير لائقة فانها سوف تأخذ هذا الحق في الارث وتتصرف فيه كيف تشاء وربما باعتها الى الغير ، وعندها تنتقل ملكية الأرض الى الغريب عن هذه العائلة .

وليست هناك فروقا واضحة في العلاقة الا بين الأبناء والبنات غير الأشقاء - في حياة الأب - فالعلاقة بين هؤلاء هي نفس العلاقة تقريبا بين الاخوة والأخوات الأشقاء . ذلك لأن رب العائلة لا يسمح بظهور مثل هذه الفوارق . لكننا نجدها تختلف بعد وفاة الأب . حيث نلاحظ أن الأشقاء ينحازون مع بعضهم البعض بينما يبقى غير الأشقاء في طرف آخر . فعند قسمة الأرض بعد وفاة الوالد يختار هؤلاء أراضيهم متجاوزة وتبقى ملكيتها لهم جميعا بينما غير الشقيق تكون أرضه خارج المجموعة الأولى . وهذه احدى مساوىء تعدد الزوجات ، ذلك أن

مجموعة الأشقاء بحكم شعورهم بأنهم من بطن واحدة ورضعوا من ثدى واحد تنشأ بينهم علاقة أقوى . بالإضافة الى سوء العلاقة بين الزوجات وانعكاس هذه العلاقة على الأبناء بحيث لا تصبح العلاقة جيدة بين الابن زوجة الأب . ولكن ذلك لا يعنى انفصام العلاقة بين الاخوة الأشقاء وغير الأشقاء بل أن الطرفين يحاولان الإبقاء على هذه العلاقة وحصر الخلاف القائم داخل نطاق العائلة .

وقد تقع حالات (طلاق كثيرة) فى حياة كبير العائلة وذلك عندما تحاول احدى زوجات أى من الأبناء افساد العلاقة فى الأسرة بمطالبتها مثلا بالاستقلال الاقتصادى عن الأسرة والخروج من الوحدة السكنية للعائلة وعندما لا تتراجع عن هذه المطالب يطلقها الزوج محافظة على وحدة العائلة وتماسكها . غير أن ذلك لا يحدث فى حالة وفاة كبير العائلة وخاصة فى الأونة الأخيرة فيمكن أن يستقل أحد الأفراد اقتصاديا لكنه يبقى داخل العائلة . بمعنى أنه ينتهى جانباً فى وحدة سكنية داخل الوحدة السكنية للعائلة اذا كان هناك متسعاً لمثل هذا الاستقلال . والهجرة من القبيلة هى المخرج الأسهل للابن الراغب فى الاستقلال عن الأسرة ، حيث يهاجر الى احدى المدن بأسرته الصغيرة . كما سنشير انى ذلك فى فصل لاحق .

أما تعدد الزوجات وزواج الأبناء فقد أنشأ نوعاً قرياً من أنواع العلاقات القرابية بين العائلات المختلفة ، ذلك أن علاقات « النسب والمصاهرة فى مجتمع بنى حبير تساوى الى حد كبير نفس العلاقات التى تعود الى (روابط الدم) . . . بحيث أن العائلات التى تقوم بينها علاقات المصاهرة تشكل (جماعة ثأرية) وتتحد لهذا الغرض فى حالة وقوع اعتداء على أى فرد منها .

ويحرص مجتمع بنى كبير على تكريم الأصهار واجترامهم . بل يرون أن الصهر أو كما يسموه (العانى) شريكا فى المال الولد ، ومن قال بغير هذا فلا خير فيه . يقول شاعرهم :

ان العنية خشير الظفر في ماله . . لا خير في لابة ترخص عوانيتها
والمقصود بالعنية : الأصهار أو ذوى الأرحام والخشير هو «الشريك»
والظفر هو الرجل الشهم المظفر . واللابة معناها الوحدة الاجتماعية
ليصبح المعنى كاملا .

ان الصهر شريك للرجل الشهم في المال والولد والمسرات ويجب أن
يكون كذلك وان يكون هذا هو شعور المجتمع . أما من أرخص أو
استهان بالأصهار فلا خير فيه ولا في وحدته الاجتماعية .

وعلى ذلك فقد اكتسب (الخال) عندهم أهمية واحتراما خاصا
وتقديرًا من أبناء الأخت، حتى أنهم يرون أنه من العار أن يطلب أبناء
الأخت نصيبهم في ارث الأم الذى بيد الخال . وتقوم بين الخال وأبناء
أخته علاقات أدائية وعاطفية . تتمثل في تبادل المصالح وتقريب ابن
الأخت الى منزلة الولد لدى الخال وفي نفس الوقت رفع مرتبة الخال
انى مرتبة الوالد . يعبر عنها ابن الأخت بالاحترام والتقدير لخاله .
ذلك في الأوقات العادية . أما لو حدث أن وقع خصام بين عائلة الابن
وعائلة أخواله فان رابط القرابة تغلب على ر وابط الدم . أى أن ابن
الأخت يمكن أن ينحاز الى قرابته العاصبة التى ينتمى معها في خط الذكور
انى سلف مشترك . ضد عائلة أخواله .

ولدى مجتمع بنى كبير قولاً مأثوراً في هذا المعنى عبر عنه شاعرهم
منذ القدم بقوله :

أنا من أخوالى إذا طاب الزمن . . ومن بى عمى اذا اصطك الحجر

ومعناه على لسان ابن الأخت « اننى من أخوالى تقوم بينى وبينهم
علاقات ود ومحبة اذا كان الوقت سلم بين عائلتي . ولم يحدث من
الظروف ما يعكر صفو الزمن . ولكنى اذا حدث نزاع بين عائلتى وعائلة
أخوالى ، والتى عبر عنها الشاعر بقوله « اذا اصطك الحجر » ومعناه اذا
ضرب حجر في حجر آخر اشارة الى وقوع مصادمة ونزاع بين العائلتين

فاننى فى هذه الحالة سوف أكون مع من تربطنى بهم روابط القرابة العاصبة ولن أكون مع العائلة التى تنتمى إليها والدتى » .

ومعنى هذا أن الفرد فى المجتمع القبلى يكون على علاقة أدائية ووظيفية بالعم أكثر من الخال ، وذلك لوجود روابط العصبية فى الأولى وانتفائها فى الثانية . وهذا يؤيد ما ذهب إليه ابن خلدون . أنظر ص ٥ من الفصل الأول - الباب الأول . الذى يرى أن العصبية تلعب دورا هاما فى الحياة القبلية حتى أنها هى التى تجعل العلبة لفئة على أخرى وتؤدى الى تولى الرئاسة فى القبيلة .

والزواج المفضل فى مجتمع بنى كبير هو الزواج من « بنات العم » ما لم تقم هناك من روابط المحارم ما يمنع ذلك كالرضاع مثلا بين أبناء العمومة كما هو الحال فى معظم البلدان العربية التى توجد بها المجتمعات القبلية التقليدية . ذلك أن القبلى يشعر بالانتماء الشديد الى أرضه ، وبما أن ابنه العم احد ورثة هذه الأرض فان زواجها خارج نطاق العائلة أو الوحدة القرابية . يعنى خروج جزء من هذه الأرض وانتقال ملكيتها الى وحدة قرابية غريبة أو بعيدة عن وحدة الزوجة . ولهذا كان الحرص شديدا على أن يتزوج الرجل من ابنة عمه أو أن يتزوج ابن العم من بنت ابن العم وهكذا .

وهناك زواج آخر شائع فى مجتمع بنى كبير وهو أن يتزوج الأب من زوجة أخيه بعد فاته لتحقيق هدفين هامين الأول المحافظة أو منع انتقال ملكية الأرض عن طريق ارث الزوجة الى وحدتها القرابية ، والثانية بقاء أبناء أخيه تحت اشرافه وسيطرته ، لأن الزوجة بعد وفاة زوجها وعودتها الى بيت أهلها ربما تتزوج من رجل آخر فيعرض الأولاد للتشرد خاصة وأن زوجة الأب دائما لا تحسن معاملة أبناء زوجها من امرأة أخرى

أما فى حالة فشل زواج الأخ من زوجة أخيه المتوفى . أما لعدم التراضى بين الطرفين وأما لعدم وجود الزوج أصلا . فان الوحدة القرابية

للزوج المتوفى خاصة اذا كانت الزوجة المتوفى عنها لم تنجب ذكورا يذهب عدد من رجالها الى أهل الزوج حتى لو كانت من خارج القبيلة ويقدمون نقودا لها ثمنا لنصيبها في الميراث من الأرض . وتتنازل هي عن هذا الارث تنازلا شرعيا يسقط أى حق لها في المطالبة بعد ذلك . والهدف من هذا هو بقاء الأرض وعدم تجزئتها وبالتالي منع انتقال ملكيتها الى الآخرين .

وإذا انتقلنا الى الحديث عن العلاقات القرابية خارج نطاق العائلة المركبة والممتدة ، وهى كما قلنا الشكل السائد في مجتمع بنى كبير . بين « اللحم » لوجدنا أن الألفاظ فيها تتراوح بين (العم والعمة) فكل الأفراد الذين تضمهم هذه « اللحم » الذكور والاناث ينادون من كان أكبر منهم سنا بأسمائهم مسبوقه بلفظ (العم فلان والعمة فلانه) مهما على السلف الذى يربط هذه الوحدة القرابية .

ويمكن القول بأن أسس التصنيف القرابى في مجتمع بنى كبير تعتمد على ما يلى :

١ — القرابة على أساس الجيل نفسه تبعا لفروق العمر (١) فيما أسلفنا فان الشخص يخاطب أخاه الأكبر باسمه مسبقا بـ (أخى) . بينما الأخ الأكبر الأكبر يخاطب الأصغر باسمه مجردا من لفظ أخى . اذا كان النداء بينهما لكن الأكبر عندما يذكر اسم أخيه عند الآخرين فانه يقول (أخى فلان) مجرد أن يعرف السامع أنه يتحدث عن أخيه .

وعلى نطاق (اللحم) تتم المخاطبة تبعا لهذه الفروق . فالأصغر سنا يخاطب الأكبر سنا مهما على السلف الذى يجمعهما بمصطلح (العم) فلا يقول لرجل أكبر منه سنا مثلا (يا أحمد) وانما يقول (يا عم أحمد) واذا كان المتكلم والمخاطب من نفس الجيل فانهما يتنادان بالاسم مجردا من أى مصطلح ولكن اذا كان أحدهما يكبر الآخر فانه يخاطبه بمصطلح

(١) انظر تصنيف (الفرد كروبر) بداية هذا الفصل .

(ابن العم) • وما أوردناه هنا من مصطلحات تنطبق على الذكور والاناث في مجتمع بنى كبير •

٢ — وثانى هذه الأسس مرتبط بنوع القريب نفسه (ذكر أو أنثى) ويتضح هذا التصنيف عند التمييز بين الأب والأم والعم والعمة والخال والخالة والأخ والأخت وابن الاخ وبنت الاخت • فهم يعتبرون كلا من العم والعمة والخال والخالة على درجة واحدة مع الأب والأم من حيث الوقار والتقدير • فما عدا الخال فان المصطلح الذى يخاطب به العم الشقيق للأب هو (أبى) فلا يناديه مثلا بعمى فلان بل يناديه بمصطلح (أبى فلان) وكذلك الحال بالنسبة لأخت الأب وأخت الام فكلاهما تناديان بمصطلح (أمى فلانه) •

أما الخال فهم لا يعرفون له مصطلحا آخر خلاف أن ينادى ابن الأخت أو بنت الأخت خاله باسمه مسبقا بـ (خال) بينما الخال يخاطب كلا من ابن وبنت الأخت بمصطلح (الابن أو البنت فلانه) •

أما ابن أو بنت الخال وابن أو بنت العمة فان التصنيف السابق لا يبدو واضحا لدى هؤلاء فيمكن أن يخاطب الأصغر منهما الأكبر بلفظ الأخ أو الأخت ويمكن ألا يستخدم هذا المصطلح •

٣ — وهناك تصنيف آخر ينشأ عن علاقة اجتماعية خاصة • وهى القرابة على أساس (الرضاع) لا تنشأ عنه علاقة فقط بين الرضعاء من ثدى واحد فقط ، بل يتعداه الى قيام علاقات اجتماعية متينة بين العائلة التى رضع طفل منها أو أطفال من امرأة من عائلة أخرى • وإذا حدث أن رضع طفل من امرأة من عائلة فانه لا يقتصر الأمر على عملية رضاع واحدة بل يرضع كل الأطفال من العائلتين من النساء القادرات على الارضاع فى كل من العائلتين ، وذلك بغية تعزيز روابط العلاقة بين العائلتين واستمرارها ويعتبر الأطفال والرضعات بمثابة الاخوة والأخوات والامهات لكل منهم •

ذلك أن الاسلام يعتبر هؤلاء اخوة يحرم على أى منهما أن يتزوج من شقيقته في الرضاع وتصبح المرضعة بمنزلة الأم تماما بالنسبة لمن أرضعته ، وهناك نص شرعى يقول : (يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب) .

ولم يعرف مجتمع بنى كبير (على الاقل في المائة عام الماضية) نظام القرابة بواسطة (التبني) . ونعتقد أن المجتمع لم يعرفه أيضا من قبل هذا التاريخ ، ذلك لأن الدين الاسلامى لم يقر هذا النوع . وألغى (نظام التبني) الذى كان سائدا قبل ظهور الاسلام لدى المجتمع العربى في الجزيرة العربية . ويحدث في مجتمع بنى كبير اذا انقرضت عائلة بكاملها بسبب مرض خطير ولم يبق منها سوى طفل أو طفلة في سن الرضاعة أن تقوم العائلة الأخرى الأقرب نسبا الى العائلة المنقرضة بضم هذا الطفل أو الطفلة اليها ، ويرضع الطفل أو الطفلة مع نظيره في العمر من أبناء هذه العائلة ، فيصبح أحد أفرادها ليس عن طريق التبني ولكن بواسطة الرضاع .

ولم يعرف مجتمع بنى كبير نظما أخرى للمحارم غير تلك التى حددتها الشريعة الإسلامية ، وهو ما سوف نوضحه بالتفصيل في الفصل الأخير من هذه الدراسة .

أشكال الجماعات القرابية في بنى كبير:

تتدرج الجماعات القرابية في بنى كبير الى أربعة مستويات تبدأ من البدنة الى اللحام ثم العائلة الممتدة فالأسرة الصغيرة الحجم نسبيا . ويصغر حجم هذه الأشكال تدريجيا وصولا الى الأسرة أصغر الوحدات القرابية حجما .

وقد عرفنا في فصل سابق أن قبيلة بنى كبير تتكون من ثلاث بدنات رئيسية هى بالحارث والعلى والجابر . وقلنا أن بدنة بالحارث يتوزع أفرادها على ثلاث قرى في وادى بنى كبير هى العبادل والفلاح والحبيس

هذه القرى الثلاث تشكل النوع الأول من أشكال الجماعات القرابية في بنى كبير وهى (البدنة) وتقوم بين أفراد هذه البدنة علاقات وروابط قرابية ويشكلون عصابة واحدة حيث ينتمى هؤلاء الى سلف واحد هو فى الغالب الجد العشرون ، ذلك أن الاخباريين والذين تتراوح أعمارهم بين ٨٠ ، ١٣٠ عاما ، ذكروا أنهم لم يسمعو من آباءهم وأجدادهم الذين أدركوهم قبل الوفاة ، أن هذه القرى لم تكن معروفة فى عهد الأجداد ولم يكن سكانها يجتمعون فى مكان واحد أو قرية احدة من هذه القرى الثلاث وقد سألت أحد العمرين الذى يزيد عمره الآن عن ٣٠ عاما أن كان يعرف بأن بدنة بالحارث كانت تعيش فى مكان واحد معيشة مشتركة فأجاب بالنفى .

هذه ناحية ، والناحية الأخرى هى أننى سألت هؤلاء العمرين أن يذكروا أنسابهم ، فاستطاع معظمهم ذكر أجدادهم حتى الجد الرابع عشر ، بينما استطاع اثنان منهم الانتساب حتى الجد السابع عشر ولم يرد ذكر اسم (حارث) الجد الأكبر لهذه البدنة .

ومهما يكن الأمر فإن هذه البدنة كانت فى الأصل عائلة ممتدة تكاثر عدد أفرادها حتى قضت الضرورة بأن ينقسموا مكانيا فتوزعوا على هذه القرى الثلاث واستوطنت الوحدات القرابية المنقسمة فى هذه القرى ويقوم بين هذه القرى علاقات قرابية قوية أساسها الشعور بالانتماء الى سلف واحد مشترك كما ذكرنا ذلك قبلا . ولقد كانت ولا تزال تقوم بين هذه القرى صور التعاون تمثأت فى الماضى فى أوقات الحروب القبلية حيث كانت هذه البدنة تدفع بعدد من شبابها للدفاع عن مصلحة البدنة ومصلحة القبيلة ، ولقد كانت تقوم خلافاً تؤدى الى صراع مسلح بين البدنات الثلاث .

فكان اذا حدث عدوان مثلا من بدنة آل على ، على بدنة بالحارث فإن كل قرية كول فرد فى البدنة الثانية يعتبر نفسه مسئولا مسئولة مباشرة عن هذا الاعتداء وبأن الاعتداء وقع عليه شخصيا فلا بد من صد العدوان واسترداد حقوق البدنة ، بمعنى آخر فإن الروابط العصبية الأقرب

تفوق تلك الروابط العصبية بين البدنات الثلاث . ولقد كانت عملية الالتحام بين البدنات الثلاث تتمثل في حالة وقوع عدوان خارجي على أي منها . فعندها تتناسى هذه البدنات خلافاتها وتعود الى الالتحام وتذكر العصبية التي تجمع القبيلة كلها ، فتشترك البدنات الثلاث في الدفاع عن بعضها البعض ضد الاعتداء الخارجي .

وفي أوقات السلم يتعاون سكان القرى الثلاث من أفراد بدنة بالحارث في الأعمال الخاصة بأحد أفراد البدنة كبناء المنازل واحضار الأخشاب اللازمة لسقوف المنازل والمشاركة في حفر الآبار واستصلاح الأراضي الزراعية . كما أن لهم (حماهم) الخاص قائم الى يومنا هذا تشترك فيه القرى الثلاث وسيأتي ذكره في الفصل التالي (النسق الاقتصادي) .

أما الشكل الثاني فهو اللحم ومفردها (لحمة) وهي العائلة الكبيرة الممتدة والتي انقسمت الى عائلات أصغر وهي التي تشكل في مجموعها القرية كلها ، ولكل لحمة أقارب عاصبون في لحم أخرى تحمل نفس الاسم في القرية الأخرى سواء في الفلاح أو الحبيس ، وجد أو سلف هذه اللحم أقرب من سلف البدنة الأكبر . وهم أقارب عاصبون ، وتبدو العلاقة بين اللحم أشد وضوحا منها في البدنة وذلك لقرب سلفهم عن سابقة في البدنة ، ويقوم بين أفراد اللحم الواحدة علاقات أقوى ويجمعهم شعور واحد واحساس بالانتماء الى السلف والأرض المشتركة . فعندما ينزل أحد أو مجموعة من أفراد قريتي الفلاح والحبيس ضيوفا لدى قرية العبادل فانهم لا يستريحون الا عند أقربائهم في القرية المذكورة ، وذلك يتمثل عندما يشاركون في أفراح الزواج ويحضرون الى القرية فانهم بعد انقضاء الوليمة في المساء يتوجه كل فرد الى الوحدة القرابية الاقرب اليه للمبيت والراحة . أما الجد أو السلف الذي يجمع أفراد هذه اللحم فانه لا يتجاوز الجد السابع الى العاشر .

اما على مستوى القرية فان الاشكال القرابية تبدو أكثر وضوحا .

ذلك أن جميع أفراد القرية الواحدة ينتمون الى جد واحد وانقسموا مع التكاثر عبر الزمن الى (لحام) وهو ما يمكن أن نسميه بالعائلة الممتدة الكبيرة الحجم وهذه (اللحام) انقسمت الى عدد من العائلات (المركبة الممتدة) تجمعها مع اللحام « رابطة الدم » بالانحدار من سلف واحد لا يتجاوز الجد الرابع أو الخامس حاليا . ثم انقسمت هذه العائلات الى عائلات أصغر لا يتجاوز نسبها الجد الأول أو الثاني وهذه تشكل وحدات اقتصادية مستقلة تتفاعل مع بعضها البعض ويكمل بعضها البعض الآخر وتتعاون في كل الأنشطة ومساكنها متقاربة ومتجاورة وكذا أراضيها الزراعية وتفضل هذه الوحدات الزواج من بنات العم والأقرب فالأقرب .

ونفس هذا النظام متبع في بني كبير البادية وللحاضرة أقارب في البادية تربطهم بهؤلاء روابط الدم والانحدار من سلف واحد مشترك ، والبدو دائمو التنقل من مراعيهم الى أسواق الحاضرة لبيع ماشيتهم ومنتجاتهم واستبدالها بالغذاء الضروري أثناء حضورهم الى الأسواق يذهبون بعد قضاء حاجاتهم من السوق الى دور أقربائهم وذويهم في ، القرى وكان هؤلاء يسعدون بلقائهم ويبالغون في اكرامهم وقضاء حاجاتهم . ذلك لأن هؤلاء عندما يذهبون الى البادية يجدون أصنافا من الكرم لدى أقاربهم هناك ، والبدوى شديد الفخر « باللحمة » التي ينتمي اليها وشديد الحرص على التمسك بالزواج من ابنة عمه ، ليس لأنها تملك الأرض ويخشى من انتقال ملكيتها كما هو الحال لدى الحاضرة ولكن الشعور بالانتماء وتفضيله أن يتزوج من داخل وحدته القرابية الأقرب يدفعه في أحيان كثيرة الى أن (يحجر) على ابنة عمه ، بمعنى أن ابنة العم اذا لم توافق على الزواج من ابن عمها فان أحدا لا يستطيع أن يتقدم لخطبتها من أى وحدة أخرى ما لم يعلن ابن العم عدم معارضته في زواجها من آخر . وقد كان هذا متبعاً لدى سكان البادية في بني كبير حتى عهد قريب جدا لايزيد عن عشر سنوات ، وهناك عدد غير قليل من البدويات بلغن سن اليأس دون زواج أو تزوجن وهن كبار السن بسبب هذا الحجر .

ونظام الحجر هذا كان سائدا في الجاهلية ولا تزال جذوره باقية الى عهد قريب على الرغم من أن الاسلام أعطى للمرأة حرية اختيار الزوج والموافقة عليه .

ويتزوج سكان حاضرة بنى كبير من بنات سكان البادية ، ولكن لم يحدث على الأقل في الأونة الأخيرة أن تزوج أحد سكان البادية واحدة من بنات سكان الحاضرة ويبدو أن السبب في ذلك يعود الى أن بنت الحاضرة لا تستطيع أن تهجر حياة الاستقرار في البيوت والعمل الزراعى الى حياة الترحال ورعى الماشية في الشعاب والأودية .

ونلخص ما سبق بالقول بأن الأشكال القرابية الرئيسية في بنى كبير تبدأ من الوحدات الكبرى وهي البدنات ثم اللحام التي تشكل القرى ثم اللحمة الواحدة داخل القرية والتي تنقسم بعد ذلك الى عائلات ممتدة ومركبة وجدت نفسها منقسمة مكانيا لظروف المعيشة والظروف الاقتصادية ثم الأسر التي تكون هذه العائلات وانتهاء بالأسرة الصغيرة .

وعلينا أن نلاحظ أن كافة العلاقات والروابط الاجتماعية تكون في منتهى القوة عند الأسرة الصغيرة ثم اذا تتبعناها الى أعلى لوجدنا أنها تفقد هذه القوة بالتدرج وصولا الى البدنة ثم الى البدنات التي تشكل القبيلة وهذه خاصية الانقسام التي أشرنا إليها سابقا . أما خاصية الالتحام فلا تظهر بصورة واضحة الا في حالات الحروب التي كانت تقع في الماضى أو في حالات الكوارث التي تصيب أى وحدة قرابية في القبيلة .

ب - النسق الايكولوجي والاقتصادي :

الايكولوجيا في أبسط معانيها تعنى دراسة العلاقة بين البيئة والانسان ولا تقتصر هذه العلاقة على التأثير المتبادل بين الانسان والبيئة في مجالات محددة . ولا بد من تتبع العلاقات بين الانسان والبيئة العامة وأثر العوامل البيئية في كل الأنساق والنظم الاجتماعية باختلاف أنواعها . ومجتمع قبيلة بنى كبير له اقليم خاص يرتبط به الأفراد ويشغل

رقعة محددة من الارض وتحيط به ظروف جغرافية معينة تؤثر بطريق مباشر أو غير مباشر في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وتعطى لها طابعا مميزا .

ولا نستطيع أن نقول بحتمية الظروف الايكولوجية وتوجيهها لنشاط الانسان هنا . وفي نفس الوقت لا يمكن القول بصفة قاطعة بحرية الانسان في بنى كبير وقدرته على التحكم في هذه الظروف . وانما يمكننا أن نقول بأن التأثير متبادل وأن الانسان يسعى جاهدا بقدر طاقته الى الاستفادة من ظروف البيئة إما بتعديلها أو محاولة الاستفادة مما هو كائن متى عجز عن تعديل هذه الظروف . ذلك أن الانسان هنا وهو يمر بمرحلة التطور لم يصل بعد الى القدرة على استخدام الوسائل التكنولوجية المتطورة التي يمكن أن تحدث تغييرا جذريا في هذه الظروف ولذا فقد سعى — ولا يزال — الى محاولة التكيف مع هذه الظروف .

وإذا ألقينا نظرة على المنطقة الجغرافية لقبيلة بنى كبير لوجدنا أنها تمتد من الشمال الى الجنوب ويخترقها وادى بنى كبير وهذا الوادى عبارة عن مجرى سيل تقع على ضفتيه أراض زراعية تفصل بينها وبين الجبال المحيطة بالوادى من الشرق والغرب مسافة يتراوح عرضها بين ٢٠٠ — ٣٠٠ متر على امتداد الوادى من العبرالى المرزوق .

أما بنى كبير البادية فأراضيها تقع في منطقة جبلية غير صالحة للزراعة في معظمها يتخللها عدد من الأودية الضيقة تجرى فيها ينابيع المياه في موسم الأمطار وتكثر فيها الأشجار وعلى سفوح الجبال تقع المراعى والاعشاب والأمطار في المنطقة موسمية تهطل في فصل الربيع .

أما موارد المياه والتي يعتمد السكان عليها في الزراعة والشرب فتأتى عن طريق الآبار الجوفية الواقعة على ضفتى الوادى وهى آبار عادية ، تم حفرها منذ القدم اندثر بعضها والبعض الآخر لا يزال قائما . وتهب على المنطقة رياح شمالية وشمالية غربية خالية من الرمال الى رياح جنوبية .

وتتراوح التربة من حيث صلاحيتها للزراعة ما بين جيدة الى متوسطة الجودة على ضفتى الوادى ولذا فهى تتررع مرتين فى العام مرة بالقمح وأخرى بالذرة ويزرع ما بين الفترتين عدد من المنتجات الزراعية كالبرسيم والخضروات . وكلما ابتعدنا قليلا عن ضفتى الوادى كلما أصبحت صلاحية الارض للزراعة أقل جودة حيث تتررع مرة واحدة فى العام . والمنطقة وخاصة بنى كبير الحاضرة تشتهر بالمخور الضخمة العالية والكثيرة وخاصة فى قريتى المبادل والدهامشة والفلاح ، والتي يستفاد منها فى بناء المنازل . وتكثر فى المنطقة أشجار العرعر — والزيتون ويسمونه (العتم) ولا يعرف الاهالى طرق استغلال منتجات الزيتون ، وتستخدم سيقان هذه الاشجار فى تسقيف البيوت كما تكثر فى المنطقة أشجار يسمونها ، الثث ، وهى التى يستخدمها الاهالى فى باغة الجلود ودرجة الحرارة تتراوح بين ٢٥ درجة مئوية فى فصل الصيف الى ١٠ درجات مئوية فى فصل الشتاء .

النسق الاقتصادى :

كان النسق الاقتصادى فى مجتمع بنى كبير يهدف الى توزيع السلع الضرورية اللازمة للحياة البيولوجية والاجتماعية ، ولهذه الغاية فان مجتمع بنى كبير عرف منذ زمن قديم نظام (التخصص وتقسيم العمل) . كما سنوضح ذلك فى الفصل الأخير من هذا الباب .

وقبيلة بنى كبير شأنها شأن المجتمعات الانسانية مرت بمراحل تاريخية متعددة فى حياتها ، لكن أهم مرحلة تعيننا فى هذا المجال هى مرحلة (الرعى) وان كان تاريخ (قبيلة غامد) لم يفسر هذه الناحية ولم يشر اليها ونحن بصدد مراجعة كتب تاريخ القبيلة . وخصوصا الكتابين الذين أشرنا اليهما فى أول هذا الفصل الا أن القوائد والأشعار الشعبية المتوفرة منذ ما يقرب من ٣٠٠ عام أشارت الى قسمة القبيلة (الحاضرة والبادية) ويبدو أن انقسام القبيلة الى هذين القسمين تم قبل هذا التاريخ بكثير ، اذا فالقبيلة كانت تعيش مجتمعة تمارس

الرعى على ضفتى وادى بنى كبير . فلما تكاثرت أعدادهم وأعداد الماشية اضطروا الى الانقسام مكانيا فجزء رحل الى المناطق السهلية والجبلية المجاورة ليمارس مهنة الرعى هناك على نطاق أوسع وبقي القسم الآخر فى أرض القبيلة الأصلية يمارس الرعى أيضا لكنهم مع الزمن استأنسوا مزاوله مهنة (الزراعة) وتطلب منهم ذلك السعى النجاد لاستصلاح الأراضى الزراعية حيث كانت هذه المحاولة مستمرة الى ما قبل عشر سنوات .

ومجتمع بنى كبير كان يعتمد على نفسه فى شبه عملية تكامل اقتصادى . فكل الحاجات الاقتصادية الضرورية كانت تنتج محليا بل وقد عرف المجتمع عملية التكامل هذه مع المجتمعات المجاورة ، فكانت القبيلة تنتج الحبوب وتصنع الفخار وتدبغ الجلود ثم تصدرها الى هذه المجتمعات فى حين تأخذ منها الفواكه والملابس وأدوات الزينة والعمود والتمور . . كان هذا قبل أن تصبح المنطقة كلها فى الآونة الأخيرة (عالة على المجتمع الكبير) .

والنشاط الاقتصادى فى بنى كبير متعدد الأنواع ويتم توزيع هذا النشاط على الرجال والنساء والأطفال بطريقة منظمة والجميع يتعاون بطريقة آلية لتحقيق المنفعة الاقتصادية . أما أنواعه فهى :

١ - التجارة :

عرفت قبيلة بنى كبير التجارة منذ زمن قديم مع المجتمعات المحيطة بها ، وكانت تمارس هذه المهنة عن طريق (قوافل الجمال) التى كانت تقوم برحلات منتظمة الى خارج المنطقة تستغرق خمسة أيام من كل أسبوع أما اليومان السادس والسابع (الخميس والجمعة) ففيهما راحة الرجال والجمال .

والمقائمون على هذه الرحلات رجال أشداء يستطيعون السير

لمسافات طويلة وفي ظروف طبيعية ومناخية صعبة ، وكانت الجمال محملة في رحلتى الذهب والاياب الى منطقة بيثه « سبق الاشارة اليها » وتبعد عن أرض قبيلة بنى كبير بـ (٢٠٠) كيلو متر تقريبا . واستمرت هذه الرحلات كما يقول الاخباريون منذ زمن قديم (لم يستطع هؤلاء تحديد تاريخه) فهم يقولون أنهم وجدوا آباءهم وكذا أجدادهم يقومون بهذه الرحلات ويمارسون هذه المهنة . وفي الزمن الحاضر انتهت هذه الرحلات عن طريق الجمال منذ عشر سنوات فقط واستعوض عنها برحلات تقوم بها السيارات .

وكان هؤلاء يحملون جمالهم بالقمح والذرة والبصل والطماطم وأوانى الفخار والجلود ، ويبيعونها هناك ثم يأتون ومعهم التمر والقهوة والحبال ، ليبيعوها الى السكان في سوق (الأحد) وسمى بذلك لانه يعقد في كل يوم أحد فقط ويهبط الناس الى السوق لشراء حاجياتهم حيث كان التمر والقهوة من ضروريات الحياة فلقد كان الغذاء الرئيسى الى جانب القمح والذرة وكانت العملة الرئيسية لديهم هى الريال (الفرنسى) الذى كان يأتى عن طريق (اليمن ومدن الحجاز) الى أن ظهر الحكم السعودى فاستبدل بالريال (السعودى الفضة) . وكان للجمالين ، كما يسمونهم شهرة خاصة ذلك أنهم في رحلاتهم قد يتعرضون الى نهب وسلب ولم يسجل الاخباريون في المائة سنة الماضية الا خمس حالات تعرضت القوافل فيها لمحاولة السلب من قبل قطاع الطرق نجح الجمالون في صد ثلاث منها وخسروا اثنتين خسارة ليست كلية .

وكان هؤلاء يمارسون البيع في دورهم حيث كان السكان يفدون في أيام الاسبوع التى لا سوق فيها الى بيت التاجر لشراء التمر والحبال والقهوة ولكن نساء التجار وأولادهم وبناتهم يمارسون البيع (القطاعى) في المنازل . والتجارة الداخلية في سوق الأحد كانت نشطة الى حد كبير فكان يتوفر في هذا السوق كل ما يحتاجه الانسان فاللحوم كانت تباع (بالأكوام) قبل أن يعرف السكان الموازين الحديثة وكانوا

يسمون الكوم من اللحم (سادى) • ويوجد بالسوق أيضا أصناف معينة من الخضروات والفواكه والبرسيم الى جانب الأغنام وأصناف الماشية الاخرى • ومن أهم المنتجات الزراعية التى كانت تباع فى السوق العنب والتين (الحماط) والتين الشوكى والخوخ والرمان والتفاح البلدى • والبرسيم وسيقان الذرة الى جانب القمح والشعير والذرة ، وكان الفائض عن الحاجة يصدر الى الأسواق المجاورة مثل (سوق السبت فى بالجرشى) (وسوق الاثنين فى القرن) •

وكان كل فرد يسوق ما معه من سلع ثم يشتري سلعا أخرى يحتاج إليها ، فى عملية تكامل اقتصادى منظمة • وكان يفد الى السوق تجار الكماليات كالعطور والبخور وأدوات الزينة من خارج بنى كبير لهم محلات خاصة يعرضون فيها بضائعهم وتلقى اقبالا شديدا من السكان المحليين • أما من يمارسون مهنة « الجزار » وبيع اللحوم فكانوا يفدون الى السوق من خارج القبيلة أيضا لمزاولة بيع اللحوم فى سوق الأحد •

٢ - الزراعة :

النشاط الزراعى فى قبيلة بنى كبير يعتبر من أهم النشاط الاقتصادية ذلك أن الوادى الممتد من الشمال الى الجنوب أعطى الاراضى التى على ضفتيه تربة زراعية جيدة اضافة الى أن المنطقة كلها توجد بها أراض سهلة صالحة للزراعة • وقد ذكرنا قبل قليل أن أهم المنتجات الزراعية لديهم القمح والذرة والشعير واللوبياء والفواكه وكل السكان تقريبا يمارسون الزراعة لكن البعض منهم يمتلك أراض زراعية كبيرة فحين لا يجد البعض الا جزءا صغيرا •

وتنقسم الارض الزراعية هنا الى قسمين (مسقوى وعثرى) فالأرض المسقوى كما يسمونها تعنى الأراضى التى تسقى من الآبار ، ولا بد أن تكون هذه الأرض قريبة من البئر التى تروى منها على مستوى فتحة البئر أو دون مستواها حتى يمكن وصول الماء إليها ، ذلك أنهم

كانوا يروون هذه الأرض بالاعتماد على (الثيران) التي تخرج المياه من الآبار عن طريق (الغروب) وهي عبارة عن جلود الماعز المخاططة بعضها الى بعض . مفتوحة من أعلاها وتربط بحبل مصنوع من جلود البقر من أسفلها . هذا الحبل عندما يمتلىء الغرب ويبدأ الثور في شده الى أعلى فيشد هو أسفل الغرب وتصبح الفتحة التي بأسفل الغرب شبه مقفولة . وعندما يصل الغرب الى (القف) الذي يصب فيه الماء يرتخي الحبل الذي بأسفل الغرب فتندلق المياه الى القف ثم تذهب المياه عبر قنوات أرضية يسمونها (الفلجان) الى الارض الزراعية حول البئر .

أما الأراضي (العثري) فهي التي لا تسقى من الآبار وانما يتم حرثها ووضع بذور المحاصيل فيها وتبقى في انتظار هطول الأمطار وبطبيعة الحال فهم يعرفون فصل الأمطار وتاريخ هطولها ولذا يحرثون الأرض بعد وضع البذور فيها قبل أسبوعين من بدء هطول الأمطار وفي حالات نادرة لا تجود السماء بالمطر فتفسد هذه المحاصيل .

والنشاط الزراعي هنا كان للمرأة فيه دور هام فباستثناء عملية حرث الأرض بواسطة الثيران التي كانت تتطلب مجهودا عضليا خاصا كان يقوم به الرجل . كانت المرأة تقوم بأعباء الدورة الزراعية كاملة ابتداء من تسوية الأرض بعد حرثها وتقسيمها الى مربعات صغيرة (قصاب) الى عمل (الفلجان) لهذه القصاب الى مباشرة عملية الري التي تستمر مدة خمسة شهور الى ستة ، تحتاج الأرض المزروعة خلالها الى أن تسقى ثلاث مرات في الشهر . وعندما يحين الحصاد فان المرأة تقوم بهذه العملية ثم تباشر بنفسها عملية (الدياس) ويعنون بها (درس المحصول في الأجران) والتي تعقبها عملية فصل الاعلاف التبن عن الحبوب بواسطة (التذرية) والتي تعنى وقوف امرأتين متقابلتين تحملان كمية من العلف الذي لم يفصل عنه القمح بعد ، فترفعانه الى أعلى حيث تكون الرياح الجنوبية وقتها قوية فتأخذ التبن الى مكان أبعد بينما يسقط الحب عند الرجلين ثم تأتي مرحلة (الغريلة)

وهى فصل الحبوب عن الأعلاف الكبيرة التي لم تستطع الرياح حملها وكذا الأحجار والأترربة بواسطة غربال كبير يسمح للحبوب بالمرور الى أسفل بينما يحتجز الأشياء الكبيرة والغير مرغوب فيها .

ثم تخزن الحبوب بعد ذلك بوضعها في (قفاح) وهى آنية كبيرة الحجم مصنوعة من (سعف النخيل) يستوردها الناس من بيئته والمناطق المحيطة بها . ويبيعون الفائض عن حاجتهم الى (الجمالين) الذين بدورهم ينقلونه الى المناطق المجاورة .

وهذه الأعمال كلها لا تقوم بها امرأة واحدة بل يتعاون نساء العائلة في هذه الأعمال ويشاركن في ذلك الصغار من الذكور والاناث كل حسب طاقته وحسب الجهود الذى يمكنه أن يؤديه ولعل أهم مشاركة لصغار السن تتمثل في سوق الثيران أو الحمير التى تدرس المحصول فى الجرن وكذا فى نقل الاعلاف (التبن) الى الأدوار السفلى من البيوت حيث تتغذى عليه الحيوانات طوال العام .

ويهتم السكان هناك بزراعة البرسيم ذلك لان الثور والبقرة والحمار حيوانات تلعب دورا رئيسيا وهاما فى حياتهم اليومية فالثور يستخدم فى فلاحة الأرض وريها ودرس المحصولات الزراعية . والبقرة تقدم لأفراد العائلة اللبن والسمن . والحمار وسيلة المواصلات الداخلية بين القرى والمناطق المجاورة كما أن (روث) هذه البهائم يستخدم سمادا للأرض حتى لا تفقد خصوبتها وتصبح غير صالحة للزراعة .

إذا فقسم من الأرض الزراعية يستخدم لتحقيق الغذاء الهام للحيوانات حيث يشغل بعض المساحات ويروى باستمرار ثم يقدم غذاء لها فكان جزءا من النشاط الزراعى موجه لخدمة هذه الحيوانات والتي تقدم خدمات أكثر للسكان .

والنشاط الزراعى هنا يتطلب تعاوننا بين العائلات وليس بين العائلة الواحدة . ذلك لان استخدامهم للوسائل البدائية بدءا من بذر البذور فى الأرض الى حين فصلها بعد درسها يتطلب مجهودا متواصلا وكبيرا . لا تستطيع أسرة بمفردها القيام به بمعزل عن الاسر الأخرى ، فكل عائلة تحتاج الى زوج من الثيران للقيام بعملية سقيا الارض ودرس المحصول وربما أصيب أحدهما بمرض مفاجئ أو تعرض للموت فأصبح العمل لدى هذه العائلة مشلولا وليس أمامها الا أن تلجأ لعائلة أخرى تقدم لها البديل . وهذا الأمر قد أوجد نظاما يتعلق بالزراعة يسمونه (التعاصب) والتعاصب هذا يعنى اتفاق شخصين بأن يقدم كل منهما ثورا فى حالة طلبه للفلاحة أو الرى أو الدرس للأخر سواء فى أرضيهما أو فى أرض الغير فى حالة الطلب فى مواسم الزرع والحصاد . وأوجد هذا أيضا نظاما آخر هو نظام (المخابرة) ويقصدون به أن يقوم مالك الثيران المقندر باستصلاح وحرث أرض الغير بعد موافقتهم على أن يتحمل كل شئ . وفى النهاية يقدم لملاك الأرض نصف الانتاج ويأخذ النصف الآخر لقاء أتباعه . وهناك نظام آخر انبثق عن الزراعة والنشاط الزراعى وهو نظام (الشرب) وهو منبثق أصلا عن نظام الملكية ويختص نظام الشرب هذا بتوزيع حصص سقيا الأراضى بين الملاك حسب مساحة الأرض التى يملكونها حول البئر فبقدر ما للفرد من مساحة زراعية حول البئر تتحدد الأيام التى يمكنه أن يسقى أرضه فيها فمنهم من له الحق فى أن يروى أرضه لمدة يومين ، ومنهم خمسة أيام ، بينما شخص ثالث له يوم واحد أو نصف يوم فقط وهكذا . . وهذا نظام متفق عليه من عهد السلف .

والملفت للنظر فى هذا الخصوص أنه فى حالة ما يكون أحد الملاك قد تخلى عن زراعة أرضه فى سنة ما فإنه يسقط حقه من أيام شربه وليس له أن يحولها لشخص دون آخر بل تصبح من حق الشخص الذى يليه مباشرة بطريقة آلية .

ويشارك جميع الملاك في حفر البئر في حالة ما اذا ردمها السيل أو تعرضت جدرانها للانهييار فمن كان منهم يستطيع العمل فعليه أن يعمل . وان لم فلا بد أن يقدم البديل كأن يحضر الثيران التي تجر ما يخرج من البئر أو يقدم الغذاء للعاملين أو يقدم النقود لاستئجار من يقوم مقامه .

وقلنا في أول هذا الجزء بأن السكان يعتمدون على هذه الآبار كمصادر للمشرب ولقد كان النساء يحضرن « بالقرب » الى الآبار التي يبدأ أصحاب الأملاك في رى الأراضى حولها ليتلقين الغروب قبل أن تصب في القف للماء القرب . والقرب هذه مصنوعة من « جلد الماعز » ولها حبل يربطها من المقدمة ومن المؤخرة تملأ بالماء ثم (توكا) بحبل صغير من فتحة أمامية تستخدم عند الماء وعند التفريغ .

ويعلق النساء هذه القرب على اكتافهن ويسرن بها على الأقدام من البئر وحتى المنازل حيث تعلق هناك جاهزة للاستعمال . وتواصل المرأة هذا العمل طوال النهار .^(١)

٣ — الصناعة :

الصناعة في بنى كبير نشأت من الحاجة اليها . وهى تعتنى بالدرجة الأولى بالحاجيات الأساسية الضرورية للسكان والتي لا غنى عنها مطلقا وان كانت صناعة يدوية الا أنها على جانب كبير من الاهمية لما لها من أثر في الحياة الاجتماعية وتتمثل في الآتى :

- أ — دباغة الجلود .
- ب — صناعة الفخار .
- ج — صناعة الفضة والحديد .
- د — نسج الصوف .

(١) انظر الملاحق ص ٦ .

أ - دباغة الجلود :

يبدو أن كثرة أشجار « الشث » الموجودة في المنطقة كانت من بين الأسباب التي أدت الى ظهور هذه المهنة ذلك أنها تستخدم مادة أساسية وأولية في دباغة الجلود . والأمر الثاني هو أن السكان هنا كانوا في حاجة ماسة الى وجود مثل هذه المهنة فهي وسيلة وحيدة وهامة في الري بالنسبة للمزارعات حيث أن « الغروب » التي يستخرج الماء بواسطتها من الآبار مصنوعة من الجلد . وهي أيضا الوسيلة الوحيدة لجلب المياه من الآبار الى المنازل وأيضا الصغار من جلود الحيوانات يستخدمها السكان (لخش اللبن) وكذا لحفظ « السمن » فيها الاولى يسمونها « الشكوه » والثانية « الظرف أو العكة » وقد ذكرنا في الفصل السابق أن هذه المهنة تتركز بشكل كبير في قرية (الحذب) إحدى قرى بنى كبير ولا يخلو بيت تقريبا من وجود (الجبنة) فيه وهي المكان المخصص لدباغة الجلود ولهذا فقد كان لهذه القرية مركز اقتصادى مهم ليس بالنسبة للسوق المحلى فقط وانما لبقية الأسواق المجاورة .

والمرأة هي التي تمارس هذه المهنة ولا علاقة للرجل بها الا عند البيع وهي التي كانت مسؤولة عن احضار المون الخاصة بالدباغة ، وتحضير الجبنة ، وتعطين الجلود ، واعدادها للدباغة ، ثم تجفيفها وتجهيزها للبيع ، ثم يأخذها الرجال بعد ذلك على ظهور الحمير الى الأسواق لبيعوها . وكان هؤلاء يستقبلون الجلود من السكان الآخرين في القرى المختلفة ويطلبون لقاء دباغتهم أجرا من صاحبها بمعنى أنهم لم يكونوا يحتكرون الجلود والتصنيع لهذه المهنة بل كانوا يأخذون أجرا نظير عملهم اذا أحضر أحد السكان جلدا ليدبغه . وليس معنى هذا أن هؤلاء لا يمارسون الا مهنة دباغة الجلود فهم الى جانب ذلك يمارسون التجارة والزراعة ويمتلكون أراض زراعية كبيرة تنتج لهم محاصيل زراعية كثيرة .

ب - صناعة الفخار :

تشتهر بنى كبير بصناعة الفخار . وهذه الشهرة سببت لها احراجا شديدا بين القبائل الاخرى . فعلى الرغم من عدم انتماء صانعي الفخار الى القبيلة وعدم اشتراكهم معهم في النسب وحاجتهم وحاجة القبائل الاخرى الى آنية الفخار الا أن هذا الصرح مازال قائما . ولا يزال الشهور نحو هذه المهنة يمتاز بحساسية شديدة من جهة السكان الى الآن .

وتمارس مهنة (صناعة الفخار) في نطاق محدود في قرية تقع في منتصف الوادي اسمها (المشاطية) حيث تقع التربة التي تستخدم في صناعة الفخار قريبا من مساكنها . وهم على أى حال يمارسون هذه الصناعة بطرق بدائية . وكانت الآنية التي يصنعونها هي ما يعتمد عليه السكان بشكل رئيسي في صنع الغذاء حيث لم تكن « الحلال والقذور » متوفرة بشكل كاف في المنطقة .

وينتج هؤلاء آنية مختلفة الأحجام والأشكال والمسمايات فمنها « التوار » وهي عبارة عن إناء دائري من الفخار يتراوح قطره بين ١٥ الى ٤٠ سم وارتفاعه بين ٣٠ الى ٥٠ سم وتستخدم هذه في إعداد صنف من الطعام على شكل حساء ثقيل نوعا ما يسمى (العيش) يؤكل مع اللبن أو السمن .

و (الججل) وهو يشبه الى حد كبير الإناء السابق إلا أنه أشد منه صلابة وأوسع منه قليلا وتطبخ فيه اللحوم وبعض الأطعمة الأخرى . وهناك إناء ثالث مصنع بطريقة خاصة ويستخدم فقط لإعداد طعام « الكسكية » وهذا الصنف من الطعام على خلاف الصنف المعروف في المغرب العربي فهو يصنع من دقيق البر الخالص ويتخذ شكلا مميزا على شكل كرات صغيرة جدا ويطهى هذا الصنف على البخار الناتج من غليان الماء وفي أسفل الإناء .

والصنف الرابع هو « المشهف » وهو خاص لصنع أقراص من البر ويتخذ شكلا دائريا ويتراوح قطره بين ٢٠ : ٤٠ سم أيضا لكن ارتفاعه لا يتجاوز ١٠ سم يوضع به العجين ثم يعرض للنار عن بعد حتى ينضج ، ويستخدم المشهف أيضا في صناعة « الخبزة » وهي تختلف عن الأقراص السابقة وتمتاز بحجمها الكبير وصلابتها حيث يبلغ سمكها في المتوسط ١٥ سم ويتم اعدادها بوضع العجين على حجر وضع خصيصا لها في مكان من الدار بعد أن توقد النار على هذا الحجر حتى ترتفع درجة حرارته ثم يكب عليه المشهف حتى يغطيه تماما وتضع ربة البيت النار على المشهف وتتركه حتى ينضج العجين ويتحول لونه الى السمار قليلا .

تلك هي أهم أنية الفخار التي ينتجها هؤلاء ^(١) وقد كان الاعتماد عليها رئيسيا لإعداد الغذاء اليومي . ولكن على الرغم من هذه الأهمية لهذا الانتاج فإن هذه الفئة تحتل مرتبة ضعيفة في السلم الاجتماعى . تبعا للنمط الثقافى السائد فى المنطقة .

ولقد كان الاقبال شديدا على آنية الفخار وكان النساء يقمن بدور الصناعة والتسويق . فيحملن هذه الأنية على الحمير ويطنن بها القرى لعرضها على ربان البيوت ولقد كانت الأقيام التي تدفع فى الشراء أصناف من الحبوب أو التمر فى معظم الأحيان وفى أحيان قليلة كانت تدفع النقود ثمنا لها . ولم تكن هذه القرية تنتج من أجل الاكتفاء الذاتى للقبيلة بل كان فائض الانتاج يصدر الى الأسواق والمناطق المجاورة .

ج - صناعة الفضة والحديد :

لم تكن النساء فى الماضى القريب يستخدمن الذهب فى الحلى بل كانت الفضة هى الحلى الرئيسى ويصنع من الفضة الخواتم

(١) انظر الملاحق

و « الحجول » وهى تشبه الأساور لكنها ثقيلة الوزن « والمنفخ » وهى تشبه الحجول لكنها أخف وزنا منها ولها نتوءات بارزة فى أعلاها الى غير ذلك من الحلى ، وكان فى القبيلة رجلا ن فقط يمارسان صناعة الفضة فيما يختص بحلى النساء أو وضع زخارف من الفضة على « البنادق » .
• وصناع الفضة على أى حال أعلى فى المرتبة الاجتماعية من صناع الحديد والفخار .

أما صناعة الحديد فهى أوسع انتشارا ذلك أنها تدخل ضمن الحاجيات الضرورية للمجتمع والتي لا غنى عنها وكانت فئة صناع الحديد تنتج كل ما يحتاجه الناس « كالمسكاكين والسواطير الكبيرة والمجل ويسمونه (المحش) الذى يستخدمونه فى حصاد المزروعات والفأس « والمسحاة » وهى التى تستخدم فى قلع الأعشاب التى تنبت مع الزرع وتسوى بها قنوات الري « والعقل » وهو عبارة عن آلة عمودية طولها متران تقريبا مديبة من طرفيها الأعلى والأسفل مسنونة كالمسكين يبلغ وزنها ما بين ٨ الى ١٢ كيلو جراما قطرها لا يزيد عن خمسة سنتيمترات . مستخدمة منذ زمن قديم لإحداث ثقب فى الصخر الكبيرة بعمق ٣٠ : ٤٠ سم يملأ بالبارود مع ذرات الصخر الخارجة نتيجة للحفر وترصد بشدة ويدخل فيها عمود مديب من الحديد قطره ٣ : ٥ ملليمتر (يتم حشو الثقب بعد وضع هذا العمود) ثم ينزع بعد الانتهاء ويملا مكانه بـ (البارود) ثم يسحب بارود خفيف حتى مسافة ثلاثة أمتار ثم يشعل (الملقب) « وهو الذى يحدث هذا الثقب بالعتلة » النار فى نهاية خيط البارود الذى وضعه ويذهب ليختبئ فى مكان يمنع وصول شظايا الصخر اليه وفى ثوان ينفجر البارود داخل الصخر فيقطعه الى عدة قطع حسب حجم الثقب حيث يتم تكسيره بعد ذلك وحمله الى المكان المطلوب بناء منزل فيه . .

ويصنعون (الصيجان) التى يستخدمونها فى اعداد الأقراص من البر أو الذرة . الى غير ذلك من المنتجات التى تدخل فى كل شؤون الحياة
• تقريبا

ويقدم هؤلاء منتجاتهم الصناعية الى السكان عموما ولا يأخذون أجورهم نقدا الا نادرا لكنهم في موسم حصاد القمح يذهبون الى كل بيت حيث تنتشر «حزم المحصول» على أسطح المنازل معرضة للشمس لكي تجف فيأخذون منها ما يريدون وجرت العادة ألا يزيد عدد ما يأخذون من حزم عن خمس . والحزم هذه ليست صغيرة بل ان الشخص لا يستطيع أن يحمل أكثر من ثلاث حزم نظرا لكبر حجمها وثقل وزنها . وهكذا يستمرون في جمع الحزم من القرى التي يقدمون لافرادها خدمات الحدادة وهكذا يفعلون بالنسبة لموسم الذرة .

وهؤلاء ليست لهم مزارع خاصة ولا يملكون سوى منازلهم والتي قدمت لهم الأرض فأنشأوا عليها هذه المساكن من قبل سكان القرية التي يقيمون بها .

ومهنة الحدادة أو كما يسمونها صناعة الحديد ليس للنساء فيها نشاط ملموس بل يقتصر دورهن في الغالب على اعداد الفحم اللازم لايقاد « الكير » ولا بأس من مساعدة المرأة في نفخه اذا لم يكن أحد الصبية في الدار . وقد وضعناهم من قبل في السلم الاجتماعي في المرتبة الرابعة . ولكن بعض الاخباريين يصرون على تقديمهم درجة على صانعي الفخار . ونحن نميل الى هذا الرأي على الرغم من أن الاخباريين صنّفوهم في المرتبة الرابعة . ذلك أن هؤلاء دورا في الحياة الاجتماعية الخاصة بالقبيلة فهم يحضرون بعض المجالس ويساهمون بالرأى بل ان البعض منهم اشتهر بالحكمة والرأى السديد . كما أنهم يساهمون مع القرية التي يقيمون بها فيما يتعلق بالتبرعات المادية إما لمساعدة أو غرم وهكذا .

د - صناعة الصوف :

مزاولة مهنة نسج الصوف ليست مقصورة على قرية دون أخرى من قرى بني كبير ولكنها تنتشر بصورة أكثر وضوحا في قرية « العبادل »

وهذه الحرفة أيضا يزاولها النساء فقط دون الرجال (ونلاحظ أننا استخدمنا كلمة صناعة الصوف في هذا الفصل ولم نستخدم لفظ حرفة . ذلك لأن هذه الأعمال لم تكن مقصورة على القطاع المحلى بل تتعداه الى خارج القبيلة ثم أنها تؤدي الى انتاج كبير يعتمد عليه أصحابها من الناحية الاقتصادية .

وأساس هذه الصناعة توفر الصوف الذى يجز من الضأن بصفة خاصة فهناك موسم (لجز الأصواف) من الضأن يبدأ مع بداية فصل الصيف من كل عام والمنطقة تكثر فيها الاغنام خصوصا في بنى كبير البادية . فيقوم أصحاب الماشية بجز أصوافها وعرضها للبيع في السوق المحلى . بل ان هناك أشخاص يزاولون مهنة التجارة في صوف الاغنام فقط وأحيانا الى جانب السمن المستخلص من الماشية .

ويصنع الصوف بعد أن يمر بعدة مراحل هي : نفش الصوف وهى المرحلة التى تبدأ بها أول عملية في هذه الصناعة ويستخدمون لها « منفاشين » مصنوعين من الخشب وبها مسامير رؤوسها الى أعلى ثم يوضع الصوف بين هذين المنفاشين ، ويثبت أحدهما بيد ويحرك الآخر الى الأمام والى الخلف عدة مرات، ثم يقلع الصوف من المسامير فيكون ناعما طريا بعد أن كان خشنا . وتستمر العملية هكذا حتى يتم الحصول على كمية كبيرة من هذا الصوف الناعم ، ثم يبدأ غزل الصوف باستخدام المغزل المعروف حيث يبرم الصوف بواسطة المغزل الى خيط طويل متصل قد يصل الى (٥٠ مترا) . والعملية الثالثة تبدأ بغسل هذا الصوف بعد برمه ثم شده الى عود ذى رأسين بطول متر واحد الى متر ونصف المتر . ثم يترك ليحجف . والمرحلة الرابعة فكه من هذا العود ثم لفه على شكل كرات يسمونها (حصوة) وهذا هو الأساس في عمل الصوف . ثم ينشر هذا على (أعواد يسمونها الصنعة) وهى عبارة عن أربعة أعواد كبيرة مستديرة الشكل بطول متر الى متر ونصف أيضا ويشد جيدا . ويكون هناك صوف جاهز لم يمر بعملية الغسيل ولم يبرم بثقة يتخذ أشكالا مدبية

مثل كيزان الذرة يمرر باليد بين الخيوط المشدودة على الصنعة ثم يشد الى الأمام « بالمشط » وهو عبارة عن آلة مصنوعة من الخشب كالمشط تماما لكن رؤوسها أقوى وأوسع قليلا من أسنان مشط الشعر وتستمر هذه العملية مع ازاحة ما تم انجازه الى أسفل وتقديم جزء آخر حتى تنتهي قطعة الصوف . ثم قطعة أخرى وهكذا .

وكل قطعتي صوف متساويتان في الطول والعرض ثم ترسل الى خياطي الصوف (لا تشتهر القبيله بخياطة الصوف بل يحول الانتاج الى مناطق مجاورة يزاول بعض أفرادها هذه المهنة) الذين يقومون بخياطتها بخيوط رفيعة وملونة من الصوف أيضا صنعت خصيصا لهذا الغرض ، ثم تزين بكتل من الصوف الملون عند الكمين .

وأهم هذه المنتجات (الجباب) وهي عبارة عن صوف ضخم وثقيل يشبه (البالطو) مفتوح من الأمام يدخل الرجل يديه في الكمين ويضم جانبيه من الأمام عند التعرض للبرد الفارس أو المطر الشديد . ومنها أيضا (المادارة) وهي مثل (الجبة « والجبة مفرد جباب » ولكنها كالجاكيت تصل الى الخصر فقط ولونها أحمر غامق أو أسود ولا يلبسها الا النساء خصوصا في مناسبات (العزاء) عند الوفاة . ونوع ثالث يسمونه (الحاف) وهو كالحفاف العادي من القطن ولكنه من الصوف الخاص ويلون بألوان جذابة ووزنه ثقيل جدا . (والخرج) وهو عبارة عن قطعتي صوف مخاطة الى بعضها وله فتحتان بحيث اذا وضع على ظهر الحمار كانت أحدهما الى اليمين والأخرى الى الشمال . والغرض منه أن توضع فيه الحاجيات التي يشتريها الرجل من السوق ليجد له مكانا للركوب على ظهر الحمار . وتختلف هذه المنسوجات من حيث الجودة وعدمها تبعا لنوع الصوف المستخدم في صناعتها وأيضا لمهارة المرأة التي تراول هذه المهنة .

ولا يرى الناس في مجتمع بنى كبير في صناعة نسج الصوف حرجا ، ولا ينقص ذلك من مكانتهم الاجتماعية وان كان في بعض الأحيان يعاير بعضهم خصوصا من أصحاب المهن الأخرى في المنطقة بأنهم « نفاشه »

أى أنهم ينفشون الصوف ويصنعون الجباب • ويبدو أن هذا لا يؤثر في مزاولى هذه المهنة أما لانهم يرن أنها صناعة مكتسبة لا خير فيها ولا علاقة لها بالنسب • وإما لقناعتهم بأن الكل يمارس هذه المهنة •

٤ — الرعى وتربية الماشية :

حرفة الرعى وتربية الماشية تبرز ظاهرة وجود الاكتفاء والتكامل في مجتمع بنى كبير • فأما الاكتفاء فيأتى عن طريق وجود الماشية في كل بيت تقريبا ولعل الهدف منها في المقام الاول « اكرام الضيف » اضافة الى وجود بعض عائلات لديها أغنام بالمئات يسرح بها الرعيان في الصباح الى المناطق الجبلية ويعودون بها الى المساء في زرائب مخصصة لها داخل البيوت اما في الادوار السفلى من البيوت وإما في الأحواش ويستفيد هؤلاء منها في أغراض اقتصادية متعددة أبرزها السماد واللبن والصوف • ثم ان سكان كل قرية توجد بها قطعان الماشية عندما يحتاجون الى « ذبيحة » لضيف يلجأون الى أصحاب القطعان للشراء أو للمبادلة كأن يكون لدى المضيف شاة فيستبدلها بخروف أو عنز يستبدلها بشاه أو يعيد اليه خروفا مشابها اذا تيسرت الأمور •

ويقوم البعض بشراء عدد من رؤوس الأغنام تضم الى القطيع لتسرح معه وتروح وتكون أقرب الى يد صاحبها عند الحاجة • فكان القرى بهذا تحقق الاكتفاء الذاتى • وأما عن التكامل فتتمثل أبرز مظاهره في تربية أصناف معينة من الماشية فبعض الرعاة يتخصصون في تربية الماعز بينما يتخصص الآخرون في تربية الضأن والبعض الآخر يربى الابقار بينما يتخصص البعض في تربية الجمال وكل من هؤلاء محتاج الى ما لدى الآخر فيعطى هذا ويأخذ من ذلك وهكذا • ولكل بدنة في بنى كبير حماها الخاص والحمى هذا يعنى قيام حدود بواسطة أكوام من الصخر الكبير على سفوح الجبال بطرق معينة (وهى قديمة جدا) وعلى سفوح هذه الجبال تنبت المراعى التى تتغذى عليها الماشية • وقد يحدث في بعض الأحيان أن تجذب منطقة دون أخرى كأن يجذب

« حمى بالحارث » بينما تكون المراعى مزدهرة فى « حمى آل جابر »
مثلا فيستأذن بالحارث من آل جابر لكى ترعى ماشيتهم فى حماهم
وتأتى الموافقة فيباشر الرعاة رعى ماشيتهم وتنجو من الهلاك .

ولا يخلو بيت من بيوت مجتمع بنى كبير من وجود الماشية فيه كالثور
والبقرة والجمال والحصار والاعنام ذلك لان هذه الحيوانات كانت تلعب دورا
هاما فى حياة الانسان فى هذا المجتمع . والرعى بصفة خاصة مهنة يزاولها
سكان بنى كبير البادية وقد ذكرنا قبل قليل أن بعض عائلات فى القرى
التي تشكل بنى كبير الحاضرة تمتلك قطعانا من الاعنام وتباشر مهنة
الرعى بشكل منظم اضافة الى مزاولة مهنة التجارة والزراعة الا أن
مهنة الرعى والاعتماد على منتجات الماشية صفة ملازمة للبدو فى المنطقة
ومهنة أساسية وحيدة وهى العمود الفقرى للناحية الاقتصادية عندهم .

وينتشر البدو فى ديرة بنى كبير الواقعة شرق وادى بنى كبير
ويتفرقون فى مناطق مختلفة وخصوصا على حدود القبيلة مع القبائل
المجاورة أنظر « الفصل الاول من الباب الثانى من هذه الدراسة »
ويحققون بذلك عدة أغراض أهمها : -

(أ) حراسة حدود القبيلة مع المناطق المجاورة فهم بحكم موقعهم
هذا لا يخفى عليهم دخول الغرباء عن القبيلة الى مناطقها ويسارعون
بإبلاغ القبيلة بكل ما حدث فتنشط القبيلة للدفاع عن أراضيها بالطرق
السلمية أو الحربية . ويمنعون فى نفس الوقت رعاة الماشية من المناطق
المجاورة من الدخول بماشيتهم الى داخل حدود القبيلة .

(ب) حسن الانتشار وهو يحقق مزايا اقتصادية تتعلق بتوزيع
المراعى بين الفخوذ اذ أن التكدرس فى منطقة واحدة يقضى على النبات
والاعشاب بسرعة خصوصا وأن قطعان الماشية لديهم كبيرة جدا .

(ج) الفصل بين الوحدات القرابية التي تنتمى الى البدنات الثلاث

المختلفة وتحديد المناطق الرعوية لكل وحدة وهم يقصدون من هذا الفصل المكانى عدم الاحتكاك المباشر بين هذه الوحدات الذى قد ينتج عنه خصام بينهما على مناطق الرعى لا ترغب القبيلة فى حدوثه .

(د) المياه فى مناطق الرعى فى قسم بنى كبير البادية تصبح قليلة فى فصل الصيف ذلك لانهم يعتمدون فى شربهم ومواشيهم على (حفر) يحدثونها على ضفاف الاودية التى تنقطع عنها ينابيع المياه فى فصل الصيف . ولهذا تحتم توزيع المناطق الرعوية بحيث يكون لكل وحدة قرابية مكان تسقى منه فى وادى معين . ولاشك أن زيادة عدد الأفراد أورؤوس الماشية على مناطق الشرب هذه تؤدى الى نضوبها مما قد يلحق ضررا بماشيتهم . وهذا لا يعنى أنه لا يسمح لأى وحدة قرابية يصاب واديتها بالجفاف وانقطاع المياه من أن تشرب وماشيتها من مصادر وحدة قرابية أخرى . .

والبدو بصفة عامة قوم رحل يسكنون بيوتا من الشعر المصنع التى يسهل حملها على ظهور الجمال والتنقل بها فى حدودهم الاقليمية خلف الأمطار . والمنطقة التى يقيمون بها كانت غنية بالأعشاب وينابيع المياه . ولهذا فلم يكن هؤلاء يهاجرون الى مناطق بعيدة وكانت هجرتهم لا تقع الا فى فصل الصيف لمسافات لا تزيد عن عشرة الى أربعة عشر كيلو مترا داخل الأرض المخصصة لكل وحدة .

وليست لهم أية مناشط اقتصادية سوى ممارسة الرعى والقنص ومنتجات الماشية . والبدو كما قلنا فى السابق يتبعون فى تقسيمهم الى وحدات قرابية نفس الوحدات القرابية فى بنى كبير الحاضرة بمعنى أنهم يرتبطون بالحاضرة بروابط الدم . ويتزاورون فى مناسبات كثيرة ويحل بعضهم ضيفا على بعض و الماشية التى يمارسون تربيتها بكميات كبيرة هى الابل والأغنام بنوعها الضأن والماعز .

فأما الجمال فتعود أهميتها الى أنهم يستخدمونها لحمل الأمتعة

والخدور في حالة التنقل كما أنها تنقل بضائعهم الى أسواق الحاضرة ويستخدمونها في موصلاتهم الخاصة ، وقد كانت لها أهمية كبيرة في الماضي حيث كانوا يستخدمونها في حالات الحرب دفاعا أو هجوما وكانوا يدرّبون بعضها تدريبا خاصة لمثل هذه الحالات وهي الجمال التي تمتاز بالسرعة الشديدة والقدرة على تحمل المشاق . ويحرص البدوي على شرب (حليب الناقة) ذلك لانهم يرون أن شرب حليب الابل في الصباح الباكر بكميات كبيرة يجعل الرجل قويا قادرا على تحمل المشاق والجوع طوال اليوم . ويعتمد الرعاة على الجمال في مراقبة الماشية أثناء الرعى وحمايتها من الذئاب بمساعدة الكلاب القوية والتي تتغذى على اللحوم والحليب وتعد اعدادا جيدا لحراسة (الخدور والأغنام) في الليل والنهار . . .

أما الأغنام فهي المصدر الرئيسي للغذاء لديهم وقد أشرنا الى أهميتها في هذا الفصل . . . وهم يربون الأغنام بكميات تصل الى ١٠٠٠ رأس لدى العائلة الواحدة . . ويتغذى البدو على اللبن ولحوم الماشية وسمنها ويصدرون الى الحاضرة ما يزيد عن حاجتهم بكميات كبيرة .

والكرم البدوي ليس — كما يقول بعض الكتاب — ناتجا عن احساسه بالوحدة ولهذا فهو عندما يرى الغربان يثبث بهم ويكرم وغادتهم بذبح الأغنام أو كما يقول البعض الآخر بأنه كرم فطري يمارسه البدوي بشكل آلي . بل أنه في اعتقادي أن مصدر الكرم لدى البدوي أساسه توفر الأغنام الى جانب عدم وجود البديل عنده ، فهو مثلا لا يملك أصنافا من الحبوب حتى يمكنه أن يصنع منها الأرغفة لضيوفه ونقيس على هذا كل أنواع الأطعمة الأخرى . وليس أمامه سوى هذا القطيع الهائل من الاغنام يذبح منه ما يشاء ليأكل هو وعائلته مع الضيف الذي حل . ولعل هذا كان أمرا متبعا منذ القدم فتصول مع مرور الزمن الى صفة ملازمة للبدوي وهي « الكرم » ولم يستطع الأفراد في البادية التخلص من هذه العادة . ومما يثبت ما ذهبنا اليه

أنه بعد التغير الذى حدث فى المنطقه أصبح البدوى يقدم لضيفه ما تيسر له من الأطعمة ويمكن فى حالات كثيرة أن يرحل هذا الضيف دون أن يأكل « ذبيحته » كما كان ذلك قبل عشر سنوات من اليوم . غير أنه لابد أن نضع فى الاعتبار التفاوت بين القبائل فى هذا الكرم فبعضها لا يتصف بالكرم الشديد كما هو الحال فى بنى كبير الذين يبدو أنهم وجدوا آباءهم وأجدادهم بهذه الصفة فلازمتهم وانتقلت اليهم .

ويستفيد البدوى فوائد عدة من الأغنام ، منها كما أشرنا إكرام الضيف والمفائدة الثانية من أصوافها التى يصنعون منها خدورهم وخصوصا « صوف الماعز » ثم الحبال والتى يحتاجون اليها فى كل أنشطتهم وبيع الفائض الى الحاضرة الذين يصنعون منه الجباب وغيرها مما ذكرنا عند الحديث عن صناعة النسيج ، وكذا جلودها التى يستخدمونها قربا للماء وجلود صغارها « للسمن » الذى يبيعون ما فاض عن حاجتهم فى الاسواق المجاورة . أما الالبان فبالاضافة الى شربها طازجة واستخلاص الزبدة التى تكون السمن بعد أن تمر بعملية غليان . فأنهم يصنعون من هذه الالبان غذاء هاما بالنسبة لهم وهو (الاقط) ويسمونه المخير . ويصنعونه من اللبن المغلى بعد اضافة كمية من الدقيق اليه . ثم يحولونه بعد أن يبرد الى أقراص صغيرة مستديرة ويعرض للشمس ليحفظ ثم يحفظ فى (عياب) ليبقى لاكثر من عام دون أن يفسد وطعمه (حاذق) كثيرا .

أما العياب فمفردتها (عيبه) وهى مصنوعة من جلود الإبل بعد دباغتها على شكل كيس كبير دائرى الشكل يملؤها البدوى بأدواته وأغراضه المنزلية ويشدها على الجمل أثناء الرحيل أو يملؤها بالصوف أو السمن أو الأقط عند ذهابه الى الأسواق .

أما مخلفات الماشية فلا تستخدم مطلقا بل تنظف من الزريرة

ويلقى بها في أى مكان ذلك أنهم لا يمارسون الزراعة فليسوا بحاجة الى سماد .

ولم يعرف البدوى طريقه الى الاقتصاد المنظم فلقد كان ينتج ما يكفيه والنقود التى يحصل عليها من بيع الماشية يدخرها عنده في أكياس خاصة ولا يستعملها في أى مشروع آخر فليست لديه طموحات ليصل الى أكثر مما هو فيه . ثم أن الظروف المحيطة به لا تشجع على الاستثمار فهو لا يستطيع أن يبني قصرا مثلا اليوم فيصاب مكانه بالقحط ثم يرحل فيبنى آخر وهكذا . . ثم أنه يجب الحرية والانطلاق والحيطان يرى أنها تحد من هذه الحرية والانطلاق . والبدوى شديد الاهتمام بسلاحه « كالبندقية » والخنجر والرمح . ويزينها دائما بالفضة . ويصلح أى خذل يقع فيها مهما كلفه الثمن . ويفخر بهذه البندقية ولذلك نراه يزينها من أسفلها بجلود الحيوانات التى يصطادها كالذئب والضباع والوعول والغزلان .

وكانت المرأة البدوية تلعب دورا مهما في حياة الأسرة في البداية فهي التى تكلف برعى الأغنام اذا كانت المراعى ليست بعيدة جدا عن الحى . وهى التى تهتم بنظافة زريبة هذه الماشية وتطبخها وتطبخ الطعام وتضع القهوة للضيوف وللعائلة وتحضر المياه من مصادرها ، أما الرجال فيشاركونها في سقى الماشية وخصوصا الجمال . والأطفال أيضا يقومون بدور فعال ويتمثل في الإشراف على الأطفال الرضع ورعى صغار الماشية (البهم) وشدها الى الحبال التى يسمونها (ريق البهم) حتى لا تنطلق لترضع لبن امهاتها عند عودتها من المرعى قبل أن يتم حلبها . إذا فالعامل هنا موزع بين النساء والأطفال ويكاد دور الرجل يكون معدوما لدى البدو من الناحية الاقتصادية . أما الدور الرئيسى الذى يلعبه فينحصر في الدفاع عن أرض القبيلة وحراسة حدودها . ومطاردة الحيوانات المفترسة بالبنادق . ثم يعود في آخر اليوم متعبا ليجد كل شئ أمامه معدا ويجتمع البدو المتجاورون حول نيران موقدة للحديث والتسلية وشرب القهوة العربية التى

لا تتقطع عنهم ليلا أو نهارا (أنظر الى حياة الأسرة البدوية في الفصل الأخير من هذه الدراسة) .

ولا يميل البدو الى تربية الأبقار إلا قليلا ، ذلك أنهم ليسوا في حاجة اليها كما هي الحال لدى الحاضرة والذين يمارسون الزراعة فيستخدمون الثور في الحرث وسقيا الأرض . فالبدوى لا يشرب « حليب البقر » أبدا ويعتبر ذلك نقصا في حقه فالأفضل لديه دائما حليب الإبل فان لم يتيسر ، فحليب الضأن والماعز . ولا يأكلون لحوم البقر كما يفعل الحاضرة ولا يذبحونها للضيف واذا حدث وقام أحدهم بتربية الأبقار فالهدف من ذلك بيعها الى الحضر الذين يستخدمونها في أغراض متعددة ولهذا لا تنشط لديهم هذه الناحية . . .

وفلسفتهم في ذلك أنهم يرون أن الثور والبقرة حيوانات شديدة الغباء ، متبلدة الاحساس تحب دائما أن تكون نائمة على الارض ، أجسامها مترهلة وشكلها غير متسق . ويرون أنهم يشرب ألبانها وأكل لحومها سوف يصابون بهذه العدوى من صفات الأبقار وهم يحبون أن يكونوا دائما أذكيا وصبورين كالجمال وسريعي الحركة نحال الأجسام كالماعز والضأن

نظام الملكية :

« الملكية فكرة تتعلق بحياسة الأشياء تعنى الممتلكات وهي تقتضى وجود حقوق معينة لشخص أو جماعة دون غيرهم من الناس » .

وفي مجتمع بنى كبير لابد أن نميز بين نوعين من الملكية أولهما يتعلق بطبيعة المالك نفسه والثانى يتعلق بالممتلكات نفسها . أما الأمر الثانى فى هذا التمييز والذي يتعلق بالممتلكات فهو يتضح بصورة أفضل فى الملكية العامة للقبيلة فى مناطق الرعى والحمى . . .

والملكية تعنى أيضا العلاقة بين المالك والملك التى تعكس فكرة

الحقوق والسيادة ، سواء كانت فردية أم جماعية وهي حقوق دائمة ومستمرة وليست مؤقتة والا أصبحت .. انتفاعا « وأعتقد أنه في دراسة نظام الملكية لكي تتضح بصورة أفضل لابد أن نعتنى بأركان ثلاثة هي :
نوع الملكية • وطبيعة المالك ثم طبيعة الحقوق نفسها •

ومجتمع بنى كبير عرف الملكية منذ القدم بصورها المختلفة • وكانت مناطق الملكية تتحدد بعقود مكتوبة بخط اليد ويقوم عليها عدد من الشهود (تسمى حجة) • ولم يعرف هؤلاء نظام العقود (الصكوك والوثائق) الا مؤخرا وان كانت الغالبية العظمى لاتزال تعتمد في ملكيتها على هذه (الحجج) القديمة وملكية الأرض هي الأساس الهام في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ذلك أن مكانة الفرد الاجتماعية تتعلق بما لديه من (أطيان) •

وإذا نظرنا الى الملكية في بنى كبير الحاضرة لوجدنا أنها تلعب الدور الذى أشرنا اليه • لكنها ليست ملكية فردية بل نجد أن الوحدات القرابية تشترك في ملكية الأرض فاذا حدث أن انقسمت هذه الوحدات القرابية نتيجة لكبرها قسمت بينها هذه الممتلكات بالتساوى • فمن كان ينسعر « بغبن » في نصيبه من الأرض عوض بنصيب أفضل من الدار التى تملكها العائلة والعكس أيضا • ويرتبط السكان بالأرض ارتباطا شديدا ولا أدل على ذلك من أنه لا يجوز مطلقا أن يبيع الرجل ما ورثه عن أبيه وجده من قطع زراعية واذا حدث وفعل هذا قابل الجميع عمله بالازدراء وظل حقيقرا طول العمر • ويعاير هو وأنجاله وأحفاده بهذه الفعلة حيث أن (بيع البلاد) عار كبير •

ويحرص الناس هنا عندما يشعرون بأن أحد أفراد الوحدة القرابية ينوى بيع أرضه الى تقديم العون المادى له حتى يحتفظ بها ولو كلفهم ذلك الشئ الكثير وفي حالة إصراره على البيع لظروف خاصة فإن الوحدة القرابية الأقرب هى التى تشتري فاذا كان الأخ مثلا ينوى بيع بلاده (البلاد تعنى قطع الارض الزراعية) سارع الاخ الشقيق الى الشراء فان عجز فابن العم الشقيق وهكذا نزولا الأقرب فالأقرب •

وحبهم للأرض وانتماؤهم اليها من بين الأسباب التي أدت الى تحديد نوع الزواج المفضل لديهم من ابنة العم والأقرب فالأقرب . حتى لا تنتقل ملكية الأرض عندما تنقرض الوحدة القرابية الى الغرباء .

بل أن الأهم من ذلك أنهم كانوا — والى وقت قريب — عندما لا ينجب الرجل الا اناثا وليس لديه اطفال ذكور يسارع باستدعاء « فقيه الجماعة » وعدد من الشهود ليكتب ما يسمونه بـ (الوقف) وينص هذا الوقف على وصيته من الرجل تنفذ بعد وفاته بأن بلاده المحدودة والسماة كذا وكذا . . وقف على نسل الظهور دون نسل البطون أى أن ملكيتها تنتقل الى اولاده المباشرين وليس الى اولاد ابنته . أما البنت ، فإنه يبيح لها الانتفاع بما تنتج الأرض فقط وليس لها الحق فى الأرض نفسها ، فإذا توفيت سقط هذا الحق . ولا يجوز لأولادها التمتع بالإنتاج ، ومن ناحية أخرى ينص الوقت على أنه ليس للأولاد الذكور حق بيع هذه الأرض الى الآخرين وان كان البعض يجيز « المناقلة » أى ابدال أرض بأخرى . وتقول الوصية فى نهايتها أنه اذا انقرضت هذه الاسرة بكامل أفرادها ولم يبق منها ذكور أو إناث من الابناء يحق لهم الانتفاع ولا وريث شرعى . فان الاستفادة بثمارها وإنتاجها تتحول « للمساجد » .

وليس هناك قانون قبلى مكتوب ينص على عدم بيع الأرض بل يعود الأمر الى الرجل نفسه ومدى حبه للأرض وتمسكه بها ومدى محافظته على التقاليد الموروثة وهى أمور تحدد أقدامه على البيع أو محافظته على الأرض . وعليه أن يعيش منبوذا بعد ذلك . بينما يكتسب الرجل الذى يزيد مساحة أرضه الزراعية سواء بالشراء أو بالاستصلاح مكانة اجتماعية كبيرة يذكرها الناس فى كل مناسبة . .

ولعل مرد ذلك إلى كون الأرض كانت هى المصدر الوحيد لغذاء الناس فالمحافظة عليها تعنى المحافظة على حياة الناس . فلولا وجود الأرض لما كان الزرع ولما استطاع الناس الحياة والاستمرار فى

الوجود ، وهذا يفسر سر دفاعهم عنها وتقديس آرواحهم مداءا لها
والمفاخرة والمباهاة المستمرة بامتلاكها .

ووادى بنى كبير بأراضيه الواقعة على ضفتيه موزع الى أملاك
بين القرى ولا يوجد - سبر واحد - غير مملوك ماعدا الأرض
الواقعة بين الصخور أو سفوح الجبال الغير صالحة للزراعة فهي أرض
ملكيتها للقرية يهبون منها أرضا لمن لا أرض له يستصلحها للزراعة قدر
الإمكان أو ليبنى عليها منزلا يسكنه .

وبالبلاد المسقوى أكثر أهمية من البلاد العثرى ذلك أنهم
يزرعونها بأصناف مختلفة كالقمح والشعير والذرة واللوبيا والعدس
والبرسيم والثوم والبصل والطماطم وأشجار الخوخ والرمان
والعنب ومفرد مجموعة من البلاد يسمونه (ركيب) ولكل ركيب اسم
خاص تابع لاسم البئر التى يروى منها فيبئر اسمها (مقبل) كل البلاد
التى حولها بهذا الاسم وليست لشخص واحد وإنما لوعدة قرابية وكذا
(بئر الحرير وبئر البرعية وبئر الطويلة) وهكذا . . وتصنف هذه
الأملاك حول البئر الى أقسام مختلفة إما متساوية أو غير متساوية
تتراوح مساحتها حسب القسمة التى حدثت وتعرف هذه التقسيمات
بـ « الحلقة والفلج والشطى » فالقوم لا يعرفون الفدان أو الهكتار .
فالحلقة تتكون من أربعة فلجان والفلج يتكون من « شطير » والشطى
طوله فى العادة يختلف باختلاف طول الأرض فقد يكون طوله ٤٠ مترا
وقد يكون ٣٠ مترا أما عرضه فهو معلوم حيث أسطوح عليه أن يكون
خمس أذرع . ومعنى هذا أن الحلقة فى « الركيب المسقوى » تساوى
ثمانية شطيان أى أن عرضها يساوى أربعين ذراعا وطولها يعود لطول
نفسه ومتوسط الملكية عندهم يكون فى العادة ثلاث « حلق » أرض
مسقوى زراعية الزيادة عنها تعنى أن صاحب الملك من كبار الملاك
والنقص عنها يعنى أن المالك من صغار الملاك ويشعر بحرج من هذا . .
وهناك أراض مرتفعة عن مستوى الآبار أو فى مستواها أحيانا تزرع
فيها كميات كبيرة من أشجار (اللوز) الذى كان يعتبر من المصادر

الاقتصادية الجيدة وكان الفائض منه يصدر الى المناطق المجاورة وحتى الى مدن الحجاز . وهناك اراضى زراعية تقع حول هذه البلاد ، تتم زراعتها بأشجار الفواكه يسمونها « الحبله » وتكثر فيها أشجار « التين والتين الشوكى » والعنب والرمان ولا يملك كل الناس مثل هذه وهي فى الغالب تتركز فى الأراضى القريبة من البيوت حيث تسهل حمايتها من دخول الآخرين اليها لجنى الثمار أو دخول البهائم لرعى الأشجار الصغيرة فيها . ويمكن أن تكون الحبله مكانا لرعى عدد لا يتجاوز عشرة رؤوس من الضأن التى تتغذى على نبات العشب الذى يتكاثر فيها نظرا لان الماء يصل اليها فى كل يوم تقريبا . ثم أن هذه الضأن لا تتسلق الأشجار وتآكل أعصانها كما تفعل الماعز ...

والغرض من هذه الأغنام هو الحصول على الحليب وأن تكون قريبة فىمتناول اليد لو حل على الدار فجأة أحد من الضيوف .

أما المنازل فهى مبنية من الحجر الذى يصنع من الصخور المتناثرة فى القرى ومسقوف بالخشب . والمنزل فى العادة لا بد أن يتكون من دورين . فالعلوى يستخدمونه مكانا للأكل والنوم والأدوار السفلى مبيتا للماشية (الجمل والثور والبقرة والحمار والاعنام) كما تخزن الاعلاف والحشائش فيها .

وجرت العادة أن تكون لكل وحدة قرابية مجموعة من المنازل المتقاربة حيث يقيم رب كل عائلة مع أفراد أسرته والتى تتكون من الأولاد وزوجاتهم والبنات غير المتزوجات فى منزل واحد . ولكل بيت (جرن) خاص من أجل درس المحصولات الزراعية .

وملكية المنازل كملكية الأرض تماما فما ينطبق على تلك من حيث البيع والشراء والوقف ينطبق على هذه . وهى تمثل قيمة اجتماعية كبيرة تكتسبها من الأفراد الذين اشتبهوا بالحكمة أو البجاعة أو الكرم فيقال على المجالس التى فى هذه البيوت مجلس فلان أو بيت فلان .

بيت ضارب في الكرم أو في الشجاعة • وكذا من حيث سعتها واتساعها للضيوف فمجالس الرجال فيها لا بد أن تكون كبيرة تتسع لكل أفراد القرية الذين يحضرون الولائم التي يقيمها صاحب المنزل في مناسبات مختلفة وعلى فترات متعددة طوال العام •• وكل ما أوردناه في الصفحات الماضية يعتبر في نطاق الأملاك خاصة ••

— اما الاملاك العامة : —

فيمكن أن نقسمها الى قسمين • قسم خاص بالحاضرة وآخر بالبادية ويجوز للحاضرة الانتفاع بالملكية العامة التي بأيدي البدو • فأما ملكية الحاضرة العامة فتتمثل في (الحمى) أو الديرة • وقد ذكرنا في فصل سابق أن لكل بدنة حماها الخاص أو ديرتها الخاصة •• وهذه تقع في المناطق الجبلية القريبة نسيباً من سكان القرى • ولا يجوز لغيرها من البدنات أن ترعى مواشيتها فيها أو تقطع منها أشجاراً أو حشائش الا باذن خاص من البدنة المالكة • اما مباشرة وأما عن طريق شيخ القبيلة • واذا حدث أن اعتدى أحد الرعاة بماشيته داخل هذا الحمى أو في أطرافه وأبلغ عنه (الحامى) « وهو رجل يقع اختياره من قبل القرى التي تكون البدنة ليحرس الحمى من الاعتداء يذهب مع الفجر ويعود بعد الغروب ويتقاضى نظير عمله هذا أجراً شهرياً من سكان هذه القرى » فان المعتدى يتم تغريمه بالطريقة التالية :

عندما يبلغ الحامى رجال القرية بهذا العدوان يجتمعون عقب صلاة العصر في ساحة (المسجد) ويختارون منهم ما بين خمسة الى عشرة رجال • يتوجه هؤلاء قبيل المغرب الى القرية التي وقع منها هذا الفعل • ويتجهون الى دار الراعى أو المعتدى بقطع أشجار • ويبلغونه باكتشافهم فعلته وأنهم جاؤوا (ليعزروه) وتعنى هذه الكلمة ايقاع الغرامة عليه فلا بد أن يذبح لهم خروفاً للعشاء فان كان قد قطع أشجاراً ثمنت هذه الأشجار وعليه أن يدفع ثمنها • فان لم يملك هذا

الثلث نقلها الرجال الى قريتهم وتركت لادى أحدهم لحين الحاجة .
ولا يجد الفاعل مفرا من هذا العقاب ، فان حاول التهرب طوى
المعزرون ما يجدون من سلاح أو فراش في داره (كالسجاد واللحف)
وعادوا بها حتى يبدأ في مطالبتهم بما أخذوا فيساومونه على دفع
العزير لقاء اعادة حاجياته . وكان هذا نادرا ما يحدث . لكن البديل
دائما في حالة عدم رضوخ القرية الأخرى التى ينتمى اليها المعتدى
أن يقوم بعض أفراد القرية المعتدى عليها بعمل مشابه في حمى القرية
المعتدية ثم يجتمع أفراد القريتين كل يطالب بحقه وغالبا ما يسقط
هذا مقابل ذلك على طريقتهم في القول (سبل ووسية) والسبل والوسية
فهى من المساواة أو الأسوة التى تعنى القدوة ليصبح المعنى (على
طريقتكم فعلنا ولكم أن تقتدوا بهذا الفعل فتسقط هذه مقابل تلك) .
ومهما يكن من أمر فان الاخباريين يذكرون حوادث كثيرة من هذا
القبيل . وان كانت الأخيرة أكثر من الأولى لكن الغالب أن الأمور
تسوى عن طريق (العزير) ودفع الأثمان اذ أنهم يحاولون قطع طريق
(السبل والوسية) والا أصبحت الاعتداءات متكررة وتقابل باعتداءات
مقابلة ثم تتأزم الأمور التى قد تؤدى الى حدوث انقسام خطير
بين وحدات القبيلة .

وملكية الحمى كما قلنا عامة للبدنة وهى من نوع ملكيات المنفعة
تقريبا . لكنها على أى حال منفعة مستمرة ولا تستفيد منها البدنة
عامة . بل يستفيد أفراد كالذين يملكون قطعان الماشية يرعونها فيها
أو الذين يستطيعون بناء منازل جديدة فهؤلاء يقتطعون من الأشجار
التى فى الحمى ما يسقفون به البيوت دون مقابل . ولعل المنفعة العامة
التي تعود على معظم الأفراد هى مسألة « الاحتطاب » من الحمى .
ذلك أن السكان كانوا يعتمدون على الحطب فى الوقود دون غيره الى
زمن قريب . لكنه على أى حال لا يجوز قطع الأشجار الخضراء .
فالمرأة أو الرجل عندما يذهبان الى « الديرة أو الحمى » لغرض

الاحتطاب فإنه لا يجوز لهما أن يقطعا الشجر الأخضر بل يستفيدان فقط من اليابس . فان حدث أن خالف أحد هذه القاعدة عوقب بالعزير . لكن العزير في مضمونة داخل القرية يختلف عن مضمونه خارجها . فهم لا يطلبون الى المعتدى بقطع الشجر الأخضر من داخل القرية أن يذبح « خروف العزير » . بل يمكنه أن يقدم لهم أصنافا أخرى من الطعام شريطة أن تكون من أجودها وأفضلها . ونلاحظ أن صفة « الكرم » تبرز حتى في العزير نفسه فيحاول الشخص الذى يوقع عليه العقاب أن يكون كريما . فيقدم لهم خروفا أو « سمن وبر وعسل » وهى أجود أصناف الطعام عندهم بعد اللحوم وربما يعود هذا الى أن الذى يقع عليه العقاب اليوم سيكون غدا من ضمن أفراد (المعزيرين) فيقتدى الجديد بالقديم ويقدم أجود الأصناف . وحتى يقال عليه أيضا أنه رجل كريم لا فرق عنده بين الضيوف والمعزيرين ..

وأما النوع الثالث من الملكية والتي تتصف بعمومية المشاركة فيها بين البدو والحاضرة فهى التى يقطنها بنى كبير البادية . وتسمى بدير بنى كبير . هذه الديرة تقع فيها المراعى ومصادر مياه الشرب للنقسم البدوى من بنى كبير ، وليست لهم أحقية فى بيع جزء منها أو اعطاء حق المنفعة منها للآخرين . دون الرجوع الى شيخ القبيلة ومجلس الشيخ فأما البيع فهو أمر لا يمكن حدوثه ولم يسجل تاريخ القبيلة حدثا كهذا . بينما نجد أن حق الانتفاع بالمراعى والاقامة بالنسبة لأعضاء من خارج القبيلة أمر قد حدث فى فترات متباعدة ومؤقتة فى نفس الوقت . تبعا للظروف التى أوجدتها والتي أدت الى أن يطلب هؤلاء من القبيلة اعطاءهم حق الاقامة والمراعى ..

وتبعا لهذه الملكية العامة فإنه يجوز (لبدنة ما) من البادية أن تحل بأراضى بدنة رحلت الى جهة أخرى . على الرغم من أنه يظل هذا الوادى وهذا الشعب يعرف باسم بدنة بالحارث أو الجابر أو العلى .. لكن تبادل المنفعة أمر جائز . وعندما يحدث خلاف شديد حول مراعى أو مصدر مياه بين البدنات فإن القبيلة تتدخل لحسم النزاع

بين هؤلاء باعادة كل بدنة الى ديرتها ومنع انتشارها مع الاخرى حتى ينتفى سبب النزاع وغالبا ما يزول عندما تجود السماء بالماء فتنتشر على أثرها المراعى وتكثر الينابيع ..

وتقع حماية هذه الأرض على أبناء القبيلة كلها وليس على سكان البادية وحسب . وللبدو الحق في قطع الأشجار واستخدامها للوقود أو تجفيف الأعواد الكبيرة وبيعها ويمكنهم على هذا الأساس أن يبيعوا هذه الأخشاب والحطب للآخرين من خارج القبيلة . وعلى الرغم من وجود أراضي تمتاز بخصوصيتها في هذه المنطقة ووفرة مياهها وهي بوجه خاص الأراضي التي تقع على ضفاف الأودية . الا أن احدا من البدو لم يفكر بحفر بئر في هذه المنطقة وزراعتها . كما أن الحاضرة أنفسهم لم يحدث أن انتقل أحدهم الى هذه المنطقة ليمارس حرفة الزراعة فيها .. وليست هناك أوراق مكتوبة تحدد ملكية الأرض في البادية لكنه عبر التاريخ تم التعارف على هذه الحدود اما بأماكن مشهورة تحدها من الجهات الأربع واما (بردم كبيرة من الصخر) توضع على هذه الجهات لتحدد ملكيتها للقبيلة وتكون بمثابة الحدود بينها وبين القبائل الأخرى ..

إذا فالثلاثة الأركان التي رأينا أنه لابد من وضعها في الاعتبار عند دراسة الملكية وهي : نوع الملكية وطبيعة المالك وطبيعة الحقوق ، نعتقد أنها قد اتضحت بشكل كاف ويمكن ايجازها في أسطر قليلة قبل اختتام هذا الفصل ..

فقد رأينا أن أهم أنواع الملكية لديهم هي الأرض والمنازل ومدى الارتباط الشديد والعلاقة القوية بين الملاك أنفسهم وهذه الاملاك . وقد رأينا أنهم يرون التفريط فيها تفريطا في النفس ، وتراوحت بين ثلاثة أنواع الأرض الزراعية وما يمكن أن نسميه تجاوزا بالغابات والتي عرفناها بـ (الحمى) ثم ديرة المراعى التي بأيدي البدو ..

أما الملاك أنفسهم فقد رأينا أنهم يتراوحون بين الفرد الواحد والقبيلة كلها . غرب العائلة التي تشترك في ملكية الأرض هو صاحبها الأول واليه تنتمي وباسمه تعرف . فإذا توفى هذا الكبير انتقلت الملكية وحرية التصرف الى أكبر الأبناء وهكذا ..

والقرية كلها لها ملكية مميّنة هي التي بجوار القرية وقد عرفناها قبلا بأنها الاراضى التي تكثر فيها الصخور ، أو المناطق الصخرية أو الأرض الغير صالحة للزراعة . وقلنا حينذاك بأنه لا أحد يستطيع التصرف في شبر منها بمفرده بل باجماع من سكان القرية الكبار من الذكور جميعا ثم رأينا أن القرية تشترك مع القرى الأخرى التي تشكل البدنة في ملكية أرض (الحمى) ولهم جميعا حق الانتفاع . وانتقلنا أخيرا الى الملكية العامة (للديرة) والتي يقطن فيها البدو ويحق لجميع أعضاء القبيلة المشاركة في الاستفادة منها .

وعن طبيعة الحقوق نفسها فالواضح أنه فيما يتعلق بالأرض فإنها (حقوق مقيدة) لا نستطيع أن نصفها بالحرية المطلقة لممارسة هذه الحقوق ، ولا نستطيع أن نقول أنها حقوق منفعة . ذلك أن ثقافة المجتمع وقيمة تفرض أو تمارس قهرا على الأفراد فيما يتعلق بالبيع والشراء وفي نفس الوقت ليست هذه الحقوق محدودة بوقت معين . ولعل أبرز مثال على طبيعة الحقوق يتمثل في الاشتراك في ملكية (الآبار) التي تسقى منها الأراضى الزراعية) وهذه الآبار تحفر في إحدى القطع الزراعية وعادة تكون في أحد أركان الأرض التي يكتشف الماء فيها . وطريقتهم في اكتشاف المياه تحت الارض تعتمد على أشخاص اشتهروا بهذه المعرفة . ويسمى الشخص الذي يكشف عن المياه ويقترح حفر البئر في الأماكن الميينة « المهندس » وهم يذهبون اليه في داره في أى مكان ويطلبون اليه أن يحضر معهم ليكتشف أماكن المياه لقاء أجر يأخذه . وكان هذا يأتي ليدور حول المكان وينتقل هنا وهناك ويشم التراب من حفرة يحدثها الى مسافة ٥٠ سم تقريبا ويضع أذنه

على سطح الأرض ثم يشير الى مكان معين ويطلب أن تحفر البئر فيه .
ويحدد لهم المسافة التي يحفرونها حتى يصلوا الى الماء — (القامة)
والقامة تعنى مد الزراعين جانبا « فالمسافة عند أطراف أصابع اليد
اليمنى مرورا بالذراع والصدر وحتى أطراف الأصابع اليسرى هي
القامة » فان قال عشر قامات أو أقل أو أكثر وجدوا الماء فعلا يتفجر
عندها . ويقول الأخباريون أنه لم يحدث أن فسدت تنبؤات هذا
المهندس ولم يتم العثور على الماء الا في حالات نادرة . . . وقطر البئر
هذه يتراوح بين ٣ : ٨ أمتار وعمقها يصل الى ٢٠ مترا تحت سطح
الأرض . وتبنى جوانبها بالحجارة قبل الوصول الى الماء وذلك عندما
يصلون الى الأرض الصلبة ثم يستمر الحفر حتى يجدون الماء .

وعملية الحفر يشارك فيها فعلا كل من له أرض حول هذه البئر .
أما مياه الري فيها فنتوزع بين الأفراد حسب ممتلكاتهم فمن كان له
أكثر نصيب من الأرض كان « شربة » أكثر بعدد أيام أكثر والاقبل
فالأقل . والزمن لحساب « الشرب » (سبق تعريفه في أول هذا
الفصل) يعرف بالشروق والغروب فالبعض مثلا له ثلاثة أيام يسوق
فيها زرعة . بينما البعض له (غدوة) أو نهار وغدوة أو (روحة)
والغدوة مشتقة من الغدو والروحة من الرواح وتعنى الأولى من بزوغ
الشمس الى منتصف النهار عندما تغدو الشمس في كبد السماء .
والثانية عندما تبدأ الشمس بالزوال فبيدأ الرعيان بالرواح والعودة
الى دورهم . هذا النظام في تقسيم أيام سقيا الأرض يسير على
وتيرة واحدة . فاذا حدث أن حصل خلل في هذه البئر ولم يشارك
أحد الملاك في المعاهمة في اصلاحه قل أو سقط حقه في (الشرب) .
بمعنى أن المشاركة من عدمها تابع للمساهمة الفعالة فيما يتعلق بشؤون
هذه البئر . اذ أن الملكية للأرض لا تعطى الحق في ملكية البئر نفسها ،
فمن جهة صاحب الأرض التي حفرت فيها البئر لا يملكها ومن جهة

صاحب الأرض المخصص له أيام يسقى منها مرتبطة أيامه هذه بمدى مساهمته وحرصه على سلامة البئر .

ونعتقد أننا قد أوضحنا نظام الملكية في بني كبير وهو نظام في حقيقته يرتبط مع الانظمة الأخرى في هذا المجتمع دون فصل أو تمييز ويتفاعل معها .

الباب الثالث

الفصل الأول : مظاهر التغير الحضارى فى بنى كبير

الفصل الثانى : آثار التغير البنائى والحضارى فى بنى كبير

الباب الثالث

الفصل الاول

مظاهر النظر الحضارى فى بنى كبير

فى الفصل الثالث من الباب الأول من هذه الدراسة أشرنا الى البناء القبلى فى بنى كبير . ورأينا أن هذا البناء كان يتميز الى حد كبير « بتضامن آلى » بين الوحدات الاجتماعية فيه . أملتها على هذا المجتمع ظروف داخلية وخارجية . ثم قلنا فى الفصل الأول من الباب الثانى أن تغيرا بنائيا قد أصاب هذا المجتمع لظروف داخلية وخارجية أيضا . مما أدى الى فقدان عدد من الوحدات لوظائفها التى كانت تمارسها داخل البناء الاجتماعى . أما فى الفصل الثانى من نفس الباب فقد درسنا النسقين القرابى والاقتصادى ، ورأينا الارتباط القائم بين هذين النسقين والانساق الأخرى . ولعل أهم ما يلفت النظر أن مجتمع بنى كبير من الناحية الاقتصادية كان يعتبر مجتمعا منتجا أكثر منه مستهلكا وحققت له هذه الميزة تفوقا اقتصاديا على المجتمعات المجاورة بل وأوجدت قدرا من التكامل بينه وبين هذه المجتمعات ونشأ عن ذلك علاقات اجتماعية مع هذه المجتمعات المحيطة به ، استدعت هذه العلاقة قيام « احلاف » تمثل معاهدة صداقة وتعاون بينه وبين تلك المجتمعات أساسها اقتصادى بالدرجة الأولى .

وكما هو حال المجتمع الكبير فى المملكة العربية السعودية بل وكل المجتمعات الانسانية عبر التاريخ لم تقف عجلة التغير عند حد معين بل سارت باضطراب فئال مجتمع بنى كبير قسسطا كبيرا من التغير الاجتماعى والحضارى لظروف داخلية وخارجية أيضا .

فأما الظروف الداخلية ، فلعل أهمها رغبة أفراد المجتمع في مواكبة التغيير الحاصل في المجتمع الكبير ، بعد أن تعرفوا الى هذا المجتمع عن طريق (الاذاعة) وحدها . ذلك أن أجهزة الراديو فقط بدأت تغزو المنطقة منذ ثمان وعشرين سنة لا غير ، ولا يزال كبار السن والشباب في سن الأربعين اليوم يتذكرون كيف كانوا يجتمعون في واحد من البيوت التي يملك أصحابها « جهاز راديو » للاستماع لما يقوله هذا الجهاز لساعات طوال . وتلك كانت الصلة الأولى بين هذا المجتمع المفلق والمجتمعات الأخرى داخل الجزيرة العربية وخارجها . ولم تتوفر وسائل غير الراديو الا مؤخرا .

ومن العوامل المساعدة أيضا على التغيير بدء الشباب بالهجرة الى خارج المجتمع المحلي وخاصة الى مدن الحجاز القريبة ، وعندما يعود هؤلاء المهاجرون الى القبيلة يعودون معهم بأنماط مختلفة من السلوك تعلموها في مجتمع المدينة ويؤثرون بها على أسرهم التي عادوا اليها ، مثل الحرص على النظافة في الملابس والمأكل والمشرب . والسهر لساعات متأخرة من الليل ، وأحداث تغيير في أثاث المنزل وفرشه . وعدم التعامل مع الحيوانات كالثور والحصار والجمال ، ويتمثل ذلك في تقديم الأطعمة لها والاشراف عليها حين الغدو والرواح كما كانوا يفعلون قبل الهجرة . ولقد قوبلت هذه الانماط من السلوك في بدايتها بامتناع شديد من أهلهم وذويهم واعتبروا أن هذا الشباب قد أفسدته حياة المدن . ولكن مع مرور الزمن تعلم هؤلاء هذه الأنماط وأصبحت شيئا مألوفًا لديهم .

وأما العوامل الخارجية التي ساعدت الى حد كبير على حدوث الميعر الشامل في مجتمع بني كبير ، فكان أبرزها ظهور الحكم المنظم الذي عرفته المنطقة قبل ست وأربعين سنة فقط بانشاء أول امانة ومحكمة شرعية في منطقة (غامد) . واستمر يتطور باستحداث ادارات حكومية جديدة كل فترة حتى أصبحت هذه تقدم الخدمات اليومية

اللازمة للسكان في مختلف أوجه الحياة . مما استدعى انصراف الوحدات الاجتماعية التي كانت تقوم بوظائفها في القبيلة الى البحث عن وظائف أخرى بديلة تخدم بها المجتمع .

أما ظهور البترول في أراضي المملكة العربية السعودية ، فقد كان العامل الهام في حدوث التغير الاجتماعي والبنائي ، ليس في مجتمع بني كبير وحده بل في المجتمع الكبير بشكل عام ، ذلك لان ظهور هذه الثروة بكميات هائلة قد أعطى للمجتمع دفعة الى الأمام ، وحسن بدرجة كبيرة الناحية الاقتصادية لدى السكان ، مما نتج عنه تغير مادي ملحوظ تمثل في شق الطرق وافتتاح المطارات ، وبناء المدن الحديثة ، وبناء المنازل الحديثة في المناطق الريفية ، ودخول الماء والكهرباء ، الى جانب التغير في الجوانب اللامادية والعلاقات الاجتماعية بين الأفراد والوحدات الاجتماعية في المجتمعات المحلية الصغرى وفي المجتمع الكبير .

ويمكن أن نستعرض أهم مجالات ومظاهر التغير في مجتمع بني كبير على الشكل التالي : -

أولا : التعليم :

عرفنا في فصل سابق من هذه الدراسة بأن مجتمع بني كبير قد عرف نوعا من التعليم . هذه المعرفة أملت الحاجة الى وجود من يقرأ القرآن الكريم . ومن يكتب (الحجج) أى وثائق الملكية للعقارات . ومى يكتب الاحلاف وبنود الصلح بين الافراد أو الوحدات الاجتماعية . ومن يكتب الاحلاف وبنود الصلح بين الافراد أو الوحدات الاجتماعية .

وكانت هذه الفئة تعرف باسم (الفقهاء) وجاءت هذه التسمية من معرفتهم وتفقههم في أمور الدين ، وكانت هذه الفئة هي التي تؤم الناس في المساجد للصلاة ، وتلقى فيهم الخطب والمواعظ ، وهي التي تحرر عقود البيع والانكحة . وكان يستعان ببعضهم في إنجاز ما ذكرنا لدى المجتمعات المجاورة اذا لم يكن بهذه فقيه يمكنه انهاء مثل هذه الامور .

ولم يكن دور هذه الفئة يقتصر على ذلك بل كان لها دور كبير وهام . وهو تعليم الشباب القراءة والكتابة وأمور الدين . وكان معشر الفقهاء يمارسون (مهنة التعليم) بطرقهم الخاصة . حيث كان الفقيه يجمع الدارسين على يديه في ساحات المساجد أو على ظهور المنازل في الصباح مرة الى ثلاث مرات في الاسبوع ، ويجلس هو وسط الحلقة من الشباب يقرأ عليهم وهم يرددون خلفه ، حتى يحفظ هؤلاء ما تيسر من القرآن الكريم ، ثم ينصرفون عن التعليم بعد ذلك . الا من أراد الاستمرار مع الفقيه ليتعلم الكتابة ، حيث يبدأ بتلقينهم أصوات الحروف وأسمائها وأشكالها ، ثم يعلمهم كتابتها بعد ذلك .

وكان الفقيه يمارس ارهايا شديدا على الدارس . ويلازمه باستمرار (الكرباج والفلقه) وكان يعاقب من يخطئ ، عقابا شديدا .

ويبدو أن أساليب التربية والتنشئة الاجتماعية في المنطقة ، كانت تسير وفق ما تقتضيه الظروف الطبيعية والاجتماعية هنا . فالظروف البيئية كانت تتوزع بين الجبال والادوية وتنعدم فيها طرق المواصلات عدا الجمال والحميز وقد كان الرجال والنساء والاطفال يقطعون مسافات سيرا على الاقدام . بالاضافة الى شظف العيش والعمل الدائم والمستمر ليلا ونهارا للحصول على لقمة العيش ، ثم ان القبيلة في السابق كانت تعيش حالة من الاستنفار شبه الدائم أو الهجوم طبقا للحياة القبلية في المناطق الجاورة . كل هذه الظروف مجتمعة انعكست على أسلوب التربية للاطفال فليس هناك فسحة من الوقت لتدليل الناشئة أو السهر على مصالحتهم أو حتى معالجتهم من الامراض . فكل الادوية كانت عبارة عن أعشاب وامتناع عن أكالات معينة والكي وعزل المريض في غرفة خاصة مظلمة لايام أو شهور . كما أن الطفل لم يكن ليأخذ كفايته من اللعب مع الرفاق اما لانشغاله بالعمل مع الاسرة واما لانهم يرون أن اللعب مضية للوقت وسبيل الى انفاق جهد في شيء لا ينفع ، ولهذا فقد كان الاطفال لا يمارسون العبا جماعية الا نادرا ولعل أفضل الفرص المتاحة

لذلك عند انصرافهم من المدارس وان كانت المدرسة والاهالى قد فرضوا نوعا من الرقابة عليهم لحرمانهم من ذلك .

اذا فالفقهاء بل وحتى المدرسين فى السنوات الاولى لافتتاح المدارس الحكومية كانوا يمارسون القسوة على التلاميذ وفقا للجو العام للتربية فلقد كانوا يرون أنه لكى يصبح هذا الطفل (رجلا) لابد من استخدام الحزم معه وأى لين أو عطف من جانب الاهل والمدرسة ينعكس بمردود سىء على سلوك الاطفال ويفقدهم الرجولة . وخير مثل شعبي يصور أسلوب التربية السائد فى المنطقة هو (اشبع غريرك واحسن أدبه) . وهذا المثل معناه توفير الغذاء الذى يشبع الطفل (والغريز) مأخوذة من « الغر » الغر معناها الجاهل الذى لا يدرك مصلحة نفسه . وعندما يشبع هذا الطفل توله بالتأديب ، ومن أبرز صفات هذا التأديب عدم الجلوس فى مجالس الرجال وعدم الكلام معهم ان حدث وجلس انطلق بينهم ، وعدم الضحك لاي مناسبة بين الرجال وعدم المشاركة برأى ، وعدم ممارسة اللعب والانصراف الى الاعمال الجدية ومساعدة الاسرة ، واذا مرض فدعه لينام فى الفراش فالله الحافظ وحده . وهكذا .

ولقد كان الاباء يؤكدون (للفقهاء) الذى كان يتولى التعليم للاطفال ثم للمدرس من بعده فى المدارس الحكومية (بأن لك اللحم ولنسا العظم) أى اضرب ما شئت وأحدث الجرح الممكن بحيث لا تكسر عظم لهذا الطفل عظما ، وما لم تكسر عظم الطفل فلا لوم عليك . هذا هو الاسلوب السائد فى التربية عنف شديد وحرمان كبير وهو تفسير (للفلقة) التى كانت مع الفقيه ثم انتقلت الى المدرس الى جوار السوط فى أول عهد المنطقة بالمدارس الحكومية .

ويقول ابن خلدون فى مقدمته (فصل فى أن الشدة على المتعلمين مضرة بهم) « ذلك أن ارهاق الحد فى التعليم مضر بالمتعلم سيما فى أصغر الولد لانه من سوء الملكة . ومن كان مرباه بالعسف والقهر من

المتعلمين أو المماليك أو الخدم سطا به القهر . وطبق على النفس انبساطها وذهب بنشاطها ، ودعاه الى الكسل ، وحمل على الكذب والخبث وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفا من انبساط الايدي بالقهر عليه . وعلمه المكر والخديعة لذلك ، وصارت له هذه عادة وخلقاً ، وفسدت معاني الانسانية التي له من حيث الاجتماع والتمرن ، وهي الحمية والمدافعة عن نفسه ومنزله ، وصار عيالا على غيره في ذلك بل وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل ، فانقبضت عن غايتها ومدى انسانيتهما ، فارتكس وعاد في أسفل السافلين » (١) . ويمضى ابن خلدون فيقول « من أحسن مذاهب التعليم ما تقدم به الرشيد لعلم ولده محمد الأمين فقال : يا أحمر ان أمير المؤمنين ، قد دفع اليك مهجة نفسه وثمره قلبه ، فصير يدك عليه مبسوطة ، وطاعته لك واجبة ، فكن له حيث وضعك أمير المؤمنين اقرئه القرآن وعرفه الاخبار ، وروه الاشعار ، وعلمه السنن ، وبصره بمواقع الكلام وبدئه ، وامنعه من الضحك الا في أوقاته ، وخذّه بتعظيم مشايخ بني هاشم اذا دخلوا عليه ، ورفع مجالس القواد اذا حضروا مجلسه ، ولا تمرن بك ساعة الا وأنت معتنم فائدة تفيده اياها ، من غير أن تحزنه فتمتت ذهنه » لا تمن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه ، وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة ، فان أباهما فعليك بالشدّة والغلظة » (٢) .

ولنا رأى فيما ذهب اليه العلامة العربي (ابن خلدون) خاصة عندما يقول « . . . وعلمه المكر والخديعة لذلك ، وصارت هذه عادة وخلقاً ، وفسدت معاني الانسانية . الخ » ذلك أنه قد شددت انتباهي هذه العبارة فأردت أن أرى لها تطبيقاً على عدد من أبناء المنطقة والذين نالوا قسطاً من التربية القاسية على أيدي الاهل والفقهاء والمدارس . فتمتت حالات كثيرة ، فلم أجد أحداً منهم سوى الخلق وفسدت معاني

(١) ابن خلدون — المقدمة — ص ٥٠٨ — مرجع سابق .

(٢) ابن خلدون ، ص ٥٠٩ المرجع السابق .

الانسانية لديه ، ولا ارتكس الى سفل السافلين ، ولم يكن مهم لصا
أو مجرما . بل على العكس من ذلك فقد وجدت فيهم خلاف ذلك من
استقامة في الخلق واتزان في الشخصية وعمق في التفكير وبعد عن
الجرائم . كل ما عدا ذلك يمكن أن نسميه سُذوذا عن القاعدة .

أما بعضهم فقد ترك التعليم وانصرف الى أعمال أخرى . وهذه
الفئة عند سؤال أفراد منها ، أرجعوا سبب عدم مواصلة التعليم الى
الظروف القهرية التي كان يمارسها القائمون على التعليم ، والمهاجرون
منهم الذين يقيمون في المدن الكبرى من الملكة اليوم أرجعوا أسباب
هجرتهم الى ظروف التربية القاسية في المنازل المصاحبة للظروف
الاقتصادية القاسية أيضا .

إذا فالعلامة (ابن خلدون) كان متشائما الى حد كبير عند الحديث
عن أسلوب التربية والتعليم . أو أنه كان يقصد أساليب أشد عنفا ورهبة
مما عرضناه في هذه الدراسة . لهذا لم نجد لاقواله ما يؤيدها في منطقة
البحث .

ولا يعنى هذا أننا نؤيد أسلوب البطش في التربية ونقر ما كان
سائدا من أساليب في البيت والمدرسة . ونرى من جهة ثانية أن يكون
أسلوب التربية وسطا بين الحزم والتسامح وفق ما تقتضيه المصلحة
العامة للطفل وللمجتمع فلا نترك الحبل على الغارب ولا نضغط بشدة
متناهية . وأرى أيضا أن لكل مجتمع ثقافة معينة ويعيش في ظروف معينة
بن وله آمال وأهداف خاصة يسعى الى تحقيقها . إذا فلا بد أن تتوافق
أساليب التربية مع ما أشرنا اليه توافقا يحقق المصلحة العامة للفرد
والمجتمع .

ويتقاضى (الفقيه) لقاء عملية التعليم هذه النقود من الموسرين ،
والحبوب والتمر من متوسطى الحال . وعلى كل فان هذا التعليم على
الرغم من بدائيته كان مفيدا للمجتمع نظرا لاهمية الدور الذي كان

يمارسه الفقيه ثم ان هؤلاء المتعلمين كانوا يقومون بأدوار مشابهة
لدور الفقيه .

ولم تعرف (بنى كبير) المدارس الحديثة الا بعد ظهور الحكم
السعودى فى المنطقة حيث افتتحت فى بنى كبير أول مدرسة ابتدائية فى
عام ١٣٦٧ هـ ١٩٤٧ م وكانت هذه المدرسة فى قرية العبادل ، ضمت
أول الامر مجموعة من الفقهاء الذين يدرسون للتلاميذ دروس الدين
واللغة العربية . وقد كان الاقبال شديدا على هذه المدرسة ونشب
لذلك صراع بين التلاميذ وأولياء الامور تمثل فى رغبة التلاميذ فى التعليم
واصرار أولياء أمورهم على بقائهم للمساعدة فى شئون الزراعة أو الرعى .
ولم ينته هذا بين التلاميذ وأولياء الامور الا بهجرة أعداد منهم الى
خارج القبيلة أو بالتوفيق بين الدراسة فى الصباح ومزاولة العمل ومساعدة
الاسرة بعد الظهر .

وقد كان معظم أولياء الامور يصر على أن يترك ابنه المدرسة بعد
مصرفته للقراءة والكتابة ودروس الدين التى كان غالبا ما يجيدها فى
الصف الرابع الابتدائى ولم يحصل على الشهادة الابتدائية الا أعداد
قليلة فى العشر السنوات الاولى من افتتاح هذه المدرسة على الرغم
من أن أعداد الطلبة فى الفصول الاولى من المرحلة الابتدائية كان كبيرا
بالنسبة الى سعة المدرسة وامكاناتها . فمثلا فى عام ١٣٧٠ هجرية
كان عدد الطلاب بالصف الاول الابتدائى بمدرسة بنى كبير الابتدائية (١)
(٨٠) طالبا والمتقدمون لامتحان الشهادة الابتدائية فى العام ٧٦/٧٧
هجرية (١٣) طالب فقط نجح منهم فى الدور الاول (٨) طلاب فقط
ورسب (٥) طلاب نجح منهم اثنان فى امتحان الدور الثانى وانقطع
الآخرون عن الدراسة .

ولكن التعليم لم يسر بهذه الطريقة فى السنوات التى تلت ذلك .

(١) سجلات المدرسة من عام ١٣٧٠ الى ١٣٧٧ .

ذلك لان الوعي بدأ ينتشر بين السكان اضافة الى افتتاح عدد من المدارس الابتدائية والمتوسطة في قرى مختلفة من المنطقة قصدت بها الحكومة تيسير الدراسة على التلاميذ باختصار المسافة التي كان يسيرها هؤلاء بين أماكن السكن ومكان المدرسة والتي كانت تحول الامطار الغزيرة دون حضورهم الى المدرسة في أيام كثيرة من العام الدراسي ٥٥ واستمرت السياسة التعليمية للدولة في رفع شأن التعليم في المنطقة كما هو الحال في كل مكان من المجتمع الكبير وخلال ثلاثين عاما أي من سنة ١٣٦٧ : ١٣٩٧ هجرية بلغ عدد المدارس في بني كبير سبع مدارس ابتدائية واحدة منها في البادية • ومدرسة البادية هذه تعمل على فترتين صباحية للصغار ومسائية للكبار واطافة الى المدرسة المتوسطة في بني كبير ويبلغ مجموع الطلاب بالنسبة لمدارس البنين الابتدائية والمتوسطة أكثر من ١٦٥٥ طالب يتلقون تعليما حديثا على يد متخصصين في التعليم •

أما بالنسبة لتعليم البنات فلقد كان مجرد التفكير في تعليم الفتاة يعتبر أمرا ممقوتا فقد كانت النظرة الى الفتاة تنحصر في قيامها بشئون البيت والمزارع وليست لها أية أهمية خلاف ذلك اذا استثنيا الحمل والانجاب • وقد كانت الفكرة تعرض على شيخ القبيلة والذي يعرضها على أفراد القبيلة خلال العشر سنوات الماضية فلم يحبز هؤلاء وجود مدرسة للبنات ولم يوافقوا على تسجيل بناتهم استعدادا لاهتتاج مدرسة للبنات في بني كبير الا في عام ١٣٩١ هجرية ثم فتحت مدرسة البنات الابتدائية في بني كبير أبوابها في أول العام الدراسي ١٣٩١/١٣٩٢ هجرية ، ولقد كان الناس يرددون مثلا يقول : « ليس للبنات الزواج أو القوز » ويعنى هذا المثل أن الفتاة ليس أمامها الا الزواج والا أن تموت وتدفن في الارض « القوز » هذا يعنى التراب الذي يدفن فيه الانسان بعد موته وهو ما على مستوى سطح الارض قليلا •

ولم تشهد مدرسة البنات الابتدائية في بني كبير اقبالا شديدا عند افتتاحها اعتقادا بأن في تعليم البنات مفسدة للاخلاق ، وأنها ان تعلمت

شيئا فهو لمصلحة زوج المستقبل ولا فائدة لاهلها من ذلك .

ثم ان انصراف الفتاة الى التعليم سوف يلحق أضرارا اقتصادية بالاسرة لان الفتاة تمارس دورا مهما في المنزل . وعليها تقع مع أمها مسئولية ادارة المنزل ابتداء من اعداد الطعام وانتهاء بالعناية بالحيوانات كالاغنام والجمال والبقر وخلافها مما يستأنسه السكان في المنازل . لهذه الأسباب الثقافية والاقتصادية لم يلق تعليم البنات توفيقا كبيرا حتى الآن فمجموع الطائعات في المدرسة الابتدائية والمتوسطة للبنات لا يزيد عن (أربعمائة طالبة) فقط وقد تم توقف العديد منهم عن التعليم بمجرد معرفة الجزء الأول من القرآن الكريم ، ثم بقين في المنازل بعد ذلك امامسة النشاط المنزلى .

ولئن كان بعض من الشباب والفتيات قد أكملوا المرحلة الجامعية من التعليم فان ذلك يعود الى جهدهم الشخصي في المقام الاول ، وهجرتهم الى المدن بعيدا عن أرض القبيلة مما أتاح لهم فرص العمل ومواصلة التعليم . والملاحظ بشكل عام أن التعليم في بنى كبير الحاضرة لفاق نظيره بمراحل كبيرة في بنى كبير البادية ، فعلى الرغم من مرور خمس سنوات على افتتاح مدرسة ابتدائية (متنقلة) في البادية ، الا أن عدد الطلاب للعام الدراسي ١٣٩٩ - ١٤٠٠ هـ لم يزد عن ستين طالبا في الفترتين الصباحية والمسائية . أما بالنسبة لتعليم الفتاة في البادية فهو أمر غير وارد في الوقت الحاضر في ذهن سكان البادية ، وذلك لانهم يرفضون فكرة تعليم الفتاة بشدة ، فحاجتهم الى الفتيات لترعى الاغنام والاشراف عليها كان حجر عثرة في سبيل فكرة التعليم .

كما أن فتيات البادية لسن على قناعة بالتعليم أيضا ، فقد كانت لى فرصة لقاء عدد منهن أثناء اعداد هذه الدراسة . اطلعت خلال هذا اللقاء على جانب من فكرتهن عن التعليم ، وأجمعت الاقوال على رفض التعليم لعدة أسباب : أولها أنهن على يقين بأن أولياء أمورهن لن يوافقوا على الحاقهن بالمدارس في حالة وجودها في مراكز البادية . والثانى :

أن الفتاة في البادية ترى أن جلوسها بين الحيطان أو حتى في مكان واحد لوقت محدد يحد من حريتها في الحركة والتنقل فهي لا تتصور أنها يمكن أن تجلس في مكان واحد لعدة ساعات . والثالث : أن فتاة البادية ترى أن التعليم يعلم الفتاة (الدلع) ويقنن بأن بنات الحضر على هذا النمط بسبب التعليم ، ويفسرن الدلع بعدم القدرة على العمل والحركة ، وبالكسل والخمول ، وبارتداء الملابس الغير محتشمة وباستعمال « الصباغ » على الوجه .. الى غير ذلك .

وعندما التقيت بعدد من أولياء أمور الفتيات في مقابلة منفصلة رغبوا تماما فكرة تعليم فتياتهم ، ولم يقبلوا حتى مجرد مناقشة هذا الموضوع .

وسوف يستمر هذا الرفض قائما ما لم تعمل الأجهزة المختلفة على توطين البادية وتهيء لهم مراكز للاستقرار ، وتتيح لهم ممارسة بعض الانشطة الزراعية التي تربطهم بمراكز التوطن . على أن يتم كل ذلك بموجب تخطيط منظم ومدروس حتى تحقق الفائدة من مثل هذه المراكز ، وعلى وسائل الاعلام أن تقوم بمجهود كبير لتوعية سكان البادية وارشادهم وتوجيههم ، بشرح محاسن الاستيطان وترغيبهم فيه ، وبهذه الطريقة يمكن أن يقل اعتماد البدوي على الفتاة ويصبح لديها وقت فراغ ، لا بد أن يستغل في عمل مثمر ، بالاضافة الى أن الزراعة سوف تقلل من اعتماد البدوي على الماشية التي تحتاج الى عناية ومتابعة مستمرة . عندها يمكن أن يقبل البدوي بفكرة تعليم الفتاة بعد أن يبدأ ويستقر ويتحسن موارده الاقتصادية نتيجة لتمدد الانشطة ، ويبدأ البدوي عندها يعدل عن فكرة الربط بين الفتاة والناحية الاقتصادية التي تقوم فيها هذه الفتاة بالدور الاكبر . ان هذه الفكرة تحتاج الى تضافر عدد من الاجهزة والمصالح الحكومية وكل منها يقوم بالدور الملائم اذا أردنا لها النجاح .

ثانيا : تغير السلطة السياسية في القبيلة :

تعرفنا في فصل سابق ونحن بصدد دراسة النسق السياسي في قبيلة

بنى كبير الى الوظائف التي كان يمارسها شيخ القبيلة باعتباره السلطة السياسية العليا في المجتمع ، ورأينا كيف كان هو صاحب الرأي الاخير في كل مشكلة تطرأ وفي كل قرار . وهو وان كان يجمع مجلس القبيلة لتشاور في الأمر . الا أنه كان يعود اليه الرأي الأخير وله حق البت في كل الامور . وذكرنا أيضا أنه كان لديه سجن خاص يعاقب فيه الخارجين عن القانون ويتخذ ضدهم الاجراءات المناسبة مع ما اقترفوه ، وأنه كان يصل اليه في كل مناسبة أموال من أفراد القبيلة في شكل هدايا بمناسبة الاعياد وفي المناسبات الأخرى كالزواج والضيافة وغيرها . وكانت هذه الاموال تستخدم في الانفاق العام على بعض مستلزمات القبيلة ويتوفر له منها الشيء الكثير .

ثم ذكرنا أن سلطات الشيخ بدأ تسير نحو الضعف بعد ظهور الحكم السعودي في المنطقة وخصوصا عندما تأسست أول امارة ومحكمة في قرية اسمها (الظفير) في سنة ١٣٥٣ هجرية والظفير هذه ليست الظفير احدي قرى بنى كبير ، وانما هي قرية أخرى تقع الى جوار مدينة الباحة « العاصمة الادارية الآن لقبائل غامد وزهران ، وتبعد عن بنى كبير بما يقرب من سبعة عشر كيلو متر الى الشمال . هاتان الادارتان بدأت تتحمل عن شيوخ القبائل الاعباء ، فلم يعد شيخ القبيلة مثلا بحاجة الى سجن خاص ولم يعد بحاجة الى الاجتهاد في اصدار الاحكام ففي امارة الظفير أمير معين من قبل الملك عبد العزيز آل سعود آنذاك وفي المحكمة قاضى يحكم بين الناس في خصوماتهم ، فلم يعد هناك حاجة الى (النفا) والى تقديم بديل عن الجاني الاصل لينال العقاب بدلا عنه . كما أن وجود الامارة في هذه المنطقة قد ركز دعائم الامن فيها وقلل من جرائم السلب والنهب والاعتداءات الأخرى بين الناس ذلك أن السلطة الجديدة المنظمة كانت لديها الامكانيات المتيسرة للوصول الى الجاني ومعاقبته . وتقلص دور شيخ القبيلة الى الارشاد فقط والابلاغ عن الاماكن التي تقع فيها الحوادث والمساعدة أحيانا في الوصول الى الجاني واعتقاله . وبالتدريج بعد أن فقد الشيخ سلطاته الرئيسية بدأت هيئته تسير

نحو الادنى . وأصبح بالامكان اقامة الخصومة على الشيخ نفسه من قبل أفراد من القبيلة والتحاكم معه أمام القضاء لكن ذلك لم يحدث في بداية الحكم المنظم لآل سعود في المنطقة . بل بعد ظهوره بما يقرب من ثلاثين عاما موثقاشرنا في فصل سابق الى الخصومة التي وقعت بين شيخ القبيلة أحمد بن سعيد بن سويد وقريتي (العباد والحدب) في قبيلته عندما أراد أن يمهد طريقا للسيارات عبر وادي بنى كبير واعترض على ذلك أصحاب الارض الواقعة على ضفتي الوادي مما اضطرهم في النهاية الى التقدم للامارة والمحكمة بشكوى ضد شيخ القبيلة وبقيت خصومتهم لاكثر من ثلاث سنوات عرضت أثناءها على أعلى سلطة في البلاد وجرى الحكم والبت فيها اعتمادا على أمر قضائي .

وقد ادت هذه الى تقلص كبير لدور الشيخ حتى أن سكان هاتين القريتين قاطعوا (سوق الاحد) الذي يقع في قرية الشيخ مقاطعة تامه مما كان سببا في اندثار هذا السوق وانتهاء البيع والشراء فيه الى اليوم . ثم تأسس في سنة ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥ م مركز اماره في بنى كبير نفسها تابع لامارة منطقة الباحة . وعين لهذا المركز رئيس تقلد كل ما كان يقوم به شيخ القبيلة قبل تأسيسه والذي كان ينحصر في ابلاغ الافراد بالحضور الى مركز الامارة والمحكمة والشرطة خطيا . حتى هذا أصبح من وظائف المركز الجديد في بنى كبير . الا أن ذلك لا يعنى أن الشيخ عثمان بن أحمد ابن سويد الشيخ الحالي لبنى كبير لا يقوم بأى دور بل لا زال السكان هناك يستدعونه للقيام بدور المصلح بين الاطراف المتنازعة . فاذا عجز فعلى الراغب الاتصال بمركز الامارة في بنى كبير الذي بدوره يحيل دعوى الطرفين الى الامارة ثم المحكمة الشرعية . ولا يزال دور الشيخ قائما من ناحية (التعريف) بأفراد القبيلة لدى الادارات الحكومية . فالمرء عندما يحتاج الى استخراج (حفيظة نفوس) « هوية » لابد أن يحصل على توقيع من شيخ القبيلة بمعرفته له ، وكذا عندما يريد آخر أن يحصل على مرتب من (الضمان الاجتماعى) في المنطقة لابد من عرض حاله على الشيخ ليقرر استحقاقه لذلك من عدمه . وهكذا . .

وبإيجاز نستطيع أن نقول : ان سلطة شيخ القبيلة بعد أن كانت مسيطرة تماما على شئ الامور وهو السلطة العليا والوحيد في هذا المجتمع بدأت في التقلص في الاربعين سنة الماضية حتى أصبح الدور الذي يمارسه الان (همزة وصل) بين الافراد والسلطة المركزية في المنقلبة .

الا انه لا يزال يتمتع باحترام وتقدير كبير من كل الافراد في علاقاته المتبادلة معهم ، وذلك يعود الى أن الشيخ/عثمان سعى ولا يزال يسعى بكل جهده ودلايقته الى رفع مستوى الخدمات في المنطقة عن طريق مطالبته المستمرة وبالطاح للمسؤولين في الدولة بافتتاح المنشآت والمؤسسات والمصالح الحكومية التي تقدم خدمات جديدة السكان ، فاليه يعود الفضل في افتتاح مدرستي البنات الابتدائية والمتوسطة، وهو الذي طالب بتحسين الخدمات الصحية للمستوصف وكذا بانشاء مركز للبريد وأخر للهاتف واللاسلكي . وانشاء شركة للكهرباء بدأت في العمل والانارة في الشهر الرابع من سنة ١٣٩٧ هجرية ١٩٧٧ م .

ويدطالب الشيخ/عثمان أحمد سويد الآن بانشاء مركز للامارة في بني كبير البادية وسوف يتم انشاء مركز للشرطة في بني كبير الحاضرة خلال شهرين (تاريخ اجراء البحث) وقد طالب أيضا بانشاء شبكة للمياه وتمت ترسية هذا المشروع وسيبدأ العمل به قريبا وكذا بتخطيط منظم للمنطقة وغير ذلك من المشروعات .

والشيخ بهذا - حسب المفهوم الاجتماعي - يقوم بوظائف بديلة عن تلك التي كان يمارسها في الماضي . وهي وظائف كما نلمس تهدف بالمقام الاول الى النهوض بالمجتمع بمستوياته المختلفة وفي كل مناشطه . وتبعاً لتقلص دور الشيخ بدأ دور الفقهاء وعرفاء القرى يفقد أهميته ذلك لان المدرسة حلت محل الفقيه والقاضي الملم بكل الامور الشرعية أفقد الفقيه اجتهاده وبالمثل فان (عريف القرية) أو كبيرها لم تعد له السلطة التي كان يمارسها على الافراد في السابق واقتصر دوره الى أن يكون (همزة وصل) أيضا بين أفراد القرية وشيخ القبيلة فهو يوقع على

الاوراق قبل الشيخ وهو الذي يبلغ الافراد طلب الشيخ حضورهم الى مركز الاماره .

وهكذا نرى مدى التغير الكبير الذي اصاب البناء السياسى فى القبيلة من القمة الى القاعدة . وقد لاحظنا انه فى الالونة الالخرة قد تقع خصومة بين الافراد فى الالسة الواحدة لم يعد باستطاعة كبير العائلة السيطرة عليها ولا عريف القرية ولا شيخ القبيلة وكثيرا ما تحل مثل هذه الخصومات عن طريق مركز الامارة والحكمة . وتبعاً لضعف البناء السياسى ، سقط حق اعطاء الجوار وعقد معاهدات الصلح بين القبائل وصد العدوان عن (الحمى) . والعزير — وذلك لان كل هذه الامور كان يسندها البناء السياسى نفسه ويدافع عنها فانحسرت وظيفه الدفاع بتفكك هذا البناء ولم يعد للقانون قوة تسانده وتدعمه . وذلك يعود كما اسلفنا الى ظهور الحكم المنظم والذي قام بالدور الذي كان يمارسه الشيخ ومجلس القبيلة والفقهاء والحكام وعرفاء القرى والعرف والقانون .

ثالثا : المواصلات :

١ — الطرق :

قبل خمس وعشرين سنة من اليوم وبالتحديد فى عام ١٣٧٤ هجرية لم يكن مجتمع قبيلة كبير يعرف من المواصلات الا الجمال والحمار وكان اعتمادهم كليا على هاتين الوسيلتين فى مواصلاتهم الداخلية ومع المجتمعات المجاورة . فالجمال كانت تستخدم فى قوافل التجارة بين بنى كبير والمجتمعات الالخرى وخصوصا بين المنطقة وبيشه كما اشرنا عند الحديث عن التجارة فى النسق الاقتصادى . ولقد كان القوم يسيرون لسافات طويلة (للفرجة) على السيارات التى كانت تصل الى مناطق قريبة نسبيا من المنطقة وخصوصا فى « بالجرش » وكانت رؤيتهم للسيارة هذا « المخلوق الجبار » كما كانوا يسمونه متعة ليس لها نظير . ويعود الرجال من هناك ليحكوا القمص عن هذا المخلوق والذي يسير بسرعة

تفوق سرعة الجمل بل ويستطيع أن يحمل ما يحمله عشرون جملا ، ويستطيع أن يسير في الظلام الدامس بواسطة عينيه السحريتين القويتين والتي تجعل الليل أمامه نهارا . وهكذا كانت تحكى لنا القصص عن هذا المخلوق الغريب ونحن في سن الطفولة .

ولا زلت أذكر عندما كنت في الصف الثالث الابتدائي في عام ١٣٧٣ هجرية قصة هجوم الرجال على (سيارة) بأسلحتهم والتي تتكون من الخناجر والفؤوس والعصى الغليظة . والسبب في ذلك أن أحد سكان المنطقة المجاورة في بالجرشي استطاع أن يشتري من إحدى المدن سيارة نقل وسار بها عبر الأودية والجبال إلى بلدته . وكانت أفضل طريق يسلكها قبل وصوله إلى المكان الذي يقصده تعبر أراضي قبيلة بنى كبير لسمع السكان بهذا الأمر واجتمعوا في دار شيخ القبيلة وكان في ذلك الوقت الشيخ / محمد بن سعيد ابن سويد ، وقرروا منع السيارة من عبور الوادي بالقوة إذا لم تجد الطرق السلمية ، عندما وصلت السيارة إلى أسفل جبل على جانب وادي بنى كبير يسمى (عرق نجيم) وصلت أعداد كبيرة إلى هناك طلبت من السائق ومرافقيه إيقاف (الحديد) وأحيانا يسمونه (الترومبيل) والعودة من حيث أتى ، فلما رفض السائق ومن معه هذا العرض أرغمه القوم على ذلك بضربه وضرب سيارته بما يحملون من أسلحة ، وشكى أقرباء السائق لامارة الظفير هذا العدوان ، فقام أمير الظفير بارسال عدد من (الاخوياء) وهي التسمية التي تطلق على الجنود المرافقين للامير . إلى شيخ قبيلة بنى كبير للتعرف على أسباب الحادث فشرح لهم السبب بقوله ان هذا انتهاكا لديره بنى كبير يقل ضرره طالما أن السيارة تعبر الأودية والجبال . لكنها بعد وصولها إلى الوادي سوف تعبر الاراضي الزراعية في القبيلة وهذا ما لا نوافق عليه .

السبب وجيه إلى حد ما . لكن الحادثة نفسها استدعت عقاب بعض أفراد القبيلة المحرضين على هذا الحادث وبعث بشيخ القبيلة إلى (بيثه) حيث كانت امارة الظفير تابعة للامارة الكبرى في بيثه وسجن

الشيخ هناك الى أن يوافق على مرور السيارات من أراضي بنى كبير لكنه أصر على عدم الموافقة وفي نفس الوقت رفض الاهالى أنفسهم الموافقة على ذلك فأطلق سراح الشيخ وتقدمت الامار بمشروع لحل هذا الاشكال وهو أن يدفع لبنى كبير من قبل الحكومة تعويضا ماديا لقاء مرور السيارات بأراضيهم . وبعد مرور حوالى خمس سنوات أصبح الامر مييرا ولأسباب فنية تتعلق بصعوبة هذا الطريق لم يستخدم لفترة طويلة وبدأ البحث عن بديل له .

وخلالثمان سنوات بعد وقوع هذه الحادثة بدأ الناس فى التعرف على السيارات ولم تعد مخلوقا غريبا . حيث وجدوا أنه من الافضل ركوبها بدلا عن الحيوانات التى كانت تقطع المسافة بين المنطقة وأقرب مدينة لهم (الطائف) خلال عشرة أيام بينما السيارة تقطعها فى يوم واحد (قبل سفلة الطريق بين المنطقة والطائف) وهى مسافة قدرها ٢٨٠ كيلو متر فقط وبعد الانتهاء من سفلة الطريق فى سنة ١٣٩٤ هـ ١٩٧٤ م أصبحت المسافة تقطع بالسيارة فى ثلاث ساعات فقط .

وعندما أدرك السكان أهمية السيارة فى النقل والمواصلات بدأ العمل الجاد فى تعبيد الطرق وتمهيدها وربط القرى ببعضها بمبادرة شخصية منهم دون تدخل من وزارة المواصلات ولم يأت عام ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م الا والسيارة تصل الى كل قرية فى بنى كبير . وكانت كل قريرتين أو ثلاث متجاورة تعمل معا لتعبيد الطريق التى تسمح للسيارات بالمرور . واستخدم السكان فى ذلك وسائلهم الخاصة التقليدية (كالعتلة والمسحاه) واستخدموا الثيران لسحب الحجارة الكبيرة وقاموا بتفجير الصخور الكبيرة بواسطة (اللب) وهو عبارة عن احداث ثقب بألة حادة مدببة (العتلة) ثم يتم حشو هذا الثقب بالبارود ويدك بعد ذلك جيدا ثم يشعل الثقب فيه فيؤدى الى تفطيت الصخور التى لا يمكن أن يزحزحها الناس بأيديهم من مكانها .

وقد كان الرجال القادرون على العمل يشاركون بأيديهم فيه . أما

النساء فكان يتولين اعداد الاطعمة للعاملين واحضار المياه اليهم • والمشروع هذا في بدايته تعرض لمشكلة تمثلت في عدم موافقة بعض ملاك الاراضى الزراعية على السماح للطريق بالمرور من أطراف مزارعهم أما لحرصهم على أملاكهم وعدم التفريط في شبر منها • واما لانهم يرون أنه ليس هناك فائدة لهم من هذه الطريق • لعدم امتلاكهم لسيارة أو لشعورهم بأنهم ليسوا في حاجة الى السيارة لنقل محصولهم الزراعى الى خارج المنطقة نظرا لقلّة هذا المحصول • ومثل هذه الامور تسوى اما بتعويض هؤلاء عن أجزاء أراضيههم • واما بمبادلة هذه الاراضى مع أراضى لشخص آخر بحيث تنتقل ملكية الأرض الى شخص يسمح بمرور السيارات منها مقابل أن يأخذ مالها الأضلى أرضا في مكان أفضل أو شبيه بموقع أرضه ومساحتها •

ونظرا للعلاقة الاقتصادية التى كانت قائمة بين مجتمع بنى كبير ومنطقة بيثه التى كانت القوافل تنقل اليها منتجات القبيلة وتحضر منها التمور والحبال والخزف وغيرها من الحاجيات الضرورية • فقد تعاونت القبيلة كماها في تعبيد طريق يربط المنطقة بيثه ويمر بجبال عالية حتى يصل الى الاودية في بادية بنى كبير ومنها الى وادى بيثه وقد تم تعبيد هذا الطريق في عام ١٣٧٩ هجرية — ١٩٥٩ م • وقد تكلف هذا المشروع الكثير من الوقت والمال لكن المصلحة الاقتصادية لهم جعلتهم يصرون على انهاء العمل في هذا الطريق •

وبانشاء هذا الطريق الى بيثه قل الاعتماد الى حد كبير على الجمال في نقل البضائع بين المنطقتين ، ذلك لان الوسيلة أسرع وتحمل السيارة أيضا أكثر مما تحمله الجمال ولم يأت العام ١٣٨٥ هجرية ١٩٦٥ م الا وقد انتهت قوافل الجمال بين بنى كبير وبيثه ، وأصبحت فقط تستخدم لنقل الاخشاب من المناطق الجبلية التى لا تستطيع السيارة الوصول اليها والى القرى •

ولما تحسنت أحوالهم الاقتصادية وزادت القدرة الشرائية بدأ الناس

يشعرون بأنهم في حاجة الى سيارات خاصة يقضون بواسطتها طلباتهم من الاسواق المجاورة وحتى البعيدة • وينقلون اليها أيضا بعض منتجاتهم الزراعية من خضروات وفواكه وجبوب • فبدأوا بشراء سيارات نقل صغيرة لهذا الغرض ، وأصبحت أعداد هذه السيارات كبيرة في المنطقة وانتشرت قيادة السيارات حتى بين كبار السن وسهلت عملية الاتصال بين هذا المجتمع والمجتمعات المجاورة بل والمجتمع الكبير خاصة بعد انشاء الطريق المسفلت الذي أشرنا اليه والذي يربط المنطقة بمدينة الطائف ومنها الى بقية مدن المملكة •

وفي بادية بنى كبير تأثر البدو بالسيارة الى حد كبير بعد أن كان مرور السيارة بجوار أماكن سكنهم يسبب لهم ولماشيتهم هلع شديد خاصة بعد انشاء الطريق الذي يربط بين المنطقة وبيئته في سنة ١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ م • فقد كان صوت السيارة يجمل ماشيته تهرب خوفا من هذا الصوت • والرعاة أيضا يخشون هذا الحديد الذي يسير بسرعة هائلة • ويقول الاخباريون من البدو بأنهم كانوا يختارون مكان اقامتهم ورعى ماشيتهم بعيدا عن أماكن مرور السيارات • وكان البدوى يحذر بناته الراعيات من الاقتراب من طريق السيارات حتى لا يصبن بمكروه نتيجة للاقتراب ، ويقولون أيضا أنه الى وقت قريب كانت رائحة البنزين المحترق في السيارات تسبب لهم دوارا شديدا وقيئا • عندما تمر سيارة قرب أحدهم •

أما الآن فقد أصبحت الجمال شبه مختفية تماما وأكثر ما يقتنيه البدو اليوم من الابل (النوق) ليس لغرض المواصلات وانما للاستفادة من حليبها فقط ولانها رمز لنوع من الحيوانات عزيز على البدو •

ويقول هؤلاء • أنهم قد اعتادوا على السيارات بل وأصبحت بالنسبة لهم شيئا ضروريا لا غنى عنه خاصة سيارات النقل الصغيره • ذلك لان قلة المياه في مصادرها الأصلية جعلت سقيا الأغنام أمرا مستحيلا • لان معظم المناطق التي يسكنها البدو لا تتوفر فيها

المياه اللازمة لشربهم وشرب أغنامهم ولذلك فقد اقتنوا هذه السيارات لحاجتهم الماسة لها . فهم ينقلون المياه بواسطة السيارات الى مناطق المسكن بوضع برامبل تتراوح سعة الواحد منها بين ٢٠٠ الى ٤٠٠ صفيحة . ولا تنزل هذه الخزانات من السيارة التي تقف الى جوار (الخدر) وعندما تفرغ يذهب البدوى بها الى مصادر المياه العذبة ليملأها من جديد ، وخلال زيارتي لمناطق البدو لم أشاهد خدرا الا وتقف عنده سيارة . عدا بعض خدور قليلة تعتمد على مساعدة الوحدة الاجتماعية البدوية الأقرب اليها فيما يتعلق بالمياه وذلك لان صاحب هذا الخدر اما رجل فقير جدا لا يملك الا بضع رؤوس من الغنم واما لعدم وجود الرجل في هذا الخدر . ولم يقتصر دور السيارة عند البدو على جلب المياه فقط بل هي التي تحمل الأمتعة والخيام عند الرحيل من منطقة الى أخرى . . . والأمر الملفت للنظر - ليس انتشار السيارات بهذه الكمية الكبيرة عند البدو فحاجتهم اليها وقدرتهم الشرائية بعد ارتفاع أسعار الأغنام خلال العشر سنوات الأخيرة ، وقلة مصادر المياه أمور جعلت وجود السيارات ضرورة عند البدو .

ولكنى عندما كنت في زيارة للبادية فوجئت بأن الفتيات هناك يقدن السيارات بدرجة كبيرة من المهارة حتى أن أغلبهن اليوم يقمن بهذه العملية بانتقان شديد ، وعندما سألت عن هذه الظاهرة قالت أحدهن : الأرض لدينا كما ترى واسعة ومنبسطة لا حركة فيها . ثم أن السيارات متوفرة ، إضافة الى أن الرجال ليسوا هنا باستمرار ، فنجد أنفسنا في حاجة الى الماء أو الانتقال . فليس أمامنا الا أن نقود السيارة بعد تعلم قيادتها وذلك تصعبا لمثل هذه الظروف وحتى لا تتعرض ماشيتنا للهلاك ونحن في انتظار السائقين الرجال . وهذا لا يعنى بطبيعة الحال « أن سكان بنى كبير البادية أو أن المرأة هناك قد تجاوزت مرحلة » البداوة « عندما مارست قيادة السيارات » بل أن الأمر لا يعدو (استعارة عنصر ثقافى) وأعنى به قيادة السيارات لأشباع حاجة لدى البادية فالسائقات قد ذكرن أن الحاجة هي التي دعتهن الى تعلم

القيادة وليس هناك سبب آخر . وكما ذكر فان هذه الممارسة تهدف في المقام الاول الى خدمة الماشية التي يعتمد عليها البدو اعتمادا كبيرا في حياتهم .

وقوانين السير في المملكة العربية السعودية لا تجيز للمرأة أيا كانت جنسيتها قيادة السيارة ولا تمنح للمرأة تصريحاً بذلك لأن مكانة المرأة وكرامتها تقتضى ذلك ، وخروجها الى الشوارع والطرق بغرض قيادة السيارات يعرض هذه المكانة للاهتزاز ويثير حولها الشبهات والفتن . وعلى هذا فان قيادة البدويات للسيارة مخالفة للنظام والقانون ، غير أن البادية دائما بعيدة عن نظام المرور « والبدوية تقود السيارة فقط داخل الحى أو المضارب كما يسمونها . ولا مانع أن تخرج قليلا عن نطاق الحى اذا كانت مصادر المياه نائية عنه أو دعى الأمر الى الانتقال الى مكان آخر . بحيث لا تسير بسيارتها في الطريق العام والذي يكون عرضه لرقابة المرور . واذا حضر الرجال قاموا بدور قيادة السيارات وعادت المرأة الى ممارسة أعمالها الرئيسية والتي تتمثل في رعى الأغنام والقيام بكل الأعمال المتعلقة بالماشية واعداد الطعام .

ب — البريد والهاتف :

لم يكن مجتمع بى كبير يعرف البريد والمراسلات سواء منها الداخلية أو الخارجية الا ما كان متاحا . أما المهاجرين عن المنطقة والذين كانوا يبعثون برسائلهم ومعها النقود لذويهم مع المسافرين الذين كانوا يعودون الى المنطقة في الأعياد والمناسبات الخاصة . وكانت تستغل فرصة حضورهم الى المنطقة لبيعث المقربون برسائلهم الى ذويهم . والعكس عندما يهيمون بالعودة الى مناطق عملهم يحملون رسائل عدة وهدايا من ذوى المهاجرين عن المنطقة . وكانت قوافل الجمال أيضا تحمل الرسائل الخاصة المكتوبة والشفوية من المنطقة الى المناطق التي تصل اليها هذه القوافل . أما من كان مهاجرا الى مناطق نائية لا تنتشط اليها حركة الهجرة والهجرة

المرتده فقد ساءت أخبار من هاجر اليها مقطوعة تماما . ويمكن أن يعيب عن المنطقه عدة سنوات دون معرفة لأخباره . ولقد هاجر (الملكه الاردنيه الهاشميه) في سنه ١٣٣٠ هـ أربعة أفراد من قرية العبادل ومكنوا هناك حتى ١٣٦٠ هـ أى ثلاثين عاما . دون أن يعرف ذووهم عنهم شيئا منذ السفر الى حين عودتهم ، وفى هذا دليل على أن البعض من سكان المنطقه لا يهتمون كثيرا بالمراسله والسؤال عن ذويهم أو لأن وسائل الاتصال كانت معدومة تماما .

ولقد كان من المناسبات السعيدة فى المنطقه المناسبه أن يصل الى المنطقه أحد المهاجرين . فعندما يسمع السكان عن وصوله يفد الى منزله عدد كبير من الرجال والنساء كل يستفسر عن قريهه وتستمر هذه العمليه عدة أيام . لان مثل هذا الشخص هو المصدر الوحيد والهام لنقل أخبار المهاجرين .

واستمر الحال كذلك الى حين افتتاح (مركز البريد) فى « بالجرشى » قبل حوالى (٢٠) عاما فبدأ يربط المهاجرين بذويهم فى المنطقه والعكس . وكان على السكان مراجعة بريد بالجرش لاستلام رسائلهم أو ارسالها الى خارج المنطقه . ثم خصص لكل منطقه شخص سمي بـ (متعهد البريد) كان يذهب الى بالجرش مرة واحده فى الأسبوع يحمل معه الرسائل المسافرة ويعود بالقادمة الى المنطقه . وكانت وسيلته فى البدايه لجمال هذه الرسائل (الحمار) . وعلى أى حال فقد كان لهذا المركز البريدى دور جيد فى الربط بين المهاجرين وذويهم فى المنطقه . وبالتالي كان لمتعهد البريد اهمية خاصة لدى سكان المنطقه تتمثل فى السؤال عنه وتتبع أخباره وما يحمل من رسائل أسبوعية .

أما فى عام ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م فقد تم انشاء مركز للبريد فى بنى كبر

وزود هذا المركز بسيارة خاصة لأغراض البريد وعين له « موزع » مكلف بإيصال الرسائل الى البيوت وفي نفس الوقت يستقبل المركز رسائل السكان الى خارج المنطقة ، ومنذ هذا التاريخ عرفت المنطقة البريد المنظم وبدأت علاقتها بالخارج تأخذ شكلا أكثر حيوية وتنظيما عندما أصبح بإمكان سكان المنطقة الاتصال عن طريق البريد بكل مدن المملكة وحتى بالعالم الخارجى .

ورغبة من الحكومة فى توفير سبل الاتصال بين المنطقة وبين بقية أجزاء المملكة وحتى بالعالم الخارجى فقد تم انشاء أول (شبكة للهاتف) فى بنى كبير فى سنة ١٣٩٨ هـ ، ١٩٧٨ م ، وبطبيعة الحال فقد زاد الهاتف العلاقة بين المنطقة والخارج قوة . وشهد مركز الهاتف اقبالا شديدا من السكان ونشاطا غير عادى وأصبح بإمكان السكان الاتصال فى أى وقت بمن شاءوا وفى أى وقت ، وقد سهلت هاتان الوسيلتان الخدمات فى المنطقة وعلى أثرها نشطت التجارة فيها لان تجار المنطقة أصبح بإمكانهم طلب البضائع من مصادرها عن طريق الهاتف . مما يسهم بشكل كبير فى سرعة وصولها الى المستهلك وأصبح بإمكان السكان أيضا متابعة ما يجرى خارج المنطقة من أحداث والتعرف عليها فى دقائق . بعد أن كان ذلك يستغرق وقتا طويلا . ومن غير شك فان وسائل الاتصال هذه قد زادت من عملية سرعة التغير فى المنطقة ونموها بشكل ملحوظ اضافة الى دخول الكهرباء ووصول البث التليفزيونى الى المنطقة .

(ج) وسائل الاتصال :

أشرنا فى بداية هذا الفصل الى أن سكان المنطقة لم يعرفوا « الراديو » كوسيلة للتعرف على أخبار العالم الخارجى الا منذ (٢٨) سنة فقط ، وقلنا أن سكان القرى من الرجال والنساء كانوا يجتمعون فى البيت الذى يتوفر فيه جهاز الراديو للاستماع الى ما يبثه من أخبار وأغان وبرامج أخرى . ومن غير شك فان لانتشار أجهزة الراديو بعد

ذلك أثر على تغير بعض المفاهيم السابقة عند السكان عن طريق ربطهم بالعالم الخارجى والتعرف الى أخباره وما يجرى فيه من أحداث ، لكن الراديو حتى قبل عشر سنوات كانت له أهمية من ناحيتين : الأولى نشرات الأخبار والثانية الأغاني ولم يكن يلتفت السكان الى أكثر من هاتين الفقرتين ، فالبرامج العلمية والثقافية لم تكن لها أهمية تذكر ، ولم تكن تشد « المستمع » الى جهاز الراديو كما هو الحال بالنسبة للأخبار والأغاني ومتابعة الوصف التفصيلى لمباراة فى (كرة القدم) من قبل الشباب وقد توصلت الى هذه النتيجة بعد أن سألت بعضا من سكان المنطقة منهم (٦) نساء تتراوح أعمارهن بين ٢٠ : ٥٠ عاما وقلن جميعا أن الذى يشدهن الى الراديو الأغاني فقط بينما ذكرت إحداهن (المسلسلات اليومية) أما الرجال الذين تمت مقابلتهم كل على حدة وتراوح أعمارهم بين ١٨ : ٦٠ عاما فالشباب منهم يهتمون بالمقام الأول بأخبار الرياضة والمباريات وخاصة كرة القدم بالإضافة الى الأغاني المختلفة التى يسمعونها عن طريق جهاز الراديو وقليل منهم يهتم بالأخبار . الا عند الأحداث الهامة فكلهم أجمعوا على سماعها .

التلخيص :

لم تعرف بنى كبير الكهرباء الا فى ١١ / ٤ / ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م حيث بدأت الانارة الفعلية لشركة كهرباء بنى كبير الأهلية فى هذا اليوم . فلم تكن الكهرباء معروفة فى هذه المنطقة الا عن طريق (مولدات خاصة) فى بعض المنازل وبأعداد قليلة جدا ولم تكن هذه المولدات معروفة الا منذ عشر سنوات فقط « أى من سنة ١٩٦٧ » وهذا بالنسبة لسكان بنى كبير الحاضرة . أما بنى كبير البادية فلا يعرفون الانارة الا عن طريق (الأخشاب) وقليل من « الفوانيس » التى يستخدم (الكيروسين) وقودا لها .

وبنى كبير الحاضرة حسبما ذكر الاخباريون لم يعرفوا الكيروسين والفوانيس الا من « ٣٠ » عاما فقط قد كانت هذه « الفوانيس

والاتاريك» (١) بأعداد قليلة جدا ولدى بعض الأسر . وكان السكان يعتمدون في اعداد الطعام والانارة على (الحطب) والذي يحصلون عليه بعد قطع الأشجار وتعريض السيقان والفروع للشمس لتجف . وقد كانت النساء يقمن بالدور الأكبر في هذه العملية . فقط كان الرجل يقطع ساق الشجر الكبيرة بـ (الفأس) ثم تأتي المرأة لاكمال العملية واحضار الحطب الى الدار . اما بحمله على رأسها واما على الحمار . ومنذ عشرين عاما فقط عرف السكان (وابور الغاز) ويسمونه (دافور) حيث بدأ استخدامه لاعداد الطعام أحيانا ثم انتشرت معه الفوانيس والاتاريك الى أن عرفوا في السنوات الأخيرة (كلوب الغاز) ثم المولدات الخاصة ثم شركة الكهرباء المساهمة الأهلية والتي دعمتها الدولة بمبالغ كبيرة . (٢) ومن غير شك فان دخول الكهرباء الى المنطقة ، قد أحدث تغييرات جديدة وعميقة على الحياة الاجتماعية لدى السكان (٣) وبدخول الكهرباء الى جميع المنازل تقريبا في بنى كبير الحاضرة ، بادر الناس الى شراء أجهزة التلفزيون وخصوصا بعد تقوية ارسال التلفزيون بإنشاء محطة تقوية جديدة في المنطقة في مدينة (الباحة) وأصبح بالإمكان مشاهدة البث العام لبرامج التلفزيون من العاصمة (الرياض) وبذلك أصبح سكان المنطقة على علم تام بما يدور في العالم بالصوت والصورة ، وأحدث ذلك تغيرا طارئا وسريعا في عدد من أنماط الحياة الاجتماعية كما سنوضح ذلك في الفصل التالي .

المصاحفة :

لم تحظ الصحافة بعد بالاهتمام الذي حظي به الراديو والتلفزيون بالمنطقة . ذلك أن السكان هناك ليست لهم ميول واضحة لقراءة الصحف ويرجع السبب في ذلك الى انشغال معظم « قراء الصحف » وأغنى بهم

(١) اتريك يقابلها الصباح الذي يضاء بالكروسين والغاز . (كلوب) .
(٢) ستنضم هذه الشركة الى شركة الكهرباء المركزية في المنطقة (الباحة) .
(٣) انظر الفصل التالي — آثار التغير .

من كانت لديهم القدرة على ذلك ، لان كبار السن في الغالب لا يعرفون القراءة والكتابة . وان عرف البعض منهم فليس بما يؤهله لقراءة الصحف . فأما القادرون على القراءة فهم من الموظفين والمدرسين في مدارس المنطقة ويعود هؤلاء الى منازلهم بعد الظهر ثم يباشرون أعمالا خاصة بعد ذلك لفترة قد تمتد الى الثامنة مساء ويعودون الى منازلهم لمشاهدة التليفزيون الذي يمتد ارساله الى الواحدة صباحا في معظم أيام الاسبوع ، وهذا هو أحد الأسباب في عدم الاقبال على قراءة الصحف ، ولعل من بين الأسباب الاخرى أن الصحف تصدر في مدن الرياض وجدة ومكة المكرمة . ولا تصل الى المنطقة في الوقت المناسب لبعدها المسافة بينهم وبين مصادر الصحف فأحيانا تصل بعد الظهر وأحيانا في اليوم التالي اضافة الى عدم اهتمام هذه الصحف بمراكز التوزيع هناك . ويقول معظم الذين تمت مقابلتهم من الشباب — ولعل هذا أهم أسباب العزوف عن قراءة الصحف — أن الصحافة لا تأتي بشيء جديد فهي تكرر لما سمعناه من الاذاعة والتليفزيون من أخبار ، وليس فيها من الموضوعات ما يشدنا الى قراءتها ، وحتى أخبار المنطقة ومشاريعها ومطالبها لا تنال اهتماما — على حد قولهم — في صحافتنا المحلية — هذه الأسباب مجتمعة أدت الى عدم الاهتمام بقراءة الصحف ، وأود أن أضيف سببا آخر لم يذكره هؤلاء، وهو أنه ليست لهم اهتمامات خاصة تشدهم الى الصحافة فاهتمامات الشباب هناك لا تتعدى الرغبة في (جمع المال) وحفلات السمر فالوقت موزع بين العمل الحكومي والعمل الخاص وحفلات السمر وخاصة يومى الأربعاء والخميس من كل أسبوع — لأنه بنهاية دوام يوم الاربعاء تبدأ الاجازة الرسمية في المدارس والمؤسسات والمصالح الحكومية وتمتد الى صباح يوم السبت — اذا فالاهتمام بالمجالات الثقافية والعلمية ومتابعة الأحداث السياسية . أمر غير وارد عند معظم شباب المنطقة . ولهذا فان دور الصحافة كوسيلة من وسائل الاتصال والثقافة لا يزال ضعيفا حتى الآن .

رابعا - الخدمات الصحية :

الاهتمام بالناحية الصحية (قبل تدخل الدولة وانشاء المستشفيات والمستوصفات في المنطقة) كان مصدره (الطب العربي) الذي يعتمد في علاج المرض (على الأعشاب والحمية والكي) هذا بالنسبة لأمراض العيون والعظام والأمراض النفسية والعصبية وأمراض الجلد . أما الأمراض الخطيرة والمعدية (كالكوليرا والجدرى والحمى الشوكية وحتى الحصبة) وما شابه ذلك من الأمراض الشديدة الخطر فلم يعرف السكان لها علاجا في الطب العربي ، وأقصى ما كانوا يفعلون هو « عزل المريض » حتى لا تنتقل الاصابة الى الآخرين ويشرف عليه أحد أفراد الاسرة فيما يتعلق بالطعام والنظافة .

ولم يعرف مجتمع بنى كبير (السحر) كعلاج للأمراض كما هو السائد في معظم المجتمعات البدائية . وعرف بدلا من ذلك « الرقية » وهي عبارة عن كتابة بعض آيات من القرآن الكريم على ورقة توضع في قطعة من (جلد حيوان) وتخاط ثم تعلق في الرقية لتقى حاملها شر (العين والحسد) أو لتكون له حصنا من الأمراض . وكان (الفقهاء) هم المتخصصون في هذا ، أو يتلو الفقية بعض آيات من القرآن الكريم على قليل من الماء في اثناء تنظيف ، يشرب المريض منه ويدهن جسمه بالباقي حتى يشفى من المرض . . .

أما أمراض العيون (كالرمد) فقد كانوا يعالجونها بالأعشاب . حيث يتم أخذ عصارة من عدة أعشاب . ثم تقطر في عين المريض ، وأحيانا يبخس المريض على نوع من الأعشاب يعتقدون أن دخانه يشفى العين من الاصابة ، وكانوا يعتمدون الى حد كبير على (الكحل) كعلاج أساسى في سبيل شفاء العين من الأمراض . وكانت كل أسرة تمارس هذا النوع من العلاج ولم يكن له متخصصين اشتهروا في هذا الميدان اللهم الاعدة أفراد لا يتجاوزون الخمسة كانوا متخصصين في علاج (ابيضاض سواد العين) . وكان يسمى من يعالج هذه الاصابة بـ (القاشى) أى الذى يقشو البياض من العين ،

ووسيلته في ذلك ورق (الحماط - التين) حيث يتم فتح عين المريض الى أقصى حد ، ثم يدخل جزء من ورقة التين الى مكان البياض وتحرك الورقة برفق الى أن يظهر الدم . وتوضع كمية قليلة من الكحل وأحيانا (صفار البيض) داخل العين ، ثم تعصب العين بقطعة من القماش وتبقى كذلك لمدة أسبوعين تقريبا ، ويأتي القاشي بعد ذلك ليرفع القماش عن العين ، ونسبة الشفاء بهذه الطريقة كانت لا تتجاوز ٢٥ ٪ كما يقول الاخباريون ، ولم يكن القاشي هذا يتقاضى اجرا لقاء عمله بل كان يقوم به تطوعا . وعرف السكان نوعا من « القطره » استخدموه لعلاج الرمد ، يسمونه (الباردة) وهو عبارة عن حبوب تذاب في الماء ويتحول لونه بعد ذوبانها الى أحمر (يشبه الى حد كبير الميكروكروم) ثم يقطر في العين صباحا ومساء ، وكانت هذه الصبغة تستقرى من (العطارين) الذين يبيعون البخور والعطور وأدوات الزينة .

وهناك ملاحظة هامة وهي أنه كان (يحظر) على أى شخص رجل أو امرأة تفوح منه رائحة العطور ، الاقتراب من المريض سواء كان مرضه في العين أو في أى جزء آخر من الجسم ، لانهم يعتقدون أن الروائح تضاعف المرض . وخصوصا عندما يكون المرض بسبب جرح أو كسر ، ولذا فهم يتخذون احتياطات لمنع دخول من كان على هذا النحو . على مريضهم ، ولايزال معظم كبار السن يعتقدون بهذا الى اليوم ، وعندما سألت معظمهم عن السبب في هذا لم أجد الاجابة لديهم بل اكتفوا بالقول بأنهم (يعرفون أن في ذلك ضرا على المريض) .

أما الكسور التي تصيب البعض فقد كان هناك أخصائيون لها ويسمى الشخص الذي يمارس هذا النوع من الطب (المجير) ويعتمد مجبر العظام على وسائل بدائية تتلخص في أنه عند الاصابة بكسر في عظام الجسم يبدأ المجير تحسس مكان الكسر ليحدد مكان الاصابة ثم يدهن موضعها (بالسمن البلدى) ويحضر أنواعا من الخشب يقطعها بالمشابك حسب الحاجة ثم يضعها على مكان الكسر بحيث تكون من

جهتين أو ثلاث ويشدها بقطع من القماش . ثم ينصح المريض بعدم الحركة وأن يتناول كميات كبيرة من (صفار البيض والسمن البلدى) لانه فى هذين الصنفين - البيض والسمن - شفاء للكسور ويضاف اليهما أحيانا (عسل النحل) ويبقى المريض على هذا النحو مدة تتراوح بين أسبوعين وثلاثة شهور حسب الحالة . يعود المجر خلالها مرات عديدة ليدهن مكان الكسر ويعيد الرباط عليه . ويثق السكان فى هذه الطريقة وفى المجر الى الآن أكثر من ثقتهم فى (طبيب العظام والجبس) والمستشفيات . وفى حالات كثيرة عند حدوث كسر فى أى عضو نتيجة لحادث وقع أو حادث سيارة لا يوافق أهل المريض على بقائه فى المستشفى ويتم اخراجه واجراء عملية التجبير بواسطة أخصائى التجبير فى المنطقة . ويبدو أن مهارة هؤلاء جيدة فعلا ، وقد تتبعت « عشر حالات » تمت معالجتها بالتجبير بواسطة (الطب العربى) وكان نجاح هذه الحالات العشر ١٠٠ ٪ ، ويقول الاخباريون بأن جميع حالات التجبير ناجحة ماعدا ما كان الكسر فيها فى الظهر أو الجمجمة .

علاج الأمراض النفسية والعصبية :

الأمراض النفسية والعصبية كان يقوم بعلاجها أشخاص اشتهروا بمهارتهم فى هذه الحالات ، ولا يعترف سكان المنطقة بتسمية المرض بـ (نفسى أو عصبى) أو أنهم لم يعرفوا هذه التسمية الا مؤخرا مع انتشار (الطب الحديث) وكانوا يسمون من لديه حالة نفسية أو عصبية (مجنون) . ويقول الاخباريون أنه كان يشتهر بعلاج حالات الجنون الفقيه (. . .) من قرية العبادل ، ويذكرون أنه كانت لديه قدرة جبارة فى علاج حالات (الجنون) ويؤكد الاخباريون أنه كانت لديه القدرة على (استخدام مجموعة من الجن) يسيطر عليها ، وأنهم كانوا يسمونه وهو يخاطب هذه المجموعة ويناقشها ، بل يؤكدون أنهم كانوا يسمعون حركة الجان وأصواتهم عندما يستحضرم هذا الفقيه ، وأحيانا كان يبعث بنفر منهم ليطارده من يسترق السمع عليه من سكان

القرية ، في حين أن الاخباريين لم يسجلوا حادثة ايذاء واحدة تعرضوا لها أثناء هذه المطاردة . ويقولون بأنه كان يهدف بذلك الى اربابهم للكف عن استراق السمع في حالات الحضرة .

وتتلخص طريقة (الفقيه) في العلاج . بأنه كان ينفرد بالمريض وأحيانا على مرأى ومسمع من أهل المريض ، فيربط خنصرى المريض الأيمن والأيسر بحبل رفيع ، ثم يبدأ في استجواب (الجن) بأسئلة كان يقول له : ما اسمك ؟ ومن شيخك ؟ والى أى جهة تنتمى ؟ ولماذا تعرضت لفلان أو فلانة ؟ وقال الاخباريون ان (الجنى أو الجنية) حيث ان الذكر من الجان يرافق الاثنى من الانس والعكس . كان يجيب على أسئلته ، وقالوا ان صوت المريض كان يتغير ، وتحمّر عينيه ويبدأ الصراخ والضرب لكنه أمام « الفقيه » لا يستطيع أن يفعل شيئا من ذلك ، واذا عرف الفقيه الجهة التى ينتمى اليها (الجان) استخدم نفوذ من كان تابعا له من الجان لدى الطرف الآخر ليعتمد الجان عن هذا الشخص أو هذه المرأة بالطرق - السلمية - فاذا عجز عن ذلك اضطر الى القضاء على المعتدى . وذلك بأن يحجز المريض فى غرفة خاصة مظلمة ويقدم له طعاما قليلا ونوعية رديئة منه . تنحصر فى أقراص من البر بدو ملح مع قليل من الماء . ويبدأ يتلو على المريض شيئا من القرآن مع أدعية وتراويل خاصة ويستمر على ذلك لمدة طويلة . ويذكر الاخباريون بأن أشد ما يضايق « الجان » احضار قليل من شجر (الزقوم) وهو كثير فى المنطقة مع قليل من « فضلات الكلاب » ثم توضع على فحم مشتعل ويبخر عليها المريض بمغرفة الفقيه . حيث يبدأ الجان فى الصراخ والاستغاثة والقسم بأغلظ الايمان بعدم العودة الى المريض أو المريضة ، وأحيانا كان يير الجان بقسمه وأحيانا لا يفعل . فان لم يفعل - وهى طريقة سلبية كما أشرنا - لجأ الفقيه الى استخدام نفوذه لدى فئة الجن التابعة له (لتقتل المعتدى) وفى كلتا الحالتين كان المريض يعود الى رشده وتبدأ صحته فى التحسن ليعود طبيعيا كامل القوى كما كان . على حد قولهم .

وبصرف النظر عن مدى فعالية هذه « الممارسة » ومدى توافقها أو اختلافها مع أصول الطب النفسى والعصبى الحديث . فاننى قد تتبعت « خمس حالات » تمت معالجتها على يد « الفقيه » بالطريقة التى ذكرناها وقد تجاوز أصحابها السنة « الخامسة والخمسين » من العمر « وتمت مقابلتهم حيث أبدوا ما ذكر الاخباريون من قدرة هذا الرجل على علاج حالاتهم ، لكنهم لم يستطيعوا وصف حالتهم أثناء المرض وكل ما استطاعوا تذكره القول بأنهم كانوا أحيانا يفتقون لعدة دقائق . فيعرفون أنهم فى مكان مظلم . والحالات الخمس هذه يتمتع أصحابها بصحة جيدة وبقدرات عقلية عادية وتزوجوا وأنجبوا . (أربعة رجال وسيدة واحدة) وأشاروا الى أنه بعد أن أعلن الفقيه شفاهم لم تعاودهم الحالة مرة أخرى الى تاريخ مقابلتهم .

أما بالنسبة لأمراض الجدري والكلوليرا والحصبة . فقد كانت تفنك بأعداد كبيرة من سكان المنطقة فبالنسبة للجدري فقد أصيب به عدد منهم ولا تزال آثاره بادية على وجوههم الى اليوم . وقد قضى على كثير منهم وكان انتشاره سريعا لدى وقوع اصابة فى أى قرية من قرى بنى كبير . ذلك أنهم لم يعرفوا « لقاح الجدري » الا مؤخرا .

(والحمى الشوكية) كانت من الأمراض الفتاكة وقد ذكر الاخباريون أنه قبل ستين عاما أى فى سنة ١٣٣٠ هجرية ١٩٢٠ م قضت الحمى الشوكية فى قرية العبادل وحدها على أكثر من عشرين رجلا وثلاث عشرة امرأة . وكانوا يسمون هذا المرض بـ (الشمام) وأعراض الشمام حسب تسميتهم توافق أعراض الحمى الشوكية تماما . وذكر الاخباريون وفيات كثيرة من مرض (الطاعون) . ولعل من أهم أسباب ذلك هو عدم توفر الحصانة الطبية ضد هذه الأمراض ، بالإضافة الى أن مصادر الشرب من الآبار المكشوفة عرضة للتلوث اضافة الى عدم عزل المريض كلية عن أفراد الأسرة . فقد كان يسمح للبعض بزيارته وهو مصاب بأحد هذه الأمراض فتنتقل العدوى الى

السليم وينقلها بدوره الى أفراد أسرته وهكذا .. وعندما بدأت الهجرة الى المدن اكتسب البعض من المدن أو تعرف هؤلاء الى (الحقن في العضل والوريد) وعادوا ليمارسوا (مهنة الطب) الحديث باستخدام الحقن والأقراص وخصوصا حقن البنسلين والنوفالجين وأقراص الاسبرين والفيتامينات ، وكان هؤلاء يقومون بجولات في بنى كير الحاضرة والبادية لاعطاء هذه الحقن ، ولانها ربما تقضى على الداء مصادفة وجد هؤلاء رواجاً لمهنتهم واستحقوا لقب (دكتور) من قبل سكان المنطقة وخصوصا (البدو) وأصبح هؤلاء يحقنون المريض (بالنوفالجين) لتخفيض درجة الحرارة و « البنسلين » عندما يكون مصابا بجروح أو بثور . (ولم يعرف هؤلاء أن هناك حساسية لدى البعض من البنسيلين الا مؤخرا) ولعله قد حدثت وفيات من جراء هذا الاسلوب لم يذكرها ممارسو هذه المهنة الحديثة .

ولم يدم الأمر كذلك فقد أولت حكومة المملكة العربية السعودية المجال الصحى عناية طبية في المنطقة فبالإضافة الى افتتاح مستوصفات ومستشفيات في أماكن قريبة من المنطقة فقد تم انشاء مستوصف في بنى كير في عام ١٣٨٣ هـ ١٩٦٣ م زود (بمرض فنى) مهمته اعطاء الحقن التى توصف للمرضى من قبل الطبيب فى الجرش أو فى أى مكان آخر . وصرف بعض الأدوية وخاصة الاسعافات الأولية ، واستمر هذا المستوصف فى التطور حتى زود مؤخرا بقابلة وممرض وممرضة .

وقبل انشاء مستوصفات فى المنطقة والمنطقة المجاورة لها وتزويدها بالأطباء والمرضى والقابلات كانت تحدث وفيات عديدة عند الولادة ، ذلك أنه لم تكن لدى السكان وسيلة لاجراج الجنين الذى تسمرت ولادته ، فليس أمامهم سوى الانتظار وقد يطول هذا الانتظار أحيانا فتموت الأم والجنين ، أو يحدث نزيف عقب الولادة يؤدي الى الوفاة وهذا لم يعد يحدث الآن بشكل كبير كما كان عليه فى السابق نتيجة للخدمات الطبية المتاحة فى بنى كير والمناطق المجاورة لها ..

ويطبيعة الحال فان للاتصال مع المجتمعات الاخرى وخصوصا في المدن أهمية طبية في انتشار الوعي الصحى لدى سكان بنى كبير كما أن للمستوصفات والمستشفيات وانتشار وسائل الاعلام المختلفة أثرها البالغ في انتشار هذا الوعي . والاخذ بالقواعد الصحية ، ووجد الاباء والأمهات الفرصة أمامهم متاحة للمراجعة بأطفالهم الصغار فهذه المؤسسات الصحية ، واعطاء الطعم المضاد لعدد من الامراض كالجدري والحصية والكوليرا أو الحمى الشوكية وغيرها . فلم تعد هذه الأمراض متفشية كالسابق . كما أن انشاء مستشفى للأمراض النفسية والعصبية في مدينة (الطائف) التى تبعد عن المنطقة بحوالى (٢٨٠ كم) ووجود (خط أسفلت) يربط المنطقة بالطائف قد سهل عملية نقل المرضى بهذا النوا من الامراض الى المستشفى المذكور في زمن لا يتجاوز ثلاث ساعات . كما أن مدارس البنين والبنات في المنطقة بدأت تطلب منذ انشائها شهادة خلو من الأمراض وأن يكون الطفل والطفلة قد استكملا التطعيمات اللازمة ضد عدد من الامراض السارية والمعدية، وهذا بدون شك شرط ممتاز وضع الاهالى أمام الامر الواقع . فمن رغب في تعلم ابنه فعليه باكمال هذه الاجراءات والا فقد مكانه في المدرسة ، وهذا بدوره جعل الاسرة تسعى الى مراجعة المستشفيات والمستوصفات لاجراء التطعيمات اللازمة لبقية أفراد الاسرة الصغار ، وبث الوعي الصحى داخل الاسرة بطريقة الزامية ، ورغم ذلك فانه لا يزال الى يومنا هذا (بعض كبار السن) يعارضون طرق العلاج الحديثة ، بل يعتقدون أن انتشار الحقن والاقراص ومصل التطعيم ، هى وسائل تؤدى الى تدهور الصحة العامة ولا يزالون يذكرون كيف كانت صحتهم عندما كان الفرد فيهم يعتمد في غذائه على (اللحوم والشحوم والسمن البلدى والبر والشعير) وعندما كان يصاب بمرض يكثر من هذه الاصناف ويكتوى بالنار في أماكن الألم .

والبعض من هؤلاء لا يزال يرغب مراجعة المستشفيات الى الآن . ولا يمكن أن يقبل بالذهاب اليه - الا في حالة ما اذا كان فاقد الوعي غير

قادر على المقاومة والهرب — بسبب الإصابة بمرض اعاقه عن الحركة
وأفقدته القدرة على المقاومة .

خامسا — التجارة :

كان لانتشار شبكة الطرق البرية ، وكذا ازدهار العمران في المنطقة
ودخول الكهرباء اليها ، ووجود عناصر جديدة من المهاجرين الى المنطقة
والتحاق البنات بالوظائف الحكومية ، وتعليم المرأة . أثر كبير على تغيير
نمط « البناء الاقتصادي » الذي كان سائدا في المنطقة .

فانتشار شبكة الطرق البرية ألغى وجود القوافل فاخفتت قوافل
الجمال التي كانت تنشط بحركة تجارية بين المنطقة ومنطقة بيته والتي
أشرنا اليها سابقا ، ولم تعد الحاجة قائمة الى السلع التي كانت تستورد
من بيته (عدا التمور) فالسيارات بدأت تصل الى كل بيت وكثر اقتناء
أنواع السيارات وهي التي استبدلت عوضا عن الجمال . والعناصر
المهاجرة الى المنطقة اما للعمل في المصالح والاجهزة الحكومية . أو للعمل
في المؤسسات والقطاع الخاص ، هذه العناصر في حاجة الى سلع جديدة
خاصة بعد دخول الكهرباء فأصبح هؤلاء في حاجة الى أجهزة كهربائية
مختلفة لاستخدامها في الحياة اليومية ، والى قطع غيار لهذه الاجهزة
المستخدمة . كما أن اعتماد الشباب على الوظائف الحكومية زاد من
اعتمادهم على السلع الجاهزة ، طالما أن لديهم القدرة على الشراء ،
وطالما لم تعد الاجهزة أو السلع التقليدية تفي بالحاجة لدى هؤلاء .
وكل ذلك خلق قوة استهلاكية كبيرة في هذا المجتمع ، يقابلها ضعف في
الانتاج ، فتقلص العمل الرعوي والزراعي وأصبحت الحاجة ماسة الى
منتجات من خارج المجتمع المحلي ، وعلى هذا فقد أصبح في المنطقة رواج
اقتصادي كبير ، ولم تعد التجارة حكرًا على بيوت (الجمالة) كما كانت في
السابق . ولم تعد (لسوق الاحد) أهميته السابقة ، فقد انتشرت المحلات
التجارية في كل قرية ، وتحول الناس هناك الى (التجارة) بدلا من أية أعمال
أخرى ، بحيث أصبح هذا المجتمع يمارس التجارة بشكل موسع .
فكرة مؤسسات المقاولات ، والبقالات ، ومحطات البنزين ومحلات

بيع الاقمشة ، والاثاث المنزلى ، ومحلّات بيع الذهب والمجوهرات ،
وكثرة الخضراوات والفوكه المستوردة الى غير ذلك من الانشطة
التجارية .

وهذه كلها أمور حديثة على هذا المجتمع الذى تحول في الآونة
الأخيرة من مجتمع انتاجى الى مجتمع مستهلك يشهد حاليا ازدهارا
تجاريا كبيرا .

الفصل الثاني

آثار التغير البنائي والحضارى فى بنى كبير

عرفنا فى فصول سابقة مفهوم التغير البنائى والاجتماعى ، وتحدثنا فى الفصل الاول من هذا الباب عن مظاهر التغير فى بنى كبير . وأشرنا بصفة خاصة الى التعليم ، والصحة والتجارة ووسائل الاتصال والمواصلات وكذا الى النسق السياسى للقبيلة . ورأينا كيف مرت هذه المجالات بأطوار مختلفة الى أن انتهت الى ما هى عليه الآن .

ومن غير شك ، فإن التغير الذى طرأ على هذه الميادين قد أثر فى البناء الاجتماعى نفسه وأحدث تغيرات ملموسة فى كل مجالات الحياة الاجتماعية فى بنى كبير .

ولا بد أن ننهج نهج من فصلوا عند الحديث عن التغيرات التى تطرأ على المجتمعات بين التغير الثقافى والتغير الاجتماعى على أساس أن كلا منهما موضوع متميز عن الآخر، ولعل اختلاف الرأى حول هذين الموضوعين وقضية الفصل بينهما ، أو اعتبارهما كلا مركبا عند الدراسة ، ظهر مع ظهور الاختلاف أيضا فى موضوع « الانثروبولوجيا » نفسها . وعند الملاحظة يتضح لنا أن أى تغير فى أى مجتمع انما يعنى فى الأساس أو يظهر بصورة ملحوظة فى سلوك الافراد والجماعات ، وهذا السلوك ما هو الا مظاهر ثقافية . اذا فالتغير الاجتماعى نفسه يتضمن تغيرات ثقافية ..

وقد أشار ايفانز برتشارد الى ذلك بقوله « ان المجتمع والثقافة هما تجريدان لشيء واحد » (١) . فالمجتمع والثقافة شديدا التماسك .

(١) ايفانز برتشارد الانثروبولوجيا الاجتماعية «مرجع سابق» ص ٢٧ .

فالانثروبولوجي حين يصف أحد المجتمعات البدائية ، فان التمييز بين المجتمع والثقافة لا يبدو واضحا جليا ، لانه في وصفه هذا يتناول الوقائع أو السلوك الظاهر الشخصي والذي يحوى الاثني معا . وعلى هذا فان المجتمع والثقافة عنصران لنفس الكل المعقد فالتغيرات في الثقافة تأتي بتغيرات في المجتمع والعكس صحيح .

فالثورة الصناعية في أوربا مثلا ، جاءت نتيجة للتغيرات في (فن الانتاج) التي شملت القوة والصناعة التجارية ، وهي تغيرات ثقافية أثرت في أسلوب الحياة للمجتمعات المتتالية في غرب أوروبا ، بل ان ردود الافعال مازالت مستمرة في كل أنحاء العالم ، وعلى الخصوص في الدول النامية . وهذا ما دعانا الى عدم التمييز بين التغير الثقافي والتغير الاجتماعي الا على مستوى التحليل النظري فقط . وعليه فان دراستنا لهذا الفصل سوف تكون على أساس النظر اليهما كوجهين لعملة واحدة « وسوف نوضح أيضا العوامل التي أدت الى حدوث التغير البنائي والاجتماعي وقد أشرنا الى بعض منها في الفصل السابق . . كما أننا سننظر الى الموضوع نظرة شمولية . ونحن بصدد استخلاص النتائج وعرضها . ذلك أن الفصل بين الانساق واعتبارها أجزاء منفصلة وغير متكاملة ، أمر يقود الى الخطأ من حيث المنهج والنتيجة . وقد تم اخيار (قرية العبادل) على اعتبار أنها « النموذج ، المتشابه » في مرحلة ما قبل التغير ، لقرى بنى كبير ، من حيث ان القرى جميعا متشابهة في المناشط الاقتصادية تقريبا . كما أن الظروف البيئية متشابهة أيضا في كل قرى القبيلة والمنازل وتعداد السكان ومساحة الارض الزراعية على تقارب كبير .

أما في مرحلة التغير . فان أهم ما يميز قرية العبادل عن غيرها من القرى أنها أول قرية عرفت المدرسة الحكومية النظامية التي فصلت بين مرحلتين مختلفتين في المنهج والتربية في مجال التعليم . حيث افتتحت بها مدرسة بنى كبير الابتدائية في عام ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٧ م .

اضافة الى أنها عرفت أنظمة خاصة تتعلق بالمهر والزواج وتنظيم العلاقات بين الأفراد في داخل القرية . وسوف نتبع الخطوات التالية ونحن بصدد دراسة آثار التغيير في هذه القرية هي :

١ — المنزل في قرية العبادل

٢ — النشاط الاقتصادي وتقسيم العمل

٣ — الهجرة من القرية الى المدينة .

٤ — المهر والزواج .

٥ — العلاقات الاجتماعية .

أولاً — المنزل في قرية العبادل :

تقع قرية العبادل على ضفة وادي بنى كبير في الغرب وعلى بعد يقرب من « ٢٥٠٠م » جنوب قرية الغبر التي تقع في شمال وادي بنى كبير وعلى بعد « ٥٠٠٠م » شمال قرية آل مرزوق والتي تقع جنوب وادي بنى كبير ، وتشغل منازل القرية مساحة قدرها (١ كم^١) من الجهات الأربع ، وليست كل هذه المساحة مشغولة بمنازل السكان في القرية بل يوجد بها ميادين عامة صغيرة المساحة نسبياً أحدها كان هو السوق الرئيسي لقبيلة بنى كبير منذ أكثر من (٤٠ سنة) والثانى خصص لاقامة الحفلات العامة للقرية عليه في المناسبات المختلفة ، كما يوجد الى جوار بعض المنازل أراضى زراعية صغيرة يزرع فيها العنب والرمان والخوخ والتين الشوكى ، وهى أفضل الأراضى الزراعية من حيث الانتاج . لان مياه الامطار تصرف اليها وتحمل معها السماد الطبيعى والطمى الى هذه الأراضى .

ومقبرة القرية تقع الى غرب المنازل ولكل (لحمة) مقابرها الخاصة لكن هذه المقابر ملكيتها عامة للقرية ولا يحق لأحد كان احداث أى تغيير فيها اما بالبناء أو خلاته كما أن دفن الموتى يتم فيها مجاناً ، وليس لها

أحد يشرف عليها كما هو الحال مثلا في المدن حيث يتولى (القربى) أو القبورى كما يسمونه في مدن الحجاز دفن الموتى لقاء مبلغ من المال .

ويبلغ تعداد سكان قرية العبادل (٨٥٠) فردا المقيم منهم حاليا في القرية (٣٥٠) فقط ، بينما البقية هاجروا الى خارج القبيلة ويأتى تفصيل ذلك فى الفترة التالية من هذا الفصل) .

وسكان قرية العبادل تقوم بينهم روابط دموية حيث ينحدر هؤلاء من جد واحد هو جدهم الاكبر ويطلق على سكان القرية جميعا (أولاد عبد الله) وعبد الله وابنه عبادل ينتسبان الى الجد الاكبر (حارث) الذى اليه تنتمى بدنه بالحادث وتضم قرى ثلاثا هي « العبادل — الفلاح — الحبيس » انظر الباب الثانى الفصل الثانى . وقد حدث انقسام مكافئ فى نفس القرية مما أدى الى وجود ثلاث وحدات اجتماعية أخرى على حدود القرية لها منازلها وأراضيها الزراعية الخاصة ، ولم تكن هذه الوحدات التى يسمونها القرى مستقلة عن القرية الام فى حالات الحرب والسلم . كما لم يذكر الاخباريون زمنا محددا لتاريخ حدوث هذا الانقسام . وهذه القرى الثلاث « القايتة — آل عوضه — آل مسفر » كانت الاولى أسبق فى الانقسام المكافئ من آل عوضه وآل مسفر . يدلنا على ذلك أن عددا من منازلهم قد تعرض للسقوط والانهيار ولا يزال خرابا نظرا لتقدم الزمن عليه انظر الملاحق ص ٩ ، بينما منازل القريتين الاخرين لم يتعرض شئ منها للسقوط بعد وتبدو أكثر حداثة من تلك . هذا بالاضافة الى أن السكان كان ينقشون على أبواب المنازل المصنوعة من الاخشاب السميكة تاريخ بناء المنزل . وقد وجدت على واحد من هذه الابواب عبارة تقول (شغل أبو حسن سنة ١٧٩ هـ) فاذا اعتبرنا أن المقصود ١٧٩ بعد الالف لاصبح تاريخ بناء هذا المنزل يعود الى ما قبل (٢٢١) سنة وهو أقرب الى الواقع ، وهو أيضا ما دعانا الى القول بأسبقية القايتة فى الانقسام عن القريتين الاخرين ، وما يعيننا فى هذا الصدد هو أن هذه القرى تعود فى أصلها ونسبها

الى نفس الاصل والنسب الموجود في قرية العبادل . فهم ضمن نطاق انقراة الدموية والعصبية فيها ، فأسر تنتمي الى (العطا) وأخرى الى (الشعبة) وهكذا (انظر الفصل الثاني من الباب الثاني النسق القرابي) .

ومنازل القرية . تقع متجاورة والمنازل الاكثر قربا من بعضها البعض هي منازل الوحدة القرابية الدموية خاصة تلك التي تلتقى في الجد الرابع اما منازل الاسر الممتدة التي تلتقى فيما دون الجد الرابع فهي عبارة عن وحدة سكنية كبرى مقسمة الى منازل خاصة بكل أسرة لكنها جميعا عبارة عن ملك واحد كما أن لها (جرن) واحد تستخدمه هذه الاسر وقت الحصاد .

ونظام بناء المنازل كان يتخذ شكلا موحدا ، فبالاضافة الى أن المواد المستخدمة في البناء عبارة عن أحجار وطين وأخشاب فان معظم البيوت تتكون من دورين . وجميع غرفها تستخدم لاغراض معينة لا تختلف في كل البيوت ، فالمنزل كما قلنا يتكون من دورين (العالية والسافلة) فالعالية هي الدور العلوى والمقصود بالسافلة الدور السفلى من المنزل ، أما السافلة فهي خاصة بالحيوانات حيث تبيت فيها الاغنام اذا لم يكن لها زريبة خاصة حول المنزل أو لا يسعها حوش الدار ، كما أنها تستخدم كمبيت للثور والبقرة والحمار « وهي حيوانات ذات أهمية بالنسبة للسكان كما أشرنا الى ذلك . وفي السافلة أيضا تخزن الاعلاف التي تتغذى عليها هذه الحيوانات طوال العام والغرف التي تستعمل كمخازن للاعلاف يسمون مفردتها (المنامة) وربما جاءت هذه التسمية بسبب أن الحيوانات تنام في هذه الغرف عندما تكون خالية من الاعلاف . ومما يميز الادوار السفلية للمنازل أنه لا تكثر بها الشبائيك وغالبا ما يكون في السافلة أو السفلى كما يسمونها أحيانا (شبك واحد فقط) .

والادوار العلوية ذات أهمية خاصة بالنسبة للسكان ففيها تكون غرف النوم . كما أن فيها (مجالس الرجال) فيقسم البيت في المادة الى

قسمين مقدمته فيها مجلس الرجال ومؤخرته فيها غرف النوم وربما استخدمت احداها كمطبخ للدار . لكن في الغالب في حوش المنزل حيث تقام غرفة خاصة أو يكون في سافلة غير تلك التي تبيت فيها الحيوانات وهي عبارة عن دور واحد فقط ، تستخدم لهذا الغرض وتستقبل ربة الدار ضيوفا من النساء فيها اذا كان هناك ضيوف من الرجال في العالية .

والغرفة أو الغرف لم تكون معروفة لدى السكان قبل معرفتهم بالبنيان الحديث للمنازل . وانما كان المنزل كما قلنا ينقسم الى قسمين مقدمته عبارة عن مجلس الرجال ومؤخرته فيها أماكن النوم ، والتسمية السائدة لديهم هي (عين) أو عيون . فالبيت له باب واحد فقط في مقدمته يفضى الى مجلس الرجال ومنه الى بقية غرف الدار ، وأصغر دار تتكون من عينين وأكبرها تتكون من أربع عيون ، فالبيت المكون من عينين على مساحة قدرها ١٦ مترا طولا و ١٦ مترا عرضا مثلا تفصل مقدمته لمساحة قدرها ٨ × ٨ م لتكون مجلس الرجال والمساحة الباقية تنقسم الى غرفتين متساويتين ولكل منهما باب مستقل . ويفصل بين الغرفتين وبين المجلس (تنصيب) وهو عبارة عن أعواد صغيرة الحجم وطويلة تركز في الارض وتصل الى سقف الدار الذي لا يقل في الغالب عن (ثلاثة أمتار) ثم يوضع عليها الطين الذي عندما يجف يؤدي الى تماسك هذه الاعواد واستمرار بقاء التنصيب قائما لسنوات طويلة . ويقوم في وسط المنزل عمد خشبية سميكة ارتفاعه لا يقل عن ثلاثة أمتار يسمونه (المرزح) وهو مستطيل الشكل عرضه ٢٠ سم وطوله ٤٠ سم وقد يزيد عن ذلك لكنه لا ينقص ، وفي أعلاه قطعة خشبية كبيرة الحجم يسمونها (الفلكة) بتسكين اللام وفتح الفاء وهي التي ترتكز عليها (السوارى) التي سيأتى ذكرها عند الحديث عن (الطينة) في هذا الفصل ، والدار التي فيها مرزح واحد هي عبارة عن عينين فقط والجزء الواقع بين الحائط والمرزح الذي يقع في منتصف الدار هي التي يسمونها العين ، فيصبح لدينا عين عن يمين المرزح وأخرى عن يساره بطول الدار ، أما اذا كان في الدار

مرزحان فمعنى ذلك أن الدار ثلاث عيون وإذا كان بها ثلاثة مرزح أصبحت الدار تتكون من أربع عيون ، وفي الغالب لا تتريد الدار عن أربع عيون ومعنى ذلك أن بها أربع غرف نوم لكل منها باب خاص ، ويفصل التنصيب بينها وبين المساحة المتبقية وهي مجلس الرجال .

وكانت تسمى الغرف التي يستخدمونها للنوم (علو) بكر العين وتسكين اللام فالدار على ذلك تصبح مكونة من مجلس الرجال وعلوين أو ثلاثة أو أربعة حسب عدد المزارح القائمة في الدار . انظر ٨ من الملاحق) .

مراحل بناء المنزل :

تمر عملية بناء المنزل في بني كبير بثلاث مراحل هي : -

- (أ) مرحلة البناء .
- (ب) مرحلة قطع الاخشاب .
- (ج) مرحلة الطينة .

(أ) مرحلة البناء

كانت المنازل تبني بالاحجار وتسقف بالاخشاب والطين . ولم يعرف السكان البناء المسلح الحديث قبل خمس عشرة سنة أي في سنة ١٣٨٥ هـ ١٩٦٥ م . وذلك عندما انتشر البنيان المسلح بشكل واسع . أما قبل هذه الفترة فلم يكن الاقبال عليه كثيرا . ولعل سبب بناء منازلهم بالحجارة يرجع الى توفر الصخور وعدم وجود البديل . اضافة الى أن المنطقة كانت عرضة لتقلب الاجواء وهطول الأمطار الغزيرة التي تكتسح كل شئ ، والبناء بواسطة الاحجار يمنع سقوط المنازل بسهولة . كما أن الحروب القبلية كانت تؤدي الى غارات على القرى يشنها الاعداء ويستخدمون فيها رصاص البنادق . ووجود السكان داخل هذه المنازل لتقوية يمنع وصول الرصاص اليهم في الداخل . كما أن قلاعهم الحربية

كانت تبني بالاحجار أيضا وهي التي يستخدمونها في حالات الدفاع
عن قراهم) أنظر الملاحق

وعملية البناء كانت تبدأ بتسوية الارض المراد اقامة المنزل عليها ،
واحداث حفرة على أطراف الارض الاربعة بعمق يصل الى مرتين ويسمون
هذه الحفرة (الربض) وجاءت هذه التسمية لانهم يلقون فيها حجارة
كبيرة الحجم تربض فيها وتصل الى مستوى سطح الارض قبل حفرها ،
ثم تبدأ عملية بناء الحائط الذي يصل ارتفاعه الى ثلاثة أمتار ثم يسقف
ليكون الساقلة ثم يبدأ البنائون في البناء أعلى حائط الساقلة لاكمال بناء
العالية . . ولقد كان للبنائين شهرة كبيرة ، وكانوا يتقاضون أجورا مرتفعة
بالنسبة للمستوى الاقتصادي الذي كان في المنطقة ، ويساعد هؤلاء
مجموعة أخرى من العمال هم (المكسرة) بضم الميم وفتح الكاف وتشديد
السين مع كسرهما . ويقصدون بهم أولئك الذين يقومون بتكسير الاحجار
وتهذيبها حتى تصبح ملائمة للبناء ، (والملقفة) بضم الميم وفتح اللام
وتشديد القاف مع كسرهما ، ويمنون بهم الفئة التي ترفع الاحجار من الارض
على ظهورها باستخدام السلالم كلما ارتفع البناء ، ويمتاز هؤلاء بقوة
بدنية تساعدهم على رفع الاحجار الكبيرة من الارض حتى تصل الى
البناء الذي يقف أعلى الحائط يوجه بقية العمال ، وفي الغالب تهذب
الاحجار حتى تكون مربعة الشكل أو مستطيلة والفجوات التي تبقى
بينها تسد بأحجار صغيرة حتى يكتمل البناء ، والحجارة التي تبني بها
المنازل تستخرج من الصخور المتوفرة في المنطقة بواسطة (اللقب) الذي
أشرنا اليه في فصل سابق والذي يشبه (الديناميت) في مفعوله في
الصخور . وتسحب الاحجار بعد ذلك من أماكن الصخور الى مكان
المنزل بواسطة الثيران أو الحمير ، ويعاون صاحب الدار في اتمام هذه
العملية عدد من أقربائه . . وقد كان صاحب المنزل يقدم للعمال طعام
الافطار في الصباح وطعام الغذاء بعد الظهر ، وكانوا يهتمون بأصناف
الطعام اهتماما بالغا لان البنائين والعمال اذا لاحظوا تقصيرا من صاحب
العمل في اطعامهم انصرفوا عنه ، وكان طعام الافطار يتكون من الفهوة

والتمر والسمن والخبز المصنوع من البر والعسل وفي الغذاء يقدم لهم الارز واللحم أو العصيدة واللحم ، ويبدأ هؤلاء عملهم من الصباح الباكر الى ما قبل المغرب بحيث ينصرفون الى دورهم ، وكانوا يتقاضون أجرهم في نهاية كل أسبوع . وعندما يتم هؤلاء عملهم ويستقيم بناء الدار وتنتهي عملية الطينة يقدم لهم صاحب المنزل (كسوة) وهي عبارة عن نقود لكل منهم . ويقدم البعض منهم للبناء بصفة خاصة عباءة (مثلج) تكريما له لقاء عملية الجيد . والادوات المستخدمة في بناء المنازل وهي التي يحتاجها لتكثير الاحجار الى قطع مناسبة هي الفانوس والمطرقة) وهي عبارة عن كتل ثقيلة الوزن مصنوعة من الحديد تزن بين ٥ : ٨ كجم بالنسبة للفانوس ووزن المطرقة يتراوح بين ٢ : ٣ كجم . الاولى تستخدم لتكسير الحجارة الكبيرة والثانية للاصفر حجما . وفي كل كتلة فتحة بها عمود من الخشب الصلب أملس طوله بين ٤٠ : ٦٠ سم يمسك به العامل ويهوى بكتلة الحديد على الحجر المراد تعديله .

(ب) مرحلة قطع الاخشاب :

كما أن الصخور المصدر الاساسى لبناء المنازل في المنطقة لا يدفع من أراد بناء منزل نظير استخدام أجزاء منها في البناء ، فان الاخشاب أيضا كذلك . فعندما ينتهي الرجل من بناء المنزل يطلب الى الجماعة والمقصود بهم سكان القرية عقب صلاة جمعة عدم مغادرة ساحة المسجد حتى يحدثهم في أمر . وعندما يكتمل أفراد الجماعة في ساحة المسجد يقول لهم الرجل تعلمون أنى أنهيت البناء وكان لكم الفضل في اتمامه بما قدمتم لى من مساعدات أشكركم عليها ، لكنى لازلت في حاجة الى الخشب لاتمام بناء المنزل فما رأيكم ويرد عليه أحد كبار الجماعة بقوله : كان الله في عونك ونحن معك . غدا ان شاء الله نسرح معك الى (الحمى) ونقطع لك من الخشب كفايتك . ويوجه كلامه الى بقية الافراد طالبا منهم الذهاب الى الحمى في الصباح الباكر . ويلتقى كل القادرين على العمل من الرجال في المنطقة الجبلية التي تكثر فيها الاشجار الكبيرة

ويبدأون في قطع الاخشاب ومعهم الجمال التي تحمل هذه الاخشاب الى المنزل الجديد ، وتستمر هذه العملية لمدة أسبوع تقريبا مساحة المنزل ومدى احتياجه من الاخشاب ، وهذا العمل وهذه الاخشاب لا يدفع نظيرها للجماعة أو للبدنة التي تنتمي اليها هذه القرية . . وبعد ذلك يبدأ النجارون في تهيئة هذه الاخشاب ، فالمرزح تصنع من سيقان الأشجار الضخمة . وكذا الفلكة التي توضع أعلى المرزح لتسند السواري ، أما السواري هذه فهي من السيقان المستديرة والتي يتراوح قطر الواحدة بين ٢٠ : ٢٥ سم وطولها يتراوح بين ٤ : ٥ م بحيث يوضع أحد طرفيها على الحائط والآخر على الفلكة أعلى المرزح وتوضع خمس الى ست سواري بجانب بعضها البعض لكل عين ودائما يكون وضع هذه السواري بعرض مساحة البيت ، أما (البطن) بضم الباء والطاء وتسكين النون . وهي الاخشاب الاصغر والتي يتراوح قطر الواحدة منها بين ١٠ : ١٥ سم فتوضع بالطول بحيث تسند أطرافها على السواري والاطراف الأخرى على الحائط الداخلي للمنزل . وتسد الفجوات التي تبقى بين البطن بأغصان الشجر حتى لا ينزل الطين الذي يوضع أعلاها الى داخل المنزل . ثم يبدأ النجارون بعد ذلك في نقش المرزح والابواب بنقوش خاصة كما هو واضح على الصور في الملاحق وغالبا ما يكتب على الأبواب عيسارات مثل (لا اله الا الله محمد رسول الله) وما شاء الله تبارك الله . الى غير ذلك وأحيانا يكتب النجار اسمه على المرزح او على الباب مع تاريخ بناء المنزل . . ويطلق المرزح والابواب وأبواب الشبايك (بالقطران) ليصبح لونهما جميعا أسود . ثم أن للقطران وغليفة أخرى وهي تكوين طبقة واقية للاخشاب حتى لا تتآكل وتفسد ، ويعاد دهانها بالقطران كل فترة وشاحنة قبل حلول عيد الفطر . هذا قبل أن يعرف السكان أصناف الطلاء الحديث الذي بدأوا يستخدمونه بألوانه المختلفة على نقوش المرزح والابواب .

(د) مرحلة الطينة :

وأهم عملية تبرز صورة التعاون بين أفراد القرية ، تتمثل في عملية الطينة ، ومعنى الطينة هو وضع الطين على سقف المنزل بعد وضع السواري والبطن والاعصان ، واشتقوا اسم الطينة من هذا المعنى ، وكما فعل صاحب الدار الجديدة عندما أنهى البناء وحدث جماعته برغبته في أن يساعده في احضار الاخشاب اللازمة ، يحدثهم أيضا برغبته في استكمال سقف الدار ، ويحددون يوما غالبا ما يكون يوم الاحد أو الخميس وفي عشية اليوم الذي يسبق يوم الطينة تذهب كل نساء القرية الى بئر أو بئرين نصبت عليها أدوات (السوق) بفتح السين وتشديدها وسكون الواو . المكونه من الغروب وخلافها من الادوات التي تجرها اثيران لاستخراج الماء من البئر ، ومعهن القرب يحملن فيها الماء الى البيت الجديد ، ويفرغنها في آنية كبيرة وضعت هناك لهذا الغرض وهي عبارة عن القدور الكبيرة التي يستخدمونها لطبخ اللحوم في الحفلات الكبيرة ، ويفرغن كمية من المياه أيضا في أحواض من التراب الذي قد يكون قد احضر سابقا لغرض الطينة ، وهو عبارة عن تراب مأخوذ من تربة صالحة للزراعة وخال من الأحجار والرمال ، ويخلط هذا التراب في حينه ، وتواصل النساء عملن هذا منذ الصباح الباكر ليوم الطينة ويحضر كل الرجال والأطفال للمشاركة في هذا العمل ، فيصعد البعض منهم الى سطح الدار يتلقون المكائل من الساعدين بها على السلم ويضعونها على الخشب في سطح المنزل ، ويستقر المحلية هكذا ، النساء يحضرن المياه والرجال ينقسمون الى فئات منهم من يخلط الطين بالماء ومنهم من يترغه في المكائل ومنهم من يجعله على رأسه ليصعد به السلم الى أعلى ومنهم من يتلقى هذه المكائل ومنهم من يفرغ هذه المكائل بنظام معين على سطح المنزل وبعد وضع الكمية اللازمة من الطين على سطح المنزل يجرى فردها ، ثم يصعد الجميع على سطح الدار ويدهون الرقص الشعبي وهو ما يسمونه (العرضة) بمصاحبة الطبول ويدورون على سطح المنزل ويستمرن كذلك لمدة ساعة أو ساعتين حتى يشعروا بأن

الطين قد دك تماما • وبعد الانتهاء كل يذهب الى منزله •• ويذهب صاحب المنزل الى كل دار في القرية هو أو أحد أبنائه أو اخوته يدعو الجميع الى تناول طعام العشاء في المنزل الجديد ويذبح ثورا أو بقرة ويقدم معها الارز كعشاء للجماعة • وبعد صلاة المغرب يتوافد سكان القرية الى هذه الدار ويباركون لصاحبها فيها وعندما يكتمل حضور الافراد يبدأ أحد كبار الجماعة في تقديم نقود لصاحب الدار كمباركة في داره ومساعدة له وتنهال النقود عليه من كل الحاضرين •• أما النساء فيحضرن ومعهن أصناف الحبوب أو النقود يقدمنها لربة الدار ويسمونها مباركة أيضا في الدار الجديدة • وبعد انتهاء العشاء وتقديم المساعدات ينصرف كل فرد الى داره ولا يبقى في الدار للسمر الا بعض أفراد الجماعة من نقود حتى يرد ما أخذ عندما تتاح فرصة لذلك كأن يبني أحدهم منزلا أو يتزوج هو أو أحد أبنائه •• وجرت العادة أنه اذا قدم له « فلان » اليوم مائة ريال يردها له في مناسبة كما هي أو يزيد عليها قليلا •• والمنزل من الداخل يفرش (بالهدوم) وهي التسمية التي يطلقونها على البساط المصنوع من سعف النخل • ومفرده (عدم) بكسر الهاء ، ويتراوح طوله بين ٥ : ٨ أمتار حسب طول المجلس وعرضه حسب عرض المجلس • حيث إن هذه الهدوم تصنع باطوال مختلفة ، والمصدر الرئيسي لها منطقة بيثه وتوابعا ، حيث تكثر هناك أشجار النخيل ، واذا كانت حالة صاحب الدار الاقتصادية جيدة وضع فوقها السجاد المصنوع من الصوف وخاصة السجاد الايراني والتركي الذين يسمونه السجاد (العجمي) ويشتررون هذا السجاد من المدن كالطائف ومكة المكرمة •• أما حيطان المنزا، من الداخل فيكسونها بالطين وعندما يجف يرشونه بالرخام ، والرخام الحديث لم يكن معروفا لديهم ، وانما كانوا يستخرجونه من بعض المناطق الجبلية وهو خام عبارة عن أحجار يدقونها حتى تصبح أجزاء صغيرة ثم ينقعونها في الماء ويرشون بها الحيطان التي يتحول لونها الى أبيض ويسمون هذا الرخام (نوره) أما الجزء الأسفل من الحائط فبعضهم كان يستخدم مجموعة من الأعشاب يتم هرسها وخلطها مع بعضها البعض ثم يضاف قليل من الماء ويدهن

بها أسفل الحائط على ارتفاع لا يقل عن (٨٠سم) بالنسبة للجهات الاربع من الحيطان الداخلية للمنزل . فيتحول لون هذا الجزء الى اللون الاحضر ، أما البعض من المنازل فكانوا يستخدمون لها نوعا من التراب الاسود يتم استخراجه من أماكن معينة ، ثم يضاف عليه الماء وتدهن به الاجزاء السفلية فتتحول الى اللون الاسود . والهدف من تلوين الاجزاء السفلية اضافة الزينة على الحيطان ومنع اتساخ ملابس الضيوف الذين يجلسون على الارض ثم يسندون ظهورهم الى الحائط المدهون بالنور . وبما أن هذه النور من مادة خام وأولية وتماسكها على الحائط ليس جيدا ، لذلك فهي سريعة الانتقال الى كل جسم يلتصق بها . ولذا ابتكروا هذه الطريقة لمنع انتقال النور الى ملابسهم أو ملابس الضيوف .

أهمية مجالس الرجال :

كان الناس هناك يتسابقون في الاهتمام بالمجالس في منازلهم ، فلا بد أن يكون مجلس الرجال واسعا بحيث يستوعب أكبر قدر ممكن من رجال القرية سواء في الحفلات والمناسبات أو عند التواجد لابرام صلح أو معاهدة . كما أنهم كانوا يهتمون بأشكالها الجمالية فالنقوش على المرازح والابواب مطلب أساسي ، وكانوا يعلقون في المرازح أو الاوتاد الموجودة في الحيطان من الداخل مجموعة من الاسلحة كالبنادق والمسدسات والخناجر ، ويحتفظون بشكل خاص بالاسلحة القديمة التي ورثوها عن الاباء والاجداد فهي تذكرهم دائما بامجاد آبائهم وبلائهم في الحروب التي كانت تنشب بين القبائل . وتضرب الامثال بمجلس فلان وفلان ، فهو أولا مجلس واسع ، وعامر بالضيوف ، ثانيا ، وصاحبه رجل صاحب حكمة ورأى سديد ثالثا . وأخيرا أن مجلس فلان تعقد فيه الاجتماعات الخاصة بالقرية أو يلتقى فيه أعضاء القرية مع وفود من خارجها للتفاهم حول أى موضوع يهم الطرفين . وكان الرجال يجتمعون في هذه المجالس ويتخذون القرارات التي تنفذ فوراً كقرارات الحرب أو السلم مع قرية أخرى ، أو قرارات بتقديم مساعدات ومعونات الى آخرين ، أو لابرام اتفاقية خاصة بالقرية نفسها ، وكان مجرد الاجتماع بمجلس ما له أهمية

خاصة عند الافراد ، فيقال أن كبار الجماعة اجتمعوا في المجلس الفلاني يوم كذا في شهر كذا واتخذوا قرارا ما ، هذا القرار يجعل كل الافراد في القرية يلتزمون به لتقتهم بأنه لا يصدر في مجالس الرجال الاكل ما فيه مصلحة القرية وحمائيتها ، وعلى هذا يمكن القول بأن المجلس في المنزل كان يكسب صاحبه أهمية اجتماعية خاصة لدى السكان فتوفر مجموعة العوامل التي أشرنا اليها كانت تهيء لهذا المجلس لان يؤدي دورا اجتماعيا مهما في حياة السكان .

المنزل الحديث :

ونتيجة لاتصال السكان في بنى كبير بالمدن ، وتوفر المواد الحديثة للبناء ووجود وانتشار الايدي الفنية العاملة . وتحسن المستوى الاقتصادي للسكان ، بدأ الاتجاه نحو بناء المنزل الحديث منذ ما يقرب من (١٥) سنة أى من عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م . فتغير الطابع التقليدي للمنازل بالتدرج ، فعندما بدأ البنين المسلح ينتشر في المنطقة ، كانوا يحاولون الموازنة بين القديم والحديث ، فمثلا كانت القواعد والحيطان تقام على الطريقة الحديثة بالخرسانة والاسمنت المسلح والطوب ، بينما تسقف هذه المنازل بالاشخاب ، لكنها ليست الاشخاب التي يحصلون عليها من الحمى أو الديرة كما يسمونها . وانما بأخشاب مستوردة من المدن والتي ترد الى المدن من خارج المملكة . فهم يعتقدون أن سقف المنزل الخشبي يمنع الحرارة أو يلطفها في فصل الصيف ، اضافة الى أن العامل النفسى له دور في بقاء الاشخاب في سقوف المنازل .

كما كانوا يهتمون أيضا بالمجالس من حيث سعتها والاهتمام بزخرفتها ولما لم يعد للمرايح وجود فقد انتقلت الزخرفة الى اشخاب أسقف المنازل وظلت أيضا على الابواب . ومع مرور الزمن بدأ السقف الخشبي يختفى من المنازل ، وبدأ الاهتمام بالمجلس يقل ويتلاشى كما أن نمط ائدار نفسها تغير كثيرا ، فهناك غرف لاستقبال الضيوف من الرجال معزولة عن بقية غرف الدار ، وأصبح الزائر يحضر الى صاحب الدار

ويدخل الى حجرة استقبال الضيوف دون أن يمر بأية غرفة أخرى في المنزل ولم يعد لمجلس الرجال نفس الأهمية السابقة ، خاصة لدى فئة الشباب في القرية ، فتغير السلطة السياسية لشيخ القبيلة ولجلس القبيلة وكبار السن فيها ، وانتقال تلك السلطة الى الحكومة المركزية الممثلة في الامارة والشرطة والمحكمة قضت على الدور الذي كانت تمارسه المجالس ممثلة في المجتمعين فيها ، اذا فالاهتمام بسعتها والعناية بها وتعليق الاسلحة على حيطانها أمور لم يعد لها وجود في المرحلة الحالية ، بل قد أصبح ابراز مثل تلك الاسلحة التي كانت تعلق على الحيطان في مجالس الرجال القديمة أمراً يعاقب عليه القانون .

والمنزل الحديث عموماً . يتكون من مجموعة من الغرف المتخصصة تريد أو تقل حسب حجم الاسرة التي تعيش في هذا المنزل ، فالاسرة الصغيرة الحجم يمكن أن تكفي بثلاث غرف ، بينما تحتل الاسرة الكبيرة الحجم الى أربع أو ست غرف ، وهكذا أصبح حجم الاسرة يتحكم في بناء المنزل الحديث بعد أن كان المنزل القديم لا يراعى فيه حجم الاسرة وحاجتها الى غرف أو عدم حاجتها وانما كان يعنى فيه بمجلس الرجال ، بعداد غرف مبيت الحيوانات ومخازن الاعلاف والحبوب .

ويمتاز المنزل الحديث أنه يحاط بسور عال من جهاته الأربع ووظيفة هذا السور حجب من في داخل المنزل أو الحوش عن أعين المارة ، أما غرفه المتخصصة فهي على الشكل التالي :

مجلس الرجال : وهو عبارة عن غرفة منفصلة تماماً عن بقية غرف الدار ، كما أن لها حماماً خاصاً ، والغرض من فصلها على هذا الشكل هو عدم مرور الضيف بعرف الدار الاخرى عند دخوله أو خروجه .

مجلس النساء : وانشئ مجلس للنساء في المنازل الحديثة وهو عبارة عن غرفة تستقبل فيها ربة الدار ضيفاتها من نساء القرية أو من خارجها وتعنى المرأة بمجلس النساء عناية كبيرة . فتختار له أجمل وأجود الفرش

والاثاث • وتعلق على حيطانه أجود أنواع السجاد ، وتحافظ على نظافته باستمرار ولا تسمح بدخول أطفال الأسرة اليه ، حتى يبقى نظيفا ولا يفتح الا عند استقبال الزائرات •

غرف النوم : وفي المنزل الحديث خصصت غرف للنوم سواء للزوج والزوجة أم لابنائهما ، ويكثر عدد غرف النوم أو يقل حسب حجم الأسرة كما أسلفنا •

غرفة المعيشة : بالاضافة الى وجود المطبخ والحمام في المنزل الحديث فان هناك غرفة خاصة للمعيشة تستخدمها الأسرة كمكان لتناول الطعام أو كمكان للجلوس أمام التلفزيون • أما بالنسبة للضيوف من الرجال والنساء فيقدم لهم الطعام في مكان جلوسهم •

واختفت غرف الحيوانات من المنازل الحديثة • حيث إن الحاجة اليها لم تعد قائمة ، فالجمل والحمار اختفى دورهما كوسيلتين لحمل الامتعة أو كوسيلتى مواصلات ، وحلت محلهما السيارة التى تقف أمام أو فى حوش المنزل الحديث ، كما أن الحالة الاقتصادية امذم الاسر تسمح بشراء الخراف عندما يحل الضيوف على مثل هذه الاسر • ولم تعد الاسر تهتم بتربية الدجاج للحصول على اللحم أو البيض لان الدجاج والبيض يتوفر بكثرة فى المنطقة والذي يتم استيراده من مدن المملكة أو من خارج المملكة •

ولقد كان لمعرفة المنطقة بوسائل البناء الحديثة كالاسمنت والحديد ونوفر الايدى العاملة الفنية أثر بالغ الاهمية على اختفاء صور نظام التعاون التقليدى الذى كان سائدا فى بنى كبير فتوفر الحديد والاسمنت أغنى السكان عن الاخشاب والطين وهى التى كان سكان القرية يتحملون مسؤولية احضارهم لبناء المنزل القديم ، فلم تعد الحاجة اليهم قائمة بعد توفر هذين العنصرين وأغنى بهما الحديد والاسمنت ، كما أن توفر الايدى

العاملة الفنية والمنتخضة في بناء المنازل أدى الى عدم الحاجة الى سكان القرية ، نظالما تومرت قدره المالية لدى صاحب المنزل الحديث . فانه سيدفع للعمال أجورهم مقابل اتمام بناء المنزل دون الحاجة الى مساعدة من سكار القرية .

وأصبح الفرد حاليا يبنى منزلا ثم ينتقل اليه في هدوء تام دون أن يعلم كل أفراد القرية ، بالتالى فهو لا يولم وليمة بعد انتهاء البناء ولا يتلفى (مباركة) من سكان القرية كما كان في السابق ، واختفت بذلك صورة التعاون أنسى كانت تبدو واضحة بالمشاركة باليد في العمل . وبالمال عند الانتهاء من بناء المنزل . وفي المنزل الحديث يوجد أيضا خزان كبير للمياه وأنابيب تنقل المياه الى داخل المطبخ والحمامات ، بعد أن كانت القرية هي الاساس في تزويد المنازل بما تحتاج اليه من الماء .

وبدأ السكان يهجرون المنازل التي كانوا يسكنونها في السابق وانتقلوا الى أطراف القرية وأقاموا فيها منازلهم الحديثة ، ولم يبق داخل القرية القديمة الا أولئك الذين ليست لديهم المقدرة على بناء منزل جديد اما لعدم وجود النقود التي تكفى لبناء المنزل أو لعدم وجود الأرض المناسبة ليقيم عليها البناء . وبما أن ملكية الأرض الواقعة على أطراف القرية جماعية ، فقد تم توزيعها على من ليست لديهم أراض ملائمة للبناء . والذين تثبت حاجتهم اليها بمعرفة الجماعة . الا أن الاراضى نفذت وبقي عدد منهم لم يحصل على الاراضى المناسبة فاضطر لبقاء في القرية القديمة .

وعلاقتهم بالقرية القديمة لا تزال قائمة فبالاضافة الى وجود مجموعة كبيرة منهم فيها ، فانهم لا يزالون يستخدمون الدور القديمة كمخازن لما فاض عن الحاجة من متاع . ولا يزالون يحضرون من مساكنهم الجديدة إلى القرية ليؤدوا الصلاة جماعة في مسجدها الكبير والوحيد ، ويعقدون في ساحته بعض اجتماعات للتشاور في أمور خاصة ، كما أنهم على اتصال

دائم بسكان القرية القديمة في كل لحظة ، ذاك أن الاتجاه نحو بناء المنازل في أطراف القرية لم يبدأ الا منذ عام ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م فقط .

ثانياً - النشاط الاقتصادي وتقسيم العمل :

أشرنا في فصل الانساق في هذه الدراسة عند الحديث عن النسق الاقتصادي في بني كبير الى أنماط مختلفة للنشاط الاقتصادي في المنطقة، وذكرنا بصفة خاصة فيما يتعلق بقرية العبادل أن السكان فيها يمارسون مهن الزراعة وصناعة الصوف وقليلاً من رعى الأغنام . وقلنا عند الحديث عن النسق القرابي أن النوع السائد في المنطقة عموماً للعائلة هو ما نسميه بالعائلة الممتدة أو الاسرة الكبيرة لحجم . وأشرنا أيضاً الى أن كبير العائلة كان هو الموجه الأول لاقتصاد العائلة منه يبدأ واليه ينتهي أى أنه هو الذى كان يوجه الأفراد للأنشطة المختلفة ثم يوزع أو يحدد طرق الانفاق للعائلة وأنشطة الزراعى في قرية العبادل كان هو المحور الأساسى للحياة الاجتماعية فيعتمد السكان عليه اعتماداً كلياً وما الأنشطة الأخرى الا بمثابة هروع مساعدة لهذا النشاط الرئيسى .

ولقد كان السكان في نشاطهم الزراعى يعتمدون على ما تجود به السماء من أمطار ، فعندما تجود السماء بانظر نمطىء الآبار وتسيل الينا بيع من شمال وادى بني كبير الى جنوبيه ، مما يؤدي الى فيضان الآبار بالمياه ، كما أن (البلاد العنرى) كانت تعتمد اعتماداً كلياً على مياه الأمطار . والمزارع هنا كانت تحكمه الغيبيات . فهو لا يعلم متى سينزل المطر ولا يعلم متى يبدأ الفصل أو ينتهى ، ولا يعلم متى يهاجم الجراد المحصول الزراعى ، ولا يعرف طريقة لمكافحة الحشرات التى تضر بمزروعاته الى غير ذلك من الأمور . وعلى ذلك فقد مرت بالمنطقة سنوات رخاء وسنوات قحط شديد (١) ، فعندما ينزل المطر ويعتدل الجو تؤتى الثمار أكلها . وفي بعض الأحيان تمر سنوات دون

(١) انظر تسجيلاً لذلك في وثيقة ملحقه

ان ينزل هذا المطر فتتعرض المزروعات للهلاك والتربة للخراب . وأحيانا كانت تنزل الأمطار الغزيرة وتستمره لمدة يوم او يومين مصحوبة بالبرد ، فتهلك الزرع والثمار ، ويسيل الوادى فتندثر الأراضى الزراعية حول هذا الوادى وتمتلئ بالرمال التى يجرفها السيل ، أو تتعرض المنطقة لموجات من الجراد تأكل الثمار وتقضى على المحصول وعلى الرغم من كل هذا لمانى عندما أسأل أحد الاخباريين عن وضعه السابق والحالى يتحسر على الأيام الخوالى ويقول : لقد كنا فى خير وغير ، فالياه متوفرة والأرض مخررة مزدهرة ، والحبوب كثيرة ، والحيوانات متوفرة بالاضافة الى الصحة والنشاط ، على عكس هذه الأيام التى انقلب فيها كل شىء الى الضد .

والنشاط الزراعى أو الرعوى ليس من اختصاص فئة دون أخرى فكل أفراد الأسرة الصغار منهم والكبار يشاركون فى هذا النشاط ، وبهذا يكون السكان قد عرفوا فى نظامهم الاقتصادى طريقة « تقسيم العمل » . . . وقد كان النشاط الاقتصادى يبدأ من بعد صلاة فجر كل يوم وينتهى عند صلاة المغرب ، فعند أذان الصبح ينهض الرجال من نومهم ويذهبون الى المسجد لاداء الصلاة جماعة ، وعندما يعود الرجل الى داره عقب صلاة الفجر يجد الزوجة قد هيات له طعام الافطار فيتناولوه وينصرف اثنى عمله ، وقد كانت وظيفة الرجل تتمثل فى الاشراف العام على أعمال الزراعة ، ومراقبة الأراضى الزراعية من اعتداءات البهائم السائبة وتصريف (السواقى) فى حالة هطول أو توقع هطول الأمطار . والى جانب ذلك كان هو الذى يتولى حرت الأرض بواسطة المحراث الذى يجره (ثوران) « انظر الملاحق ص ١٠ » ويتولى أيضا تهذيب فروع الشجر ، وترميم أسوار الأراضى الزراعية المبنية بالأحجار ، ثم يتولى بعد ذلك تسويق الفائض من المنتجات الزراعية

أما المرأة فقد كانت تقوم بدور رئيسى وهام فى الحياة الزراعية

فبعد أن تعد طعام الإفطار للأسرة ، تذهب الى الأماكن التي تبنت فيها الحيوانات لتجمع مخلفاتها في (مكمل) كبير بالاضافة الى ما تكنسه من الدار ومن حوش الدار ، فتحمله على رأسها وتذهب به أرض الأسرة الزراعية وتفرغ ما فيه هناك ، أو تضعه في مكان مخصص اكل أسرة تلقي فيه مخلفات بهائمها ويسمونه (الدمنة) وهي كلمة مشتقة من الدمن وهو مخاغات الأنعام . وهذه الدمنة يتم نقلها كل عام قبل موسم الأمطار الى الأراضي الزراعية على ظهور الحمير ، ثم تبت في الأراضي الزراعية ويتم حرثها بعد ذلك ، ثم تعود المرأة بعد هذه العملية الى الدار لتحمل القرب الفارغة ، وتذهب الى الوادي (وهو الاصطلاح الذي يطلقونه على الأراضي الزراعية التي فيها الآبار) . وتصل الى أي بئر عليها (ساقية) تسقى الآراضي الزراعية (انظر الملاحق

فتملا قريبا وتحملها واحدة واحدة على كتفها وتعود بها الى الدار وبعد أن تنهى هذه العملية تعود الى الوادي من جديد لتحضر البرسيم من هناك وتقدمه طعاما للثور والبقرة ، وتتولى بنفسها إطعام البقرة والثور بما يسمونه عملية (اللقام) وهي تعنى أن تلف قليلا في البرسيم على عودين أو ثلاثة من سيقان الذرة الخضراء أو الجافة اذا لم يكن الموسم موسم زراعة الذرة ولا يتجاوز طول العود الواحد (٢٠ سم) ثم تدفعها الى فم الثور أو البقرة وتستمر كذلك الى أن تقتنع بأن كلا منهما قد حصل على كفايته . . وبعد ذلك تنصرف الى حلب البقرة ثم خض لبنها . وتبدأ في اعداد طعام الغذاء للأسرة ثم تنشغل بعد ذلك في تنظيف آنية الطعام واعداد الشاي والقهوة لأفراد الأسرة ، ثم خض لبنها . وتبدأ في اعداد طعام الغذاء للأسرة ثم تنشغل بعد البرسيم كطعام عشاء للثور والبقرة ، وهي المسئولة أيضا عن جني الثمار والفواكه للأسرة كالتين والشمش والخوخ وما الى ذلك ، وبعد

صلاة المغرب تبدأ في اعداد طعام العشاء للأسرة . يتخلل كل هذه الأعمال أنها كلما وجدت فرصة سانحة تلتفت الى عمل (جباب الصوف) التي ورد ذكرها في فصل النسق الاقتصادي . ففى أوقات الفراغ التي تسنح لها تجد في يدها (مغزل الصوف) تصنع خيوطه ، أو تتناول المنقاش لنقش الصوف ، أو تباشر النسج على (الصنعة) وهى الأعواد التي بواسطتها تكتمل المرحلة النهائية في صناعة (الجبة . .) والمرأة الى جوار كل ذلك توجه الصغار في أطفال الاسرة للأعمال التي يستطيعون القيام بها . فتوجه الفتاة الى كنس بعض غرف الدار والاشراف على أخيها أو أختها في سن الرضاع اذا غادرت الام البيت لتضاء أى عمل من الأعمال السابقة الذكر . . كما أن الطفلة الصغيرة تتولى عملية (خض اللبن) في الغالب ، وتقوم برعى صغار الأغنام ويسمونها (البهم) في الأماكن القريبة من أراضي الاسرة الزراعية ، بحيث لا تبتعد بها كثيرا . . . كما أن الفتاة تشارك أمها في احضار المياه من الآبار بواسطة قرب صغيرة الحجم مما يسهل عليها حملها يسمون الواحدة منها (سعن) بضم الميم وتسكين العين واهمال النون ، والدور الرئيسى للصغيرات هو حماية المزروعات من الطيور التي تهاجم الثمار ، وذلك بأن تحمل في يدها (صفيحة) فيها مجموعة من الأحجار الصغيرة تهزها فتحدث صوتا كلما شاهدت الطيور تهم بالوقوع على الثمار ، وأحيانا تقذف مجموعات الطيور بقطع من الطين الجاف ، وتتقف الفتاة في مكان عال نسبيا حتى تكون الأرض المزروعة مكشوفة أمامها وهى تمارس مهنة (الحامية) . . . وتعلم المرأة بناتها الصغيرات كيفية ادارة شؤون المنزل ، وغزل الصوف ، وخياطة الملابس الى غير ذلك من الأمور المنزلية .

أما بالنسبة للصغار من الأطفال الذكور ، فقد كانوا يساعدون الأب في أعماله بقدر جهدهم الممكن ، وكانوا يتولون الاشراف على

الثور والبقرة والحصار فعندما لا يكون الماء متوفرا في المنزل فان الصبي يقتاد الثور أو الحمار خاصة ، ويذهب بهما الى البئر ليشربا منها ثم يعيدهما الى الدار ، وفي الغالب كان يذهب بالحصار الى مكان ما ويربطه فيه بحبل طويل في احدى رجليه ويربط طرف الحبل الآخر في جذع شجرة . أو بدق عمودا حديديا في الأرض يسمونه (الصكك) في نهايته من أعلى حلقة يربط فيها الحبل . ثم يعود الى البيت ويتركه هناك وفي المساء يذهب لاجضاره .

أما الصبية من البنين والبنات فوق سن الثانية عشرة بالنسبة للاسر التي تمارس مهنة رعى الأغنام . فقد كانوا يسرحون بالأغنام الى المناطق الجبلية التي فيها (ديرة العبادل) لترعى أغنامهم هناك حتى قبل الغروب . ثم يعودون بها في المساء الى القرية . وتتم هذه العملية بالتناوب بين الذكور والاناث . . وان كان الغالب لدى مثل هذه الاسر أن تقوم الفتاة بهذه المهمة ، وهكذا نلاحظ أن لكل فرد في الاسرة دورا يؤديه في النشاط الاقتصادي . كل حسب طاقته وجهده ، غير أنه لا بد أن نلاحظ أن السن التي يبدأ الطفل بعدها مباشرة أى نشاط هي السنة السادسة من العمر ، أما دون هذه السن فلا يمكن أن تسند اليه الاسرة أى نشاط يؤديه . وهناك ملاحظة هامة وهي أن الاسرة الكبيرة الحجم الكثيرة العدد تعتمد فيها أوجه النشاط الاقتصادي وتزدهر على عكس الاسرة القليلة العدد والتي تنقل فيها درجة هذا النشاط أو تتحدد في أنشطة معينة كأن تضطر الى الاقتصار على النشاط الزراعي دون الاخرى أو تمارس مهنة الرعى وحدها وهكذا . . .

ونظام الملكية المعقد أثر في النشاط الزراعي خاصة ، وقد أشرنا اليه في فصل سابق ، فلا يجوز للرجل تحت أى ظرف من الظروف أن يتصرف بالبيع في أى ممتلكات عقارية ورثها عن أبيه وجده ، بينما يجوز له أن يبيع مثل هذه الممتلكات اذا ورثها عن طريق أمه أو ابنته أو أخته وتكون ملكية هذه الأرض التي آلت اليه تابعة لوحدة خارج وحدته

القرايبية الدموية ، كما يجوز له التصرف بالبيع في الأرض التي ورثها عن زوجته شريطة أن تكون من خارج وحدته القرايبية الدموية أيضا . .

وفي حالة ما اذا باع أحد الأفراد ما ورثه عن أبيه فإنه يظل محتقرا ومنبوذا من القرية كلها وليس من أقربائه فقط ، بل ان القبيلة كلها تنظر اليه على اعتبار أنه (خامل) لا يستحق الاحترام . . وللوحدة القرايبية الدموية الأقرب فالأقرب شراء هذه الأرض أو المنزل من البائع . فالأخ أولى بشراء ما سيبيعه أخوه ثم ابن العم الشقيق وهكذا . . . ويقول الاخباريون أنه وقعت معارك بالرصاص سقط فيها قتلى بسبب أن أحدهم اشترى أرضا بينما كان اخوته الأقربون يرون أنهم أحق بالشراء .

هذا النوع من الملكية بنظامه المعقد ربط الناس ربطا قويا مع الأرض ، فأصبح الارتباط بين الانسان والأرض قويا الى درجة كبيرة تعنى الحياة أو الموت ، وفكرة الارتباط هذه أثرت على البناء الاجتماعى نفسه فنجد أن البناء القبلى يبدو على درجة كبيرة من التماسك تتساوى مع ارتباط الانسان القبلى بأرضه ، فالأرض كانت المصدر الوحيد الذى يمد الانسان بأسباب العيش فمن الأرض يكون العطاء ويضمن الانسان الاستمرار والبقاء ، وبدون الأرض لا حياة ولا استقرار ، وهذا أيضا يفسر لنا شدة وعنف دفاع القبلى عن أرضه (انظر نموذج القبيلة العام ص ٢١٥) وقد كانت أمنية الرجل القبلى أن ينجب مولودا ذكرا تنتقل اليه ملكية الأرض بعد وفاة الأب ، فيضمن بذلك بقاء ملكيتها فى صلبه . وقد كان ذلك الأمر بالغ الأهمية ومصدر ازعاج وقلق مستمر للرجل اذى لم ينجب ذكرا . وكان من بين العبارات الشائعة فى هذا المعنى أنه فى حالة وفاة مثل هذا الرجل أن يقولوا (مات فلان موروثا) بمعنى أن أرضه سيرثها آخرون هم بناته أو اخوته أو أحد من أقاربه . . . ولهذا السبب شاع فى المنطقة تعدد الزوجات فالرجل يتزوج الأولى فلا تنجب فيخشى على أرضه ، فيتزوج أخرى فتنجب مجموعة من

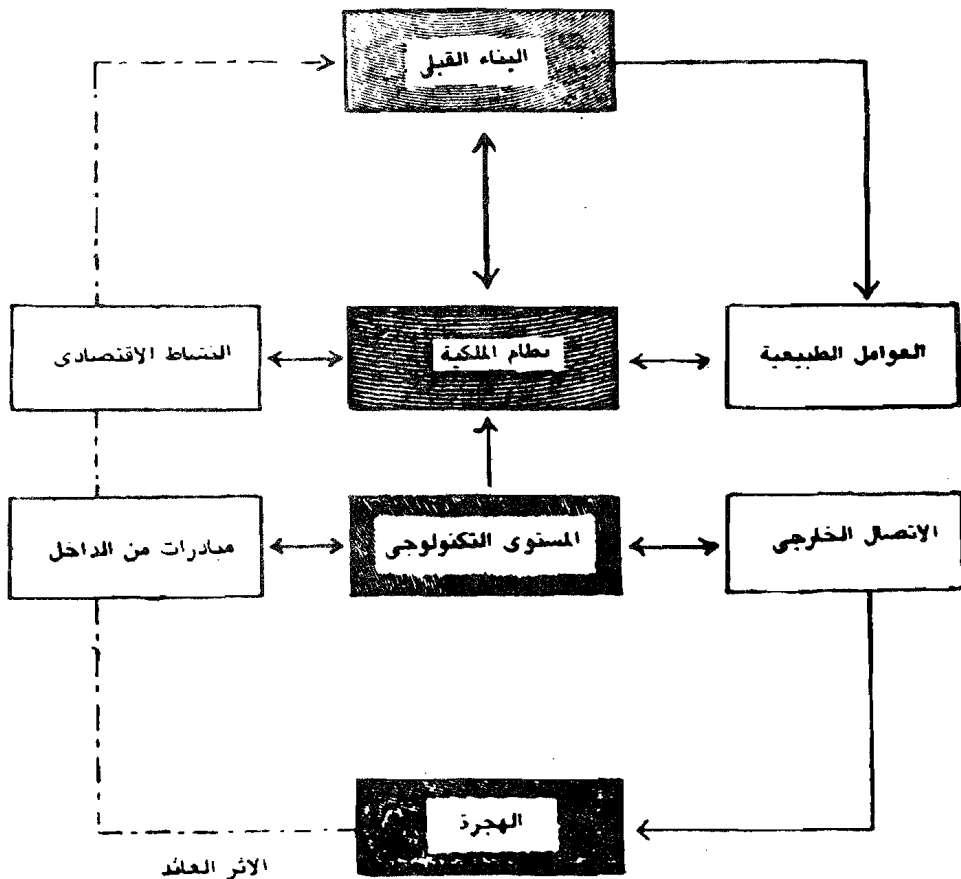
البنات • فيضطر الى الزواج من ثالثة التي ربما أنجبت مولودا ذكرا ، فان فشل من كل زيجاته تزوج من (أمة سوداء) على الرغم من أنهم ينظرون باحتقار الى فئة العبيد ، ولكن تحت هذا الظرف يلجأ الى هذا الزواج • ويقول الاخباريون أن الزواج من أمة سوداء يحدث أحيانا وأنجبت بعضهم ذكورا ، ويقر المجتمع مثل هذا الزواج تحت هذه الظروف اذ أن بقاء ملكية الأرض أمر هام ، ثم أن وجود الأخ الذكر فيه أمان للاخوات الاناث • ولا يعاب على ابن الامة بشيء لانهم (يقولون ان العبرة بالأصل وبالذكر وليس بالانثى) بمعنى أنهم يرجعون أنسابهم الى الاءاء ويغفلون أنساب الامهات ولكن قولهم هذا غير دقيق فالتناس هنا يتفاخرون في أنسابهم ويفخر الرجل كثيرا بأخواله اذا كانوا من اسرة عريقة وبالتأكيد فان ابن الامة في جو كهذا لا بد أن يشعر بغضاضة عندما تذكر الأنساب • • واستتبع ذلك أيضا شيوع ظاهرة (الوتف) وهو يعنى أن الرجل في حياته خشية من تفرق ملكية الأرض على ورثة متعددين ، أو خشيته من تصرف ابنه الذكر في هذه الأرض بعد وفاته يكتب بشهادة شهود (ورقة) تنص على أنه في حالة وفاته فان ممتلكاته العقارية كلها تعتبر موقوفة لا يجوز فيها البيع والشراء تبقى وقفا على أبنائه الذكور دون الاناث ، ويحق للاناث فقط حق المنفعة منها ولكنهن لا يشتركن في قسمتها بعد وفاته وتبقى كذلك أبدا ، فاذا انقرضت عائلته وانتهى نسبه تؤول ملكية هذه العقارات الى (المسجد) فيستفاد من ريعها في الانفاق على المسجد من عمارة وترميم وأثاث وصدقة على الفقراء والمحتاجين وما شابه ذلك (انظر نص انوقف على الملاحق •

تلك كانت السورة القائمة للنشاط الاقتصادي في المجتمع وكان لا اتصال مجتمع بني كبير بالمجتمعات الأخرى ، وفلسفة مجتمع بني كنانة

أثر واضح في كثير من التغيرات التي طرأت على هذا النشاط بل على البناء القبلي كله كما أن الهجرة قد أثرت تأثيرا بالغا على هذا البناء ، هذا بالإضافة الى انتشار التعليم ووسائل التكنولوجيا الحديثة في المنطقة .

وقد سبق القول بأن البناء القبلي يرتبط ارتباطا وثيقا بنظام الملكية وأوضحنا هذه العلاقة وهذا الارتباط وأشرنا أيضا الى علاقة ذلك بالنشاط الاقتصادي عامة والى علاقته بالنشاط الزراعي خاصة . فاذا نظرنا الى البناء القبلي ووضعناه على رأس القائمة كما هو مبين على الصفحة التالية ، فإن هناك علاقة وطيدة جدا بين هذا البناء ونظام الملكية ، فأساس وجود القبيلة كلها هو الارتباط بين الأفراد وبين الأرض التي يعيشون عليها ، وقد أشرنا إلى عدة ظواهر توضح هذا الارتباط وتبين أهمية الأرض بالنسبة للفرد القبلي . . . ولقد كان النشاط الاقتصادي أيضا محكوما بهذه الفكرة ، فالمزارع مثلا لا يستطيع أن يتوسع في رقعة زراعية أخرى اذا كانت لديه فكرة عن هذا التوسع ومردوده الاقتصادي على أسرته ، فهو مقيد بالعمل في أرضه الزراعية التي ورثها عن الاباء . لان صاحب الأرض الزراعية المجاورة له لن يفكر مطلقا في أن يبيع أرضه تحت أى ظرف كان . أو أن يسمح لهذا الجار أن يستغلها بما سيعود على الطرفين بالفائدة في حالات (المخابرة) والتي أشرنا اليها في فصل سابق . . كما أن هذا النشاط كانت تحكمه أيضا العوامل الطبيعية التي لا دخل للمزارع فيها . مثل حالات القحط والجفاف أو هطول الأمطار الغزيرة المدمرة ، أو ظهور موجات الجراد ، أو انتشار الآفات الزراعية . . . والمستوى التكنولوجي لدى المزارع لم يتعد الطرق البدائية ، فليست لديه فكرة عن مكافحة الآفات الزراعية أو الحد من انتشارها ، وكان الثور هو العنصر الرئيسي الفعال في هذا

النموذج العام للمجتمع بنى كبرى



النشاط ، فالثور هو الذى يحث الأرض ويسقيها ويدرس المحصول .
واستمر الحال كذلك ، عدا مبادرات من الداخل يقوم بها المزارع نفسه
كان يفكر مثلا في تغيير شكل « الغرب » الذى يستخرج الماء من البئر
بواسطته ، أو توسيعه ليستوعب كمية أكبر من المياه ، أو أن يستحدث
(صناع الحديث) نوعا جديدا من (المناجل) التى بواسطتها يحش
البرسيم أو اعداد الحنطة والشعير والذرة من الأراضى الزراعية .
الى غير ذلك من الأمور البسيطة .

تلك هى الطريقة التى كان يسير وفقها النشاط الاقتصادى ، الى
أن جاءت عدة عوامل أخرى غيرت صورة النظام الاقتصادى فى المنطقة
عموما . وأول هذه العوامل الاتصال الخارجى ، الذى بدأ عن طريق
أجهزة الراديو التى عرفتها المنطقة مثل غيرها كوسيلة هامة من وسائل
الاتصال . وقد بدأ المزارع هنا يستمع الى برامج التوعية الزراعية
والارشاد الزراعى . التى كانت تبثها الاذاعة رغبة فى نشر الوعى
الزراعى فى المملكة العربية السعودية عموما ، كما بدأ يعرف عن طريق
هذه الأجهزة الكثير من وسائل التكنولوجيا الحديثة فى الزراعة مجرد
معرفة فقط ، حيث ظلت بعيدة عن متناول يده لفترة طويلة .

كما أن الراديو كان له تأثير ثقافى غير الكثير من الأنماط الثقافية
السائدة فمن طريق الراديو استمعوا الى البرامج الثقافية والدينية
وزادت معرفتهم بالكثير من مدن ومناطق المملكة ، وعرف السكان عن
طريق الراديو أصول النظافة والطرق الصحية لاعداد الأطعمة ومياه
الشرب وغير ذلك .

والنشاط الاقتصادى بمظاهره المختلفة التى أشرنا اليها . بدأ فى
الاختفاء بالتدريج ، فعند افتتاح المدرسة فى قرية العبادل فى عام
١٣٦٥ هـ كما ذكرنا ، بدأ الصراع بين الصغار وأولياء الامور واستقر
الأمر فى النهاية على أن هاجر البعض بينما بقى الآخرون فى القرية
ويدأوا التوفيق بين الدراسة فى الصباح ومساعدة الاسرة فى أعمالها

بعد الظهر ، وكانت الاسرة بكل أفرادها تستطيع تعويض هذا النقص الطارىء ، لكن بعد فترة بدأت الهجرة وهاجر الشباب والنساء والأطفال كما سنوضح ذلك عند الحديث عن الهجرة في صفحات لاحقة . ولم تستدع الاسرة مواجهة العبء بعد هجرة عدد من أفرادها .

كما أن افتتاح مدارس البنات والتحاق الفتيات بها قد زاد من ضعف النشاط الاقتصادي الى درجة كبيرة ، وفي بداية الأمر بدأت الاسرة الموسرة التي ليست في حاجة ماسة الى ممارسة الزراعة أو الرعى أو صناعة الصوف ، بالحاق بناتها بالمدرسة ، ونظرا لانها تعتمد اما على ما يبعث به المهاجرون منها من المال ، واما بممارسة البعض من أفرادها للزراعة .

وقد بدأت الاسر الفقيرة فيما بعد تلحق بناتها بالمدرسة عندما شعرت بأهمية التعليم للفتاة ، على الأقل في فهم أمور الدين والاستفادة من علوم أخرى ، وحتى لا يقال أن غلانة منعها والدها من الالتحاق بالمدرسة لانه فقير ويحتاج اليها للعمل . كما أن الشباب بدأ يميل الى الزواج من الفتيات اللاتي حصلن على قسط من التعليم ، وينصرف عن غيرهن مما دفع بأولياء الأمور الى الحاق فتياتهم بالمدرسة .

إذا فانتظام الصغار في المدارس ، وهجرة الشباب الى مدن المملكة أثر تأثيرا كبيرا على هذا النشاط . مما أدى الى اختناقه بالتدريج وتحولت الاسر بعد ذلك الى الاعتماد على الحبوب المستوردة التي تأتي من خارج البلاد عن طريق الحكومة ، وكذلك الحال بالنسبة للصوم والخضراوات والفواكه .

وهناك ظاهرة هامة برزت عند توقف النشاط الاقتصادي الذي كان يعتمد على الزراعة والرعى في مجتمع بنى كبير ، وهي أن الاسرة الكبيرة الحجم ، التي فقدت كبيرها بوفاته . وأصبحت تتكون من الاخوة فقط ، بدأت تميل الى الانقسام ، فبدأ الاخوة يفتسمون الشركة

وما خلفه الوالد من مال وأرض ومنازل . هذه القسمة كانت نادرا ما تحدث في مجتمع بنى كبير قبل عشرين عاما من تاريخ اجراء هذه الدراسة ، فيما أن كثرة العدد لم تعد مفيدة كما كانت عندما كان النشاط الزراعى والرعى مزدهرا في المنطقة ، بل أن الاسرة الكثيرة العدد أصبحت في حاجة الى مصروفات لا يقابلها دخل من كل الأفراد ، . . . فبالنسبة للاخوة في الاسرة الواحدة هاجر بعضهم وترك أسرته في القرية وكان يبعث لهذه الاسرة بنفقه شهرية ، وبعد فترة اصطحب زوجته واطفاله الى مكان عمله وقطع تلك النفقة الشهرية التي كان يبعث بها كل شهر عندما كانت زوجته واطفاله يقيمون مع الاسرة في القرية ، وقد أدى انقطاع هذه النفقة الى زيادة العبء الاقتصادى على بقية الاخوة الذين لم يهاجروا .

وقد كان البعض معهم يمارس أنشطة اقتصادية مختلفة كان يسوق السيارات بالاجرة ، أو يعمل موظفا في احدى الادارات الحكومية أو يمارس التجارة الى غير ذلك . وبدأ هذا يشعر بأن بقية أعضاء الاسرة عالة عليه نتيجة لانه أكثرهم نشاطا وفعالية . .

وعندما بدأ التفكير في قسمة الأرض والمنزل ، فإذا كانت الاسرة تتكون من أربعة إخوة قسمت الدار والأرض الى أربعة أقسام متساوية ، غير أنه بالنسبة للدار فإن المهاجر ليس في حاجة اليها ، كما أن واحدا أو اثنين من الاخوة يستطيع أن يبني منزلا حديثا ينتقل فيه بأسرته فقط ، ويبقى واحد أو اثنان في المنزل القديم ونظرا لان الأراضى الزراعية قد تكون قليلة المساحة لدى هذه الاسرة فإنها بعد التقسيم لم تعد صالحة للزراعة بسبب صغر المساحة التي سوف تؤدي الى أن تكون التكلفة أكثر من الانتاج . وهذا واحد من العوامل التي زادت من ضعف النشاط الزراعى وثوقه .

أما بالنسبة للمساكن التي تكثر كثيرا اذ كان يكثر قبل وفاته ، فقد ظل يسارى الممنون حتى انه مر به

في طلبات النساء لتمكينهن من حقوقهن في التركة بعد عدم تجاوب الاخوة الذكور معهن في هذا الطلب ، وعندما وجدت المحاكم الشرعية أن مثل هذا الوقف غير جائز من الناحية الشرعية لانه يحرم الوارث من نصيبه في الميراث ، وخاصة الوقف الذي ينص على عدم دخول النساء في القسمة وحقنهن في التمتع فقط بما تنتجه الأرض اذا كن في حاجة الى ذلك الانتاج .

وبما أن الأرض لم تعد تنتج ، وبما أن مفهوم العلاقات الاجتماعية قد تغير عن المفهوم السابق ، فقد رأت المرأة أو زوجها وأولادها بأن لها حقا في تركه والدها خاصة بعد بدء الذكور في اقتسام التركة ، فقد بدأت تطلب هي أيضا نصيبها في هذه التركة ، وعندما لا يجد هذا الطلب قبولا لدى الاخوة الذكور تلجأ الى المحكمة الشرعية بطلب هذا الحق ، وقد أصدرت المحاكم الشرعية أوامر بوجوب اعطاء الاخت أو الأخوات أو خلافهن حقوقهن في التركة ، وبعدها بدأت تسوى هذه الامور بالحسنى والتفاهم بين الاخوة والأخوات . فاما أن تأخذ نصيبها من الأرض والمنزل وتتركه لأولادها . واما أن تأخذ تعويضا ماليا عنه من الذكور القادرين على دفع هذا التعويض .

ولم تكن المرأة في مجتمع بنى كبير تجرؤ على المجاهرة بطلب كهذا لأن العرف يقضى بعدم مطالبتها بالأرض من اخوتها أو أقاربها وهو الذي كان ينظم العلاقة في مثل هذه الأمور . ولكن مع التغير الذي طرأ على العلاقات الاجتماعية وشعور المرأة بأن القاضى أو المحكمة الشرعية ستعطيها هذا الحق عندما تطلبه ثجعها على أن تقدم على مثل هذا السلوك . بالاضافة الى أن المرأة قد فهمت سواء عن طريق التعليم أو عن طريق الاتصال بالمجتمعات الأخرى بأن المرأة لا بد أن تأخذ حقاها الشرعى ولا يستطيع أحد أن يمنعه عنها لمجرد أنها امرأة . .

ثالثا - الهجرة من القرية الى المدينة :

الهجرة عامل هام جدا من عوامل التغير في البناء القبلى فى مجتمع بنى كبير وقد أحدثت أكبر الأثر فى هذا التغير ، وهى فى حد ذاتها ليست ظاهرة جديدة على مجتمع بنى كبير ، لكن حدثها التى تركت هذا الأثر البالغ جاءت من كونها (هجرة جماعية) وشملت عناصر كانت تقوم بدور رئيسى كبير فى النشاط الاقتصادى فى المنطقة كالسباب والنساء والأطفال .

فأما الهجرة القديمة فكانت على نطاق ضيق محدود فقبل عام ١٩٦٧ هـ - ١٩٤٧ م وهو تاريخ افتتاح مدرسة بنى كبير فى قرية العبادل ، كان عدد المهاجرين من القرية الى مدن الحجاز لا يتجاوز (١٠) أفراد من الذكور فقط . والمهاجرون الى خارج المملكة وخاصة الى فلسطين والأردن والسودان لا يتجاوز عددهم خمسة أفراد من الذكور أيضا . حسب رواية الاخباريين الذين ذكروا هؤلاء المهاجرين بالاسم . وهذه الهجرة وخاصة النوع الثانى منها لا يعود المهاجر الا بعد مرور سنوات طويلة قد وصلت الى (٣٠ عاما) وعاد من أوائك الخمسة « ثلاثة فقط » بينما استقر الآخرون فى الأردن ولم يعودوا حتى تاريخ اجراء هذه الدراسة .

وبالنسبة للهجرة الى مدن الحجاز . فقد كانت تتم فى موسم الحج ، حيث يذهب هؤلاء الى هناك للعمل ثم يعودون بعد ذلك الى المنطقة مباشرة ، ولم تكن هذه الهجرة المرتدة ذات تأثير كبير على المنطقة نظرا لقلّة عدد المهاجرين ونوعيتهم ، ولكونهم لا يبقون فى المدن مدة طويلة تمكنهم من اكتساب أنماط ثقافية جديدة يذوقونها الى المنطقة ، كما أن الدافع الأول لهذه الهجرة اقتصادى بحت ، فقد هاجر هؤلاء على حد قول الاخباريين فى فترة تعرضت فيها المنطقة لاقحط ومجاعة شديدة وخاصة بالنسبة للمهاجرين الى خارج المملكة .

أما بعد افتتاح المدرسة ، فقد بدأ الشباب الهجرة الى المدينة ذلك أنه كما أشرنا من قبل • نشب صراع بين الآباء والأبناء ، فالمدرسة تستهوى الشباب وخاصة أولئك الذين تجاوزوا سن الثانية عشرة من العمر على الأقل لتريحهم من أعباء العمل الذى كانوا يشاركون فيه أسرهم ، والآباء من ناحيتهم يفضلون بقاء أولادهم فى مجال العمل ولا يرغبون فى ذهابهم الى المدرسة هذا أولا • وثانيا ليسوا على قناعة بالتعليم فى المدرسة فكانوا يفضلون تعليم أولادهم على يد (الفقيه) فيكفى أن يتعلم الابن القرآن الكريم فقط •• وحدث شئ من التوازن بين رغبة الآباء والأبناء ، فوقت الصباح حتى الظهر للمدرسة • وما بعد ذلك للعمل ، أما أول من نجح فى الهجرة فقد كانوا من فقدوا آباءهم وظلوا تحت رعاية أمهاتهم أو أحد أقربائهم وسلطة الام أو القريب ليست كسلطة الأب « فالأخير يمكنه أن يستخدم العنف ضد ابنه ويمنعه من السفر ، وقد أعيد عدد من المهاجرين الى المنطقة بواسطة آباءهم الذين لحقوا بهم فى مناطق الهجرة واقتادوهم عائدين •• وظلت معدلات الهجرة منخفضة نوعا ما • الا أن بدء المدرسة فى تخريج أعداد من الطلاب بعد نجاحهم فى الصف السادس الابتدائى • أو حتى بلوغهم الصف الرابع والخامس • وفى ذلك الوقت أى فى العام ١٣٧٣ هـ — ١٩٥٣ م • دفع الآباء بأبنائهم الى الهجرة من أجل العمل ، لانهم رأوا أن هجرة الأبناء وخاصة الى المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية ، حيث توجد هناك « شركة الزيت العربية الامريكية » آرامكو ، التى كانت تستقبل هؤلاء وتوظفهم فى أعمال كتابية أو يدوية بصفة مبدئية • وتدفع لهم مرتبات جيدة بالنسبة للمستوى الاقتصادى آنذاك • فعندما دفع آباء بأبنائهم الى الهجرة الى مناطق الزيت كان من أجل تحقيق مستوى اقتصادى طيب بالنسبة لأسرهم المقيمة فى

المنطقة ، خاصة وأن هذه الاسرة قد بدأت تميل الى التخلي عن النشاط الزراعى والرعى نتيجة للظروف التى أشرنا اليها ، ولا بد لها من الاعتماد على ما يبيعث به ابنها المهاجر من نفود .

ونتيجة لذلك فقد هاجر العديد من الشباب بتشجيع من آبائهم ، بعد أن كانت الهجرة تتم (بغير موافقة الاباء ، وهؤلاء أثروا على زملائهم وأقربائهم من شباب القرية ،الذين حصلوا على قسط من التعليم ، وأغروهم بالالتحاق بشركة الزيت والعمل فيها ، كما التحق بالشركة أيضا غير المتعلمين من أبناء القرية والمنطقة عموما لممارسة الأعمال اليدوية ، وقد تولت (ارامكو) بعد ذلك تعليم هؤلاء وابتعائهم للدراسة فى خارج المملكة . وقد استمر معدل هذه الهجرة فى الارتفاع ، مما زاد فى اختفاء مظاهر النشاط الاقتصادى فى المنطقة ، والاعتماد على أموال المهاجرين . وفى بداية الهجرة لحق الضرر بالنشاط الاقتصادى . ذلك أن المهاجرين كانوا أيد عاملة مؤثرة فى الناحية الاقتصادية ، فتحول العبء على المرأة التى وجدت نفسها أمام أعباء اضافية تفوق طاقتها . ومع مرور الزمن قل انتاجها . وبعد ذلك تخلت عن بعض أنشطة فالاسرة التى كانت تمارس النشاط الزراعى والرعى وصناعة الجباب . خفضت نشاطها واقتصرت على نشاط واحد ، فاذا قررت الاسرة ممارسة النشاط الزراعى وحده . ألغت النشاط الرعى ، واذا عدلت عن الزراعة مارست الرعى الى جانب صناعة الصوف .

وبدأ المهاجرون بعد ذلك يصطحبون زوجاتهم وأطفالهم معهم الى مناطق الهجرة فازداد النشاط الاقتصادى ضعفا ، خاصة وأن اعداد المهاجرين قد زادت الى مختلف مدن المملكة ، وهذا بدوره أدى الى توقف الكثير من الاسر عن ممارسة أى نشاط ، واكتفت بالعيش على ما يبيعث به المهاجرون اليهم من أموال . فتحولت هذه الاسر الى أسر مستهلكة فقط بعد أن كانت منتجة .

ونتيجة لذلك اختفى الجمال، والثور والبقرة . ومعنى ذلك اختفاء

النشاط الزراعى ، الا فى بعض أسر تمسكت بالزراعة وأخرى برعى الأغنام وفى قرية العبادل ، لاتزال بعض أسر تمارس الزراعة على نطاق محدود بينما نجد أسرة واحدة لديها قطيع من الغنم لا يتعدى (٢٠٠) رأس يذهب بها الى المرعى رب هذه الاسرة كل يوم .

ومما ساعد أيضا على اختفاء مظاهر النشاط الاقتصادى التقليدى انتشار التعليم فى المنطقة ، فقد أنشأت وزارة المعارف فى سنة ١٣٧٨ هـ — ١٩٥٨ م (معهد اعداد المعلمين) فى مكان بعيد نسبيا عن بنى كبير ، وكان هذا المعهد يستقبل الطلاب الذين حصلوا على الشهادة الابتدائية ويقدم لهم مكافأة نقدية شهرية طيلة الدراسة ومدتها ثلاث سنوات بعدها يحصل الطالب على شهادة معهد المعلمين التى تخوله للتدريس فى المرحلة الابتدائية وقد كان الاقبال على هذا المعهد كبيرا ، خاصة وقد تغيرت مفاهيم أولياء الامور عن التعليم وأصبحوا ينظرون اليه على أساس أنه يحقق لهم دخلا شهريا ثابتا ، نتيجة لاشتغال أبنائهم بمهنة التدريس أو فى وظائف حكومية ، ونظرا للمسافة التى تفصل بين المعهد والمنطقة حوالى (٨ كم) فقد اضطر الطلاب الى استئجار منازل لاقامتهم فى مكان المعهد ، وأدى ذلك الى مزيد من الهجرة وفقدت الاسرة بذلك اليد العاملة بعد الظهر .

وعندما تخرج هؤلاء الطلاب بعد انتهاء دراستهم ، وعينوا على وظائف مدرسين ، كانوا يدفعون الى آبائهم مرتباتهم الشهرية ولا يستبقون منها الا ما يجود به الآباء كمصروف جيب لهؤلاء . . . ولم يبق انحال كذلك ، فمع مرور الزمن حاول الموظفون تحقيق نوع من الاستقلال الاقتصادى داخل الاسرة ، فقد شعر هؤلاء أن زوجاتهم فى حاجة الى مصروفات خاصة ، كما أنهم أنفسهم فى حاجة الى زيادة هذه المصروفات ، وأنهم أيضا فى حاجة الى تكوين (شخصية مستقلة) عن سلطة الأب وسلطة الاسرة ، ولكن هذه الرغبة اصطدمت مع رغبة الآباء فى السيطرة على دخل أفراد الاسرة وتوزيع هذا الدخل ، وكان من نتيجة

ذلك أن نشأ صراع جديد داخل الاسرة . أدى الى مزيد من الهجرة بالنسبة لفئة الموظفين والمدرسين الى مدن المملكة المختلفة .

وعلى سبيل المثال فانه في عام ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م ، تخرج من هذا المعهد ثلاثة أفراد من قرية العبادل وعملوا بالتدريس ، وكان مرتب الفرد آنذاك (٥٢٥) ريالاً في الشهر ، ويقول هؤلاء أنهم كانوا يدفعون مرتباتهم الشهرية الى آباءهم وذكروا أن الآباء كانوا يعطونهم كمصروف شهري خاص مبلغاً لا يزيد عن (٥٠) ريالاً فقط .

وعندما تزوج هؤلاء بعد تخرجهم بعام أو عامين ، طالبوا الآباء بزيادة المصروف الخاص حيث وصلت مرتباتهم بعد عامين من التخرج الى (٦٠٠) ريال ، وسألت هؤلاء عن سبب مطالبتهم بزيادة هذا المصروف فقالوا . بأن زوجاتهم لهن طلبات خاصة يرغون في تحقيقها لهن ، كما أن المبلغ السابق لم يعد يكفي لشراء سجاير في الشهر الواحد . وبطبيعة الحال فقد نشب الصراع الذي أشرنا اليه . مما دفع اثنين منهم الى الهجرة الى المدينة بينما بقى الثالث في القرية لانه كان يشتغل بأعمال أخرى بعد الظهر كالدروس الخصوصية وقيادة السيارات ، ومثل هذه الأعمال تحقق له دخلاً اضافياً ، فلم يعد يلج على والده بزيادة المصروف من المرتب الشهري .

وفي عام ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م أصبح عدد المدرسين والموظفين في قرية العبادل (٩٠) فرداً . وأعنى بهم المقيمين داخل القرية ، بدأوا الهجرة بالتدريج بحيث أصبح عدد المقيمين منهم في عام ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م (١٥) فرداً فقط . أما لان هؤلاء يتحملون مسؤولية أسرهم نظراً لوفاء رب العائلة ، وأما لان لديهم مناشط أخرى يعملون بها ، كالتجارة أو امتلاك سيارات نقل خاصة أو ما شابه ذلك .

والبقية هاجروا الى المدن رغبة في الافلات من سيطرة الأب

والانفاق على الاسرة ، وكان هؤلاء في بادىء الأمر يبعثون بمخصصات شهرية الى ذويهم في المنطقة ، الذين تأثروا تأثرا بالغا بهجرة هؤلاء وانقطاع المرتب الشهرى عنهم .

لكن المهاجرين الى المدن وجدوا أنفسهم أمام صعوبات مالية كبيرة ، فالمهاجر في حاجة الى استئجار مسكن خاص له ولعائلته المهاجرة معه والمكونة من الزوجة والأطفال . وايجار المساكن في المدينة مرتفع جدا ، كما أنهم وجدوا أنفسهم أمام مصروفات اضافية جديدة ، نظرا لانه يعيش في المدينة حياة جديدة تختلف عن تلك التي كان يعيشها في القرية .

وقد كان يأمل المهاجر الى المدينة أن يحصل على عمل اضافى يرفع به دخله الشهرى ، ولكنه وجد أن فرصة الحصول على عمل اضافى ليست سهلة التحقيق ، نتيجة لكثرة العرض وقلة الطلب ، فلأعمال التجارية والمكتبية والدروس الخصوصيه يسيطر عليها المقيمون في المدينة وخاصة من الوافدين الى المملكة من أجل العمل ، فوجد المهاجر نفسه أمام متاعب اقتصادية كبيرة ، فاذا كان مرتبه الشهرى في عام ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م لا يزيد عن ثلاثة آلاف ريال في الشهر بالنسبة للمدرس - فانه يدفع مبلغا لا يقل عن ألف ريال في ذلك التاريخ كايجار للمنزل الذى يسكنه ، في حين أنه يحتاج الى سيارة خاصة كوسيلة هامة للمواصلات ، بالاضافة الى مصروفات الطعام والعلاج وما الى ذلك . ويقول بعض هؤلاء أنهم وجدوا أنفسهم في حاجة الى الاقتراض على المرتب الشهرى الذين يتقاضونه . ليسدوا به العجز القائم . وكان من نتيجة ذلك أن انقطع المخصص الشهرى الذى كان المهاجر يبعثه الى أسرته في القرية ، مما أدى الى ظهور أسر فقيرة في مجتمع بنى حبير ، خاصة وان هذه الاسر قد تخلت عن النشاط الزراعى أو الرعوى الذى كانت تمارسه اعتمادا على دخل الوظيفة الشهرية لابنها قبل هجرته . كما أن الأرض الزراعية لم تعد صالحة للزراعة بعد أن تركها أهلها بورا لسنوات طويلة . وفي نفس الوقت لم يعد كبار السن في حالة تؤهلهم للعمل الزراعى أو الرعوى أو للقيام بأى نشاط آخر .

ونتيجة لما تقدم ، فقد غاد المهاجرون الى المنطقة من جديد ، وخاصة من كان يعمل منهم بالتدريس أو الوظائف الحكومية أو المؤسسات الخاصة ، ولم يبق في المدن من المهاجرين الذين بلغ عددهم في عام ١٣٩٢ هـ (٧٥) فردا سوى (٢٠) فردا اما لانهم في مستوى اقتصادى ممتاز ، واما لان الوظائف التى يعملون بها ليست متوفرة اصلا في المنطقة كالعاملين في مؤسسة الطيران أو الارصاد الجوية ، أو في المؤسسات الخاصة .

ويقول هؤلاء العائدون في الهجرة المرتدة بأنهم أصبحوا في وضع اقتصادى جيد ، خاصة وأنهم لم يعودوا يدفعون أجر المنزل الشهرية عندما كانوا يعيشون في المدينة وأصبحوا حاليا يقيمون في منزل الاسرة ، بل يمارسون أنشطة أخرى كالاستغال بالتجارة بعد انتهاء وقت العمل الحكومى .

ولقد حاولت بعض الاسر - أثناء هجرة الموظفين - العودة الى العمل الزراعى لسد النقص الذى طرأ على مواردها الاقتصادية ، باستخدام الآلات الزراعية الحديثة كالحرثة الآلية بدلا من الثور لحرث الأرض الزراعية في حرث الأرض ، واستخدام (الموتورات) التى تعمل بالديزل أو البنزين لاستخراج المياه من الآبار وري الأراضى الزراعية . الى غير ذلك من (الملكية الزراعية) لكن نظام الملكية المعقد حال دون التوسع في الرقعة الزراعية على الرغم من ارتفاع المستوى التكنولوجى ، فمهما استخدم من الآلات فان الانتاج يكون قليلا نظرا لصغر المساحات الزراعية بالنسبة للفرد الذى يستخدم هذه الآلات ، فتكون التكلفة في كثير من الاحيان أكثر من الانتاج . ولهذا لم تنجح الميكنة الزراعية في قرية العبادل النجاح المطلوب . والامر الثانى الذى أعاق نجاح التجربة هو عدم صلاحية التربة الزراعية نتيجة لانها تركت بورا لعدة سنوات ولانعدام السماد الطبيعى الذى كان مصدره الحيوانات التى تربى في منازل القرية . ولعدم قناعتهم باستخدام السماد الكيماوى .

ثم ان لنفاذ مصادر المياه وخاصة انهيار أو ردم مجموعة من الآبار أثر كبير على عدم قدرة النشاط الزراعى على النهوض مرة أخرى .

أما تلك الاسر التى لديها الفائض من الاموال نتيجة لهجرة عدد من أبنائها الى خارج المنطقة فقد تحولت الى ممارسة النشاط التجارى ، ونظرا لازدهار هذا النشاط فى المنطقة فقد عاد عدد من المهاجرين لممارسة التجارة بأشكالها المختلفة ، وهؤلاء العائدون مع أسرهم اكتسبوا أنماطا ثقافية جديدة ، فلم تعد منازل القرية القديمة تصلح كسكن لهذه الاسرة لعدم توفر وسائل الراحة الحديثة التى عاشوها فى المدن . فبدأت هذه الاسرة فى بناء المنازل الحديثة على الطريقة القائمة فى المدن . وبما أن القرية القديمة لم تعد ملائمة لاقامة مثل هذه المنازل . حدث التوسع فى العمران فى أطراف القرية ، وبدأت المنطقة تعرف نظام التخصص فى غرف المنزل . فهذه غرفة لاستقبال الضيوف . وتلك للطعام ، وأخرى للنوم ، وغرف خاصة بالاطفال وهكذا . كما أن (الحمام) وجد فى هذه المنازل الحديثة بعد أن كان الخلاء هو المكان الوحيد لقضاء الحاجة .

وتأثرت المرأة المقيمة فى القرية بالانماط التى نقلتها اليها المرأة المهاجرة من المدينة ، فعرفت الملابس الحديثة وأدوات الزينة والمكياج وأصناف العطور الى غير ذلك من الانماط الثقافية المنقولة .

والمنزل الحديث وجد به (خزان المياه) فلم تعد المرأة بحاجة الى الذهاب بقربتها الى البئر لتتملاها بالماء ثم تعود بها الى المنزل ، وبالمثل فان المرأة فى منازل القرية القديمة تأثرت بذلك فامتنعت عن الذهاب الى الآبار لاحضار المياه ، وساعدها فى ذلك عدة عوامل ، أولها أن المرأة فى بنى كبير بدأت تميل الى الحجاب . بعد أن كانت ظاهرة السفور هى السائدة فى المنطقة ، وسنشرح أسباب ذلك عند الحديث عن العلاقات الاجتماعية . وثانى هذه العوامل نضوب الماء فى عدد من آبار القرية فأصبح لزاما على المرأة أن تسير بقربتها لمسافات أطول من السابق فى رحلة

الذهب والاياب لاحتضار الماء ، والامر الثالث أن معظم الابار الموجودة لم يعد يستخرج الماء منها بواسطة الثيران كما كان في السابق ، بل يتم ذلك عن طريق (موتورات المياه) التي أشرنا اليها . وهذه تسقى الاراضى الزراعية التي كان يسقيها (الثور في يوم كامل) في ساعة واحدة وذلك معناه أن الوقت ضيق أمام المرأة ولا يمكنها من الحصول على كمية الماء اللازمة ، نظرا لتوقف الموتور عن العمل أما قبل وصولها أو قبل الحصول على كفاية المنزل من المياه . والسبب الرابع أن كمية المياه المستهلكة زادت لدى الاسر فأصبحت المرأة تغسل الملابس يوميا بواسطة الغسالة الكهربائية التي وجدت في المنطقة مع وجود الكهرباء في عام ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م . وقد سبقت الاشارة الى ذلك . واهتم أفراد الاسرة بالنظافة الشخصية عن طريق الاستحمام يوميا ، كل ذلك بالاضافة الى العوامل التي ذكرناها آنفا ، أدت الى عدم جدوى «القرب» كوسيلة للماء ،، وأدى بالتالى الى اختفاء دور المرأة في هذا الشأن ، وبما أن منازل القرية القديمة لا تتوفر فيها خزانات للمياه ، ولا وجود لانابيب داخلية توزع المياه الى داخل المنزل ، فقد وجد السكان أن الضرورة تحتم وجود خزانات للمياه تواجه الحاجة المتزايدة اليها ، ولذا فانه من الطبيعي أن نجد خزانات المياه الكبيرة الحجم المصنوعة من « الزنك السميك » أمام كل منزل بحيث تبلغ سعة الواحد منها من ٥٠ الى ١٠٠ صفيحة ، تبقى مملوءة بالمياه لتواجه الاحتياج . وتملا هذه الخزانات بواسطة خزانات أخرى موجودة في سيارات النقل الصغيرة ، فيذهب الرجل بسيارته التي يوجد بها الخزان يملؤه بالماء ثم يعود الى المنزل ليفرغه في الخزان الموجود في الدار . ولهذا فقد تحولت عملية (احتضار الماء) الى الرجل بعد أن كانت من اختصاص المرأة وذلك للأسباب التي ذكرناها . والسبب أن مصادر المياه التي تملأ منها هذه

الخزانات في أماكن بعيدة وضعت على الأبار التي فيها موتورات خاصة لهذا الغرض ، مقابل ثمن معين وهو (٢٥) ريالاً بالنسبة للخزان سعة مائة صفيحة . والرجل هو الوحيد القادر على قيادة السيارة بالنسبة لبني كبير الحاضرة ، وعلى التعامل مع الرجال الذين يشرفون على هذه الأبار .

وهكذا نلاحظ أن الهجرة أثرت تأثيراً هاماً في حياة السكان ، سواء منها الهجرة من مجتمع بني كبير إلى أماكن أخرى أو الهجرة المرتدة من هذه المناطق إلى بني كبير ، ففي أول الأمر كان تأثيرها واضحاً على النشاط الاقتصادي بشكل أدى إلى توقف عدد من الأنشطة الاقتصادية مما أدى إلى ظهور أسر فقيرة بالقياس إلى تلك الأسر التي هاجر منها عدة أفراد تدفقت أموالهم إلى أسرهم في المنطقة فتحصنت لديهم الحالة الاقتصادية وبرز لدى مثل هذه الأسر نشاط تجاري واسع نتيجة لوجود رأس المال ، وعند عودة المهاجرين إلى القرية جاءوا معهم بأنماط ثقافية مختلفة عن تلك السائدة في المنطقة ، تأثر بها المقيمون بدرجة كبيرة ، فمنها كما أوردنا تأثر المرأة بنظيرتها العائدة في ملبسها وحرصها على النظافة وتربية الأطفال . ثم أن إنشاء المنازل الحديثة في أماكن خارج القرية الأولى ووجود وسائل رفاهية داخل هذه المنازل . أدى إلى أن بعض أسر في القرية القديمة بدأت في إنشاء منازل حديثة لها ، أو أحداث تغييرات جذرية في منازلها القديمة لاستحداث غرف للنوم وأخرى للطعام بالإضافة إلى إنشاء حمامات إلى جوار تلك المنازل وبالتحديد في أحواشها . وقد انتشرت السيارات بشكل واسع عندما بدأت الهجرة المرتدة ، بحيث أصبح كل فرد تقريباً يمتلك سيارة خاصة حتى داخل الأسرة الواحدة .

وتغيرت أيضاً الكثير من المفاهيم التي كانت سائدة ، فالمرأة التي كان دورها في الحياة لا يتعدى القيام بالأعمال المنزلية ، ومزاولة الدور الأكبر في النشاط الاقتصادي . بالإضافة إلى الانجاب ، أصبحت لها

مكانة خاصة فبدأت تدافع عن حقوقها ووقفت باصرار وعناد من أجل ذهاب بناتها الى المدارس للتعلم ، كما أنها بدأت تشارك الرجل في ادارة شؤون المنزل من الناحية الاقتصادية فهي المسؤولة تقريبا الآن عن ادارة اقتصاد المنزل وهي التي تحدد ما ينبغي شراؤه وما لا ينبغي حسب حاجة منزلها وأفراد أسرتها. وكل تلك الامور اكتسبتها من خلال تعاملها مع مجتمعات أخرى عن طريق الهجرة أو اكتسبتها المقيمة من المهاجرة العائدة . أو من خلال تعاملها الموسع مع أجهزة الراديو والتلفزيون .

وإذا عدنا لالقاء نظرة على الرسم التوضيحي للمجتمع المحلى على (ص ٢١٥) لوجدنا أن البناء الاجتماعى القبلى يرتبط بدرجة كبيرة مع نظام الملكية ، التى تؤثر فيها العوامل الطبيعية ، التى تحدد بعد ذلك نوعية النشاط الاقتصادى . وكل من هذه العناصر ، البناء والملكية والعوامل الطبيعية والنشاط الاقتصادى يؤثر كل منها ويتأثر بالآخر . ذلك بالاضافة الى المستوى التكنولوجى الذى كان سائدا فى المنطقة وهو مستوى بدائى انى حد كبير ، وعند هذا الحد كان كل شىء تقليديا فى المنطقة ، فالقبيلة تبدو على درجة كبيرة من التماسك لان فكرة الارتباط بالارض كانت على درجة كبيرة أيضا ، والعوامل الطبيعية لا يستطيع المستوى التكنولوجى الذى كان سائدا التعديل فيها أو الحد من اضرارها أحيانا وانعكس كل ذلك على نوعية النشاط الاقتصادى وحجمه .

أما بعد عملية الاتصال بالخارج واكتساب أنماط ثقافية جديدة فقد جرت محاولات لرفع المستوى التكنولوجى . وذلك باستخدام الآلات الحديثة فى الزراعة ، لكن نظام الملكية لم يسمح بالافادة فى هذا المستوى التكنولوجى الحديث . بالاضافة الى العامل الهام وهو (الهجرة) الى الخارج التى شملت كل القادرين على العمل تقريبا ، وكان لها مردود مادى جيد على المنطقة عموما .

فالاطصال الخارجى والهجرة كان لهما الاثر الكبير على النشاط الاقتصادى التقليدى وهو ما أشرنا اليه (بالاطر العائد) هذا الاثر

العائد أدى الى ظهور أنماط اقتصادية جديدة على المنطقة منها على سبيل المثال تغير المفهوم نحو نظام الملكية المعقد ، فالدولة عندما أنشأت الطريق الرئيسي الذى يربط الطائف بأبها فى جنوب المملكة - مر هذا الطريق بأراضى القبيلة واخترقها - ودفعت وزارة المواصلاات تعويضات مادية لاصحاب هذه الارض وميقت فيها أجزاء على جانبى الطريق ، (باعها) أصحابها بعد ذلك الى القادرين على انشاء مشروعات للاستثمار عليها . كانشاء محطات للبنزين أو بقلالات أو غير ذلك من أوجه الاستثمار علما بأن هذه الاراضى موروثه عن الاباء والاجداد ، ولم يواجه من (باع الارض) بالاحتقار الشديد كما كانوا يفعلون فى السابق . وعندما تسأل أحدا عن ذلك يقول (ان الحكومة) دفعت تعويضا فى الارض واستخدمتها من أجل المصلحة العامة . ونحن لا نستطيع أن نقف فى وجه الحكومة ونحمى أراضينا من مرور السيارات عليها ، وبما أن هذه الاراضى قد قسمت الى شطرين واخترقها الاسفلت فانها لم تعد صالحة للزراعة ، بالاضافة الى أننا قد توقفنا عن زراعتها منذ مدة طويلة . اذ فما الذى يمنع من بيع هذه الاجزاء والاستفادة من ثمنها فى أى نشاط آخر) هذا هو مفهوم أو منطق من باعوا أراضى على جانبى الطريق العام . وهو كما ترى منطق فردى ، حيث أصبح الانسان هنا يفكر بعقله ، بعد أن كان منطقته وتفكيره ينسجم تماما مع المفهوم والمنطق والتفكير العام للقبيلة . واذا نظرنا الى الفئة التى باع أفراد منها هذه الاراضى ، نجد أنهم من بين أولئك الذين هجروا العمل الزراعى منذ مدة طويلة واشتغلوا بمهن أخرى فشلوا فى تحقيق المردود الاقتصادى الجيد من ورائها . ثم اشتغلوا بمهن أخرى فلم يكن التوفيق مهم . .

ويصور ذلك حالة واحدة لفرد باع أرضه الزراعية ، فهو قد عمل بمهن مختلفة وهو يهاجر باستمرار سواء الى المدن القريبة أو الى مناطق أخرى داخل أراضى قبائل غامد ، أو الى أراضى قبائل زهران المجاورة ونظرا لانه فقير الحال ، وكثير المشاغبة مع أفراد الجماعة ، فقد عاش

بينهم منبوذا واضطر في عام ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م الى أن يهاجر من القرية الى منطقة مجاورة . وما أن استوى الطريق العام ، حتى عاد الى القرية من جديد . ذلك لان الطريق العام اخترق أرضه الزراعية ولم يكن لديه من المال ما يكفي لاقامة أى مشروع على جانب الطريق ، فرأى - على حد قوله - أن يبيع جزءا من الارض ليقوم المشروع على الجزء الاخر ، وهو لا يرى في ذلك أى عيب أو عار . خاصة وأن الحكومة قد دفعت له تعويضا عما اخترلته من أرضه لصالح الطريق العام . ثم أنه لا يبالي بما ستتحدث به الجماعة عنه وبما سينعتونه به من أوصاف تتعلق بالعيب أو العار ، فهو قد عاش بينهم وحيدا ، واضطر الى الهجر ليبتعد عن ألسنتهم . .

وقد أصبح هذا الرجل ثريا بعد أن كان فقيرا لانه استثمر رأس المال الذى جمعه من بيع الارض فى مشروعات أخرى . وعلى أى حال فان النظرة الى هذا البائع من قبل الاخرين ليست جيدة وخاصة من كبار السن الذين يعايرونه بفعلته فى كل مناسبة . أما الشهاب والمهاجرون العائدون . فان نظرتهم اليه ليست بنفس المستوى الذى ينظر اليه به كبار السن ، لكنهم لم يوافقوه تماما على التصرف فى ملكية الارض . وقد وجد المهاجرون الفرصة مهيأة أمامهم للاستفادة من أراضيهم الواقعة على جانبي الطريق ، فمن كان منهم يملك رأس المال أنشأ مشروعات خاصة ، ومن لم يملك رأس المال الكافى لاقامة مثل هذه المشروعات فقد (أبرم عقد ايجار لهذه الارض) لآخرين مدة تتراوح بين ٥ : ١٠ سنوات ، والمهاجرون وحدهم أول من أقدم على مثل هذه الطريقة وقلدهم فى ذلك المقيمون الذين لا يرون بأسا فى هذه الطريقة ويفسرونها على أنها استفادة من الاراضى البور التى لم تعد صالحة للزراعة . وهذا الاسلوب الجديد فى التعامل مع الارض أو فى النظرة الى ملكية الارض جديد على المنطقة عموما ، فلم يكن مثل ذلك الرجل الذى باع الارض يستطيع أن يبيعها قبل عشرين عاما مثلا ، لان وحدته القرابية ستمنعه من ذلك أو تشتري هى هذه الارض بالثمن الذى تراه

مناسبا • وستفعل ذلك بالقوة والتي ربما تؤدي الى القتل وقد أوردنا
حادثة بيع سقط على أثرها مجموعة من القتلى • لكن هذا الرجل يستطيع
أن يبيع هذه الارض في مامن من وحدته القرايبية أو من جماعته أو حتى
من القبيلة كلها • ذلك أن يشعر بأن أحدا لا يستطيع أن يمسه بسوء
وهو عندما يشعر أن هناك أى خطر عليه سوف يتوجه الى أقرب مركز
للشرطة ويطلب حمايته ، لان الشرطة والحكمة لا تعترف بالقانون القبلى
فيما يختص ببيع الممتلكات فغالما أنه يملكها ولا وارث لها سواه فله
مطلق الحرية فى بيعها أو تركها •

إذا فما دامت وحدته القرايبية لا تستطيع أن تمنعه ، وطالما أن
الجماعة أو القبيلة لا تستطيع أن تخلعه منها — وطالما أنه لم يعد فى حاجة
الى مساعدة أو حماية من القرية أو القبيلة ، هذه المساعدة والحماية هى
التي كانت تخضع الفرد للقانون والعرف القبلى • • لكن وظيفة الحماية
انتقلت الى السلطة المركزية والتي أصبحت تحمى الفرد من القبيلة
كلها • فما الذى يمنع بيع هذه الارض ، خاصة وأنه رأى فى المدينة أن
السكان فيها يبيعون ويشتررون دون قيود أو حدود على هذا البيع طالما
كانت الملكية صحيحة •

إذا فالحاجة والخروج عن سلطة القرية والقبيلة ، والشعور بالامن
الذى وفرتة أجهزة الدولة ، واكتساب أنماط ثقافية جديدة ، كل هذه
الامور أدت الى أن يتصرف هذا الفرد أو غيره فى ملكية الارض ، بعد
أن كان احترام ملكية الارض والمحافظة عليها من سيماء الرجولة
والكمال فى هذا المجتمع •

والهجرة بأشكالها المختلفة • كان لها أثر كبير على البناء القبلى •
تماما بنفس القدر الذى أحدثته على النشاط الاقتصادى فى القبيلة فمن
ناحية لم تعد القبيلة ذلك الحلم الذى يشغل أذهان أبنائها • فالمهاجر
الذى انتقل الى المدينة وجد نفسه مشغولا بأعباء الحياة ، واهتم بأسرته
وأطفاله ، وتألم فى المجتمع الجديد الذى هاجر اليه ، ونسى الكثير من

الانماط الثقافية والسلوك التقليدي القبلي ، ولم يعد يربطه بالقبيلة الا ما بقى لديه من ولاء للارض التي عاش عليها . وما ترسب في نفسه وفكره من ثقافة القبيلة . كما أن أبناء المهاجرين وخاصة الذين ولدوا وعاشوا في المدينة وتعلموا فيها لم تعد هناك رابطة تربطهم بالقبيلة ، فجماعات اللب وثقافة المدينة استهوت هؤلاء ، وقد حاول بعض الافراد المهاجرين أن يوجدوا نوعا من الروابط بين أبنائهم وأرض القبيلة ، عندما يصطحبونهم في زيارات خاصة الى القرية ، لكن هؤلاء الصغار لم ترق لهم القرية ولم يتأقلموا معها ويطلبون آباءهم بالعودة فورا الى منازلهم في المدينة .

كما أن المهاجرين العائدين . نقلوا معهم الانماط الثقافية السائدة في المدينة ومارسوها في القبيلة ، فالسعى لجمع المال بشتى الطرق ، والانصراف عن المشاركة في حل المشكلات التي قد تحدث بين الافراد في القرية ، هو طابع هؤلاء المميز ، فهم يرون أن مثل هذه المشكلات يجب أن تحل عن طريق مخافر الشرطة ومراكز الامارة في المنطقة .

وقد تصافرت مجموعة من العوامل أضعفت البناء القبلي ، وجعلت الولاء للقبيلة يقل لدى الافراد . وأول هذه العوامل ظهور السلطة المركزية ، التي بدأت بالتدرج في انتزاع السلطة من يد شيخ القبيلة ومجلس القبيلة ، بانشاء مراكز للشرطة والامن والقضاء ، تنوب عن مجلس الشيخ في حل القضايا والمشكلات التي تطرأ في المجتمع القبلي ، ووجد الافراد أنفسهم أمام الامر الواقع ، فلا يمكن السماح مثلا بالولاء لجهتين هما : السلطة ممثلة في الحكومة ، والقبيلة ممثلة في شيخها .

حيث إن الازدواجية في الولاء في بداية الامر أحدثت ارتباكات كبيرة في سلوك الفرد القبلي ، فهو في البداية لم يخضع للسلطة الحكومية ووضع مصلحة القبيلة فوق كل اعتبار ، لكنه وجد نفسه يخضع لطائلة القانون ، وأن السلطة الحكومية ستعاقبه على مثل هذا السلوك . فالسلطة الحكومية ترى أن مصلحة البلاد عامة أهم من مصلحة القبيلة أو أفراد

منها • وقد وجد القبلى أن شيخ القبيلة نفسه وقع تحت طائلة القانون ،
عندما حاول أن يمنع مرور السيارات من أرض القبيلة كما أشرنا الى ذلك
فى فصل سابق وسجن فى منطقة بيثيه بناء على أمر أميرها المعين من قبل
الحكومة السعودية •

ومع مرور الزمن وجد القبلى نفسه مضطرا للتخلى عن أفكاره القديمة
وترك حماية الافراد للسلطة المركزية • والعامل الثانى هو عامل التعليم
فعندما تعلم الفرد القبلى أدرك أن مصلحة القبيلة هى جزء من مصلحة
الوطن عامة ، وأن الاستقرار والامن والهدوء ، وترك حماية القبيلة
والافراد للمؤسسات الحكومية الرسمية ، هو مكسب حضارى جيد
من أجل النهوض بالمستوى العام وفق تخطيط منظم وتحت اشراف مستمر
ومن أجل أن تعمل الانساق المختلفة بنظام معين يكفل المصلحة العامة •

والعامل الثالث هو الهجرة ، فعندما استقر المهاجرون فى المدن
وامتلكوا هناك الاراضى والمنازل وأقاموا مشروعات خاصة ، جعلت هؤلاء
يرتبطون بالمدينة ويتناسون القبيلة • الا ما يربطهم بها من ثقافة لاتزال
تعيش فى أذهانهم وتحكم بعض تصرفاتهم ، لكن الاهتمام بأمر القبيلة
والمحافظة على بنائها أمر لم يعد واردا فى أذهان هؤلاء •• والامر الاكثر
أهمية هو أن أطفال المهاجرين لم تعد تربطهم بالقبيلة وأرضها أية
رابطة كما أسلفنا •

رابعا - المهر والزواج :

تحدثنا في فصل سابق عن الاسرة في قرية العبادل ، وقلنا إن النوع السائد للأسرة في قرية العبادل هو (الاسرة الممتدة) التي تضم الاب والام والابناء وأبناء وبنات الابناء ، والبنات في سن الزواج ، وقلنا إنهم يشتركون في السكن والمعيشة والنشاط الاقتصادي بمظاهره المختلفة ، تبعا للسن والنوع ، وحددنا دور الرجل والمرأة والطفل في هذا النشاط عند الحديث عن النشاط الاقتصادي وتقسيم العمل في الفترة الثانية من هذا الفصل . قد لاحظنا أن النسق الاقتصادي وكلا من النسق السياسي والقرايبي هي الاساس في تحديد نوع الاسرة في العبادل خاصة وفي بنى كبير عامة .

وقد كان لهذه الانساق دور هام في تحديد السن التي يتزوج عندها الفتى والفتاة ، وتحديد المهر ، ولها دور كبير في وجود ظاهرة تعدد الزوجات . فمن حيث السن كان الفتى والفتاة يتزوج كل منهما حتى ما قبل خمس عشرة سنة من الان أى من قبل عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م في سن لا تتجاوز الخامسة عشرة الى الثامنة عشرة بالنسبة للذكور ، ومن سن الثالثة عشرة الى السادسة عشرة بالنسبة للإناث ، ما لم تحل دون ذلك الظروف الاقتصادية والصحية الصعبة في حالات نادرة

ولعل أبرز أسباب الزواج المبكر - أن مجتمع قرية العبادل والقرى الأخرى التي تشكل مجتمع قبيلة بنى كبير . كانت تقع على أفرادها المسئولية كاملة فيما يتعلق بسلامة القبيلة ووحدتها أراضيها وحماية مواردها الاقتصادية وازاء هذه المسئولية لابد من وجود أفراد على عاتقهم تقع الاعباء المتعلقة بالدفاع من أجل البقاء والاستمرار وبطبيعة الحال فان المجتمع القبلى في حاجة الى المزيد من الافراد وخاصة الذكور للقيام بهذه المهمة ، ولا يتسنى تحقيق هذه الزيادة في العدد الا عن طريق الزواج المشروع . ولذا فان كل أسرة كانت تسعى لان تزوج فتيانها في سن مبكرة بغرض الانجاب السريع وقد رأينا من قبل أن الاسرة التي يزيد

عدد الافراد الذكور فيها ، تمتاز بمكانة اجتماعية أعلى من تلك التي يقل فيها عدد الافراد الذكور . ذلك لان الاولى قادرة على تقديم المحاربين في حالة الحاجة اليهم دفاعا أو هجوما حسب مصلحة القبيلة وهذا بدوره يعزز مركزها السياسى فى القبيلة . فيرد اليها الشأن فى كثير من الامور المتعلقة بالقبيلة . ويحظى رب هذه العائلة بمركز فى مجلس شيخ القبيلة حيث يكون له فعالية فى هذا المجلس عند اتخاذ قرارات الحرب أو السلم .

ويأتى أيضا السبب الثانى من أسباب الزواج المبكر ، وهو مرتبط بالناحية الاقتصادية لدى مجتمع بنى كبير ، فالنشاط الزراعى أو الرعى فى حاجة الى الايدى العاملة لتعزيز هذا النشاط ، وقد أوضحنا من قبل أن لكل فرد فى الاسرة فى قرية العبادل دوره المخصص فى النشاط الاقتصادى وقلنا حينذاك أن الاسرة الكبيرة أفضل من الناحية الاقتصادية من الاسرة الصغيرة ، لان الانتاج كان على قدر العمل ، ولذا فقد كانت الاسرة تسعى الى تزويج فتيانها فى سن مبكرة ، حتى تضاف الزوجة كيد عاملة جديدة فى أسرة الزوج — وقد رأينا الدور الكبير الذى كانت تؤديه المرأة فى النشاط الاقتصادى — كما تنجب هذه الزوجة أطفالا يساهمون بدورهم فى هذا النشاط ، ويتحقق بذلك للاسرة منفعة من الناحيتين السياسية والاقتصادية على المدى الطويل .

وارتبط أيضا بهاتين الناحيتين السياسية والاقتصادية (ظاهرة تعدد الزوجات) فى مجتمع بنى كبير فالزوجة عاملة نشيطة فى المنزل والمزرعة وهى مصدر الانجاب الاول والوحيد من أجل تكاثر الافراد . . اذا فالاصل فى رأينا فى وجود هذه الظاهرة هو تحقيق الغرضين المشار اليهما . وللتحقق من صحة ذلك نرى حاليا بأن ظاهرة تعدد الزوجات غير موجودة بشكل واسع الا لدى كبار السن . بينما الشباب لا يميلون الى هذه الظاهرة مطلقا ، لانهم يعلمون أن زيادة عدد الزوجات وعدد الاطفال لن يحقق لهم شيئا بل على العكس من ذلك يسبب لهم متاعب اقتصادية كثيرة ، ويرون أن قلة عدد الاطفال سوف يساعدهم على حسن

تربيتهم ورعايتهم ولا يلجأ الشباب الى الزواج بأكثر من واحدة الا في حالات نادرة لعدم انجاب الزوجة الاولى . اذا مضى على زواجهما مدة طويلة ، فيضطر الشاب عندها الى الزواج من أخرى مع الاحتفاظ بزوجته السابقة اذا رغبت هي في ذلك . ولا يعنى ذلك أن كل الشباب على هذا النمط بل هناك عدة عوامل تحكم وجود هذه الظاهرة ، فعندما نجد الشاب يتزوج أكثر من واحدة في حالة انجاب الزوجة الاولى يمكن أن نرجع ذلك الى المستوى الاقتصادي لهذا الفرد ، فطالما وجدت لديه الامكانيات المادية أمكنه الزواج وتحمل نفقاته ونفقات الاطفال الذين ينتجون عن هذا الزواج . ونلاحظ أن المستوى التعليمي عند هذا الفرد لابد أن يكون ضعيفا . فمستواه الثقافى لا يمكنه من التفكير وأمام رغبته الحاضرة في مستقبل الاطفال وحسن رعايتهم وتربيتهم ، فكثيرا ما تنشعب خلافات بين الابناء من أمهات متعددة بعد وفاة الاب وخاصة في الالونة الاخيرة التي طغت الماديات فيها على القيم الاجتماعية ..

وقد سبق أن ذكرنا أن الزواج المفضل لدى مجتمع بنى كبير هو (الزواج الداخلى) أى الزواج من الاقارب (عدا المحرمات طبقا للشريعة الاسلامية) وهذا النوع من الزواج مرتبط بنظام الملكية ، فالحرص على الزواج من ابنة العم مثلا هو الحرص على عدم ذهاب جزء من العقار الى الغرباء ، وكان لابن العم الحق الاول فى الزواج من ابنة عمه .

حيث يعرض عليه عن طريق والده وعمه أيضا الزواج منها ، اذا تقدم لها خاطب غيره ، فان رغب عنها تزوجت من قريبيها الابعد نسبيا وهكذا وكان ذلك نادر الحدوث ، وقد كان الاقرباء يتزوجون من بعضهم البعض ماعدا المحرمات وهي :

١ - أصول الرجل مهما علوا : ليحرم على الرجل الزواج من أمه أو

جداته من جهة الاب مهما علون .

٢ — فروعهم مهما نزلوا : فيحرم على الرجل الزواج من بناته وبنات
أبنائه الذكور والامات مهما نزلوا .

٣ — فروع أبويه مهما نزلوا : ويحرم عليه الزواج بأخته وبناتها
وبنات الاخ ، وبنات أولاد أخيه وأخته .

٤ — الفروع المباثرون للأجداد : فيحرم على الرجل الزواج بعمة
وخالته ، وعمه أبيه ، وعمه جده لأبيه أو أمه مهما علون . وخالتهما ، وعمه
جدته لأبيه . وعمه أمه مهما علت . وخالتهما . أما الفروع غير المباشرة
للأجداد فيحل الزواج منها . ولذلك يباح الزواج بين أولاد الأعمام
والعمات والاخوال والخالات .

٥ — وهناك محرمات ناتجة عن الرضاة هي :

- (ا) الام من الرضاع وأصولها مهما علون .
- (ب) البنت من الرضاع وبناتها مهما نزلن (وبنت الرجل من
الرضاع هي التي أرضعتها زوجته وهي في عصمته) .
- (ج) الاخت من الرضاع وبناتها مهما نزلن .
- (د) العمه والخالة من الرضاع (العمه من الرضاع هي أخت
زوج المرضعة . والخالة من الرضاع هي أخت المرضعة) .
- (هـ) أم الزوجة من الرضاع (وهي التي أرضعت الزوجة عندما
كانت طفلة) وأصول هذه الام مهما علون .
- (و) بنت الزوجة من الرضاع (وهي التي أرضعتها الزوجة قبل
زواجها منه) وبنات أولادها مهما نزلوا . . ويسرى هذا
التحريم بعد الدخول على الزوجة وليس بمجرد العقد عليها .
- (ز) زوجة الأب والجد من الرضاع مهما علا (والأب من الرضاع
هو من رضع الطفل من زوجته) فيحرم على هذا الطفل

الزواج بمن أرضعته لانها أمه من الرضاع • بل يحرم عليه
الزواج بضرتها أى المرأة الثانية للزوج والتي تعتبر زوجة
أبيه من الرضاع •

(ح) زوجة الابن من الرضاع مهما نزل •

(ط) ويحرم على الرجل الجمع فى آن واحد بين المرأة واختها
من الرضاع أو عمتها أو خالتها • أو أية امرأة ذات رحم
محرم من ناحية الرضاع •

٦ — وهناك محرمات نتجت عن المصاهرة وهى :

(ا) أصول الزوجة مهما علون : فيحرم على الرجل الزواج بأى
زوجته وجداتها من جهة أبيها أو من جهة أمها مهما علون •
ويسرى هذا التحريم بمجرد العقد على الزوجة سواء دخل
بها أو لم يدخل •

(ب) فروع الزوجة مهما نزلن : فيحرم على الرجل الزواج
ببنت زوجته وبنت أولادها وبنت بناتها مهما نزلن •
ولا يسرى هذا التحريم الا بعد الدخول على الزوجة ،
فمجرد العقد عليها لا يحرم على الرجل هذه الطبقة • فاذا
عقد عليها وطلقها أو ماتت قبل الدخول عليها ، يحل
الزواج بفروعها •

(ج) زوجات الأبناء وأبناء الأبناء مهما نزلوا • فيحرم على
الرجل الزواج بامرأة ابنه أو امرأة ابن ابنه ، أو ابن بنته
مهما نزلوا •

(د) ويحرم على الرجل الجمع بين الاختين مادامت الزوجية
فى عصمته • فلا يحل له الزواج بأختها أما بعد طلاقها

أو موتها فيصح له الزواج بأختها ، وبذات الرحم
المحرم منها .

والخلاصة : أن هناك محرمات في الزواج وهي التي أوضحتها
الشرعية الاسلامية تتعلق بأصول الرجل وفروعه وبما يحرم من
الرضاعة ماعدا حالتين وهما : (مرضعة الأخ أو الاخت من الرضاع
لابن الرجل أو ابنته ، وبما يحرم لعة المصاهرة ، جمعتها الآية الكريمة
رقم (٢٣) من سورة البقرة في قوله تعالى (حرمت عليكم امهاتكم
وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الاخت
وامهاتكم اللاتي أرضعنكم واخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم
وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم
تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم
وأن تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف) .

ويمكن أن نقسم المراحل أو طقوس الزواج الى مرحلتين رئيسيتين
هما . مرحلة الخطوبة ، ثم مرحلة الدخلة ، ونؤجل الحديث عن المهر
وظائفه الى ما بعد الحديث عن هاتين المرحلتين .

أولا - مرحلة الخطوبة :

أشرنا في الصفحات القليلة الماضية الى نوع الزواج المفضل في
قرية العبادل . وهو نفس النمط السائد لدى مجتمع بني كبير عامه .
والزواج من الداخل يعنى شئيين : الأول هو الزواج من داخل الوحدة
القربائية الدموية كزواج أبناء العمومة . والثاني هو الزواج من خارج
الوحدة القربائية كالزواج من فتاة في القرية من وحدة قربائية أبعد
ذلك اذا نظرنا الى أن القرية كلها تشكل وحدة قربائية تنتمي الى جد
واحد . والشغل الشاغل للأسرة في قرية العبادل هو زواج الأبناء ،
نظر للأهمية التي يعطونها للخلف والانجاب ، فمن ناحية تسمى
الاسرة الى زواج ابنها في سن مبكر للأسباب التي ذكرناها ، وبالمثل

فإن الأسرة التي تتزوج فتياتها تسعى من جانبها إلى أن تزوج أحد أبنائها لتحقيق نفس الأغراض ولتعويض النقص الذي حدث فيها وهو نقص في اليد العاملة بيد عاملة أخرى هي زوجة الابن .

فأما ما يتعلق بزواج أبناء العمومة فتكاد تكون مرحلة الخطوبة غير واضحة تماما . ذلك أن الأخوين وأعني بهما كل من ولد الفتى والفتاة يتفقان على زواج الفتى والفتاة وهما لا يزالان في سن مبكرة وفي مرحلة الطفولة بالذات ، وعندما يكبران ويصبحان في السن التي يتزوج عندها أمثالها يذف كل منهما إلى الآخر في حفل بسيط لا يقارن بحفل زواج من خارج العائلة وإن كانت تقام الولائم المعتادة وحفلات الرقص والطوب . أما إذا كان الزواج بين غير أبناء العمومة . فإن مرحلة الخطوبة تبدو واضحة تماما . وذلك بعد أن يقع الاختيار على الفتاة المناسبة بمعرفة الأبوين ، وأهم الأمور التي تجعل هذه الفتاة مناسبة أن تكون صريحة النسب من جهة الأبوين ، وأن تكون قادرة على العمل غير كسولة ، وأن تجيد أعمال الزراعة أو صناعة الصوف . ثم أن تكون خلوقة مطيعة ويأتي بعد ذلك اعتبارات الجمال . وعندما يقع الاختيار ويوافق الفتى على اختيار ذويه . تذهب أمه في زيارة لدار الفتاة وتفتاح والدتها بشأن رغبتهم في خطبتها لابنهم (فلان) والهدف من ذلك أن تنقل الام هذه الرغبة إلى والد الفتاة وتأخذ منه الكلمة الفصل بالموافقة أو عدمها ، وتبلغ بها بعد ذلك والدة الفتى التي تنقلها بدورها إلى زوجها أو إلى كبير العائلة . والهدف من ذلك أن تتم الموافقة المبدئية قبل أن يذهب الرجال فتكون صدمة في حالة عدم موافقة والد الفتاة (ويكسر مقامهم) فتنشأ بذلك حزازات لهذا السبب ، ذلك أنهم يعتبرون أن ذهاب الرجال في طلب أمر ما . لا بد أن تتم الموافقة عليه تكريما للرجال وحفظا لمقامهم .

وعندما تتم الموافقة المبدئية يحدد يوم الخطوبة وعادة ما يكون يوم الأحد أو الخميس فيجتمع أفراد العائلة ويختارون كبار السن منهم ، ويختار هؤلاء رجلين أو ثلاثة من (لحمة أخرى) ويبلغون والد

الفتاة عن موعد حضورهم • فيستعد لاستقبالهم • ويذبح لهم خروفا كطعام عشاء للخاطبين • لانهم دائما يذهبون للخطبة مساء • ويكون في استقبالهم بالاضافة الى ذوى العروس من الرجال عدد آخر من أفراد (لحتهم) • وعند دخول الخاطبين يبدأ كبيرهم الكلام • بعد تناول أول فنجان من القهوة — فيعلن أن سبب حضورهم هو طلب يد فلانة لفلان الحاضر في المجلس ، ويرمى بكمية من النقود يحدد عددها نحو والد العروس ، ثم يتحدث بعد ذلك والد العروس معلنا موافقته على الخطبة وترحيبه بالحضور ثم تدار القهوة بعد ذلك على الحاضرين فطعام العشاء ..

وجرت العادة أن ترافق الرجال والدة العريس أو أخته الكبرى ومعها مجموعة من الهدايا للعروس أبرزها قطع من الأقمشة المختلفة ، ومجموعة من العطور والبخور ، بالاضافة الى القهوة والهيل والزنجبيل والسكر والشاي . وتقدم بعد ذلك النقود الى العروس وأمها وأخواتها البنات • وبعد تناول طعام العشاء يبدأ الحديث بين الرجال في تفصيلات عن المهر والكسوة (قبل تحديد المهور) وعن موعد الزفاف الى غير ذلك • وينصرف الرجال بعد الاتفاق على كل شيء بينما تبقى أم العريس أو أخته للمبيت في دار العروس ، وتغادر بعد تناول الافطار في اليوم التالي ومعها (كسوة) اما (مصنف) وهو نوع ثقيل من القماش ذو ألوان زاهية يأتي عن طريق اليمن وهو مستورد أصلا من الهند ، واما أن تكون الكسوة قطعة من القماش الثمين • والعريس في ليلة الخطبة لا يرى العروس ولا يقدم لها أى شيء كهدية أو خلافها ، كما أن العروس • لا تملك أن تعلن موافقتها على الزواج من هذا الفتى الذي اختاره أهلها أو معارضتها • وجرت العادة أن تلوذ بالصمت ، وحتى لو أعلنت عدم رغبتها فانها لا تعلن عن ذلك الا لامها أو لاحدى أخواتها البنات • واذا علم الوالد بذلك فان شيئا لن يتغير ، فهو وحده الذى يملك الموافقة أو الرفض لهذه الخطوبة • • بعد هذه المرحلة تستمر الزيارات بين الأسترتين •

ويذهب العريس دائما الى دار العروس وربما التقيا ولكن بحضور أفراد عائلة العروس .

ثانيا : مرحلة الدخلة :

الدخلة في مجتمع بنى كبير لها تسمية أخرى حيث يطلقون عليها (المراح) بفتح الميم والراء . ويعنون بها انتقال العروس الى دار العريس . وقلنا انه يتم الاتفاق على كل شىء حتى موعد (المراح) في نفس ليلة الخطوبة وعندما يحين الوقت ويحدد يوم الزفاف . وهو يوم الأحد أو يوم الخميس أيضا . تكون ملابس العروس وأثاثها قد أعدت قبل هذا اليوم ثم يحضر (الفقيه) ويسمونه في هذه الحالة (الملك) بكسر الميم الأولى وسكون الثانية وكسر اللام واهمال الكاف ، ويطلب حضور العريس وولى أمر الفتاة ويتم اجراءات (عقد النكاح) المتبع وهو لا يختلف عن أى عقد نكاح داخل المملكة أو خارجها بالنسبة للمجتمعات العربية . بمعنى أنه لا يتم عقد النكاح الا قبل ساعات قلائل من موعد الزفاف . وتفسيرهم لذلك ينطوى على وجهتى نظر الأولى أنه في حالة اتمام عقد النكاح في وقت مبكر سيتردد العريس كثيرا على دار العروس ، ولا يرى حرجا من الاختلاء بها بينما اذا لم يتم العقد بعد ، فانه سيخرج من الاختلاء بخطيبته ويتجنب كثرة الزيارة والتردد ، مما يقطع حديث الناس عن العريس وعروسه . والثانية أنه ربما حدث خلاف طارئ بين الاسرتين أدى الى خصومة كبيرة قبل موعد الزفاف ، فان كان عقد النكاح قد تم ، فان المشكلة تتطور بحيث لا يرغب أهل العروس في زفافها ، وتتسدد عائلة العريس في موقفها . وعندها تبقى العروس معلقة . فلا هي مطلقة تستطيع الزواج من آخر ، ولا هي ذهبت الى دار زوجها . هيوؤخرون العقد تحسبا لمثل هذه الظروف . وبعد اتمام العقد يتوجه موكب العروس الى دار العريس ويكون وبصحبته مجموعة من قريباتها من النساء . كالام والأخوات والخالة ، وبنات العم وبنات الخال والخالة وغيرهن وكان جهاز العروس في الماضى يتكون من ملابسها الخاصة

ومجموعة من الالحفة والسجاد (والهدوم) وقد سبق تعريفها بأنها عبارة عن أبسطة مصنوعة من سعف النخل • وكذا كيس أو كيسين من الدقيق • ومثلهما من التمر ، وصفيحة مملوءة بالسمن البلدى اضافة الى بعض أوانى منزلية • والأشياء الصغيرة كانت توضع فى (السحارة) وهى التى كانت تستخدم فى الماضى قبل معرفتهم بالحقائب الكبيرة مؤخرا ، والسحارة هذه على هيئة حقيبة كبيرة الحجم مصنوعة من الخشب ومبطنة بالقماش ، ويزين خارجها برسوم ونقوش ومرايا صغيرة وتوضع بداخلها ملابس العروس وأدوات الزينة • وكذا بعض الأوانى الصغيرة ، وكل هذه الأشياء تحملها الجمال على ظهورها وعادة يشد جهاز العروس على جملين أو ثلاثة جمال ، واحد منها توضع عليه (سحارتان) واحدة من اليمين وأخرى من الشمال ، ثم توضع الالحفة والسجاد والوسائد فوقهما ، وتركب العروس ظهر هذا الجمل ، وعادة ما يكون أمامها أحد اخوتها الصغار الذى لا يقل عمره عن ١٢ سنة حيث يمكنه السيطرة على الجمل وتوجيهه وحتى لا تقع العروس من على ظهره • ويكون هذا الجمل الذى يحمل العروس فى مؤخرة الجمال ، ويسير خلف العروس مجموعة النساء اللاتى أشرنا اليهن ، يضربن الدفوف ويرددن مجموعة من الأغانى الشعبية التى تمتدح العروس وأهلها ، وعندما يقترب الموكب من دار العريس تخرج أمه ومعها مجموعة من النساء أيضا يرصدن عبارات الترحيب بالعروس ومرافقيا • ويحملن (المباخر) ويسرن أمام الركب حتى يصل الى الدار • ثم تتناخ الجمال ، ويتقدم العريس لانزال عروسه من على ظهر الجمل • بينما تصطف مجموعات من النساء القادمات مع العروس والمستقبلات فى نطقة • اما فى حوش الدار أو فى داخل المنزل يضربن الدفوف ويغنين ويرقصن احتفاء بهذه المناسبة ، وتدور كلمات الأغانى الشعبية حول مدح العروس وأهلها من قبل (الشاعرة) المرافقة للعروس بينما (الشاعرة) التى من أهل العريس تمتدح العريس وأهله وكرمهم ويستمر الأمر كذلك حتى أذان المغرب ، حيث يتوقفن عن الغناء ويبدأن فى شرب القهوة

والشاي ، وتجلس العروس في أبيه حلة ترندي كامل زينتها على مقعد خاص يسمونه (مقعد العروس) مصنوع من الخشب أيضا ويرتفع عن الأرض بمقدار ٦٠ سم تقريبا . ولا تغادره الا عند تناول طعام العشاء . ثم تعود الى مكانها . . . وبعد أن يفرغ النساء من طعام العشاء ، يعدن الى الرقص والغناء من جديد وتشاركهم العروس في ذلك . حتى منتصف الليل ، حيث تتوجه أم العروس وواحدة من اخواتها الى (علو) العروس . وهو كما قلنا من قبل غرفة نوم العروس ، فتبدأ الام بمساعدة من معها في اعداد (فراش العروس) وتنزل الام بعد الانتهاء لتصحب ابنتها الى العلو ، وتبقى مع ابنتها الى أن يحضر العريس . وتلقى على العروسين نصائح خاصة تتعلق بحياتهما الزوجية . . .

أما الرجال . فلا يحضر أحد من أهل العروس معها ماعدا ذلك الصبي الذي يركب أمام العروس فوق الجمل ، ويقتصر الحفل على الرجال وأعنى بهم رجال القرية جميعا ماعدا الرجال من وحدة العروس القرابية اذا كانت العروس من داخل القرية . ويوجه والد العريس الدعوة الى أفراد القرية جميعا للحضور لتناول طعام العشاء في داره في المسجد عقب صلاة الظهر من نفس اليوم ، ثم يبعث بمندوب الى كل منزل يدعو الجميع لحضور الحفل والعشاء . وبعد صلاة المغرب يبدأ الرجال في الحضور الى دار العريس وبعد أن يكتمل حضورهم ينادى أكبرهم سنا والد العريس أو كبير العائلة ويعطيه (مباركة) . وهي عبارة عن نقود تقدم في هذه المناسبة تماما كما يفعلون عند (الطينة) ويبدأ الأفراد في تقديم مباركتهم وهي مرادفة لكلمة (نقوط) وبعد الانتهاء يقدم للجميع طعام العشاء حيث تكون هناك موائد خاصة للكبار وأخرى للأطفال . . . وقد كانوا في السابق يؤدون الرقصة الشعبية في مثل هذه المناسبة بعد الانتهاء من طعام العشاء ويسمونها العرضة ، وكانت تستمر أحيانا لمدة يومين الى ثلاثة أيام على فترات متقطعة خاصة اذا كانت العروس من خارج القرية أو من خارج القبيلة نفسها . . .

وفي صباح اليوم التالي يحضر أفراد الوحدة القرابية للعروس من الرجال جميعا ويسمونهم (المباركون) بضم الميم وفتح الباء وكسر الراء ، حيث يكون في استقبالهم كل أفراد القرية . وعندما يصلون الى حوش الدار يبدأون السلام ويقولون العبارات التالية : السلام عليكم . والنظر سلام . والبركة في العروس . أما النظر سلام فهو يعنى اننا نكتفى بالمشاهدة . وهى تغنى عن المصافحة لانه غالبا ما تكون الاعداد كبيرة فيستغرق السلام بالمصافحة كل فرد وقتا طويلا ، ثم يتقدمهم العريس ووالده الى الدار يرددون عبارات الترحيب الى أن يصلوا الى مجلس الرجال . فبيداً كبيرهم الكلام ويقول (جئنا للمباركة في العروس جعلها الله خيرا وبركة على هذه الدار) ثم يقدم والد العروس مباركة خاصة منه الى العريس . وبعدها تدار عليهم القهوة ثم الشاي ثم طعام الافطار الذى يتكون فى العادة من البر والسمن والتمر وبعض الفواكه . وطعام الافطار هذا على نفقة والد العروس ويقوم باعداده قريبات العروس ويسمونه (قال العروس) ..

ويبقى المباركون لتناول طعام الغداء والعشاء فى دار العريس ويذبح لهم عدد من الخراف فى الوجبتين . ويحضر الوجبتين كل أفراد القرية أيضا . حيث ينصرف المباركون بعد ذلك الى دورهم ما لم تولم لهم وليمة خاصة فى اليوم الثالث لدى الجماعة . وهم سكان القرية جميعا — ذلك اذا كانت العروس من خارج القرية — وينتهى الحفل عادة بعد طعام الافطار لليوم الثالث . فاذا كان (مراح العروس) يوم الأحد انتهى الحفل بعد الافطار يوم الثلاثاء فى دار العريس . اذا لم تكن هناك وليمة تقيمها الجماعة كلها للمباركين .

وعندما تهم النساء بمفادرة دار العريس توزع عليهن (الكسوة) وهى عبارة عن المصانف التى أشرنا اليها سابقا وتكون هذه الكسوة مشروطة بعدد النساء اللاتى رافقن العروس . فان كن عشرين وزع عليهن عشرين مصنفا وهكذا بالزيادة أو النقص . وقد كان متوسط

سعر المصنف الواحد حتى عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م (٤٠) ريالاً .
هذا بالإضافة الى كسوة خاصة بأم العروس واخواتها وهي عبارة
عن نقود جرت العادة أن تكون ما بين ٥٠٠ : ١٠٠٠ ريال بالنسبة
لام العروس و ٢٠٠ : ٥٠٠ ريال لآخواتها وذلك حتى عام ١٣٨٥ هـ .

وعادة ما تبدأ العروس العمل مع الاسرة في كل الأنشطة من نهاية
الاسبوع الأول لدخلتها أو لراحها كما يسمونه ، وتبدأ في الاندماج
في اسرتها الجديدة . أما بعد عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م فقد تغيرت
صورة الوضع الذي كان قائماً فيما يتعلق بالزواج ، فمن حيث سن
الزواج ، فقد بدأ الشاب يتزوج بعد بلوغ سن الثامنة عشرة الى
العشرين عاماً ، لانه يريد أن يكمل تعليمه الثانوي على الأقل ، ولان
والد الشاب لم يعد يتحمل نفقات هذا الزواج ، كما أن الفتاة من
ناحية أخرى تواصل تعليمها الثانوي أو المتوسط ، فتأخر سن الزواج
لديها الى ما يقرب من الثامنة عشرة الى العشرين أيضاً . واختفت
صور الزواج المبكر تدريجياً ، وأصبح من الممكن الآن الا يتزوج الفتى
الا بعد اكمال تعليمه الجامعي على الرغم من معارضة اسرته في ذلك .
وبالنسبة لقرية العبادل فان ارتفاع المهور وتكلفة الزواج ليست
مشكلة أمام الشباب الذين يرغبون في الزواج لان المهر في هذه القرية
(محدد) كما سترى في الفقرة التي تتعلق بالمهر في قرية العبادل .
أما بالنسبة لغير شباب هذه القرية . فان من أسباب التأخر في سن
الزواج يعود لأسباب اقتصادية ، حيث أن بعض هؤلاء ليست لديه
القدرة المالية التي تمكنه من دفع المهر المرتفع الذي قد يصل الى
(٥٠ ألف ريال) بالإضافة الى التكلفة المتعلقة بالزواج والتي قد تزيد
عن هذا المبلغ المدفوع كمهر للعروس . ولم تعد الاسرة هي التي
تقرر الزواج وتختار العروس دون تدخل يذكر من العريس كما كان
في السابق وفي الآونة الأخيرة بدأ الشاب يقرر متى يتزوج ومن هي
الفتاة التي سيتروجها والاسرة فقط تقدم النصح لفتاها وتعرض له
اقتراحا بالزواج من غلانة ، لكن الرأي الأول والأخير يعود له وهذه .

فلم يعد والده أو أسرته تفرض عليه الزواج من فتاة معينة ، وسبب ذلك أن أسرة حاولت قبل ما يقرب من عشر سنوات أن تفرض الزواج على ابنتها من فتاة معينة ، لكنه رفض فكرة الزواج من هذه الفتاة واحتدم النقاش بينه وبين أسرته مما اضطره الى الهجرة من المنطقة نهائيا والزواج من فتاة في المدينة (وقد بدأ الشباب يمارسون التهديد على أسرهم بالهجرة في حالة الضغط عليهم بالزواج من فتاة تختارها الاسرة ، كما أن عنصر كفاءة الفتاة في العمل الزراعي لم يعد من ضمن شروط الاسرة في عروس فتاتها ، وبدأ الشباب يميل الى الزواج من الفتاة المتعلمة . كما أن الفتاة نفسها أصبحت تعترض على زواجها من شخص لا ترغب الزواج منه ، فبعد أن كانت الفتاة لا تستطيع الادلاء برأيها في الموافقة أو معارضة الزواج من المتقدم لخطبتها ، أصبحت في الاونة الأخيرة يمكن أن تقول كلمتها بالرفض أو القبول ، وقد كان للام الدور الأساسي في هذا الشأن نتيجة لاتصالها بالمجتمعات الخارجية وتعرفها عن طريق هذا الاتصال بأنه يمكن للزوجة أن تبدى موافقتها أو معارضتها لخطب ابنتها . ودفعت الام ابنتها الى أن تقول رأيها بصراحة حتى أمام والدها أو ولى أمرها . كما أن الفتاة المتعلمة تختلف تماما عن غير المتعلمة من حيث القدرة على اعلان الرأي والرغبة في الاختيار لاعتبارات معينة في عريسها . فالمرأة لم تعد مجرد يد عاملة ومصدر انجاب الأطفال فقط . بل أصبحت تؤدي دورا مهما في حياة الاسرة . خاصة المرأة المتعلمة التي لديها المقدرة على ادارة شؤون المنزل بنظام معين ، ولديها القدرة على حسن تربية ورعاية الاطفال (لزيد من التفاصيل انظر خاتمة هذه الدراسة) .

المهر في قرية العبادل :

لم يكن المهر في قرية العبادل يرتبط بالمكانة الاجتماعية بالنسبة للمريس فالفتى لا يتزوج الا من فتاة تتساوى عائلتها مع عائلته في السلم الاجتماعي . فلم يحدث مثلا أن تزوج أحدهم من فتيات الفئات الاجتماعية

الادنى فى السلم الاجتماعى أو زوج ابنته الى أحد أفرادها • وهى التى أشرنا إليها فى فصل سابق ، فالزراع هنا يمكن أن يتزوج من ابنة التاجر كما يتزوج من فتاة تمارس عائلتها مهنة الرعى والعكس • والمهور بصفة عامة متقاربة • فالتاجر عندما يدفع مهرا عاليا لعروسه • فان الزارع مثلا عندما يريد الزواج يدفع نفس المهر الذى دفعه التاجر حتى لا يقال عنه أنه ناقص أو حتى لا تعابير أسرة الفتاة بأنها حصلت على مهر أقل من الفتاة الاولى • ولذا فانه كثيرا ما يرهن البعض جزءا من أرضه لدى طرف آخر لقاء الحصول على مال يدفعه مهرا للعروس فيهاجر الى خارج المنطقة عقب الزواج للبحث عن عمل يدر عليه مالا يستطيع بواسطته أن يفك الرهن عندما يعود ، وقد روى الاخباريون حالات عديدة من هذا النوع • • وكانت الفائدة الاولى من المهر تعود الى أسرة الفتاة فقد جرت العادة أن ينفق على العروس الجزء الاضغر من مهرها فى تأمين بعض الملابس والحلى ، بينما يحتفظ ولى أمرها بما تبقى ينفقه فى زواج أحد أبنائه أو يستعين به فى أمور أخرى • وهذه احدى وظائف المهر حيث كان يعتبر البديل عن فقد الفتاة كعضو عامل ونشط فى النشاط الاقتصادى لاسرتها •

أما فى حالة زواج الفتاة فى خارج القرية أو فى خارج القبيلة فان مهرها كان أضعافا مضاعفة عما لو كانت ستتزوج داخل القرية نفسها ، فاسرتها كانت تطلب مهرا عاليا كما كانت تفرض على العريس كسوة اضافية فبدلا من أن تكون الكسوة لاقرباء وقريبات العروس تمتد فى حالة الزواج من الخارج لتشمل معظم أفراد « لحمة العروس » كما أن ولى أمر العروس كان يدفع نقودا للجماعة فى حالة زواجها خارج القرية أو خارج القبيلة يسمونها (مكسر) بفتح الميم وسكون الكاف وفتح السين قبل الراء المهملة ، والمكسر يعنى حصول الجماعة على مبلغ معين من والد العروس لقاء زواج ابنته • والغرض من هذا المبلغ تغطية نفقة الجماعة على الوليمة التى يقيمونها تكريما للخطابين الذين يصبحون العريس فى مرحلة الخطوبة • وغالبا ما يزيد المكسر عن المبلغ

الذى أنفقوه على هذه الوليمة • فكأنه (انكال) لولى أمر العروس
ما وافقه على تزويج الفتاة خارج القبيلة) •

ويقول الاخباريون أن العبادل وبنى كبير عامة قد شهدت تصاعدا
مستمرًا في المهور • كانت تكلف مبالغ كبيرة ، ولذا فقد اجتمع مجلس
شيخ القبيلة قبل أكثر من (٨٠) سنة وحددوا مهور النساء بمبالغ كانت
مناسبة عند ذلك التاريخ حيث حدد مهر الفتاة بثمانين ريالًا فقط إضافة
الى تحديد (الكسوة) بينما تحدد مهر الشيب بمبلغ (٥٠) ريالًا فقط
من الفضة (عملتهم آنذاك) ويؤكد الاخباريون بأن القبيلة كلها التزمت
بهذا القرار غير المكتوب بصفة عامة ، وحدثت بعض مخالفات أدت الى
ايقاع غرامات مرتفعة على أسرته العريس والعروس من قبل شيخ
ومجلس القبيلة في حين أنه في حالات زواج فتيات من القبيلة من فتيات
من قبيلة أخرى • كان يترك لولى أمرها حرية طلب المهر الذى يريد •
مع الاحتفاظ بحق القبيلة في المكسر • ومع مرور الزمن ودخول المنطقة
في الحكم السعودى • وتحرر السكان من سلطة شيخ القبيلة عادت
المهور الى الارتفاع من جديد • بحيث إن المهر في الأعوام من ١٣٧٠ هـ
١٣٨٠ هـ تراوح بين (١٥ : ٢٠ ألف ريال سعودى) إضافة الى المصروفات
الأخرى • ولما كانت الحالة الاقتصادية في ذلك التاريخ متدنية • فقد
أدى ذلك الى تأخير سن الزواج المعتاد لدى الذكور والاناث نظرا لعدم
القدرة على توفير هذه المبالغ فأصبح الفتى يتجاوز العشرين عاما دون
أن يتزوج وبالمثل الفتاة ، وأدى ذلك الى زواج الفتيات من خارج الوحدة
القريبة وفي خارج القرية وحتى خارج القبيلة ••

نص اتفاقية تحديد المهور :

ولواجهة هذه الظاهرة اجتمع سكان قرية العبادل في يوم الجمعة غرة
ربيع الأول من عام ١٣٨٤ هـ — ١٩٦٤ م للبحث في حل لمشكلة ارتفاع
المهور • وناب عن كل لحمة من لحام القرية الاربع رجلا واتخذوا قرارا
مكتوبا هذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم • الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم •

أما بعد : فلقد اجتمع أهالي قرية العبادل في يوم الجمعة غرة ربيع الأول الموافق ١٣/٣/ ١٣٨٤ هـ • واتفقوا فيما بينهم • وعنهم من كل لحمة نفران (شخصان) أولا عثمان بن فرحة ، وغرم الله بن عبد الله من العلى بن عبادل • ومصطفى بن سعدى وفائز بن صالح من أهل (آل) الشعبة • وعلى بن سعد المشوى ، وصالح بن أحمد المسفرى من العاقيب • ومن العطاء ناصر بن على ومحمد بن سعد خيران • ويعد الاتفاق من الجماعة عموما وعهد الله فيما بينهم • على أن الطمع (المهر) فيما بينهم جماعة يشملهم جميعا الحاضر والغائب • على أن مهر البنت (البكر) (١٠٠٠) ريال والمراجع « الثيب » « ٦٠٠ » ريال • وتكون الزينة (الحلى) قلادة ظفار - وقلادة مشبه - وشماليتين • وستة بتوت ظفار • وحزام سبته مطموس ، وخمسة خواتم فضة ، واتفقنا على ذلك جماعة • ومن زاد على ذلك فليكن غرامة أبو البنت (والد الفتاة) أو ولى أمرها « ٢٠٠ » ريال وجزاء الحكومة من بعد ذلك • أما من خطب (زوج) ابنته خارج القرية فللجماعة (٢٠٠) ريال مقابل خسارتهم ، وعلى ذلك جرى الاتفاق والتوقيع والتوقيع من أهالي قرية العبادل • والله على ما نقول وكيل • (ثم ملاحظات أخرى) هى : الكسوة مصنف واحد أو (٣٠) ريالا ، والشد ممنوع بيننا جماعة ومن شد جملا يكون (الحتم) الغرامة عليه ، ومن خرجت بحزام فضة فى أى (صدة) بفتح الصاد وتشديد الدال مع الفتح وإهمال التاء المربوطة • تعنى (العرس) فعلى واليها (ولى أمرها) (٥٠) ريالا • « أنظر نص الاتفاقية فى الملاحق » •

وهكذا نلاحظ أنه فى عام ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م • كان من المتوقع أن يكون البناء القبلى قد تصدع نهائيا تحت تأثير التحضر • لكى هذه الوثيقة تدل على عكس ذلك ، فتأثير البناء واستمراره تعبر عنه هذه الوثيقة •

وهذا قرار اجتماعي بحت ليست له علاقة بالبناء السياسي للقبيلة فالقبيلة قد تصدع بناؤها السياسي بعد ظهور السلطة المركزية . وبقي الافراد يحاولون المحافظة على التضامن الاجتماعي في القبيلة أو في القرية ، وقد كانت المسؤولية كاملة تقع على الأفراد فيما يخص المحافظة على البناء القبلي بكل مقوماته واستمرار هذا البناء . لكن تغير الوضع أدى الى تغير في الوظائف لدى الافراد . فالسلطة السياسية انتقلت كما قلنا الى الاجهزة الرسمية وتخلى عنها القبلي للحكومة . لكن التضامن الاجتماعي شيء يخص الافراد . ففهم الذين يستطيعون المحافظة على هذا التضامن وعلى استمرار العلاقات الاجتماعية . اذ إنه ليس من مسؤولية الدولة التدخل في علاقات الافراد . طالما كانت موجهة لخدمة أهداف اجتماعية ، ويوظفون هذه العلاقات للقضاء على ظاهرة معينة تلحق الضرر بالافراد والجماعات كما هو الحال في معالجتهم لظاهرة ارتفاع المهور التي تحولت الى مشكلات في الزواج ليس في مجتمع بني كبير وحده وانما في المجتمع العربي السعودي بصفة عامة .

كما أن الدولة بسلطتها لا تستطيع أن تفرض قسرا على الأفراد تحديد مهور بناتهم عند الزواج ، وانما تستطيع أن تعلن تحديدا لهذه المهور ثم تترك عملية التطبيق تقع على عاتق أولياء أمور الفتيات ، كما هو الحال عندما أعلن في عهد الملك فيصل بن عبد العزيز عن تحديد مهر الفتاة (بألفي ريال) لا غير ، وصدر بذلك قرار من الحكومة . لكن القرار شيء والتطبيق شيء آخر . فالدولة لا تستطيع ملاحقة والد كل فتاة والنظر في مخالفته من عدمها لقرار الحكومة . وبناء على ذلك . فقد استغل المجتمعون في التاريخ المشار اليه ما بقي من شعور جمعي لدى الافراد بوجود المحافظة على اظهار قريتهم في صورة اجتماعية تنم عن التعاون والترابط بين الافراد . واتخذوا قرارهم المذكور لهذه الأغراض . كما أن في استطاعتهم ملاحقة المخالفات ومتابعة تطبيق القرار ، خاصة وأنه داخلي يستفيد منه سكان القرية فقط .

ويدلنا ذلك على أنه يبقى شيء من سلطة البعض وخاصة كبار السن

في القرية التي يمارسونها على كل الافراد تحقيقا لمصلحة القرية . وهي احدى الوظائف البديلة التي كانت تمارسها القبيلة بصفة عامة على جميع السكان .

أما بالنسبة للاتفاقية الثانية والتي تم تعديلها في عام ١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م — كما هو مبين في ص ٢٤٨ — فانها لم تعد بعد أن رفعت الى وزارة الداخلية لاعتمادها ، أن سكان القرية أرادوا أن يعطوا لهذه الاتفاقية أهمية خاصة عندما تتم اعتمادها من وزارة الداخلية . ويرون أنها بذلك يمكن أن تكون الزامية أكثر . أو أنهم لم يريدوا أن يستقلوا بالرأى فيما يخص هذه الاتفاقية ولا بد من اشهارها أمام وزارة الداخلية لتكون على علم بها .

وقد اتخذ السكان هذا القرار لمواجهة مشكلة ارتفاع المهور في القرية وانتشار الذهب لدى النساء بكميات كبيرة يستخدمه كحلى . حتى أصبح حلى العروس يكلف مبالغ كبيرة . ولذا فقد تحدد حلى العروس في هذه الاتفاقية ، بقلادتين الاولى ظفار والثانية مشبه ، والقلادة تعلق في رقبة المرأة وهي عبارة عن (خرز) في كل خرزة خرم دقيق تنظم في خيط رقيق ويتراوح عدد الخرز في القلادة الواحدة بين ٣٠ : ٤٠ خرزة وسميت بالظفار نسبة الى موردها الاصلى في منطقة (ظفار باليمن) . وأما القلادة المشبه فهي تعنى (تقليد الظفار) وجاءت تسميتها بالمشبه لأنها (تشبه الظفار) ولكنها ليست في مستوى جودته والشمالى . عبارة عن أسورة مصنوعة من الفضة ومطلية بالذهب مجوفة من الداخل . تضعها المرأة في معصمها ، وهي من الصناعات المحلية التي ينتجها (صناع الفضة) وسميت شمالى لانهم يعتقدون أن أساس وجودها كان في شمال البلاد فنسبت الى مصدرها .

والبنتوت الظفار : هي نفس الخرز الذي تتكون منه القلادة ولكنه أصغر منه حجما وتترين به المرأة أيضا في معصمها بدلا من أساور الذهب .
وحزام سبته مطموس . هو عبارة عن حزام من الجلد يصنع خارج

القبيلة ، ويطلق الجزء الظاهر منه بالفضة تشده المرأة على خصرها في الحفلات ، بدلا من الحزام الفضى المطلق بالذهب . وخواتم الذهب أيضا ممنوعة في هذه الاتفاقية واستعيض عنها بخواتم الفضة ، هذا الحل هو الذى كان سائدا في المنطقة منذ القدم حين لم يكن للذهب وجود في المنطقة . وقد فضلوا العودة الى الحل القديم بعد أن أصبحت زينة المرأة من الذهب تكلف مبالغ كبيرة كما أسلفنا .

كما أنهم لاحظوا ارتفاع معدل الكسوة فحددها بمصنف أو ثلاثين ريالاً لكل امرأة من قريبات العروس . والتي ترافقها ليلة المراح . . وحتى لا يخرج والد العروس حيث أن هذا المبلغ لا يكفي لشراء أثاث تحملها الجمال عند زفاف العروس فقد تقرر منع (الشد) أى أنه لا يرافق العروس أثاث كثير يحتاج الى حمل يحمله . بل استعيض عنه بأشياء خفيفة تحملها النساء المرافقات للعروس . وبطبيعة الحال فقد تحول عبء أثاث غرفة العروس على عريسها حيث أن والدها لا يستطيع شراء هذا الاثاث من هذا المبلغ وان استطاع فمن يحمله الى دار العريس بعد منع شد الجمال كما كان في السابق . وحتى لا تخرج النساء أيضا فقد منعوا خروج المرأة في الحفلات بالحزام الفضة . وهو نوع من الاحزمة مصنوعة من الفضة مطلية بالذهب . وبالتالي فان استخدام أى نوع من الذهب من أدوات الزينة فقد أصبح ممنوعا بموجب هذه الاتفاقية . وقد قرروا ايقاع الغرامة النقدية على كل من لا تلتزم بها حيث قدرها بمبلغ (٥٠) ريالاً للمخالفة . فالمرأة التى تشاهد وهى تستخدم أيا من أنواع الحلى غير المصرح بها يدفع ولى أمرها هذا المبلغ .

وسجل الاخباريون مخالقات في بداية العمل بهذه الاتفاقية ولكن الغرامة نفذت فيها جميعا مما أدى الى الالتزام بالاتفاقية تماما .

وبما أن هذه الاتفاقية وجدت قبولا لدى كل الاطراف فقد تم الالتزام بها . ولم يخرج عليها أحد طيلة أحد عشر عاما وكانوا ينظرون الى هذه الاتفاقية على أساس أنها تمثل احترام الافراد لقرارات القرية والسير

بموجبها ، وأن الخروج عليها يعنى الخروج على ارادة الجماعة وقرارها ، ويعنى عدم المحافظة على القيم السائدة فى القرية والخروج على العادات والتقاليد التى تقضى بوجوب احترام رأى الجماعة وتنفيذه وكان يحضر (عقد القران) عدد من رؤساء اللحام يستحلفون والد العروس على أنه لم يأخذ زيادة عن (شدة الجماعة) بطريق مباشر (و غير مباشر كان تدفع لزوجته أو لآى من أفراد أسرته هذه الزيادة • وبالمثل يحلفون والد العريس بأنه لم يزد على هذه الاتفاقية شيئاً لا عن طريقه ولا عن طريق أحد فى أفراد أسرته •

وظل الامر كذلك حتى عام ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م • عندما عاد سكان قرية العبادل الى الاجتماع مرة أخرى لبحث الاتفاقية السابقة فقد رأوا أنه لا مانع من استخدام الذهب فى حلّى المرأة فالغيت قلائد الظفار والمثبى وكذا الشمالى والبتوت وخواتم الفضة ، ذلك أن مثل هذه الحلّى لم تعد مناسبة فى المرحلة الحالية ، وتركوا الباب مفتوحاً فى هذه الناحية ، لكنهم فيما يخص المهر حددوه بمبلغ خمسة آلاف ريال للبكر وأربعة آلاف للثيب ، وقد دونوا ذلك فى وثيقة حرروها فى نفس العام ولم يتمكن من الحصول عليها لأنها رفعت عن طريق إمارة المنطقة الى وزارة الداخلية لاعتمادها حتى تصبح الزامية • لكنها لم تعد منذ ذلك التاريخ • وعلى الرغم من ذلك فان الالتزام بالمهر المحدد فيها لا يزال سارى المفعول الى الان •

والملاحظ أن الزواج الداخلى سواء فى داخل الوحدة القرابية أو فى داخل الجماعة كلها قد زاد بعد تحرير هذه الاتفاقية ، كما أن ظاهرة الزواج المبكر عادت نسبياً الى القرية • ولكن بعد أن كان الفتى يتزوج عند سن مسينة فى السابق • أصبح الزواج يتم بعد انتهاء المرحلة الثانوية من التعليم أو عند بلوغه سن الثامنة عشرة بالنسبة لغير طلاب المدارس • وعلى الرغم من تحديد المهر فى عام ١٣٩٥ هـ • الا أن تكلفة الزواج قد زادت بنسبة كبيرة فبالاضافة الى وجود الذهب بنسب عالية فى حلّى

العروس فان اثاث العروس السابق والذي كان عبارة عن مجموعة من الملابس والالحفة وسجادة أو سجادتين بالإضافة الي (الهدوم) فقد اختفى تماما . لان (الهدم) لم يعد من الاثاث الملائم للمنزل الجديد فقد اختفى هذا الهدم من المنزل الحديث وحل محله (الموكيت أو السجاد الثمين) كما حلت غرفة النوم الحديثة محل السحارة والالحفة لتلائم أيضا هذا المنزل ، ولان السحارة والالحفة لم تعد لها أهمية تذكر بل أصبحوا ينظرون لها على أساس أنها (موضة قديمة) كانت هي السائدة في المنطقة عموما ، أما وقد دخلت عرف النوم الي المنطقة فلا بد أن تكون ضمن جهاز العروس ، خاصة وأن المرأة المتعلمة لا يمكن أن تقبل بمثل جهاز نظيرتها في السابق .

وبالمثل فبعد أن كانت ملابس العروس لا تزيد عن أربعة الي خمسة فساتين تتخذ شكلا موحدا ما عدا تغيير اللون . فقد استبدلت بملابس حديثة . قد يصل عددها الي عشرين فستانا بألوان مختلفة وفي نماذج مختلفة أيضا ، تحاول العروس أن تعرض أكبر قدر ممكن منها في حفل الزفاف فتدخل الي غرفتها كل ساعة تقريبا لتستبدل فستانها ، أثناء إقامة حفل الزفاف في دار العريس .

وقد استحدثت نمط جديد في حفلات الزفاف يتمثل في أن تظل غرفة نوم العروس (مفتوحة) أمام من يرغب من النساء في الاطلاع على محتوياتها ، وهذا نمط جديد على المنطقة جاء مع عودة المهاجرين الي المدن ، وتجبر العروس به عن قدرة أهلها المالية على شراء أحدث جهاز لها . ويعد اختفاء (الجمل) كوسيلة لنقل جهاز العروس ، وبالنظر الي كثرة جهاز العروس وتعدد أنواعه ، فقد استخدمت السيارات كوسيلة لنقل هذا الجهاز من دار العروس الي دار العريس ، وفي نفس الوقت فان زيادة عدد السيارات المرافقة للعروس في رحلتها الي دار العريس دلالة على أنها تنتمي الي عائلة يمتاز أفرادها بامتلاك السيارات ويكونوا المود في أفراد عزم الحفلة ، وما أنه كما زاد عدد مرافقات

العروس فان فيه دلالة على أن هذه الفتاة تتمتع بحب أفراد عائلتها أو (لحمتها) لها وأنها تقع في نفوسهم في منزلة طيبة .
وبداً موكب العروس يسير في هدوء الا من أصوات أبواق السيارات أو زغاريد النساء والمرافقات للعروس واللاتى يركبن السيارات المرافقة لها . ويعد أن كانت النساء يمشين على الأقدام في رحلتهم مع العروس (خلف الجمل) ويرددن الاغانى والاناثيد الشعبية اختفت تلك الظاهرة وأصبحن لا يغنين أو يرقصن الا داخل منزل العريس . ويرون في ذلك لموعاً من الحشمة التى يجب أن تلتزم بها المرأة ، والا ترقص وتغنى أمام الآخرين . وهن في هذا يقلدن نساء المدينة اللاتى لا يغنين في الشوارع أثناء سير العروس من دار أهلها الى دار العريس وانما يكتفين بترديد الزغاريد فقط .

ويعبر ذلك عن مفهوم المرأة الحديثة ، التى بدأت تنظر الى أبناء القرية على أساس أنهم غرباء عنها ، وهى عكس النظرة السابقة التى كانت تنظر بها اليهم على أساس أنهم أقرباء وتربطهم بها علاقات دموية . وينبىء ذلك عن تغير العلاقة بين الرجل والمرأة كما سنوضح ذلك عند الحديث عن العلاقات الاجتماعية في فترة لاحقة .

في بادية بنى كبير :

يختلف الوضع تماماً عما هو سائد في بنى كبير الحاضرة فيما يتعلق بمراحل الزواج وكذا بالنسبة للمهر . فحسن الزواج في البادية يأتى متأخراً عنه في الحاضرة وسبب ذلك أن الفتاة البدوية تلعب دوراً هاماً في النشاط الاقتصادي لدى البدو فهى مثلاً الوحيدة التى ترعى الماشية حيث إن البدوى لا يسرح خلف ماشيته الى المراعى ، وانما يكتفى بالحراسة . ولهذا فان الفتاة البدوية قد يصل سنها الى (٣٠) سنة دون أن تتزوج ، وخاصة اذا كانت الوحيدة فى أسرتها ، وهناك عامل آخر يؤجل زواج الفتاة البدوية وهو أن ابن عمها (يحجرها) وتبقى هى فى انتظاره ،فاما أن يتقدم للزواج منها بعد فترة أو يعلن عدم رغبته

فيها ، ولذا فان عدد العوانس يكثر في بنى كبير البادية ، وهناك سبب آخر وهو مرتبط بالحالة الاقتصادية لاسرة الفتاة ، حيث إن الاسرة في البادية مسئولة عن جهاز ابنتها ، فعندما يتقدم الخاطب ويتم قبوله تبدأ العروس في اعداد جهازها لدار المستقبل فتبدأ في جمع الصوف وغزله استعدادا لعمل (الخدر) الذى تسكنه فيما بعد هي وعريسها .

والزمن الذى يفصل بين الخطبة والدخلة في بادية بنى كبير طويل جدا اذا قيس بنفس الزمن في بنى كبير الحاضرة . فقد تمر سنتان أو ثلاث أو أكثر من ذلك بعد أن تنتم الخطبة وعقد القران قبل أن تنتقل العروس الى دارها المستقبلية مع عريسها ، اما في انتظار أختها الصغرى حتى تكبر في السن وتصبح قادرة على العمل واما في انتظار زواج أحد اخوتها الذكور فتعمل عروسه محلها في العمل . واما للاعداد لجهازها الذى قد يستغرق وقتا طويلا .

والدخلة أو (المراح) كما يسمونه أيضا في بنى كبير البادية ، قد تتم بدخول العريس على عروسه في دار أهلها ، وفي حالات كثيرة تنجب الزوجة عددا من الاطفال قبل أن تنتقل الى دار زوجها ، وتلك مسألة طبيعية جدا بالنسبة لسكان البادية . وجهاز العروس يتكون هنا من (الخدر ومجموعة من « العياب » . وهي عبارة عن جلد جمل مدبوغ يخاط من جميع أطرافه ويترك في أعلاه فتحة عن طريقها تدخل الاشياء المراد وضعها فيه ويسهل خروجها من هذه الفتحة ، ومفردتها (عيبة) وتشد على ظهور الجمال عند الرحيل من مكان الى آخر ، كما تستعمل لخرن التمور والحبوب والاقط ^(١) بالاضافة الى آنية القهوة ومجموعة من الالحفة المصنوعة من الصوف وكذا الملابس وأدوات الزينة وهي ليست مختلفة عن تلك المتداولة في حاضرة بنى كبير وان كانت البدوية تتميز

(١) الاقط : هو عبارة عن حليب مضاف اليه دقيق ويجفف بتعريضه للشمس وهو عبارة عن اقراص صغيرة ويعتبر غذاء رئيسيا للبدو .

باستخدام (الحبول) ومفردتها حبل وهو عبارة عن طوق الفضة ثقيل الوزن « يصل متوسط وزن الحبل الواحد ٣٠٠ جرام » تضعه المرأة البدوية في معصمها بعد الزواج وليس قبله .

والمهر في بادية بنى كبير قد يكون نقودا أو أشياء عينية ، ولم تعرف بادية بنى كبير تحديدا للمهر كما هو الحال في الحاضرة . ولذا فان ارتفاع المهور هو واحد من أسباب تأخير سن الزواج لديهم . وفى حالة عدم توفر النقود لدى العريس فانه يقدم مهرا لعروسه عددا من رؤوس الماشية قد تصل الى مائة رأس من الضأن والماعز . وقد يقدم أيضا مجموعة من الأسلحة كالبنندقية والخنجر والرمح ، وكذا أكياس الدقيق والتمر والاقط الى غير ذلك . كل الذى يقدمه العريس مهرا تنتقل ملكيته لاسرة العروس . ولا ينفق منه شيئا على جهازها ، ما عدا بضع رؤوس من الاغنام تكون نواة لقطيع تربيته العروس ويتكاثر قبل انتقالها الى دار زوجها .

والملاحظة الهامة في هذا الصدد . أن البدوية تتمتع بحرية أكثر في اختيار عريسها . ذلك أنه اذا لم يكن لها ابن عم يتزوجها أو أن ابن العم ليست له رغبة في الزواج منها . فانها في هذه الحالة تستطيع أن ترفض من تشاء من الخطاب ، ومهما تقدم لها من خطاب فان أهلها لا يستطيعون ارغامها على الزواج ممن لا ترغب بينما يستطيعون أن يفرضوا عليها القبول بالقوة بالزواج من ابن عمها . وبما أن البدوية تسرح بماشيتها في الشعاب واودية فان حرية الالتقاء بالجنس الاخر كانت متاحة ، فلا غرابة في أن تلتقى بأى رجل وتجلس للحديث معه ساعات عدة وهى تراقب ماشيتها وقد تنتهى هذه الأحاديث بالاتفاق بين الاثنتين على الزواج .

وفي حالة موافقة أسرتها على الخاطب ، فانه لا مانع من ترده على دار خطيبته في أوقات مختلفة والدلوس معها سواء بحضور أحد من أهلها أو عدم وجود أحد . وبعد أن يتم التفاهم التام بين الطرفين

يبلغان أسرتيهما بالموافقة على عقد قرانهما واطتمام الزواج ، أما في حالات الخلاف فانهما ينفصلان عن بعضهما ولا يتجدد بمد ذلك اللقاء بينهما ، وتلك ميزة تتمتع بها المرأة البدوية عن المرأة في الحاضرة • ويؤكد الاخباريون بأن تلك اللقاءات التي كانت تتم بين الجنسين تتسم بالبراءة والحفاظ على العرض ، ذلك أن البدوي كما يقولون يمتاز عن غيره بمحافظته على شرف بنات قبيلته وحماية عرضهن ، كما أن البدوية من جانبها ليست سهلة الانقياد نحو ما يخل بشرفها •

خامسا : العلاقات الاجتماعية :

كانت العلاقات الاجتماعية في قرية العبادل وكذا في قبيلة بنى كبير عموما محكومة بالعرف والتقاليد والقانون القبلي (غير المكتوب) وشعور أفراد القرية بقوة الروابط الدموية بينهم ، كان هو الأساس الذي تسير بموجبه هذه العلاقات فبالإضافة الى صور التعاون التي كانت قائمة في القرية ، والتي أشرنا اليها عند الحديث عن بناء المنازل وخاصة مرحلة تسقيف المنازل (الطينة) وكيف كان الأفراد القادرون على العمل من الرجال والنساء وحتى الأطفال يشاركون مشاركة فعالة مع صاحب المنزل في هذه العملية ، ثم يقدمون له بعد ذلك النقود وخلافها كمساعدة نه لإنجاز هذا العمل ، فان هناك عدة صور أخرى توضح عمق العلاقات الاجتماعية بين الافراد والوحدات داخل القرية منها على سبيل المثال • أنه كان اذا حدث لاحدهم أى مكروه أصابه في ماله كأن تجرف السيول الغزيرة أرضه الزراعية وتردم البئر التي تقوم عليها هذه الأرض ، فان (الجماعة) كلها تهب لمساعدته ، إما بالعمل على إعادة استصلاح هذه الاراضى ورفع الاتربة والاحجار من البئر المردومة ، أو بتعويضه فيما أصاب محصوله الزراعى بمحصولات تقدم اليه من كل فرد ، حتى لا يشعر بأنه وحده خرج من الموسم الزراعى بدون شئ • وكانوا يقدمون له النقود أيضا اذا لم يعملوا بأيديهم في رفع الأضرار واعادة اصلاح الأرض ، ليدفعها أجرة لآخرين يقومون بهذا العمل •

وصورة أخرى من صور التعاون تقوم داخل القرية ، وهو أنه في حالة ما اذا قتل أحد أفراد القرية شخصا آخر عن طريق الخطأ وحكم عليه بدفع (الدية) وهي التعويض عن القتل ، فان هذا لا يكاد يتحمل شيئاً في هذا الحادث فالقرية وحتى القبيلة كلها تجمع الاموال اللازمة لدفعها عن الجاني ، وتجلى ذلك في اسنوات الماضية ولا يزال ، بصورة واضحة ، في حوادث السيارات ، فعندما تتحطم سيارة نتيجة لاصطدامها بأخرى أو بأى طريقة أخرى ، وتحدث وفيات يكون أحد أفراد القرية سببا فيها ، ويحكم عليه بدفع (ديات القتلى) أو التعويض عن جروح البعض فانه بمجرد السماع بوقوع الحادثة يجتمع الافراد لبحث الحادث والتعرف على المبالغ المطلوبة ، ويبدأون في جمع الاموال من كل فرد سواء من داخل القرية بالنسبة للمقيمين فيها أو من خارجها بالنسبة للمهاجرين الى مناطق أخرى هذه الاموال المجموعة قد تزيد عن التعويض المطلوب ، وتبقى ملكا للمستفيد لا يسأله أحد عنها ، وكان بعض من هذه المبالغ يدفع من (صندوق الجماعة) الذى تعود اليه الاموال التى تأتى عن طريق الغرامات التى توقع على بعض الافراد نتيجة لارتكاب أية مخالفة ، كالخروج مثلا على اتفاقية الجماعة فيما يتعلق بالمهور أو تلك الغرامات التى تقع على بعض النساء لمخالفتهن لبنود الاتفاقية التى تحدد الحلى التى يترتب بها عند الافراح ، أو تلك التى تؤخذ من ولى أمر الفتاة التى تتزوج خارج القرية وهى ما يسمونه بـ (المكسر) الى غير ذلك ، وكانت هناك موارد ثابتة لهذا الصندوق عبارة عن اشتراك سنوى لكل فرد من أفراد الجماعة يدفعها لامين الصندوق ، بموجب ائصال يحرره بذلك ، ويشترك في هذا الصندوق كل الأفراد الذين لهم دخل ثابت سواء من التجارة أو الزراعة أو الوظائف الحكومية .

ويقدم هذا الصندوق المساعدة في حالات . مثل تحطم السيارات أو تقديم مساعدات نقدية لمن سيتزوج لأول مرة وحالته الاقتصادية لا تسمح له بتغطية نفقات الزواج ، كما يدفع من هذا الصندوق المساعدات

لافراد من خارج القرية ، اذا وافق كبار القرية وأمين الصندوق على صرفها بعد قناعتهم باستحقاق الفرد أو الافراد لها .

وفي حالات الوفاة كان أفراد الجماعة يشعرون بالحزن جميعا وكانهم أسرة واحدة للمتوفى ، فالجميع يحضرون جنازته ويستقبلون المعزين فيه ، ويبقون في دار أهل المتوفى ثلاثة أيام ، كما تنتقل النساء الى داره أيضا ، وينبن عن نساء أسرته في اعداد الطعام واحضار المياه واستقبال المعزيات من النساء طيلة أيام العزاء ، وإذا كان على المتوفى (دين) لآخرين وليس لدى ورثته ما يسددون به هذا الدين ، فان وحدة المتوفى القرابية تنوب عن أسرة المتوفى في تسديد هذا الدين وبراء ذمته ، وتقوم هذه الوحدة القرابية أيضا برعاية شئون أسرته والاشراف على أطفاله ومباشرة أرضه والمساعدة العملية في الانشطة الاقتصادية لها . وكان اذا توفى أحدهم وهو متزوج من امرأة من خارج القرية ، ويخشى أنز تطلب حصتها في الارث مما ترك الزوج من الأرض والمنازل ، فان أفراد الوحدة القرابية يجتمعون ويختارون من بينهم من ينوب عنهم وغالبا ما يختارون ثلاثة الى أربعة أشخاص من كبار السن . ويذهب هؤلاء الى دار أهل الزوجة المتوفى زوجها ، ويقدمون العزاء في المتوفى ، ثم تبدأ المفاوضة بينهم وبين الزوجة وأهلها على قبول مبلغ معين ، يزيد أو يقل حسب ما تركه المتوفى من مال وعقار ، وغالبا ما يكون المبلغ المدفوع مبلغا رمزيا ، لا يصل الى القيمة الحقيقية لما تستحقه هذه الزوجة من التركة . وذلك لقاء تنازلها عن جميع ما يخصها في أموال المتوفى . فان وجدوا استجابة لطلبهم ، والا رغبوا قيمة التعويض حتى ترضى الزوجة وأهلها . وعندما ينم رضا الجميع تكتب بينهم وثيقة التنازل . ولا يحق لها بعد التنازل وقبض المبلغ المطالبة بأى شئ من تركة زوجها المتوفى .

وهم يفعلون ذلك حتى لا يشترك الغريب في ملكية الارض أو المنزل التي تؤول الى أبناء المتوفى .

وقد كان الجميع من الرجال والنساء يشتركون في النشاط الاقتصادي

فهذه الاسرة بكل أفرادها تتعاون مع أخرى في المواسم ، لانجاز العمل بسرعة ، كالأشتراك في حصاد الزرع الذي يتطلب التعاون بين الاسر ، فالنساء يذهبن الى الارض الزراعية (لحش أعواد الذرة والبر والشعير) ثم يأتي الرجال لربط هذه الاعواد في حزمة كبيرة يحملونها على رؤوسهم الى سطح الدار ، ثم يستمر التعاون في الخطوات التالية:

هذا الاشتراك في العمل الجماعي بالإضافة الى الشعور القوي بوجود العلاقات الدموية والانتماء نسلف واحد . هو الذي جعل المرأة تختلط بالرجال في أحيان كثيرة دون حرج .

ولم يكن يستغرب أحد في قرية العبادل أو في غيرها من القرى أن يدخل رجل ما الى أي دار في القرية وليس فيها من الرجال أحد ، ويتناول القهوة أو الطعام عند المرأة في هذه الدار ، بل كان ذلك من الامور العادية التي لا تسترعى انتباه أحد .

ولم يسجل الاخباريون أية ردود فعل سيئة لمثل هذا . فالكل كانوا ينظرون الى مسألة الشرف على أنها مسألة تخصهم جميعا ، ونتيجة لذلك فقد كان الرجل والمرأة يحرصان على أن يكون سلوكهما منسجما مع هذه النظرة ، والمعرف كان يحكم هذه النظرة ويؤيدها ، وطالما كان شرف القرية أو شرف القبيلة هو مسئولية كل الأفراد . فان التعرض لهذا الشرف بأي شكل كان يواجه بالعقاب الفوري الشديد .

فاذا حدث مثلا أن تعرض أحدهم في القرية لامرأة بما يخذش شرفها ، كأن يعتدى عليها ، أو يحاول الاختلاء بها أو أن يتعرض لها بالقذف والشتم ، نانه يواجه بعقاب فوري كان في السابق يتراوح بين القتل والطرده من القبيلة واسقاط العضوية . واهدار دمه — أو مقاطعته مع بقائه داخل القبيلة ، وذلك حسب الجرم الذي اقترفه بمعنى أن العقاب يتناسب مع الجريمة .

وفي المرحلة الأخيرة واعنى بها: عند دخول المنطقة في الحكم السعودي

تمثلت العقوبة في هذا الشأن في المقاطعة النهائية لهذا الشخص وتقديمه الى السلطات لينال جزاءه . وهي أيضا عقوبة تتفق أو تتناسب مع الجرم الذي اقترفه هذا الشخص .

ونلاحظ أن عقوبة القتل والطرده من القبيلة لم يعد لها وجود ، نظرا لان القبيلة أو شيخ القبيلة لم يعد يقدر على تنفيذ هذه العقوبة والا تعرض من قام بمثل هذا العمل للقصاص . من قبل السلطة الرسمية اذ أن العقاب الذي يطبق على أى فرد أصبح من صلاحيات السلطة ولم يعد من صلاحيات شيخ القبيلة أو مجلسها أو حتى مجلس القرية نفسه .

لكن السلطة والتي يمثلها القاضى لا تقبل بايقاع العقاب على الجانى الا باعتراف منه أو بشهادة شهود عدول . وبما أن من قام بعمل كهذا لن يعترف به أمام القاضى . فانه ينفذ من العقوبة في حالة عدم ثبوت التهمة عليه . ولذا كان العقاب الذى تفرضه القرية عليه وهو كما قلنا يتمثل في المقاطعة النهائية لهذا الشخص وتمتد تلك المقاطعة الى وحدته القرابية اذا أيدت عمله هذا أو حتى الى أفراد من خارج الوحدة القرابية اذا ثبت تعاطفهم أو تعاملهم مع هذا الجانى .

ونذكر بعض جوانب من هذه المقاطعة ، فالجماعة مثلا عندما تقاطع أحد الأفراد فان ذلك يشمل . عدم مشاركته في الافراح وعدم مشاركته في الأحزان . فهم مثلا لا يحضرون الى أية مناسبة فرح لديه ، كما أنهم في حالة وفاة أحد أقربائه لا يشاركون أحزانه بل لا يحضرون معه (قبر الميت) ولا يسيرون خلف جنازته . كما أنه نتيجة لمضايقه الجماعة له فانه يضطر الى الذهاب لاداء الصلاة في مسجد قرية أخرى . أو يلزم داره ويصلى فيها مع ملاحظة أن هذه الأخيرة وأعنى بها عدم حضور صلاة الجماعة . تتوقف على الفرد نفسه ، فان شاء حضر وان شاء امتنع ، بمعنى أنهم لا يمنعونه من أداء الصلاة في المسجد ، وانما يتوقف ذلك على حالته النفسية) .

كما أن هنالك عقوبه أخرى يتعرض لها الجاني . وتتمثل في حالة نشوب حريق في أرضه الزراعية أو في داره — ولعدم توفر المطافى في القرية — فان الوسيلة الوحيدة لاطفاء الحريق هي الجماعة نفسها ، وفي حالة مقاطعة هذا الشخص فان الجماعة لا تهب لنجدته عند اندلاع حريق في أرضه الزراعية أو في داره . كما أن الحيوانات كالجمال والثور والبقرة . كانت معرضة للوقوع في الآبار المنتشرة في الوادي ، وعندما يسقط أحدها في البئر يطلب صاحبه النجدة من الجماعة فيهبون لمساعدته في اخراج الحيوان الذي سقط في البئر ، أما اذا كان مقاطما من قبل جماعته فانه لن يذهب أحدهم لمساعدته ويتركون ثوره أو بقرته في البئر حتى يموت غرقا .

وعلينا أن نلاحظ أن هذه العقوبات كانت تفرض على كل من قام بعمل يضر بالجماعة كلها ، وليست قاصرة على مسائل تتعلق بالشرف . فعندما يخرج شخص على قرار الجماعة فانه يقاطع ، وعندما لا يقبل بما تفرضه الجماعة من صلح عند وقوع خصومة فان الجماعة تقاطعه ، وهكذا . وفي اعتقادنا أن هذه العقوبات انما هي من الوظائف البديلة التي كانت تمارس القبيلة أشد منها كما ذكرنا من قبل ، وهي في اعتقادنا أساليب جيدة تؤدي دورا هاما في المحافظة على الشرف . وفي ضبط سلوك الأفراد .

وهي وسائل فعالة نظرا لان الدولة لن تتدخل في عملية دفن الموتى ، ولن ترغم الجماعة على الحديث مع هذا الشخص ، وانما كل الذي تستطيع أن تفعله هو القصاص من كل فرد يعتدى على هذا الشخص وتوقع العقاب اللازم عليه . . .

كما أن عدم وجود المطافى في القرية جعل السكان هم العنصر الهام والوحيد في عملية اطفاء الحريق ، واذا تخلوا عن مساعدة هذا الفرد في اطفاء الحريق فان داره أو أرضه الزراعية ستعرض للدمار . كما أنه في حالة سقوط حيوان له في إحدى الآبار . فانه عندما يفكر

بالذهاب الى مراكز الشرطة لطلب النجدة سيعود بهذه النجدة بعد أن يكون هذا الحيوان قد مات غرقا . (مع العلم أن مثل هذه الأساليب في العقاب كانت سائدة منذ فترة تقرب من (١٥ سنة) في نفس الوقت الذي كانت مراكز الشرطة تبعد عن المنطقة بمسافة تزيد عن (١٠ كم) وتربطها بالمنطقة طرق غير معبدة ويقول الاخباريون أن آخر عهدهم بالمقاطعة كان في سنة ١٣٨٥ هـ ١٩٦٥ م . عندما خرجت أسرة عن رأى الجماعة فيما تعلق بالطريق الذي حاول شيخ القبيلة أن يفتحه عبر وادى بنى كبير ويخترق بعض أطراف أراضي لأفراد من القرية . وقد سبق أن أشرنا الى هذه الحادثة .

إذا فكل الأفراد الذين يعيشون على هذه الأرض تربطهم بها علاقة وطيدة ، ولهم ثقافتهم الخاصة ، ووسائل الضبط الاجتماعى المميزة ، التى تحكم سلوكهم وفق القيم والمعايير السائدة

لكن الأمر لم يستمر كذلك ، فعندما بدأ اتصالهم بالمجتمعات الاخرى وانتشرت طرق المواصلات ، وزاد معدل الهجرة من والى القرية ، وجدوا أن بينهم عناصر جديدة لا تهتم بتلك القيم والمعايير وقواعد السلوك . وتحمل أنماطا ثقافية مختلفة . ولا تخضع لوسائل الضبط الاجتماعى . أولا يمكن اخضاعها لها . . وقد أدى وجود هذه ائناصر الى ضرورة تحنيد علاقة المرأة بالرجل ، فاقترنت المرأة علاقتها على وحدتها القرابية ، وبدأ الاختلاط يختفى تدريجيا .

وابتداء من سنة ١٣٨٥ هـ ١٩٦٥ م تقريبا بدأت المرأة (تضع الحجاب على وجهها) أثناء سيرها لقضاء أى عمل أو القيام بأية زيارة فى القرية . ذلك لان انتشار المهاجرين الى القرية بدأ عند هذا التاريخ . . وهى فى طريقها قد تمر بأحد هؤلاء الأعراب الذى لن يتورع عن ترديد عبارات الاعجاب بجمالها . وهو شئ لم تعتد سماعه من قبل عندما كانت تعيش مع أبناء قريتها فقط . فرأت أن الحجاب يمكن أن يقيها نظرات الغريب وبللتالى تتجنب سماع مثل تلك العبارات . . كما أن المرأة لم تعد تذهب الى الحقل فى أى وقت

كما كانت تفعل خشية من تعوّضها لمضايقة الأعراب . هذه الظاهرة الطارئة في القرية استدعت أن يتخذ سكان القرية عموما قرارا (غير مكتوب ينص على عدم السماح لاي غريب بالسكن داخل القرية . وقد تم اتخاذ ذلك القرار في ساحة المسجد عقب صلاة يوم جمعة منذ ما يقرب من ستة عشر عاما) .

لكن يبدو أن القرارات غير المكتوبة . لم تعد تلقى نفس الأهمية التي كانت لدى الأفراد لمثل هذه القرارات في السابق . . وذلك لان بعض الأفراد لم تعد للجماعة عليهم نفس السلطة التي كانت في السابق ، أو لانهم رأوا أن في ذلك مخالفة أو تعارضا مع مصالحهم الشخصية . . ولا بد أن نشير الى أن الرجل الذي تسبب في وقوع الحادثة التي سنرويها بعد قليل وبالتالي في اتخاذ قرار مكتوب ، تأثر كثيرا بأولاده المهاجرين الذين اقنعوه بوجوب مخالفة قرار الجماعة طمعا في تحقيق مصلحة خاصة . والمهاجرون هؤلاء ، لانك قد تأثروا بالنمط السائد في المدينة والتي لا مانع أن يسكن الغرباء المتزوجون وغيرهم الى جوار بعض في عمارة واحدة . كما هو السائد في كل المدن . ولقد كانت الحاجة الى اليد العاملة ووجود المساكن انخالية بالاضافة الى ما سبق هي العوامل التي أدت لان يسمح أحد أفراد القرية لرجل أعزب كان يعمل لديه في أرضه الزراعية بالسكن في واحد من منازل وحدته القرابية الخالي .

وقد طلب بعض أفراد من الجماعة الى هذا الرجل اخراج الساكن الجديد من منازل القرية والبحث له عن سكن مجاور للمزرعة لكنه بتحريض من أبنائه رفض الانصياع لهذا الطلب . وعندها تطوع أحد الأفراد من سكان القرية بالذهاب الى المنزل الذي يسكنه هذا الغريب ، فأوسعه ضربا ، وقذف بحاجياته وملابسه الى خارج الدار . فما كان من المعتدى عليه الا أن ذهب الى مركز (الشرطة في الباحة) بتحريض من أبناء الرجل المذكور . وقدم شكواه هناك مما تعرض له . (كان بالامكان الشكوى الى كبار الجماعة أو الى شيخ القبيلة وكان يمكن

حل الموضوع داخليا لكن أبناء هذا الرجل وأعني به الذي سمح بسكن الغريب في القرية . أرادوا أن تكون الشكوى للأجهزة الرسمية حتى يكون سكن الأعراب في القرية بعد هذه الشكوى قاعدة لا يعترض عليها أحد من سكان القرية) .

نص اتفاقية عدم السماح بسكن الغريب :

فطلبت الشرطة احضار المعتدى للتحقيق معه . وأمرت بسجنه على اعتبار أنه قام بعمل مخالف لنظام . في حين أنه عندما قام بضرب هذا الغريب ، كان يعتقد أنه ينفذ قانون القرية أو يطبق تعليمات الجماعة ويدافع عن شرفها . وقد شاركه في هذا الشعور كل سكان القرية ، واعتبروا أن الرجل الذي أذن لهذا الغريب بالسكن داخل منازل القرية هو المسؤول وحده عن كل ما حدث ، فسعت الجماعة الى اخراج المذكور من السجن واطلاق سراحه عن طريق تنازل المعتدى عليه عن دعواه في الشرطة لقاء مبلغ معين ، وتدخل أفراد من قريتي — الفلاح — والديس — على اعتبار أنهما تشكلان مع قرية العبادل (بدنة الحارث) لانهاء الخلاف الذي وقع بين سكان القرية بسبب هذه المشكلة ، وبما أن سبب الخلاف هو وجود (الغريب) داخل القرية ، وبما أن القرار غير مكتوب لم يحترمه ذلك الرجل ، فقد اجتمع أفراد القرية كلهم لتحرير (ورثة) تتضمن اتفاقهم جميعا على عدم السماح للغريب بالسكن داخل قرية العبادل . وناب في التوقيع على هذه الاتفاقية عن كل لحمة من (اللحام) الأربع التي تشكل قرية العبادل اثنان من كبارها وهذا نص الاتفاقية « بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وبعد : لقد حضرت قرية الفلاح وقرية الديس الى قرية العبادل (يقصد حضور أفراد من القريتين) من أجل سوء تفاهم فيما بينهم ، وبحثوا القضية ، ووجد سببها زيدي (المقصود أنها بسبب وجود هذا الزيدي ، والزيدي هو الاصطلاح الذي يطلق على اليمنيين ، وجمعه « زيود » نسبة الى المذهب الزيدي في اليمن) سكن في قرية العبادل . ثم إن أهالي القرية اتفقوا

جميعا على الا يسكن بينهم زيدي عزوبى (أى عدم السماح بسكن
أى يبنى أعزب داخل القرية ، وهو استثناء يسمح بموجبه لمن ترافقه
زوجته بالسكن داخل القرية) . وهذا سبب كتابة هذه الاتفاقية ، ومن
سكن (أى سمح باسكان) زيدي عزوبى فى بيته أو فى بيوت العبادل ،
يكون نكاله (غرامته) حضور قرية العبادل والقريتين التى أصلحت
بينهم الفلاح والحبيس على رأسه (أى حضور أفراد القرى الثلاث
الى دار المخالف وهى المقصود بالحضور على رأسه ، ويعنى ذلك أن عليه
(عزير) يتمثل فى ذبح ثور أو بقرة للواحدين الى داره) جميعا ، ويكون
نكاله (٢٥٠) ريال ، وعلى هذا جرى الاتفاق فى ٢٩ / ٨ / ١٣٨٨ هـ -
١٩٦٦ م ثم توثيحات اللحام الأربيع وهى - العلى بن عبادل والعطا
والعاقب والشعبه - وذلك بشهادة أفراد من قرىتى الفلاح
والحبيس . (انظر نص الاتفاقية على الملاحق

هذه الاتفاقية تبرز ثلاثة أمور . أولها التمسك الى المحافظة على
بقاء القرية بحالية من الأعراب ، وبخصوصها أولئك الذين يمكن أن
يتسبب وجودهم فى حدوث مضايقة للمرأة فى القرية ، وهم (الحزاب)
ومنما لحدوث مثل ذلك فقد تقرر منهم من الساكن داخل القرية .
والثانى . اتفاق ساكن القرية جنبا على ما يرون أن فيه مصلحة
لقرينتهم ، وهى لكشيات من شرف المرأة وحريةها فى التنقل بأمان
داخل القرية وما حواها من حقوق . وليسوا فى ذلك وخدمهم بل أن القريتين
الأخريين وهما الفلاح والحبيس تشاركان قرية العبادل فى سبيل المحافظة
على مصلحتها ، واستمرار العلاقات الطيبة بين أفرادها ، ذلك أن ساكن
القرى الثلاث يتمتعون كما أسلفنا الى سلف مشترك وتربطهم جميعا
علاقات خاصة ، والأمر الثالث ، يتمثل فى ظهور الاتفاقيات المكتوبة
بعد أن أصبح التقيد بالاتفاقيات غير المكتوبة ليس على المستوى المطلوب
حتى داخل القرية الواحدة .

وعلى الرغم من أنه يمكن فى الوقت الحاضر الخروج على هذه
الاتفاقية ، إلا أنه لم تسجل مخالفة واحدة لهذه الاتفاقية منذ إبرامها

حتى الآن . وقد لاحظت أن جميع السكان الأعراب في القرية هم من المتزوجين وترفقهم عائلاتهم .

وظاهرة الحجاب في القرية غد أصبحت امرا مالوفا ، وهي تمثل ما يمكن أن نسميه (تراجعاً في سنوك المرأة) ، فبعد أن كانت ظاهرة السفور والاختلاط هي السائدة أصبح الحال على نقيض ذلك تماماً فالحجاب وعدم الاختلاط بالرجال هو الشيء السائد لدى نساء القرية . فوجود الغرباء وانتشارهم في كل مكان أحسد الأسباب التي دعت الى انتشار هذه الظاهرة ، وأدت بالتالي الى عدم مشاركة المرأة بشكل كبير في النشاط الزراعي كما كان ذلك في السابق . وهو واحد من الأسباب التي دعت الى قيام الرجل بمهمة احضار الماء للمنزل وهناك سبب آخر يمكن أن يكون عاملاً مساعداً لانتشار هذه الظاهرة . وهو أن المرأة التي هاجرت من قبل الى المدن داخل المملكة العربية السعودية ، وجدت أنه لا بد أن تتكيف مع ظاهرة الحجاب في المدينة التي هاجرت اليها مع زوجها ، فاعتادت على الحجاب وأصبح ملازماً لها ، وعندما عادت الى القرية في الهجرة المرتدة ظلت هذه العادة ملازمة لها أيضاً ، وقد تأثر بها عدد من نساء القرية اللاتي لم يهاجرن مثلها ، وبالنظر الى كثرة عدد المهاجرات السائدات ، وجدت المرأة المقنعة نفسها أمام ضرورة التكيف مع هذه الظاهرة وتقليدها . وقد أصبح حالياً من غير المألوف أن يدخل أي رجل من القرية الى أي من منازلها حين لا يوجد به الا امرأة ، بل لقد أصبح الرجل والمرأة يتخرجان كثيراً من مثل هذا على الرغم من أن المرأة تحتفظ بحجابها أثناء أي لقاء عابر مع أي رجل كان غير المصارم الشرعيين .

أما بالنسبة للمرأة البدوية في بادية بنى كبير فقد تغيرت نظرتها الى الحجاب . فاستبدلت ظاهرة الحجاب بالسفور ، وهو عكس ما حدث في بنى كبير الحاضرة ، فبعد أن كانت المرأة في بادية بنى كبير تحافظ أشد المحافظة على أن يكون (اللثام) ملازماً لها أصبحت لا تهتم بذلك

كثيرا في الوقت الحاضر ، وقد كانت المرأة البدوية لا تنزع لثامها لبدأ حتى أمام زوجها ، فهي تأكل وتشرب وتعمل وتنام أيضا ، والثام الذي لا يظهر الا عينيها ، لا يفارقها . وقد كانت البدوية تفخر دائما بأنها لم تنزع لثامها مطلقا . الا عندما تريد تنظيفه واستبداله بآخر عندما تكون في خلوة لا يراها أحد . وتفخر بأنها منذ زواجها ، لم ير زوجها فمها على الرغم من مرور سنوات طويلة وانجاب عدة أطفال . وهو عكس ما أورده السويدي في دراسته ^(١) حيث أن اللثام هناك ظاهرة خاصة بالرجل .

وكانت المرأة البدوية تبدأ في تعلم وضع اللثام منذ سن السادسة من العمر - كما يقول الاخباريون - فتبدأ أمها تعلمها وضع اللثام حيث تعتاد بالتدريج على أن تأكل وتشرب وهي تضع اللثام على وجهها ، وما أن تكبر في السن حتى يصبح جزءا منها . وليست هناك فوارق بين البدويات في وضع اللثام أو حجمه أو لونه فهي على نمط واحد يرتدى بطريقة واحدة ولونه (أسود) وهو عبارة عن نوع من القماش الخفيف نسبيا طوله يتراوح بين متر ونصف المتر الى مترين وعرضه حوالي ٨٠ سم ، تلفه المرأة جيدا حول رأسها بحيث يستر شعرها كله وبالجزء المتبقى بد اتمام اللثام تستر فمها وأرنبية أنفها ، ويتدلى عرض القماش فوق صدرها ، ولا يشاهد من المرأة التي ترتدى اللثام الا الجزء الأسفل من جبهتها ، وبالتحديد من الحاجبين فما دون ، وتبقى عيناها والجزء الأعلى من الوجنتين ظاهر ، وعندما تريد أن تأكل أو تشرب تدخل اثناء الماء عند الشرب ، من أسفل الجزء المتدلى فوق الصدر حتى يصل الى فمها وكذلك تفعل عندما تأكل .

ويمكن أن نرجع سبب انتشار ظاهرة اللثام بين البدويات في مجتمع بني كبير . الى أن المرأة في البادية « هي العنصر الهام في النشاط

(١) راجع دراسة محمد عبد القادر السويدي . عن مجمع الطوارق . والتعليق عليها في الفصل الثاني .

الاقتصادى الرعوى ، والطقس فى البادية يميل الى الحرارة أكثر منه فى الحاضرة ، كما أن الرياح هناك مثيرة للاتربة نتيجة لوجود الأراضى المسهلية والرملية الجرداء ، والبدوية عرضة لهذه الاتربة وأكثر تعرضا للحرارة ، فاللثام ساعدها فى اتقاء هذه العوامل . ويمنع دخول الاتربة الى جوفها عن طريق الفم والأنف ، وسبب آخر يمكن أن نضيفه الى ما سبق ، وهو أن اللثام الذى يتخذ نمطا واحدا من الشكل والحجم واللون ، يساعد على اخفاء شخصية البدوية ، فالبادية كانت تكثر فيها عمليات النهب والسلب ، خاصة عندما تكون هناك عداوة بين وحدة وأخرى إما فى داخل القبيلة أو من خارجها ، فعندما يريد أحد نهب ماشية وحدة اجتماعية معينة أو ماشية شخص من هذه الوحدة . فانه لا يسهل عليه التعرف على الماشية التى يريد أن ينهبها ، نظرا لانه لم يتعرف على شخصية الراعية ولم يميز بينها وبين زميلاتها الأخريات ، وكان ذلك منذ القدم توارثته الأجيال فأصبح اللثام عادة وتقليدا .

ومع تقدم الزمن والاتصال بالخارج أى بالمجتمعات المجاورة . وانتشار طرق السيارات فى أراضى البادية . وهجرة المرأة البدوية الى المدن ، وعودتها الى مناطق البادية فى بعض المناسبات . وتعلمها قيادة السيارات لظروف اقتصادية كما أشرنا الى ذلك من قبل ، كل ذلك أثر على مفهوم اللثام أو قيمة اللثام عند المرأة البدوية . فأصبحت المرأة البدوية يمكن أن تتخلى عن اللثام فى أحيان كثيرة ، فتشاهد البدوية وهى تقود السيارة دون أن تضع اللثام على وجهها ، نتيجة لاحتكاكها بأخرين فى طرق السيارات ، اما لاصلاح عطل فى سيارتها أو لتزويدها ، بالوقود ، أو لايقافها للسؤال عن طريق ما . وهى فى ذلك تشاهد نساء أخريات لا يرتدين هذا اللثام ، بل يرتدين الملابس

المقصيرة ، وهن في داخل السيارات كاشفات الرؤوس في بعض الأحيان .
وتعرفت البدوية عن طريق السيارات أيضا الى النساء الاجنبيات من
خارج الوطن العربي ، وهن المرافقات لازواجهن الذين يعملون في مجالات
كثيرة ، واللاتى ليست لديهن أى قيم معينة تتعلق باللبس ، وكل ذلك
بطبيعة الحال ، جعل البدوية تراجع مفهومها عن اللثام وبالتالي لم تعد
تحرص عليه كثيرا . وخلال جولتى في مناطق البادية ، لاحظت أن البدوية
تريح اللثام عن وجهها طالما كانت بعيدة عن مضارب أهلها . ومتى اقتربت
من هذه المضارب أعادت اللثام على وجهها .

ولعلها في ذلك تريد أن تحافظ على شعور الأهل ، وتفهمهم بأنها
لم تسقط القيمة الاجتماعية للثام بعد ، وهى بذلك تمارس سلوكا متناقضا
مع المفهوم السائد ، فهى سافرة أمام الأعراب متحجبة أمام الأهل .
وبالنسبة للعلاقات الاجتماعية ، في البادية بصفة عامة ، فانها لم تعد
بنفس القدر من القوة التى كانت عليها ، وذلك منذ انتشار طرق
السيارات في أراضيهم ، هذه الطرق أدت الى رحيل عدد من الوحدات
الاجتماعية الى مناطق أخرى داخل أرض القبيلة ، ساعدها في ذلك وجود
السيارات التى تنقل المتاع والماشية ، وأصبح البدوى يمكن أن يقيم
مخيمة فيمنطقة ليست بها مياه لشرب الماشية ، ويحضر هذه المياه في أماكن
بعيدة بواسطة السيارة . هذا التفرق في المكان بين الوحدات الاجتماعية
في البادية والاستقلال بمناطق الرعى والسكن . أدى الى فتور في
العلاقات بالاضافة الى هجرة اعداد كبيرة منهم الى المدن ، وهجرهم
لمهنة الرعى ، واعتمادهم على الوظائف وخاصة في القطاعات العسكرية .

ولا يعنى ذلك أن ظاهرة السفور منتشرة كليا في مجتمع البادية ،
بل أنه لايزال هناك البعض ممن يحافظون على اللثام ولا تزال له قيمة
اجتماعية ونلاحظ في المدن كثيرا من البدويات يسرن في الشوارع الرئيسية
يرتدين (البرقع) وهو عبارة عن لثام مطور لا يكشف الا العينين ،
ويوجد به رباط يربط بين الجزء العلوى والسفلى مروراً بالأنف . وقد

بدأ الكثير من النساء في المدن في تقليد البدويات ، وانتشرت ظاهرة « البراقع » بين نساء المدن في الوقت الحاضر .

وبالنسبة لسكان بني كبير الحاضرة ، فقد حاول كبار السن في قرية العبادل مثلا ، بعد أن لاحظوا التفكك الذي أصاب العلاقات الاجتماعية نتيجة لكل العوامل والظروف الطارئة على المنطقة والتي أشرنا إليها في أماكن متفرقة . حاولوا أن يحافظوا على أقل قدر ممكن من هذه العلاقات بين الأفراد والوحدات الاجتماعية داخل القرية . بعد أن بدأت المشكلات والخلافات تنتشر بين السكان وبدأ كل منهم عندما تقع خصومة على أرض أو في أي شيء آخر ، يتجه الى مراكز الشرطة في المنطقة لتقضى على أسباب الخلاف ، وهي الوظيفة التي كان يمارسها مجلس القبيلة وشيوخها وكبار السن في القرى ، فأراد هؤلاء احياء وظيفة كبار السن في القرية عن طريق تشكيل مجلس للقرية يتكون من أربعة أشخاص كل منهم يمثل (لحمة من اللحم الأربع التي تشكل القرية) ويسمونهم (أربعة الجماعة) ووظيفة هؤلاء الأربعة التدخل فورا في كل مشكلة تطرأ والبحث عن حل مناسب لها ، قبل أن يصل الأمر الى السلطات الرسمية ، فهم يرون أن هذه المشكلات لا بد أن تحل داخل القرية حفاظا على سمعتها ، وحتى لا يقول الآخرون ، بأن المشكلات كثيرة في قرية العبادل . والجماعة لم يتدخلوا لحلها ، وذلك عندما يشاهدون أحدا من قرية العبادل يشكو أحد أفراد القرية الى هذه السلطات ، وكانت طريقتهم تتلخص في أن الأربعة يجتمعون في أحد (مجالس القرية) وغالبا ما يكون هذا المجلس لأحدهم ، ثم يبحثون أسباب الخلاف ، ويستمعون لوجهتي نظر الطرفين في النزاع ، فان كانت أسباب هذا النزاع تعود الى الخلاف حول ملكية أرض أو منزل . فهم أعرف الناس

بحدود الأرض ولمن تؤول ملكيتها ، وبحكم معرفتهم هذه يتم فصل النزاع بين الطرفين ، فان لم يقبل أحد الأطراف بحكم أربعة الجماعة ، يقررون الذهاب الى مراكز الشرطة والمحاكم الشرعية للشهادة بما لديهم ضد الطرف الاخر الذي لم يقبل بصلح هؤلاء الأربعة ، وغالبا ما يكون هو المعتدى ، كان يحاول التوسع في رقعة زراعية أو ليضم (السبل) وهو الطريق العام أو الطريق المؤدى الى أراضي زراعية أخرى لارضه الزراعية الخاصة ، فعندما يعلم هذا بأن أربعة الجماعة سيقفون ضده ، يتراجع عن الشكوى ويكف عن الاعتداء . ونقيس على ذلك كل الأمور الاخرى التي لا بد أن يكون فيها طرف معتدى وطرف معتدى عليه ، هذه الطريقة أدت الى حل المشكلات داخليا . والى قلة في الشكاوى الى السلطات الرسمية . مما يوفر ، وقت الأطراف المتخاصمة ، ووقت الجهات الرسمية أيضا . .

العلاقات مع المجتمعات المجاورة :

بالنسبة للعلاقات مع المجتمعات القبلية المجاورة ، فلقد كانت العلاقة في السابق تتمثل في العلاقة بين القوى والضعيف . ودائما يكون الطرف الضعيف هو الخاسر ، فعندما كانت الحروب القبلية قائمة ، فان القبيلة المنتصرة تملئ شروطها على المهزومة ، وتبيح لنفسها استغلال مواردها الاقتصادية ومنها الرعى في حماها والاستفادة من أشجارها وزروعها الى غير ذلك . اما في حالة تعادل القوى لدى القبائل المتحاربة ، بمعنى أن تخرج هذه القبائل من الحروب بخسائر متعادلة أو عندما لا تتمكن احداها من السيطرة على الأخرى ، أو عندما لا تقع الحرب لسبب أن كل قبيلة تخشى الاخرى وتعتقد بقوتها وشجاعة المحاربين فيها ، فانه كانت تقوم بين مثل هذه القبائل (أحلاف) أو ما يمكن أن نسميه بحالة هدنة أو سلام . هذه الاحلاف أو معاهدات السلام . كان كل فرد من أفراد القبيلتين الحليفتين يحاول جاهدة أن يحترم نصوص الحلف ، وعندما يقع خطأ من أحدهم ، فان الأمر يسوى بسرعة

ويعدل الخطأ وذلك حتى لا تنتشب الحرب بين القبيلتين فتؤدى الى الهلاك - وقد سجل الاخباريون حروبا عدة وقعت بين بنى كبير وقبائل مجاورة وخاصة بنى ظبيان تعود أسبابها الى « انتهاك لحمى أى من القبيلتين » . . وأدت هذه الحروب أو الاحلاف التى تتم بالطرق السلمية أن تشترك قبيلة مع أخرى فى حماها . ومنها على سبيل المثال اشتراك قبيلة بنى كبير مع (قبيلة الرهوة) تقع أراضيها فى الناحية الجنوبية والجنوبية الغربية بالنسبة لأراضى بنى كبير . فى حمى آل الرهوة المسمى (فروش الطلح) وظل ذلك الاشتراك قائما لمدة طويلة ، وعندما دخلت المنطقة كلها فى الحكم السعودى ، حاولت قبيلة الرهوة حرمان بنى كبير من المشاركة فى هذا الحمى ، اعتمادا على أنه لم يعد فى استطاعة قبيلة بنى كبير اعلان الحرب عليهم ، نظرا لوجود أجهزة حكومية ستمنع بنى كبير من القيام بعمل عدائى ضد آل الرهوة ، وقد حدثت مناقشات بسيطة بين الطرفين لم تصل الى حالة الحرب ، مما حدا بالسلطات الحكومية الى التدخل للتعرف على أسباب النزاع ، حيث كتب أمير المنطقة الذى كان مقره الرسمى فى (قرية الظفير) المجاورة للباحة . شرحا مفصلا الى الملك عبد العزيز آل سعود الذى أصدر أمره برقم ٢٣٥٧ وتاريخ ١٣٦٢ هـ - ١٩٤٢ م الذى يقضى باشتراك القبيلتين فى هذا الحمى . وبناء على هذا الأمر فقد استدعى أمير المنطقة شيخ آل الرهوة وعددا من وجهائهم ، وأخذ عليهم اقرارا بموافقتهم وقناعتهم بمشاركة بنى كبير لهم فى هذا الحمى ، بعد أن كانوا قد أعلنوا عدم القناعة بذلك ، وفى نفس الوقت استدعى شيخ قبيلة بنى كبير وبعض وجهائها أيضا واحاطهم علما بأمر الملك ، وأخذ عليهم التعهد اللازم بمسؤوليتهم عما يحدث من أى فرد من أفراد القبيلة يؤدى الى توتر العلاقات بين القبيلتين . وأشهد عليهم أمير الظفير (أى على آل الرهوة

وبنى كبير) بعض مشايخ القبائل في غامد ، حيث ورد في الاتفاقية توقيع شيخ قبيلة بني عبد الله وشيخ قبيلة المخواة وكذا عريف الباحة .
(انظر النص في الملاحق) .

وهكذا نلاحظ أن العلاقات بين القبائل المتجاورة قد بدأت الحكومة المركزية في تنظيمها والاشراف عليها بالسيطرة على شيخ القبيلة ووجهائها وأخذ التعهدات اللازمة بمسؤولياتهم عن تصرفات الأفراد .
وهكذا نلاحظ أن الجانب التنظيمي الرسمي بدأ يحكم العلاقات بين الأفراد فالسلطة هي الملجأ الوحيد لحل الخلافات بين الأفراد اذا لم يستطع (مجلس القرية) بسلطته الضعيفة السيطرة عليها وايجاد الحلول المناسبة لها . وكذا تولت هذه السلطة تنظيم العلاقات بين القبائل فتحولت من علاقات مصدرها القوة أو الضعف الى علاقات تحكمها الدولة وتسيطر عليها تحقيقا للمصلحة العامة للأطراف المختلفة .

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الخاتمة

أولا الشعور بالأمن

ثانيا : البترول والهجرة

ثالثا : التكنولوجيا الحديثة

رابعا : العلاقات الاجتماعية

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

(الخاتمة)

البناء القبلي والتحضر في المملكة العربية السعودية ، هذا الموضوع باختصار يعنى . دراسة البناء القبلي بكل جوانبه وأثر التحضر والهجرة الى المدن على هذا البناء ، اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا ، وثقافيا وتربويا . وأود أن أسجل اعترافى بالتقصير في لقاء الضوء بما فيه الكفاية على بعض الجوانب في هذه الدراسة ، واغفال جوانب أخرى ، قد لا تخفى على البعض من المتخصصين في الدراسات الانثروبولوجية والاجتماعية ، وذلك لعدة أسباب أذكر منها ، أن هذا النوع من الدراسات الانثروبولوجية غاية في التشعب وتعدد الجوانب . ولا يكفي أن يقوم به باحث واحد . وأن يجمع في دراسة واحدة . بل أنه يتطلب وجود عدد من الباحثين يقومون بدراسات متعددة لهذه الجوانب وتتولاها جهة متخصصة معينة بهذا النوع من الدراسات .

والسبب الثانى قلة المصادر في هذا النوع من الدراسة ، وأعنى بها دراسة البناء القبلي ، وان وجدت رغم قلتها فهى تختلف اختلافا كبيرا من حيث المنهج والهدف الذى قامت من أجله تلك الدراسات عن واقع القبيلة في المملكة العربية السعودية وبالتحديد في بنى كبير ، من ذلك مثلا أن المفهوم السائد عن القبيلة في نظر من قاموا بتلك الدراسات أن كل قبيلة (بدوية) وقد يصدق ذلك على القبائل الذين قاموا بدراساتهم فيها ، لكن الواقع هنا خلاف ذلك تماما ، فقد رأينا في حصول هذه الدراسة بأن قبيلة بنى كبير تجمع بين النمط الريفي والبدوي في آن واحد ، ليس فقد بقسميها الحاضرة والبادية . فقد وجدنا أن سكان الحاضرة يمارسون مهنة الزراعة والصناعة والرعى ، وفى الأسرة الواحدة توجد هذه الأنماط الثلاثة من النشاط الاقتصادي .

والسبب الثالث : أن هذه الدراسة هي الأولى من نوعها في قبيلة بنى كبير بل تؤكد أنه لم تقم في بنى كبير أية دراسة من أى نوع ولاى

هدف قبل هذه الدراسة . وهذا هو مصدر الصعوبة فيها . ذلك أننى بدأت بشئ، جديد على سكان المنطقة هو البحث والسؤال والملاحظة وجمع المعلومات والصور والوثائق ومقابلة كبار السن . مما أثار لدى الكثير منهم تساؤلات عدة ، وجعل بعض من تطوع منهم بمساعدتى نتيجة لعلاقتى الخاصة بهم يتعاملون معى بحذر شديد ، ويتردد البعض منهم كثيرا قبل اطلاقى على ما لديه من وثائق قديمة أو معلومات تفيدنى فى مجال الدراسة .

هذه الأسباب مجتمعة بالاضافة للى أسباب أخرى هى فى نظرى خلف التقصير الذى لثرت اليه .

ونستعرض من الصفحات التالية نتائج هذه الدراسة :

أولا : فى رأى أن من أبرز النتائج الايجابية فى المجتمعات القبلية كنتيجة أولى للتحضر هو (الشعور بالأمن) وارتفاع قيمة الانسان الاجتماعية . وأعتقد أن المعيار الشامل الذى يمكن أن يقاس به المجتمع المتحضر أو التقدم الحضارى هو معيار يتعلق بالشعور بالأمن — بغض النظر عن الجوانب الاخرى التى يمكن أن تكون معايير أخرى لقياس التقدم الحضارى . فما يعنينا هنا هو (الأمن) والشعور بهذا الأمن له معنى واسع وكبير ، والمجتمع المتقدم حضاريا هو ذلك « الذى يوفر أوسع مشاعر الامن للغالبية العظمى من المواطنين » وقد ارتبطت ظاهرة السلطة ومن ثم الدولة فى المجتمعات الانسانية منذ القدم ، بالمقدرة على تحقيق الشعور بالأمن لدى الناس ففى الماضى كان الناس يخافون من مخاطر الطبيعة وكواسر الحيوانات والتعرض للمجاعات ، وكان سعيهم ينحصر فى تحقيق الشعور بالأمن لمواجهة ما تواجهه تلك المخاوف من شعور بانعدام الأمن .

وفى مسيرة الانسانية الطويلة كانت مصادر الخوف متنوع وتعدد . وكانت حاجة الانسان الى الأمن قائمة متجددة ، وكان المبرر الأساسى لوجود السلطة المتمثلة فى الدولة . هو اشباع ذلك الشعور وتحقيقه لدى الغالبية العظمى من الناس .

فبقدر ما تتسع مساحة الشعور بالأمن ويقابلها ضيق في مساحة الشعور بالخوف ، بقدر ما يتحقق التقدم الحضارى في أى مجتمع من المجتمعات .

والحاجة الى الأمن في عصرنا الحاضر متعددة الصور والجوانب ، فالانسان في حاجة الى أن يشعر بالأمن على نفسه وماله وولده ، ويشعر بالأمن في توفر لقمة العيش وتوفير مستوى اقتصادى معين ، وفي حاجة الى أن يشعر بالأمن فى صحته بتوفير الرعاية الطبية كما هو في حاجة الى الحرية والتعبير عن آرائه بصورة لا تفسد على المجتمع هدوءه واستقراره .

فاذا أمن الانسان على نفسه وماله فانه في حاجة الى أن يأمن على صحته بوجود سرير في مستشفى اذا دامه المرض والا اختل معيار التقدم الحضارى ، وكذلك الحال اذا توفر له الأمن في صحته ولم يتوفر له الأمن في مواجهة البطالة والعوز ، وهكذا مع نسبة الامور ، وتعدد درجاتها . وقد تحقق الأمن في المجتمع القبلى للأسباب التالية :

(١) قيام الدولة السعودية :

كان مجتمع قبيلة بنى كبير يعيش حالة من التأهب للقتال مع القبائل المجاورة . وكانت غارات السلب والنهب هى طبيعة المجتمعات القبلية ، وذلك نتيجة للظروف الطبيعية التى تعيشها هذه المجتمعات . فلم تكن تلك الحروب والغارات غاية في حد ذاتها . ولكنها كانت وسيلة لتحقيق غاية أخرى وهى الشعور بالأمن الاقتصادى لدى القبائل المتصاربة ، فمعظم الحروب القبلية كانت تنشب من أجل المراعى والحمى والأراضى ، لان هذه كانت هى المصادر الأولى للقمة العيش فالدفاع عنها هو دفاع من أجل البقاء والاستمرار ، والتفريط فيها معناه الموت والاندثار . وقد رأينا في هذه الدراسة أن الفرد يكتسب مكانته الاجتماعية إما بقدرته على القتال ، واما لانتمائه الى أسرة يكثر عدد المحاربين فيها ، وقد

سجلنا أيضا ظاهرة كانت تسود في المجتمعات القبلية ، وهي أنه في حالة طلب الثأر من طرف آخر ، فإن القبيلة أو شيخ القبيلة كان يختار شخصا ليست له مكانة اجتماعية هامة يقدمه نياية عن الجانى الأصلي لتقتص منه القبيلة الاخرى أو الطرف الآخر لقاء ذنب لم يرتكبه ، وسجلنا أيضا حادثة (الفقيه) الذى رفضت الوحدة الاجتماعية الثأرية أن تقتص ثأرها بهذا الفقيه . على اعتبار أنه لا يمثل مكانة اجتماعية هامة . وهذه أمور قبلية تسقط مكانة الانسان وقيمتها الاجتماعية كإنسان ، بصرف النظر عن دوره الذى يقوم به في المجتمع .

إذا فقيام الدولة السعودية بأنظمتها الحديثة المتعددة ، قد أوجد الأثر البالغ على البناء القبلى التقليدى في المجتمع العربى السعودى فقد كانت القبيلة تتولى رعاية الأفراد . وتدير شؤونهم وتعلمهم فنون القتال والحرب ، ويتلقون فيها التربية ومنها يكتسبون الثقافة العامة . الخ وتولت الدولة الحديثة كل ذلك نيابة عن القبيلة بما كان له أبلغ أثر على القبيلة وانعكس بالتالى على كل أنماط الحياة فيها .

فقتلشت سلطات شيخ القبيلة ولم يعد يستطيع اعطاء أوامر بالحرب أو الغارات على القبائل المجاورة . ولم يعد بمقدوره أن يقدم البديل عن الجانى الحقيقى لينفذ فيه القصاص بغير وجه حق . ولم يعد هو المسؤول عن تأمين أو حماية الموارد الاقتصادية للقبيلة . كما أن القبيلة لم تعد مستقلة اقتصاديا ، بل أصبحت ترتبط اقتصاديا مع المجتمع الكبير في كل أوجه هذا النشاط .

وتحملت الدولة أيضا مسؤولية التربية والتعليم ، وتوفير المستوصفات والمستشفيات التى خففت الى درجة كبيرة الاعتماد على (الطب الشعبى) .

وأهم من كل هذا . وفرت الأمن والاستقرار والهدوء للمواطن بواسطة أجهزة الضبط الجماعى الحديثة ، كالشرطة والامارة والمحكمة

والدوريات التي يقوم بها رجال الأمن . فأصبح بإمكان الفرد أن يتجول في القبيلة أو حتى في أرض قبيلة أخرى دون أن يخاف الموت أو يخشى الارهاب . ذلك أن الدولة بأجهزتها المختلفة تستطيع الوصول الى أى فرد وتطبق العقوبة عليه . اذا اقترب جرما يستحق هذه العقوبة ، فحققت بذلك الأمن وحفظت للانسان قيمته الاجتماعية .

(ب) التعليم :

من غير شك فان الامية التي كانت متفشية بشكل واسع وكبير في المجتمع القبلي ، كانت وراء عدم الشعور بالأمن ، فالجاهل لا يقدر العواقب الوخيمة للسلوك العدوانى ، وليست لديه أدنى معرفة بالقيمة الاجتماعية للانسان ، وكل الذى يعرفه أن الهجوم خير وسيلة للدفاع . والمثل الشائع (تغد بخصمك قبل أن يتعشى بك) وبما أن وجبة الغداء تسبق العشاء ، فان معنى ذلك الاجهاز على الخصم من قبلك . قبل أن تتاح له فرصة فيجهز عليك .

وعند قيام الدولة السعودية انتهجت سياسة تعميم التعليم في كل مكان، ايماناً منها بأن التعليم سوف يقضى على كثير من العادات الضارة ، ولم تكف بتعليم الذكور ، بل افتتحت العديد من مدارس البنات ، وكذا مدارس محو الامية لكبار السن من الذكور والاناث . وعندما بدأ التوسع في التعليم بدأت الامية في التراجع ، وبالتالي أصبح الشخص المتعلم ، يراجع كل سلوك من حيث أسبابه وخلفياته قبل أن يقدم عليه . وتغيرت النظرة من - تغد بخصمك - الى (ادفع بالتي هي أحسن) وبالتالي فان أسس التربية والثقافة ، قد تغيرت تغيراً جذرياً فالام المتعلمة تستطيع أن تحسن تربية أبنائها . وتعلمهم وترشدهم الى طرق الخير وتحذرهم من طرق الشر وأسبابه ، ثم تأتى المدرسة بعد ذلك لتكمل أسس التربية التي تلقاها الطفل في سنى عمره الاولى ، وهكذا خلق التعليم جيلاً جديداً يحافظ على الامن ويقدر القيمة الاجتماعية للانسان .

ثانيا : للبترول والهجرة :

في أول عهد المنطقة بالحكم السعودي ، كانت الحالة الاقتصادية للدولة لا تفي باحتياجاتها للصرف على المؤسسات الحكومية التي قامت من أجل خدمة المواطن ، ولذا فقد كانت الدولة تفرض على القبائل ضرائب مميّنة حتى تسد النقص الحاصل في مواجهة تلك المصروفات . فكانت تكلف شيخ القبيلة عن طريق مركز الامارة في الظفير بأن يجمع هذه الضرائب من أفراد القبيلة ، كما هو مبين في الايصال رقم ٥٦٠ جلد / ١٥ / ١ / ٣٥٥ / ١٩٣٥ م الذي يحتوى على مبلغ « ٢٧٢٨٠ » قرشا سعوديا للمالية الحكومة العربية الحجازية . هو المبلغ الذي يمثل ما كان يسمى بالجهد والخدمة ويؤول الى خزينة الدولة (انظر الملاحق) .

وما أن تم العثور على الثروة النفطية في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية ، حتى توقف جمع ضرائب الجهد والخدمة . وبدأت الدولة تصرف من عائدات النفط على هذه المؤسسات الحكومية ، ومع مرور الزمن تطورت المشروعات الحكومية ، فزاد عدد المدارس لمختلف المراحل التعليمية ، وكذا أعداد المستوصفات والمستشفيات ، وانتشرت طرق المواصلات ووسائل الاتصال الحديثة . وارتفع المستوى الاقتصادي للأفراد نتيجة لهجرة أعداد كبيرة من أفراد القبيلة الى منابع النفط للعمل هناك ، حيث كان هؤلاء يحصلون على دخل مرتفع ، وقد كان لاكتشاف البترول مجموعة من الآثار على البناء القبلي ، منها التفريغ شبه الكامل لسكان قرى بني كبير وخاصة من فئة الشباب والذين بدأوا بعد ذلك في اصطحاب زوجاتهم وأطفالهم الى أماكن العمل ، وهذا الامر أدى الى شبه توقف لكثير من الانشطة الاقتصادية التي كانت قائمة في القبيلة فهؤلاء الشباب وزوجاتهم وأطفالهم كان لكل منهم دوره في النشاط الاقتصادي ، وعند سفرهم وعدم وجود الايدي العاملة البديلة . أدى الى توقف العمل في النشاط الزراعي والرعي والاستغال

بالصوف ، توقفا تدريجيا . ففى بداية الهجرة لم يتأثر هذا النشاط كثيرا بسبب وجود من كان يقوم بدور المهاجر عندما يغادر المنطقة كالأب والام والزوجة أو حتى الاطفال الكبار ، لكن عندما تقدمت السن بكل من الاب والام ، والتحتت الزوجة بزوجهما فى مكان هجرته ، وفى نفس الوقت التحق الطفل أو الاطفال بالمدارس ، لم تعد هناك مقدرة لمثل هذه الاسرة على أن تزاوّل أعمالها الزراعية ، واكتفت الام بصناعة الصوف فى القرية وعلى نطاق ضيق ، ولم تستطع الاستمرار فى مزاولة هذه المهنة مع تقدم السن بها .

إذا فعامل الهجرة كان السبب المباشر خلف توقف الكثير من الاسر عن ممارسة النشاط الزراعى وخلافه ، فى نفس الوقت الذى تدفقت فيه الاموال من عدد من المهاجرين الى ذويهم فى القرية فأدى ذلك الى ظهور أنماط اقتصادية جديدة كالتجارة بمختلف أنواعها ، وفتح المطاعم والمقاهى وخلافها ، وبناء المنازل الحديثة فى الاطراف البعيدة من المنطقة اما لغرض تأجيرها لآخرين . واما للانتقال اليها من المساكن القديمة التى لم تعد ملائمة للمهاجرين وعائلاتهم عندما يعودون من مناطق الهجرة ، فأدى ذلك الى مزيد من التفريغ لسكان القرية القديمة وانتقالهم الى هذه الدور الحديثة .

ونظرا لما تقدم ، فقد لوحظ ظهور عدد من الاسر الفقيرة ، وهى تلك التى ليس لها أبناء هاجروا خارج المنطقة من أجل العمل ، والتى توقفت عن النشاط الزراعى لاختفاء كثير من مقوماته ، كالثور الذى بدأ ثمنه فى الارتفاع ، بسبب عدم اقبال السكان على تربية الماشية ومع مرور الزمن بدأت اعداد الثيران تقل بسبب تعرضها للذبح وقبال الناس على أكل لحومها عوضا عن الأغنام التى ارتفعت أسعارها كثيرا . بالإضافة الى تعرض كثير من الابار الزراعية للجفاف أو للدمار ، بسبب اهمال الشركاء فيها ، وعدم اقبالهم على مباشرتها والعناية بها برفع ما يتكوم فيها من أحجار وأتربة كما كانوا يفعلون فى السابق ،

كما أن الحبوب التي تنتج محليا ليست في مستوى الحبوب المستوردة من خارج المملكة من حيث النظافة ، فالمنتجة محليا يوجد بها بعض الاتربة وبعض الاحجار الصغيرة بسبب أن تصفيتها عند الدرس تتم بطرق بدائية . كما توقفت بعض الاسر التي كانت تمارس مهنة الرعى عن هذا النشاط أيضا : نظرا لان الفتاة التحقت بالمدرسة ولم تعد تسرح بهاغنامها الى المراعى كما كانت تفعل في السابق . كما أن مناطق الرعى نفسها لم تعد صالحة كما كانت من قبل بسبب اهمالها أيضا . فقد كانوا في السابق يمنعون أية ماشية أخرى من غير مواشى سكان القرية أو البدنة من الدخول الى مناطق الرعى وهى تلك التى فيها الاعشاب والاشجار التى يسمونها (الحمى) وأدى اهمالهم فى حمايتها الى أن بدأت مواشى الغير تغزوها باعداد كثيرة أدت الى نفاذ تلك المراعى وبالتالي استغناء هذه الاسر عن قطعانها . وارتبط توقف النشاط الزراعى ، والتوقف عن بناء المنازل بالطريقة القديمة التى تتكون من عنصرين رئيسيين الاحجار والاختشاب الى توقف نشاط صناع الحديد فهم كانوا يصنعون الادوات التى تستخدم فى الزراعة أو الأدوات التى تستخدم فى بناء المنازل - كما أوضحنا من قبل - وتوقف العمل فى هذين المجالين أدى الى توقف مصادر دخل هذه الفئة . حيث أن الطلب لم يعد قائما فاختلفى العرض . وقد هاجر من المنطقة عدد من صناع الحديد الى مناطق أخرى بحثا عن العمل ، بينما حاولت فئة أخرى أن تعمل فى مجال جديد يتناسب مع امكاناتها ،فأنشأ البعض أماكن خاصة لصناعة أبواب الحديد والشبابيك ، كما استغل قسم آخر بالعمل فى اصلاح السيارات وخاصة فى مجال عمل صناديق لسيارات النقل أو ماشابه ذلك .

وبالنسبة لفئة (صانعى الفخار) فقد هاجر قسم منهم . بينما بقى

القسم الاخر يمارس هذه المهنة ، ولكن إقدام الناس على استخدام الالنية الحديثة للطعام واستغنائهم عن تلك الالنية المصنوعة من الفخار أدى الى توقف شبه تام فى نشاط هذه الفئة . وبالتالي الى تدهور المستوى الاقتصاى بالنسبة للبعض منها . وقد بدأت الدولة فى معالجة هذه الظاهرة بعدة طرق هى :

الضمان الاجتماعى :

هذه العوامل مجتمعة هى التى أدت الى وجود ظاهرة الاسر الفقيرة وكان على الدولة اما أن تترك هذه الاسر فترداد القاعدة فقرا واما أن تقدم لها مساعدات مالية تعينها على تحمل أعباء الحياة .

فأنشأت فرعا « للضمان الاجتماعى » فى المنطقة ويتبع لوزارة العمل والشؤون الاجتماعية وبدأ نشاط هذا الفرع فى عام ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م حيث كان يعطى مساعدات مالية سنوية للاسر الفقيرة فى المنطقة ، وفى عام ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م كان عدد الاسر المستفيدة من الضمان الاجتماعى فى قرية العبادل « خمس أسر » فقط . « تعرفنا الى هذه الاسر بالاسم عن طريق الاخباريين » وفى عام ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م . وصل عدد الاسر المستفيدة من الضمان الاجتماعى فى سكان قرية العبادل الى (عشرين أسرة) بسبب تسابق السكان الى الحصول على أموال من الدولة سواء كانوا فى حاجة اليها أم لا . وبسبب عدم الدقة والضبط والتحرى عن هذه الاسر من قبل القائمين على الضمان الاجتماعى .

وهذا بطبيعة الحال أدى الى أن تترك معظم الاسر التى كانت تمارس على نطاق ضيق أى نوع من أنواع النشاط الاقتصاى نشاطها . ذلك أن المساعدات المضمونة التى يقدمها الضمان الاجتماعى كل ستة شهور أفضل من المحصول الذى يجنونه من هذا النشاط بعد جهد ومشقة ، والاعتماد على مساعدات الدولة وهجر العمل الزراعى ضرب من « التخلف الذى تعيشه المنطقة » فالاعتماد على هذه المساعدات فى

شراء الحبوب والخضراوات المستوردة أو التي يزرعها آخرون واهمال الأرض الزراعية ، لا يمكن أن يكون ظاهرة تنم عن تقدم أو تحضر بل على العكس من ذلك تماما .

اعانة المزارع :

يبدو أن الدولة لاحظت اهمال المزارع لارضه الزراعية ، وانصرافه الى نشاط آخر واعتماده كلية على ما تستورده الدولة من حبوب وخضراوات وفواكه ، فحاولت العودة بالمزارع الى هذا النشاط الهام . فبدأت بإنشاء مكاتب زراعية تتولى ارشاد المزارع وتقديم خدماتها اليه، ومساعدته باستخدام المبيدات الحديثة في القضاء على الافات الزراعية، وأنشأت الدولة معهدا زراعيًا في المنطقة ليلتحق به الشباب من أبناء المنطقة يتعلمون فيه أحدث الوسائل في الزراعة وتثونها المختلفة وكان ذلك في عام ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م حتى يقدمون خدماتهم بعد تخرجهم لمنطقتهم ، ويبدو أن الاقبال عليه كان خلاف ما توقعه أصحاب هذه الفكرة ، فأغلق ابوابه بعد خمس سنوات فقط من انشائه . وبدأت الدولة التفكير في طرق أخرى منها . تقديم كل أصناف البذور والسماد الكيماوى الى المزارعين بأسعار رمزية ، وقدمت لكل مزارع مساعدة مالية ترتفع أو تقل حسب ارتفاع كمية المحصول أو انخفاضها ، وركزت هذه المساعدات على أصناف الحبوب رغبة منها في توفير الحبوب المحلية والاعلاف . وخصصت مكافأة مالية لكل مزارع قدرها « خمس قروش » لكل كيلو جرام من الحبوب ، وعلى الرغم من ذلك فان المزارعين في المنطقة لم يهتموا كثيرا بهذه الفكرة - بسبب تحسن المستوى الاقتصادى لديهم من مصادر دخل أخرى ، أو بسبب اعتماد البعض على مساعدات الضمان الاجتماعى كما أن الاراضى الزراعية لم تعد في حالة تؤهلها للانتاج الجيد بسبب الاهمال لفترة طويلة مما أفقدها أو ضعف تربتها الجيدة التي كانت صالحة للزراعة .

اعانة الماشية :

كانت المنطقة وحتى ما يقرب من عشر سنوات أى فى عام ١٣٩٠ هـ
١٩٧٠ م تصدر أعدادا كبيرة من الماشية الى مدن المملكة ، حيث كانت
تكثر بها قطعان الابل والبقر والاعنام ، تفيض عن حاجة السوق المحلى
لكن الذى حدث أنه بعد عائدات البترول الكبيرة واشتغال السكان
بالنشاط التجارى أو التحاقهم بوظائف الدولة بالاضافة الى الاثر الكبير
الذى تركته أعداد الهجرة الكثيرة الى خارج المنطقة . وخاصة من
سكان البادية الذين كانوا المصدر الرئيسى الاول للماشية . فقد بدأت
أعداد الماشية تقل تدريجيا ، وبدأت أسعارها فى الارتفاع المفاجئ .
فاذا ألقينا نظرة على أسعار اللحوم قبل عام ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م
لوجدنا أن سعر الكيلو الواحد من اللحوم على الشكل التالى : ٦ ريالات
سعودى ثمن الكيلو جرام الواحد من الأغنام ، ٥ ريالات ثمن الكيلو
جرام الواحد من البقر ، ٤ ريالات ثمن الكيلو جرام الواحد من الابل .
ثم تضاعفت هذه الأرقام فى عام ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م لتصبح على
التوالى ١٢ ريالا ، ١٠ ريالات ، ٨ ريالات . فى حين كانت للحوم المطروحة
فى الأسواق من الماشية المحلية .

وبعد ذلك لسنوات قليلة تضاعفت الأرقام لتصبح ٢٤ ، ٢٠ ، ١٦
ريالا . فتدخلت الدولة بفرض تسعيرة جبرية للحوم ، وبدأت فى
استيراد أصناف الماشية من الخارج ، وكذا استيراد اللحوم المجمدة .
أو المذبوحة فى نفس اليوم وتنقل بالطائرات من تركيا والسودان .
حتى استقر الثمن على ١٨ ريالا بالنسبة للأغنام ، و ١٦ ريالا للبقر ،
١٤ ريالا للابل ، وذلك فى عام ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م . أما فى شهر شوال
عام ١٤٠٠ هـ - سبتمبر عام ١٩٨٠ ، فكان سعر اللحوم على التوالى :
٢٠ ، ١٨ ، ١٦ ريالا للكيلو جرام الواحد . وقد بدأ السكان
يعتمدون على لحوم الدجاج والأسماك منذ عام ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م
بشكل كبير ، عندما لاحظوا الارتفاع الكبير فى أسعار اللحوم ولا بد

أن نشير الى أن اعداد الحجاج الكبيرة التي تفد الى الأراضى المقدسة فى كل عام ، كان أحد العوامل الهامة التى ساعدت على ارتفاع أسعار الماشية ، حيث يستهلك الحجاج فى أيام الحج فقط أكثر من نصف مليون رأس من الماشية ، وهى الاضاحى التى تذبح فى منى فى أول وثانى وثالث أيام العيد .

ولم يكن ذلك بالنسبة لبنى كبير وحدها ، بل عم أرجاء المملكة ، حتى أصبحت المملكة العربية السعودية تستورد ما تحتاجه للاستهلاك المحلى من لحوم الماشية من الخارج ، بعد أن كانت دولة مصدرة . ونتيجة لتقلص أعداد الماشية بمختلف أنواعها فقد بدأت الدولة فى تقديم معونات لرعاة الماشية حيث تقرر أن تدفع الدولة اعانة على كل رأس من الماشية على الشكل التالى :

- ١ - الابل : ٨٠ ريالاً عن كل رأس فى العام اذا تجاوز عدد الابل ٤٠ رأساً .
- ٢ - الأبقار : ٦٠ ريالاً عن كل رأس فى العام اذا تجاوز عدد الأبقار ٥٠ رأساً .
- ٣ - الأغنام : ٣٠ ريالاً عن كل رأس فى العام اذا تجاوز عدد الأغنام ١٠٠ رأس (١) .

وبهذه الطريقة عادت بعض الاسر فى بنى كبير البادية الى الاهتمام بتربية الماشية، وبقيت بعض الاسر التى كانت تهتم بالرعى وقربية الماشية متمسكة بهذه المهنة ، لأنها تحقق لها عائداً اقتصادياً ممتازاً ، فبالإضافة الى الاعانة ، فان هناك ارتفاعاً كبيراً فى أسعار الماشية .

(١) الأرقام المتعلقة باعانة الحبوب والماشية حصلنا عليها من المكتب الزراعى فى (الباحة) مع ملاحظة أن اعانة الأبقار خاصة ليست موجودة فى المنطقة لعدم وجود قطعان كبيرة منها .

لكنى أعتقد بأن هذا الأسلوب لن يعيد الثروة الحيوانية الى عهدها السابق لعدة أمور أهمها :

١ — أن الغالبية العظمى من سكان البادية قد هاجرت نهائيا الى المدن وألفت هناك أنماطا جديدة للحياة ، بحيث لا يمكنها العودة الى حياة الرعى والترحال .

٢ — ان أماكن الرعى قد تقلصت بسبب نضوب المياه فى الأودية النى كانت تتركز حولها مضارب البدو ، وأدى ذلك الى جفاف الأعشاب ، بالإضافة الى كثرة طرق السيارات عبر مناطق البدو ، وكثرة مرور الأغراب بهذه المناطق ، مما أدى الى الهجرة منها الى مناطق نائية ، حتى لا تتعرض الراعية والماشية لمضايقات من السيارات المارة بمن فيها .

٣ — بعد مضى سنوات على تقديم هذه الاعانات لرؤوس الماشية اكتشفت الجهات المسؤولة أن هناك تزويرا فى الاعداد ، فيحصل الراعى مثلا على اعانة خمسمائة رأس من الغنم ، بينما لا يزيد عدد ما يملكه عن مائة رأس فقط ، فالأرقام الخيالية لرؤوس الماشية تغطى الاستهلاك المحلى وتفيض عن الحاجة ، لكن الواقع خلاف ذلك . فبينما كان المتوقع انخفاض أسعار الماشية نتيجة لزيادة العرض ، ظلت الأسعار ثابتة بل ارتفعت عما كانت عليه عند البدء فى توزيع الاعانة على الرعاة . فالغيت هذه الاعانة وتوقف صرفها مع مطلع عام ١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠ م . وبدى فى صرف الاعلاف والحبوب اللازمة لغذاء الحيوانات . فأصبح الرعاة يتسلمون مقادير من الأعلاف بدلا من النقود ، على حسب ما يحتاجه كل رأس من الماشية من غذاء فى الشهر الواحد . وتعتقد وزارة الزراعة والمياه ممثلة فى مكاتبها المختلفة لرعاية الثروة الحيوانية فى البلاد . بأنها بهذا الأسلوب الجديد ستقضى على التلاعب بالأرقام ، وفى نفس الوقت تعالج مشكلة نقص المراعى فى المناطق المختلفة . وتقدم الغذاء الجيد لهذه الحيوانات .

كما انتهجت أسلوبا آخر كطريقة مساعدة لحل مشكلة النقص المستمر في الماشية بأن بدأت منذ ما يقرب من ستة أشهر أى من شهر رجب عام ١٤٠٠ هـ أبريل عام ١٩٨٠ م في تقديم مساعدات أخرى لكل أسرة في المنطقة ترغب في اقتناء الأبقار وبربيتها ، بأن قدمت لمثل هذه الاسرة ٥٠ ٪ من قيمة البقرة الأساسية كمساعدة منها ، وتتحمل الاسرة نصف القيمة الاخرى . وتهدف من وراء ذلك الى احياء الاهتمام بالأبقار التي تنتج « السمن البلدى » الذى لم يعد له وجود في المنطقة ، وأن وجد فبأسعار مرتفعة جدا حيث وصل سعر الكيلو جرام من السمن البلدى في شهر شوال عام ١٤٠٠ هـ (٨٠) ريالا ، بينما كان سعره في عام ١٣٨٠ هـ يتراوح بين ٨ : ١٠ ريالات فقط . كما أنها ترى أنه يمكن تكاثر اعداد الأبقار بطريقة تساهم في حل أزمة اللحوم والحد من عمليات الاستيراد الكبيرة لرؤوس الأبقار من خارج المملكة بتحقيق الاكتفاء الذاتى المحلى على المدى الطويل .

وقد كانت كل أسرة تسد حاجتها من (الدجاج والبيض) بطريقتها الخاصة ، حيث كان لدى كل أسرة مجموعة من الدجاج لهذا الغرض ، ومع الهجرة . والانتقال الى المنازل الجديدة ، التي لم يعد للدجاج وجود فيها . وانتشار الدجاج المثلج الذى يتم استيراده من الخارج ، بالاضافة الى البيض . لم تعد الاسرة تهتم بتربية الدجاج داخل منزلها للاستفادة منه ، واعتمدت على ما يتم استيراده من الخارج أو على ما تنتجه المزارع الخاصة من أصناف الدجاج والبيض ، والتي انتشرت بكثرة في كل مناطق المملكة .

وهكذا نلاحظ أن عائدات البترول الكبيرة والهجرة الى خارج المنطقة والحراك الاجتماعى فى الداخل ، والذي تمثل فى الانتقال من

المنازل القديمة الى الحديثة ، ومن داخل القرية الى اطرافها ، كانت مجتمعة ، عوامل أساسية في حدوث تغير كبير في أنماط الحياة في مجتمع بنى كبير ، وأدت الى أن تهجر الاسرة نشاطها الاقتصادى التقليدى ، وأن تتحول من أسرة منتجة الى أسرة مستهلكة تعيش على ما تؤمنه الدولة لها من طعام يتم استيراده من خارج البلاد . يكلف ميزانية الدولة أعباء شديدة ، ويؤدى الى تدفق رأس المال القومى الى خارج الحدود .

ثالثا : التكنولوجيا الحديثة :

من العوامل الهامة في وجود ظاهرة التحضر في مجتمع بنى كبير التقليدى . الاتصال الخارجى عن طريق وسائل المواصلات والاتصال الحديثة . واستخدام ما قدمته التكنولوجيا الحديثة من وسائل يستخدمها الفرد في حياته اليومية . وقد ذكرنا في فصل سابق أن مجتمع بنى كبير لم يعرف الاتصال بالخارج الا عن طريق الراديو ، ثم جاءت بعد ذلك طرق المواصلات لتزيد من هذا الاتصال ، وتسهل حركة الهجرة من والى مجتمع بنى كبير ، ثم جاءت شبكة الهاتف لندعم هذا الاتصال وتقويه .

أما دخول الكهرباء الى كل منزل في قرى بنى كبير فقد أحدث تغيرا جذريا في حياة الناس هناك . خاصة أن دخول الكهرباء ارتبطت به ظاهرة دخول التليفزيون الى كل منزل بحيث أصبح التليفزيون جزءا من حياة الاسرة في المنطقة .

فالاسرة كانت تمارس نشاطها التقليدى منذ الصباح الباكر وحتى غروب الشمس ثم يعود الأفراد بعد رحلة عمل استغرقت طوال اليوم الى منازلهم طلبا للراحة والنوم ، واستمر الحال كذلك حتى بعد تقلص النشاط الاقتصادى وقلة ساعات العمل لانهم اعتادوا على ذلك وأصبح النمط السائد لحياتهم اليومية ، وما أن دخلت

الكهرباء الى كل منزل حتى أقبل الناس بشكل كبير على اقتناء أجهزة التليفزيون . وبدأت البرامج التي يبثها التليفزيون تشد اليها المشاهدين على اختلاف أعمارهم ، وبدأ الناس يسهرون مع هذه البرامج حتى ساعة متأخرة من الليل ، مما أدى الى استغراق في النوم حتى بعد طلوع الشمس ، وهو أمر لم يكن مألوفاً في المنطقة ، والسهرة مع برامج التليفزيون جاء البديل عن اجتماع بعض أفراد من أسرة الوحدة القرابية ، فبعد أن كان أفراد الوحدة القرابية يحرصون على لقاء بعضهم البعض في حلقات السمر الليلية يتدارسون بعض أمورهم ومشكلاتهم ويسعون لايجاد الحلول المناسبة لها ، استعاضوا عن ذلك بالاجتماع حول التليفزيون كل في دارة ، وأدى ذلك الى فتور في العلاقات الاجتماعية بين أفراد الوحدة القرابية الواحدة ، كما أن المرأة قد اكتسبت أنماطاً جديدة في حياتها عن طريق التليفزيون ، فالمسلسلات اليومية التي تعيش معها المرأة قد اكتسبتها معلومات جديدة لم تكن تعرفها من قبل ، فهي تشاهد المرأة في هذه المسلسلات تطالب بحقوقها وتدافع عن رأيها وتقتنى أفخر الملابس وأدوات الزينة وكثيراً ما تكسب قضاياها أمام زوجها وأسرته . فبدأت المرأة هنا تتدخل في كل شؤون الأسرة وأصبح بإمكانها أن تعارض رأى زوجها في موافقته أو رفضه لخطب تقدم لابنتها بناء على معلوماتها عن هذا الخطب ، وقد أصبح من الأمور الطبيعية أن يتقدم أحد الأفراد لخطبة فتاة من أسرة ما ، فيطلب والدها التأجيل لحين أخذ رأى ابنته وامها في هذا الخطب الجديد ، بعد أن كانت له الكلمة الأولى والأخيرة في هذا الخصوص ، كما أن المرأة هناك قد بدأت ترفض الاشراف على ادارة شؤون الماشية كالبقر ورؤوس الأغنام القليلة ، لانها شاهدت المرأة في التليفزيون لا تمارس مثل هذا العمل ، فبدأت تضغط على زوجها

لنتخلص من هذه الماشية . وكان ذلك أحد أسباب تقلص الثروة الحيوانية في المنطقة . وبوجود الكهرباء اختل النظام الاقتصادي التقليدي للأسرة فوجود الثلاجة في المنزل أدى الى أن تخزن فيها المرأة الكثير من احتياجاتها للطعام في الأسبوع أو الشهر الواحد ، وفرض عليها ذلك أن تستخدم اللحوم والخضراوات باعتدال ، وأصبح بالإمكان أن تحفظ ما تبقى من وجبة الغذاء لتقدمه للأسرة في طعام العشاء وهكذا . . بعد أن كانت كل أسرة تلقى بفائض الطعام أو تقدمه للحيوانات . واستخدمت المرأة الغسالة الكهربائية عوضا عن يديها في الغسيل . وكذا المكواة الكهربائية عوضا عن مكواة الفحم . وعرفت المرأة استخدام سخانات المياه الى غير ذلك من الوسائل التكنولوجية الحديثة . وقد أدى انتشار هذه الوسائل في المنطقة في بداية الأمر الى وجود أعباء اقتصادية جديدة على الدخل العام للأسرة ، لسوء استخدام هذه الأجهزة مما يعرضها للعطل أو التلف ، فتضطر الأسرة الى اصلاحها أو تبديلها اذا تعذر الإصلاح ، واختفت نتيجة لذلك أدوات المطبخ التقليدية وحل محلها (المطبخ الحديث) بكل مستلزماته ، لان المطبخ في المنزل القروي كمكان متخصص اتاح مجالا واسعا للتوسع في الاعتماد على آنية المطبخ الحديثة . وتغير نتيجة لذلك الطابع العام للغذاء فتحول عن الطابع القروي التقليدي واتخذ الطابع الحضري ، فبعد أن كان الطعام بسيطا أصبح معقدا بكثرة أصنافه وتعددتها . ودخول أنواع من الأطعمة الحديثة واختفاء الأطعمة التقليدية أو على نطاق محدود .

وعلى سبيل المثال ، فقد كان طعام الإفطار في السابق يتكون من التمر والقهوة ، وأقراص البر أو الذرة ، مع اللبن أو السمن البلدي

والغداء لا يتعدى أحد هذه الأصناف الثلاثة — العيش واللبن — وهو عبارة عن دقيق الذرة على شكل حساء ثقيل نسبيا يؤكل مع اللبن ، أو — العصيدة — وهى عبارة عن دقيق بر أو ذرة يمزج بالماء ويوضع على النار وتستمر المرأة فى تحريكه بعود سميك يسمى (المسواط) حتى يتماسك ويستوى على النار ، ثم يوضع فى صحن كبير . والى جواره اناء مملوء بالسمن البلدى . أو — المرق — والصنف الثالث هو — الدغابيس — وهو عبارة عن دقيق معجون . تشكله المرأة على هيئة أقراص بقطر يتراوح بين ١٠ : ١٥ سم ثم يوضع فى (الصلة) على النار . وتضع المرأة فى هذه الحلة كمية من اللحوم . وتبقى على النار حتى تستوى . والعشاء غالبا ما يكون عبارة عن (أرز ولحم) وقد يكون أحيانا (عصيدة أو دغابيس) اما الآن فقد أصبح طعام الإفطار يتكون من البيض والحليب والشاى والجبنة أو القشدة ، وغير ذلك من الأصناف . ودخلت الخضراوات بكل أصنافها فى طعام الغداء وكذا العشاء ، وبدأت الفواكه ترافق كل وجبة . كما بدأت المرأة فى صنع أصناف الحلوى والكريمة والمهلبية وغير ذلك . وهكذا نلاحظ أن الطعام قد تحول من الطابع التقليدى الى الطابع الحضرى ومن البساطة الى التعقيد .

ولم يقتصر دور وسائل التكنولوجيا الحديثة على المنزل فى بنى كبير ، بل انه وكما أشرنا من قبل ، قد تم استخدام هذه التكنولوجيا فى مجال انزراعة فالاسر القليلة التى لا تزال تمارس الزراعة استخدمت (المحراث الآلى) بدلا من الثيران ، كما استخدمت الموتورات التى تعمل بوقود الديزل أو البنزين ومؤخرا الكهرباء ، لاستخراج المياه من الآبار اما لغرض الزراعة أو لايصال هذه المياه الى الدور الحديثة . وحلت السيارات الحديثة محل وسائل النقل التقليدية (الجمل والحمار) وفى الآونة الأخيرة بدأ الناس فى التخلص من الحمير . حيث ينقلونها

بواسطة السيارات الى أماكن بعيدة وخاصة الى أراضى بنى كبير البادية ، ويتركونها هناك . نظرا لانها قد فقدت أهميتها كوسيلة للمواصلات كما كانت في السابق . ولم يمد أحد يستخدم الجمل والحمار كوسيلة للركوب أو النقل الا على نطاق محدود جدا ، بينما لا تزال هاتان الوسيلتان تؤديان دورا أكثر أهمية في البادية عنه في حاضرة بنى كبير . وخاصة لدى الاسر البدوية التي لا تمتلك سيارات للنقل . وهكذا نلاحظ التغير الكبير الذي طرأ على كثير من جوانب الحياة الاجتماعية في مجتمع بنى كبير التقليدى . نتيجة للتغير في عناصر الثقافة لدى السكان . فتغير نمط النشاط التجارى التقليدى ، وتقدم تقدما كبيرا . كما تغيرت وسائل النقل التقليدية ، واختفت تقريبا الصناعات المحلية . وتغير نظام ونمط البيت القروى ، وحدث تقدم في الطابع العام للغذاء وتحول الى الطابع الحضرى . الى غير ذلك من الامور التي تمس كل جوانب الحياة في هذا المجتمع .

رابعا : العلاقات الاجتماعية :

بالنظر الى أن المنطقة شهدت في السنوات العشر الأخيرة . تغيرات جذرية وكبيرة بطريقة مفاجئة ، حيث لم يسبقها اعداد وتخطيط لهذا التغير ، بدأت بربط المنطقة بالمدن المجاورة وبالتالي بكل أجزاء المملكة عن طريق (الطائف – أبها) الذى يمر بالمنطقة ، ثم يربطها بشبكة للهاتف ووصول البث التليفزيونى اليها . ودخول الكهرباء الى كل منزل ، وانتشار السيارات بشكل كبير ، كل هذه الأمور المفاجئة أحدثت ردة فعل عميقة لدى سكان هذه المنطقة التقليدية . فبالاضافة الى الهجرة الداخلية والهجرة المرتدة ، والهجرة من الخارج الى المنطقة على شكل مدرسين ومهندسين وأطباء وممرضين وعمال الى غير ذلك

من الفئات . فقد برز الصراع بين القديم والحديث ، فالتخلى عن عناصر الثقافة القديمة واكتساب الحديثة ليس بالأمر السهل وخاصة لدى كبار السن الذين لا يزالون ينظرون بشك كبير الى ما توصل اليه الطب الحديث في معالجة الأمراض . ولا يزالون يرون أن الطب العربي والأكلات الشعبية هي خير علاج لبعض هذه الأمراض وقد برزت نتيجة لكل ما تقدم ظاهرة السباق لجمع المال . فبدأ الفرد في المنطقة يزاول عدة أنشطة . فهو مثلا مزارع وسائق سيارة أجرة ، ولديه محل تجارى اما في داره واما في أحد المراكز التجارية ، أو هو يشتغل بالتدريس ويملك محلا لبيع الملابس الجاهزة والعطور ، ولديه سيارة نقل يؤجرها للآخرين لنقل الطوب والرمال الى غير ذلك . هذا التعدد في النشاط شغل كل وقت الأفراد في المنطقة ، ولم يعد لديهم فرصة للتفكير في المشكلات التي تطرأ في القرية وبالتالي المساهمة في حلها . بمعنى أن الاهتمام أصبح فرديا . فلم يعد الفرد يفكر في مسائل تخص الآخرين وانشغل بمصالحه الخاصة ومتابعتها ، فزادت الخصومات بين الوحدات الاجتماعية وبين الأفراد . بل بدأ التساق يتضح داخل العائلة الواحدة ، لعدم قدرة رب العائلة حاليا في السيطرة على أفرادها . ونشب صراع من نوع جديد بين الشيوخ والشباب ، فدائسيوخ لا تزال لديهم الرغبة في ممارسة الوظائف التي كانوا يقومون بها وهي التوفيق بين الأفراد وحل المشكلات والخصومات التي تطرأ في القرية داخليا ، بينما الشباب لم يعد لديهم الوقت الكافي لمتابعة مجلس الجماعة وحضور جلساته والقبول بأنصاف الحلول التي يفرضها الكبار ، ويرون أن الأجهزة الحكومية الرسمية هي الأفضل في حل هذه المشكلات وانهاء النزاع ، خصوصا وأنه قد انشئ في بني كبير مركز الامارة مهمته الاطلاع على هذه المشكلات وايجاد الحلول لها بالطرق

الرسمية ، فأدى ذلك الى انشغال الامارة والشرطة والمحاكم ، بقضايا جانبية كانت تحل في داخل القرى ولا تصل الى هذه الأجهزة الحكومية ، وفي نفس الوقت انتشرت العداوة والبغضاء نتيجة لهذه النزاعات . وتفككت الروابط الاجتماعية بين الوحدات القرابية وحتى داخل الاسرة الواحدة . واختفت صور التعاون التي كانت قائمة ، وأصبح الفرد يبني داره وينتقل اليها دون أن يشعر أحد بذلك . كما اتخذت حفلات لزفاف طابعا جديدا يمتاز بالسرعة ، فبعد أن كانت أيام الفرح ثلاثة أصبحت يوما واحدا ، ولم يعد الجميع يحرصون على حضور هذه المناسبة وتقديم العون للعريس ، كما أن العريس من جانبه لم يعد يفضل حضور الجماعة كلها ، وبإمكانه إقامة حفل زفافه مقصورا على الأقرباء فقط .

كما لم يعد الفرد في القبيلة يهتم بمصلحتها ، أو يشعر بنفس الشعور القوي . الذي كان لديه قبل الآن . بالانتماء الى القبيلة ، وتأثر البناء القبلي كله بذلك . فلم تعد العلاقات بين البدنات كما كانت ، وأصبحت كل قرية مستقلة برأيها . وطريقتها في معالجة مشكلاتها الخاصة ، تماما كما هو الحال بالنسبة للوحدات القرابية داخل القرية الواحدة .

ذلك مثلا على مستوى الأفراد . أنه اذا مر أحدهم (بحمي القبيلة) وهي الأرض التي أشرنا اليها من قبل والتي تقع فيها مراعي القبيلة ، الأشجار التي كانوا يستخدمونها في البناء ، وشاهد فيها احدا من خارج القبيلة يرعى أغنامه ، أو يقطع منها شجرة فان ذلك لم يعد يهمه كثيرا ، فلا يمنع هذا الشخص ولا يبلغ عنه الجماعة . وقد كان في السابق يدخل في معركة مع هذا الغريب لمجرد أنه انتهك حمى القبيلة . فقد كان النرد يحرص على مصلحة القبيلة كما يحرص

على مصلحته الخاصة . ولعله بدأ يشعر بأن هذه الأرض من الأملاك العامة الدولة . فلم تعد ملكا له أو لقبيلته . وبما أن هذا أحد المواطنين فله الحق في الاستفادة من هذه الملكية العامة . ويخشى اذا منعه من هذه الاستفادة أن يقع تحت طائلة القانون . على اعتبار أنه لا يجوز له القيام بوظيفة الأجهزة الرسمية .

وقد كان الفرد في السابق عندما يسمع بخبر وفاة أو حادثة يقع في القبيلة يحضر من مكان اقامته في الهجرة ، ليشارك في الأحزان حتى لو كان هذا الحادث لا يخص وحدته القرابية ، أما الآن فلم يعد يهتم بذلك ويمكن أن يبعث بخطاب تعزية مثلا أو برقية يعزى فيها أهل المنوفى ولا يكلف نفسه بالحضور **وعلى مستوى الجماعات** ، فان حادثة ،خلاف بين سكان قرية العبادل وشيخ القبيلة حول الطريق الذى أراد الشيخ أن يفتحه أمام السيارات في وادى بنى كبير والذى أشرنا اليه ، تصور لنا جانبا مهما من جوانب العلاقة بين أفراد البدنة الواحدة . فكان من المتوقع أن يقف سكان قريتى الفلاح والحبيس الى جانب سكان قرية العبادل في خلال هؤلاء مع الشيخ على اعتبار أن سكان هذه القرى تشكل (بدنة بالحارث) لكن الذى حدث أن قريتى الفلاح والحبيس لم تتدخل الى جانب قرية العبادل في هذا الخصوص وحتى عندما احتاجت الدعوى الى مصروفات نقدية ، لم تشارك القرينان بأى مبلغ كمساعدة للقرية الثالثة في انهاء خصامها مع شيخ القبيلة ، الذى استمر عدة سنوات ولم ينته الا بأمر ملكى ما ذكرنا . وتكبد سكان قرية العبادل خسائر مادية طوال استمرار هذا الخلاف .

ويتنول الاخباريون ان معركة نشبت بين سكان قرية العبادل وسكان قرية الحدب وهى احدى قرى (بدنة العلى) فتدخلت قرية

الفلاح والحبيس الى جانب قرية العبادل بعدد من المحاربين وسقط القتلى من القرى الثلاثة ، في نفس الوقت الذي تدخلت فيه بقية قرى بدنة العلى الى جانب قريه الحدب . وهذه الحادثة التي وقعت منذ (٨٠ سنة) كما يقول الاخباريون والمشكلة التي وقعت بين الشيخ وبين قرية العبادل قبل (١٤ سنة) في الاولى دفعت قريتا الفلاح والحبيس بعدد من المحاربين للمشاركة مع العبادل ، وفي الثانية رفضتا المشاركة بمساعدات مالية للعبادل ، وهذا يوضح لنا مدى التغيير الذي طرأ على العلاقات الاجتماعية بين أفراد البدنة الواحدة . بل أن قرية الحدب وهي جزء من بدنة بالحارث ، وقفت الى جوار قرية العبادل في خصامها مع الشيخ . على اعتبار أن لها أراضى تقع على ضفتى الوادى وسيلحق بها الضرر اذا تم افتتاح طريق السيارات هذا . اذا فهناك اتحاد مؤقت قام بين القريتين . وأغنى بهما العبادل والحدب . وهما تنتميان الى بدنتين مختلفتين من أجل تحقيق مصلحة القريتين الخاصة والدفاع عن أراضيها . في حين لم تتحد قريتا الفلاح والحبيس مع العبادل عن أجل الدفاع عن أراضي الأخيرة ، وهذا يوضح لنا أن كل قرية في انبدنة الواحدة بدأت تهتم بمصالحها الخاصة بمصرف لنظر عن مصالح القرى الأخرى ، وترك مسؤولية الدفاع عن مصلحة كل قرية تقع على أفرادها وتعالجها بالطريقة التي ترى أنها مناسبة .

وتعير مفهوم ملكية الأرض تبعاً لتغير عناصر الثقافة الطارىء على المنطقة . فبعد أن كان للملكية الأرض مفهوم خاص يتضح في عدم التفريط فيها ، أصبح بالامكان الآن بيع هذه الأرض الى آخرين دون اعتراض من الوحدة القرابية للبايع ، وقد بدأ ذلك منذ ما يقرب من

ست سنوات أى فى عام ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م ، عندما اخترق الطريق العام بعض الأراضى الزراعية لقرية العبادل ، وقامت الدولة باعطاء أصحاب الأرض تعويضات مالية لقاء ما أخذ منها لصالح الطريق العام للسيارات ، الذى يربط المنطقة بالطائف وابها . والأجزاء الباقية من الأرض على يمين الطريق ويسار الطريق قام أصحابها ببيعها بمبالغ كبيرة لآخرين من خارج القرية ، عسى اعتبار أن هذه الأرض لم تعد صالحة للزراعة ، وأنه تم قبول مبدأ البيع بقبول مبدأ التعويض من الحكومة . والبائع لم يشعر بالخرج نتيجة لبيع الأرض . كما أن سكان القرية لم ينظروا إليه نفس نظرة الاحتقار التى كانت سائدة قبل هذا التاريخ عدا كبار السن .

هذا التغير فى مفهوم الملكية له دلالة كبيرة ، فكما علمنا فى أوائل هذا الفصل ، بأن البناء القبلى نفسه يرتبط ارتباطا كبيرا بنظام الملكية ، كما هو واضح على الرسم التوضيحي للنموذج العام لمجتمع بنى كبير . فان معنى التغير فى هذا المفهوم . هو تغير فى المفهوم العام للبناء القبلى اكلى . فقد كان الأفراد والجماعات يرتبطون ارتباطا وثيقا بالأرض . وهذا الارتباط هو الصلة بينهم وبين البناء القبلى ، وعندما يفرط الأفراد فى ملكية الأرض . ويتغير مفهومهم لنظام الملكية . فان معنى ذلك انتقالهم الى مرحلة أخرى تجاوزوا بها النظرة الى البناء القبلى والقبيلة التى كانت تؤثر عليهم تأثيرا قويا يفرض مفهومات خاصة على أفرادها تتعلق بالملكية وتمس كل جوانب الحياة الاجتماعيه ، وقياسا على ذلك يمكن أن نقيس مستوى العام للعلاقات الاجتماعية داخل القرية وداخل القبيلة كلها .

ويمكن أن نخلص نى القول بان العلاقات الاجتماعية بين الأفراد بصنفة عامة لم تغد بنفس المستوى الذى كانت عليه حتى قبل سنوات

قليلة وقد أشرنا الى ذلك اشارات متفرقة وأوضحنا الأسباب في حينها ،
واجمالا لابد أن نقول • بأن تدهور العلاقات بين الأفراد وبين
الوحدات الاجتماعية ليست ظاهرة حضرية • ولابد من الاحتفاظ
بعلاقات جيدة تبدأ من الأسرة الى القرية الى القبيلة ، من أجل أن يعيش
الجيل الجديد في جو تسوده المحبة والود ، وأن يشمر بانتمائه الى
هذه الأرض وأن يرتبط بها ، مما يمهد له بالتالى الانتماء والارتباط
بالوطن الكبير •

رَفَع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

قائمة المراجع

أولا : المراجع باللغة العربية :

١ - عبد الرحمن بن خلدون - المقدمة - الباب الثاني، الفصل الأول .
تحقيق الدكتور / على
عبد الواحد وافى . دار الشعب
القاهرة .

٢ - لنتون رالف - دراسة الانسان . ترجمة : عبد الملك النايف ،
منشورات المكتبة المصرية -
بيروت . ١٩٦٢ .

٣ - جورج بالاندييه - علم الاجتماع . ترجمة الدكتور / أحمد
الخشاب ، المجلة الدولية
للعلوم الاجتماعية - القاهرة
مكتب مطبوعات اليونسكو .
العدد (١٣) السنة الرابعة
١٩٧٣ .

٤ - ج و . بيبيج - الشوب البدائية . ترجمة : محمود محمد مرسى .
الألف كتاب . مكتبة النهضة
العربية . القاهرة .

٥ - صلاح مصطفى الفسوال . علم الاجتماع البدوى .
الكتاب الأول . مكتبة النهضة
العربية . القاهرة . ط ١ ١٩٧٤ .

٦ - الدكتور / عاطف وصفي . الانثروبولوجيا الاجتماعية .
دار المعارف . القاهرة ١٩٦٧ .

٧ - الدكتور / أحمد الخشاب • دراسات انثروبولوجية •
دار المعارف بمصر ١٩٧٠

٨ - الدكتور / أحمد ابراهيم الشريف ، مكة المكرمة والمدينة في
الجاهلية وعهد الرسول •
دار الفكر العربى • القاهرة
• ١٩٦٥

٩ - ايفانز برتشارد • الانثروبولوجيا الاجتماعية • ترجمة الدكتور /
أحمد أبو زيد • الهيئة
المصرية العامة للكتاب • ط ٥
• ١٩٧٥

١٠ - الدكتور / أحمد أبو زيد • البناء الاجتماعى ، مدخل
لدراسة المجتمع ، الجزء
الثانى • الانساق • الهيئة
المصرية العامة للكتاب ط ٢
• ١٩٧٢

١١ - روبرت ردفيلىند المجتمع القروى وثقافته • ترجمة الدكتور /
فاروق محمد العادلى الهيئة
المصرية العامة للكتاب • فرع
الاسكندرية ١٩٧٣ •

١٢ - الدكتورة / علياء شكرى • الاتجاهات المعاصرة في دراسة
الاسرة • دار المعارف الطبعة
الأولى ١٩٧٩ •

١٣ - الدكتور / محمد عبده محبوب • الانثروبولوجيا السياسية
مقدمة لدراسة النظم السياسية

فى المجتمعات القبلية • الهيئة
المصرية العامة للكتاب • ١٩٧٦

١٤ - محمد عبد القادر السويدي • التخطيط والتغير الاجتماعى
فى مجتمع الطوارق بحث غير
منشور • مقدم لنيل درجة
الدكتوراه فى علم الاجتماع •
كلية الآداب • جامعة القاهرة
• ١٩٧٧

١٥ - الدكتور / حامد عبد السلام زهران • علم النفس الاجتماعى •
عالم الكتب القاهرة • ط ٣
• ١٩٧٤

١٦ - بنديكت روث • الوان من ثقافة الشعوب • ترجمة محمد الدسوقى
وأخريين • لجنة البيان
العربى • القاهرة •

١٧ - أبو العباس أحمد القلقشندي • نهاية الارب فى معرفة أنساب
العرب • تحقيق ابراهيم
الابيارى • الشركة العربية
للطباعة الطبعة الاولى •
القاهرة • ١٩٥٥ •

١٨ - هيرسكوفتيز ، ملفيل ج • عمليات التغير الثقافى •
(بحث لنتون رالف)
الانثروبولوجيا وأزمة العالم
الحديث ترجمة / عبد الملك
الناشف المكتبة المصرية •
بيروت • ١٩٦٧ •

- ١٩ — الدكتور / السيد محمد الحسينى • القرية فى الدول النامية •
تحليل نقدي بنائى لبعض
اتجاهات التغير الاجتماعى •
بحث فى كتاب الدكتور /
السيد الحسينى وآخرين •
دراسات فى التنمية الاجتماعية
دار المعارف بمصر • القاهرة
• ١٩٦٧
- ٢٠ — الدكتور / محيى الدين صابر • التغير الحضارى وتنمية
المجتمع • سرس الليان مركز
تنمية المجتمع فى العالم
العربى ١٩٦٢ •
- ٢١ — بوتومور • ث • ب • تمهيد فى علم الاجتماع ، ترجمة وتعليق
الدكتور / محمد محمود
الجوهري وآخرين • دار
الكتب الجامعية الاسكندرية
• ١٩٧٢
- ٢٢ — الدكتور / عبد الباسط محمد حسن • التنمية الاجتماعية معهد
البحوث والدراسات العربية •
القاهرة • ١٩٧٠ •
- ٢٣ — الدكتور / محيى الدين صابر ، ولويس كامل مليكة • البدو
والبداوة • سرس الليان •
• ١٩٦٦
- ٢٤ — الدكتور / محيى الدين صابر • عوامل التغير الحضارى فى
نمط الحياة البدوية رعاية

البدو وتحضيرهم وتوطينهم
جامعة الدول العربية -
القاهرة . ١٩٧٥ .

٢٥ - الدكتور / أحمد أبو زيد ، التنمية الاقتصادية والتغير
الاجتماعي . المجلة الاجتماعية
القومية . المركز القومي
للبحوث الاجتماعية والجنائية .
المجلد الأول . العدد الثالث .
سبتمبر ١٩٦٤ . القاهرة .

٢٦ - رالف . ل . بيلز . مقدمة في الانثروبولوجيا العامة . ترجمة
الدكتور / محمد الجوهري -
والسيد الحسيني ، دار نهضة
مصر للطباعة والنشر . الجزء
الأول ١٩٧٦ .

٢٧ - الدكتور / محمد الجوهري . بعض مظاهر التغير في مجتمع
غرب أسوان مطبعة جامعة
القاهرة . ١٩٧٥ .

٢٨ - الدكتور / محمد عاطف غيث . القرية المتغيرة . الهيئة
المصرية العامة للكتاب ١٩٦٣ .

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

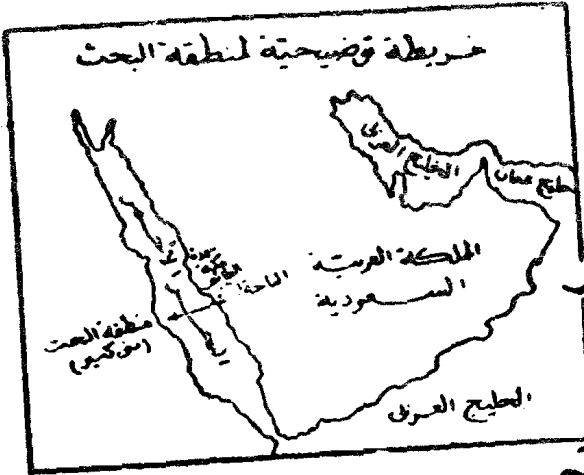
ثانيا : المراجع باللغة الانجليزية :

1. E. E. Evans-pritchard, The Nuer : A description of the modes of life and political Institutions of a Nilotic people. Oxford 1940.
2. Harold. B. Barclay. A suburban Village in Sudan, Cornell University Press, 1946.
3. J-Clyde. Mitchell, In Michaell Banton. The Social Anthropology of Complex of Societies. 1975.
4. C. G. Seligman, Pagan Tribes of the Nilotic Sudan, 1970.
5. E. E. Evans-prticahrd. Kinship and marriage : The Nuer, Oxford, 1951.
6. Radcliffe-Brown, Structure and Function in primitive Society. London, 1957.
7. Raymond Firth, William, Elements of Social organization, Boston Beacon Press. 1963.
8. Radcliffe-Brown; Introduction to African systems of kinship and marriage. London, 1950.
9. Locy Mair, An Intriduction to sicial anthropology, Oxford University Press, Oxford, 1969.
10. Robert-Redfield. The little community, University of Chicago Press, Chicago, 1953.

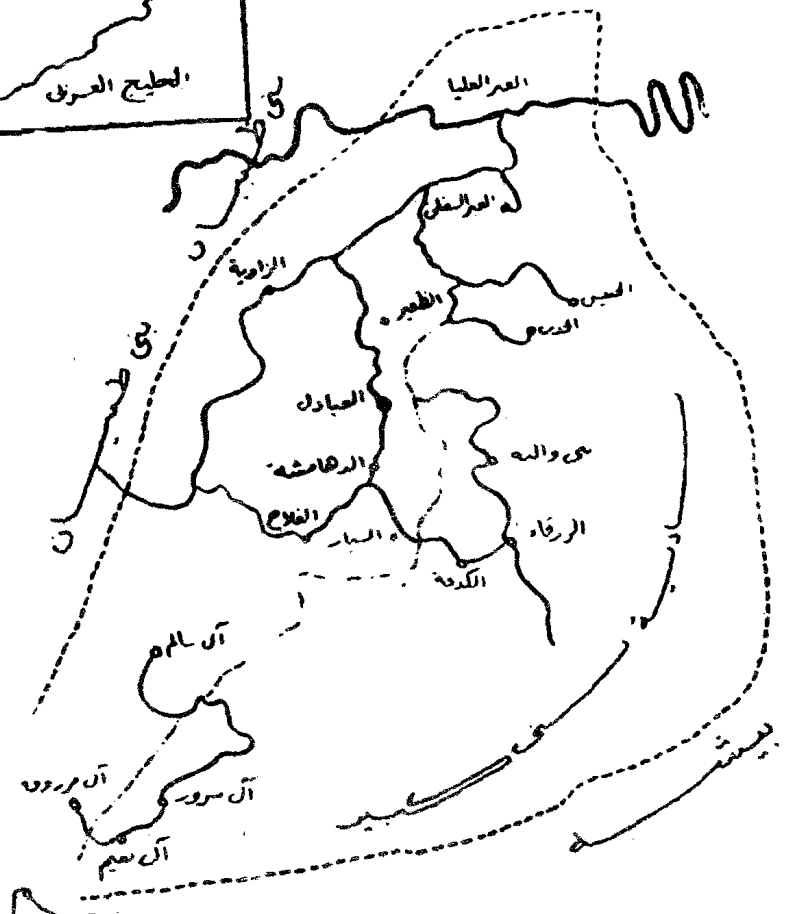
رَفَع
عبد الرحمن العجوي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

قائمة الوثائق والصور

رَفَعُ
عبد الرحمن العجمي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



قبيلة بني كبير



- طريق رئيسي
- طريق فرعية
- وادي
- حدود إقليمية
- قرية

(شكل رقم ١)

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رَفَعُ
عبد الرحمن العجدي
أسكنه الفردوس
www.moswarat.com

الحمد لله
 من عبد العنا منكم الى الاخ المكرم العاقل عمر بن عثمان بن عبد الله بن عبد الله
 السلام عليكم وعلية وآله وبركاته وبعد فخطبت اليكم في مكة وعنت ايام
 العم رضاه فاما الخطبة المشهورة بالاقلام
 المعبره فهي تلزم على قرانين اهل البلاد والمعاكرا
 والأقرا. واما بحكم الشرع فلو يلزم الاشارة ان لوق
 وامر اثنان ممن رضون من الشهود بدليل القران الكريم
 فان كان هذا الأمر قد وقع فبني حصرها عن قاض
 عما ان عسى يتبرهن كحفا ونخذل الله صاحب هذه الحى
 دعم وان كان الأمر مغرغ فمن تعرفى باب من ابواب
 الشيعه الجاهه الداليم وان تراجهننا يعرف السب
 لنا ظرنا فيما يصلح انشاءهم وبلغ سلامنا الودودونا
 عليكم وآله

خطاب من فقيه الى رجل استفتاه في مسألة شرعية

(شكل رقم ٣)

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

البركة العظمى

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الجنيابي الراجحي المكي سعيد بن سعيد سلمه الله تعالى
التييم عليكم ورحمة الله وبركاته بعد ذلك بارك الله فيك لنا فيك بعض اللازم لا بد من
المراجعة بيننا وبينكم فانت حالي لا توكل على الله انت الله وتقبل وتلقى الطائف وتعرفنا
بذلك هذا ما لم تعرفه والحمد لله
عذري

(شكل رقم ٤)

رَفَعُ
عبد الرحمن البخاري
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

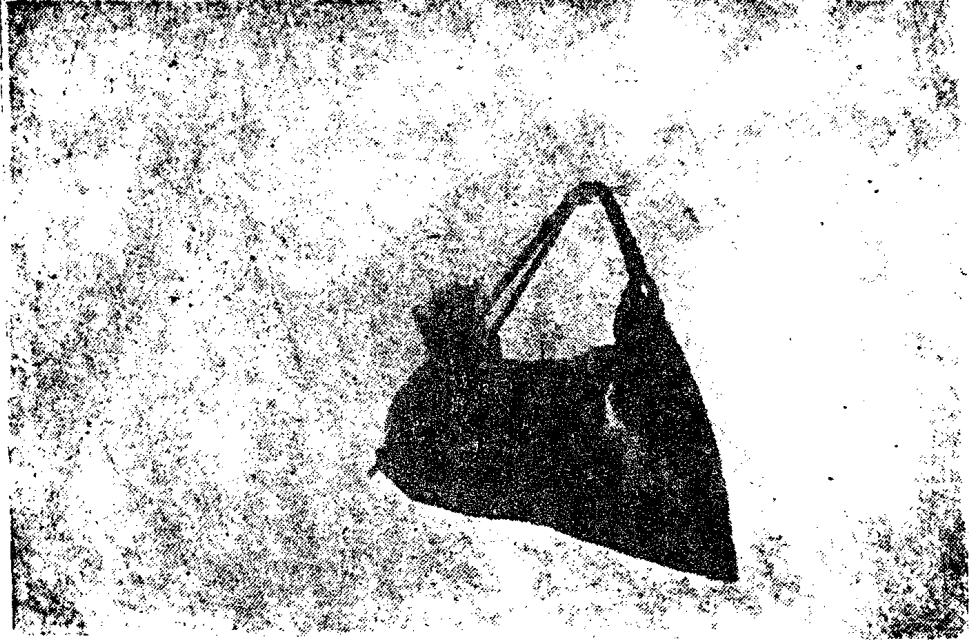
بسم الله الرحمن الرحيم

رقع
٢٠١٠/٠٩/٠٩

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الى جناب الكرام سعيد ابن سويعد وعبد العزيز بن عمرو ص
بن محمد بن صالح طمتم الله
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فلقد وصل اليك كتابكم المؤرخ في ٢٧/١٠/١٣٥٢
واطلعنا على ما ذكرتم به من المسائل وانتم لا بعد مرسلين لكم خشن ان شاء الله وبعد
وصولهم امضوا عليهم المسائل التي ذكرتموها لنا وهم يحققون فيها ويخبرونا بنتيجتها
وبعد ذلك تنظر في الامر ويكون ما فيه الخير بحول الله هذا ما نرم بيان والسلام
حرره في محرم ١٣٥١

(شكل رقم ٥)

رقع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



القربة : اناء الماء الوحيد ، لم يعد له وجود الآن الا نادرا ، وخاصة لدى بعض
الاسر التي يفضل كبار السن فيها الشرب من ماء القربة ..

(شكل رقم ٦)

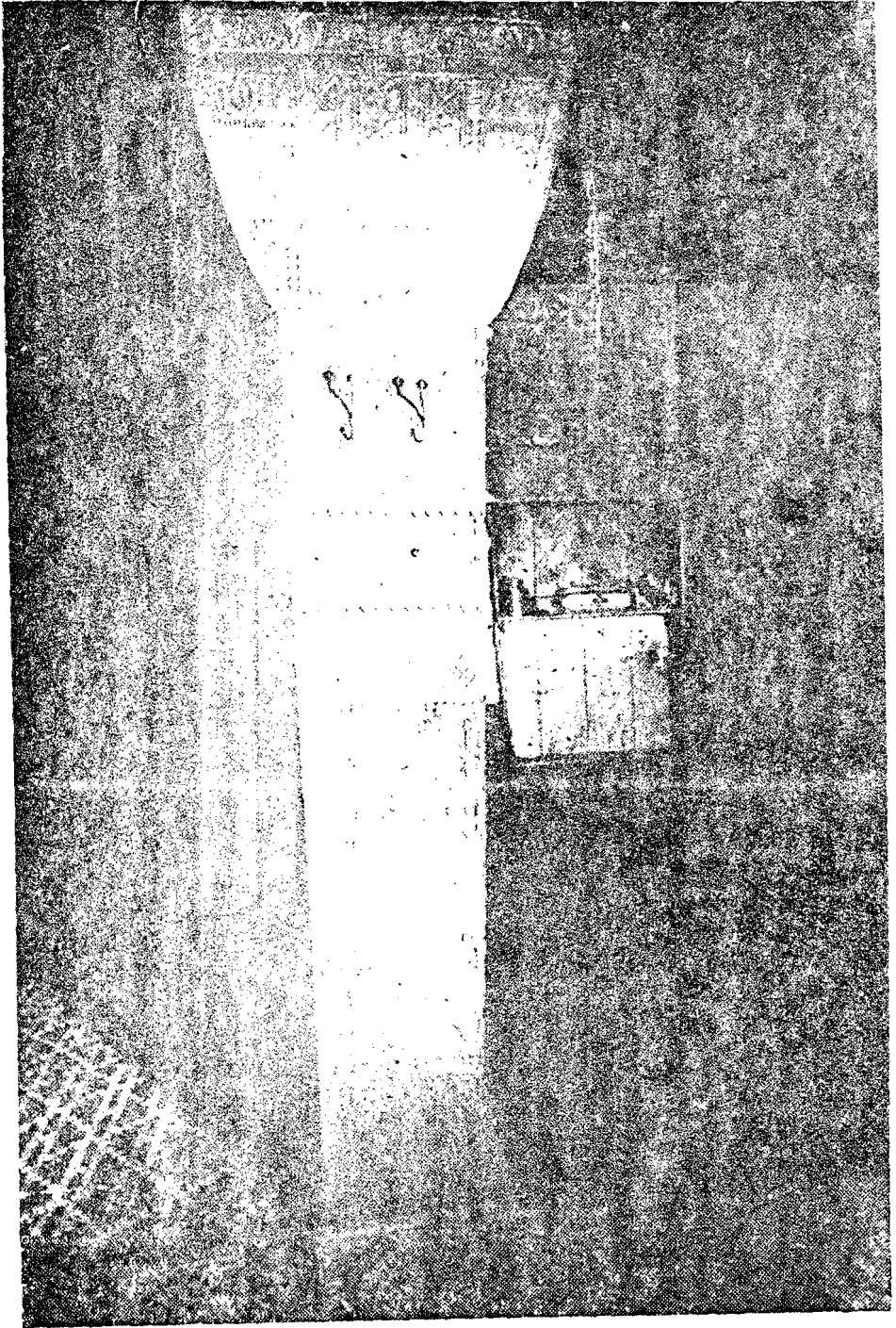
رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



تورتان : الى اليمين ، والجعلان في الوسط ، والمشرف الى اليسار ، وهي آنية
الفخار المصنوعة محليا والتي تستخدم لاجراض متعددة ، وكانت هي
العناصر الرئيسية والوحيدة لاعداد الطعام في المنطقة قبل معرفة
السكان بالآنية الحديثة ..

(شكل رقم ٧)

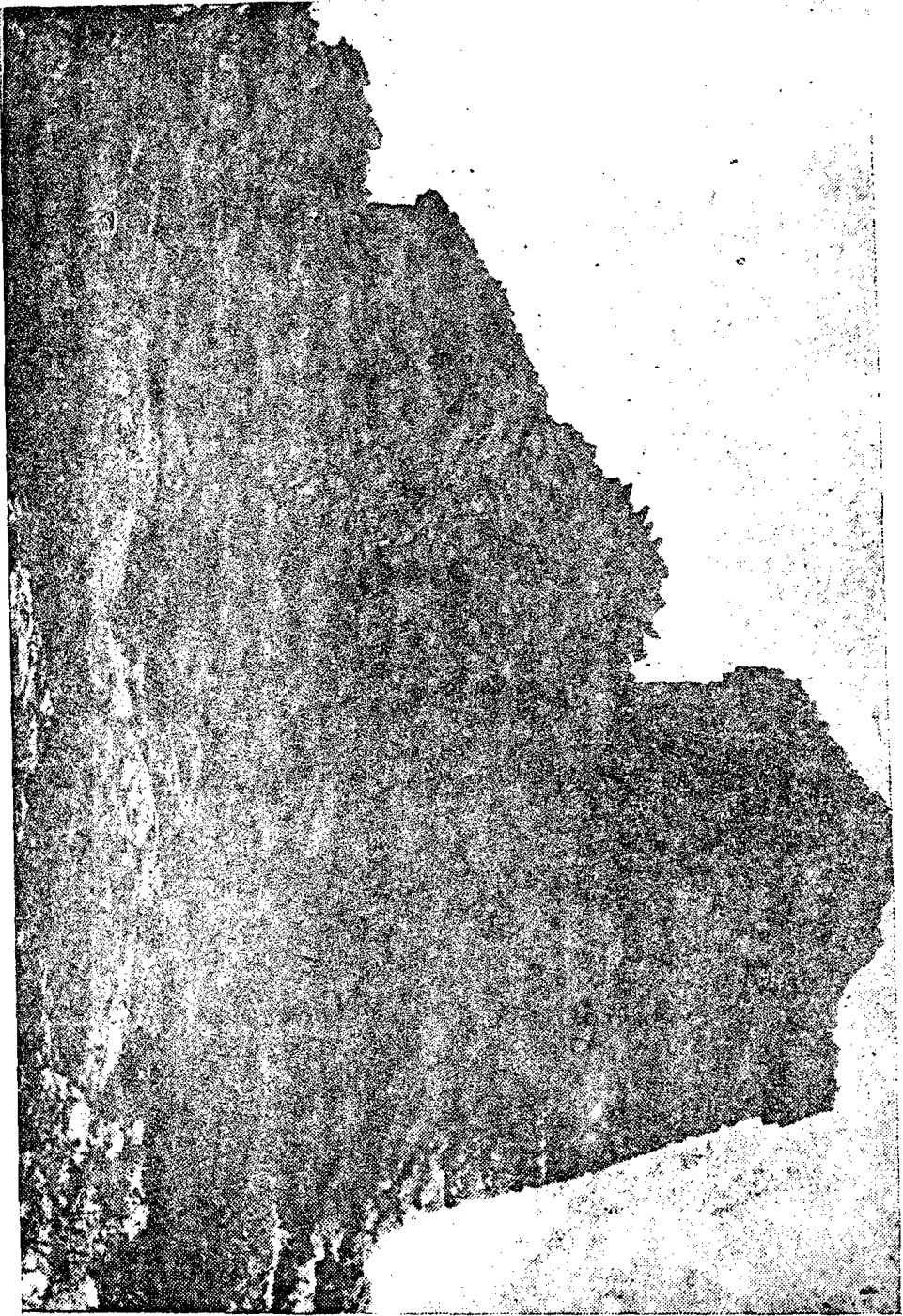
رَفَع
عبد الرحمن العجوي
أسكنم الله الفردوس
www.moswarat.com



المرزح : الأساس في المنزل القديم . ولاحظ وجود النقوش عليه ، والجزء العلوى هو « الفلكه » .

(شكل رقم ٨)

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



الى اليمين « الحسن » او الطائفة التي كانوا يستخدمونها في الحروب ، والى اليسلر . جزء من منزل تعليم وقد اصبح خرابا ، ولا تزال بعض حيطانه المبنية من الحجر قائمة ، ويقول الاخباريون ان تاريخ بنائه يعود لاكثر من ٢٠٠ سنة ..

(شكل رقم ٩)

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



مزارع : يمسك « المحراث » بيده اليسرى ، والثوران يسحبان (المحراث) ، هذه الصورة التقطت في عام ١٢٨٥ هـ ١٩٦٥ م ، وقد اختفت الآن نهائياً من المنطقة وحل محلها (الحراث الميكانيكي) ..

(شكل رقم ١٠)

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الحمد لله وهو شهيد على ذلك . لقد اشترى سعد بن احمد
 البايع اليه جائز التصرف عبد الله بن مسفر نائب الوكالة . رابعة من الحصن .
 بثمن جرى عليه الرضا قدره وعده اثنى عشر ريالا فضة بيضاء من نقد البلد وأقر
 البايع بوصول الثمن وبراءة ذمة المشتري براءة وفاء .
 والبيع بجميع حقوقه الشرعية من اجار واخشاب وسبال (طرق)
 ومحاقق (ما يكس حوله) بيعا صحيحا جازم ولازم بت قلاط (لا رجعة فيه)
 على النص الشرعى . فليعلم ذلك . شهد لله تعالى . جار الله بن مسفر وعلى
 بن عبيد ومسفر بن احمد ، وانا عبد الهادى بن احمد ابو زغدين كاتب شاهد ،
 والله كافي ورقيب حرر يوم النصف من رجب سنة ١٢٨٨ .

الحمد لله وهو شهيد على ذلك . لقد اشترى سعد بن احمد من البايع اليه جائز التصرف عبد الله بن مسفر نائب الوكالة . رابعة من الحصن . بثمن جرى عليه الرضا قدره وعده اثنى عشر ريالا فضة بيضاء من نقد البلد وأقر البايع بوصول الثمن وبراءة ذمة المشتري براءة وفاء . والبيع بجميع حقوقه الشرعية من اجار واخشاب وسبال (طرق) ومحاقق (ما يكس حوله) بيعا صحيحا جازم ولازم بت قلاط (لا رجعة فيه) على النص الشرعى . فليعلم ذلك . شهد لله تعالى . جار الله بن مسفر وعلى بن عبيد ومسفر بن احمد ، وانا عبد الهادى بن احمد ابو زغدين كاتب شاهد ، والله كافي ورقيب حرر يوم النصف من رجب سنة ١٢٨٨ .

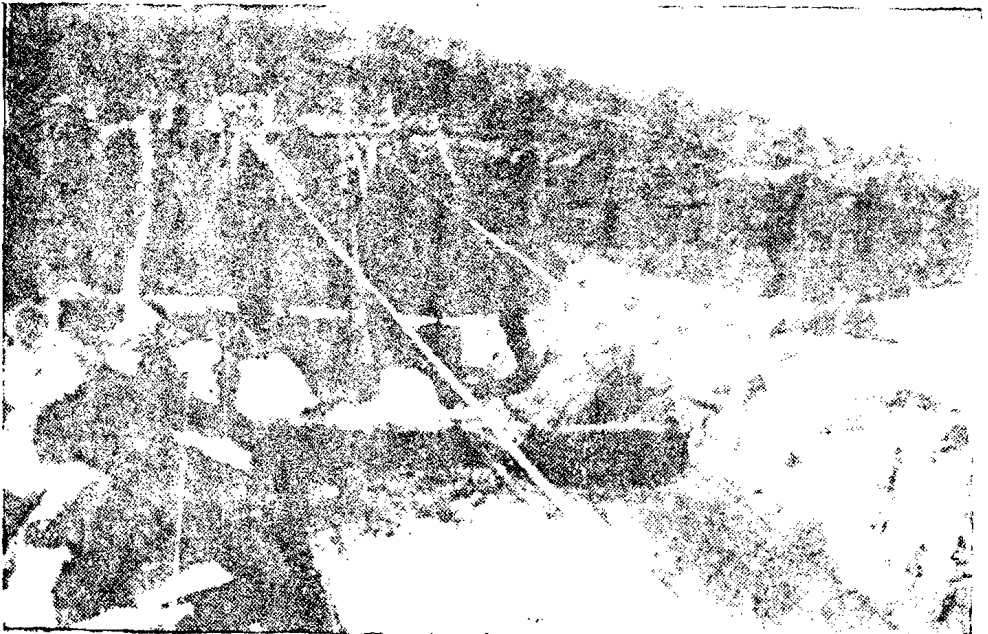
هكذا كانوا يكتبون عقود بيع اجزاء من العقار

(شكل رقم ١٢)

رَفَعُ
عبد الرحمن العجدي
أسكنها الفردوس
www.moswarat.com



(شكل رقم ١٣ « أ »)
السانيه : الثوران في الصورة يتجهان الى اسفل (المجره) يسحبان الغريبن
من البئر .. مملوئين بالمساء ..



(شكل رقم ١٣ « ب »)
الثوران وقد وصلا الى نهاية المجره . والغريبان يصبان الماء في اقف البئر ..

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المرفوعة به العالمية والصورة والاسم على اشرف الوجودات والمرسلية سيدنا محمد ومن
آله وصحبه وسلواتهم اجمعين

أما بعد :
تلقت أجمعاً عالم قريته العبادك في يوم الجمعة ١٠ ربيع الأول ١٣٨٤ هـ
وأفقتها فيما بينكم وفتوح من كل جهة تفريته أو شغلان من فرم ، ومن له
سجله به (العلم به عدل ، وسجله به سعة ، وما تراه عالم من أهل
تفهم ، وكان من سنة استنوم ، وعالم به هذا المرفوع من العاقبة ومنه لفظ
ناظر به على ومرتبه من فدان من مضمون به في تفاق به (عالم فرم
- به به فيما بينكم على أن يطرح لغيرنا يتوجه جهات به يتعلق
مع لباقر والفايت على أن مرفوع - - - - - والتراجع
ولتعدن لويك تالدة قضا - - - - - وقندرة مشه ، وشماله
وسه يتوت قضا - - - - - وهزام سته مطوس ومن أجمع
نفسه ما تفقتا على ذلك جهات وسناده ذلك فليكون غرام ، بر
النت اول أمرها - - - - - وهزار لكونه من بعد ذلك أما من علمت
بنته ما ربح لغزبه نالها به - - - - - مقال غارنه
وهذا ذلك من التفاضل والتوزيع آتالي ترة (العبادك
الله على ما فعله ولكيل

اللكي صنفه لاهد والى - - - - - ويكون يشد ممنوع فيما يتناجهاه
ومرشد جه فكره (المنع عليه

ومن هربت بهرام نفس في عهد فقه واليد - - - - -
تأنيده صلح اللين
عبد الله ابن عبد الله
محمد فيران
محمد
محمد
محمد

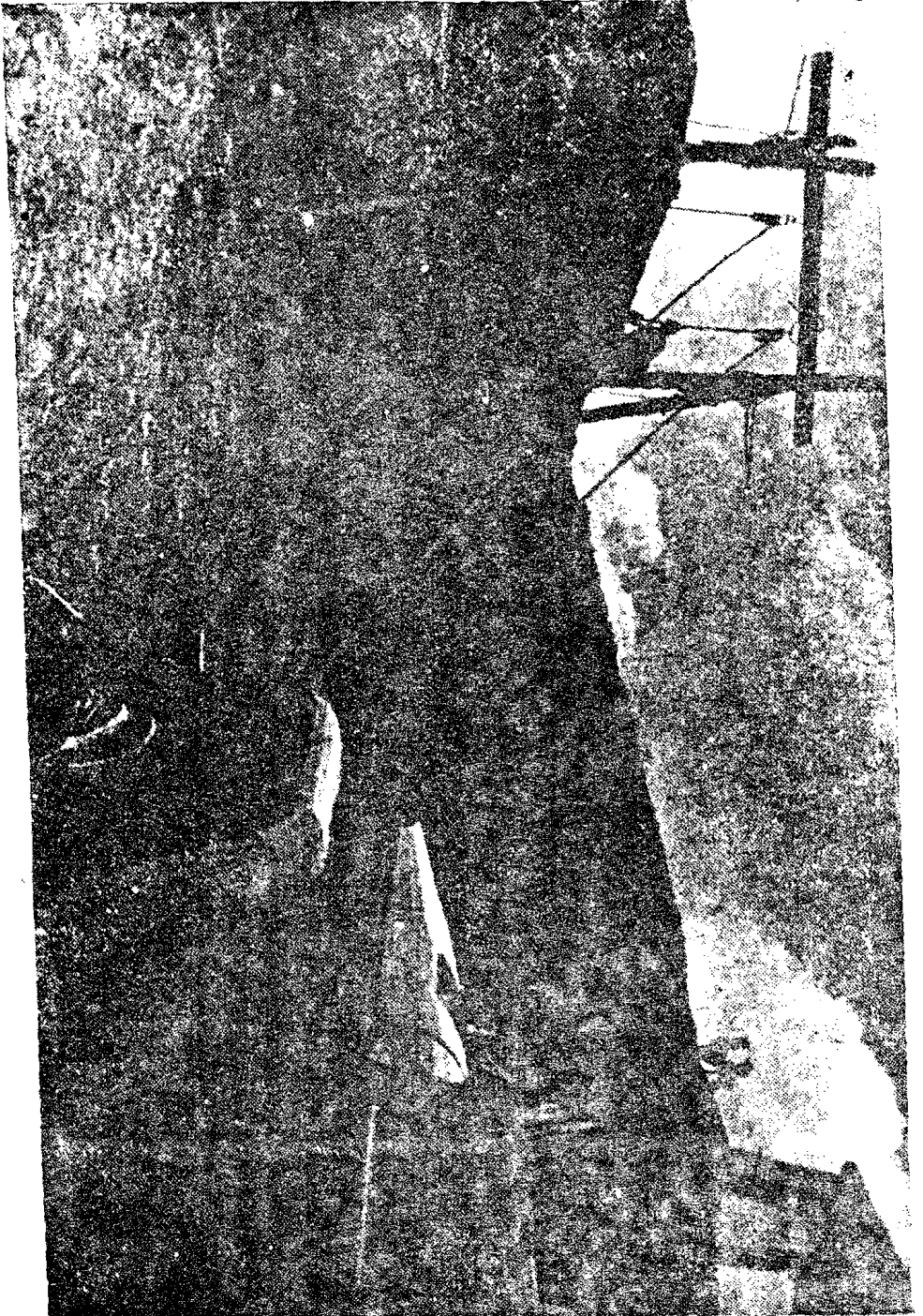
رفع
عبد الرحمن البخاري
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رَفَعُ
عبد الرحمن المحمدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن العجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

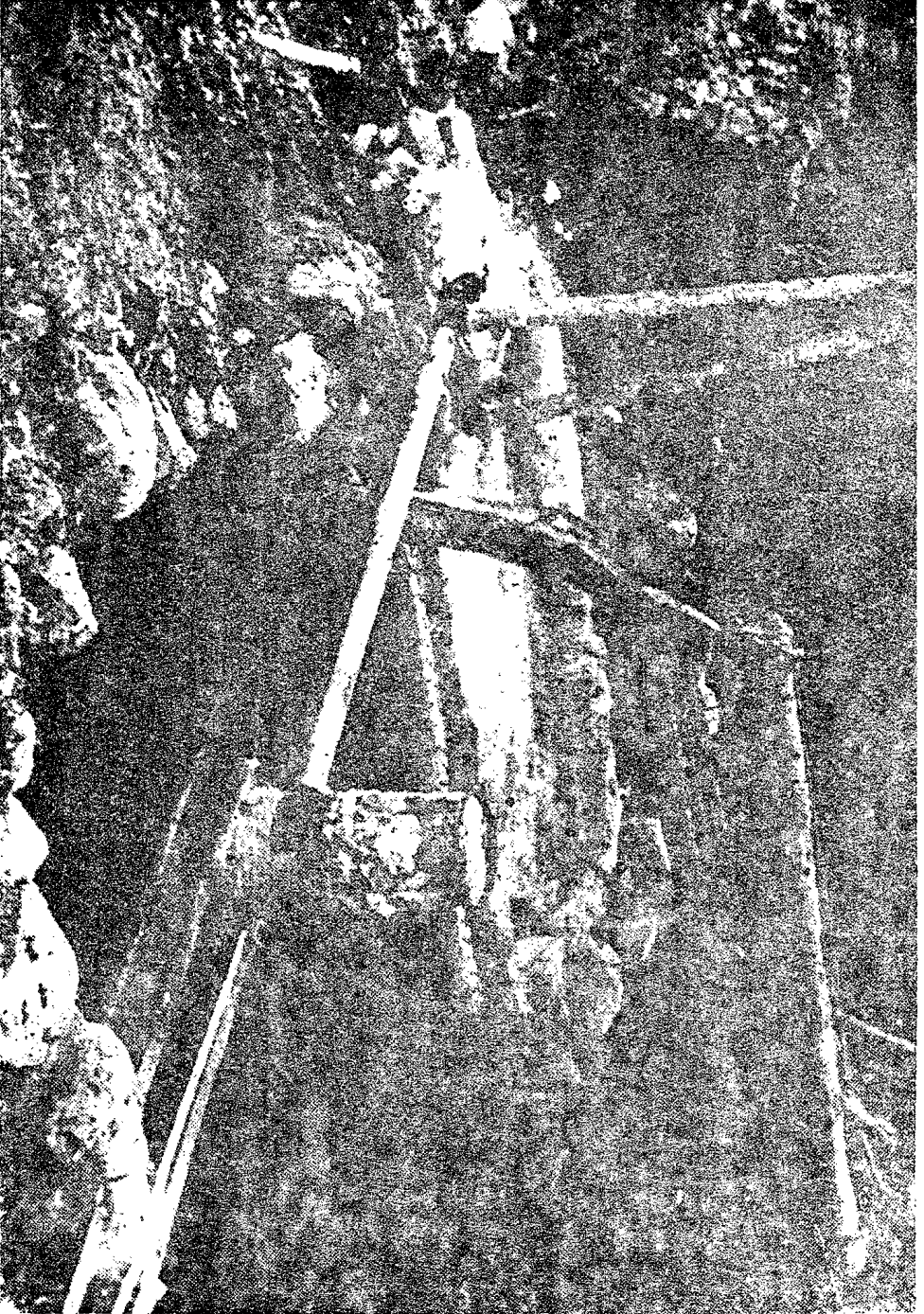


المصور: محمد النجدي - جوف الأعمام - مأبوه - حيث كان يقيم في ١١ بني بطنه - ذهب
في الطريقه إلى السنووف
(مسكل رقم ١٧)



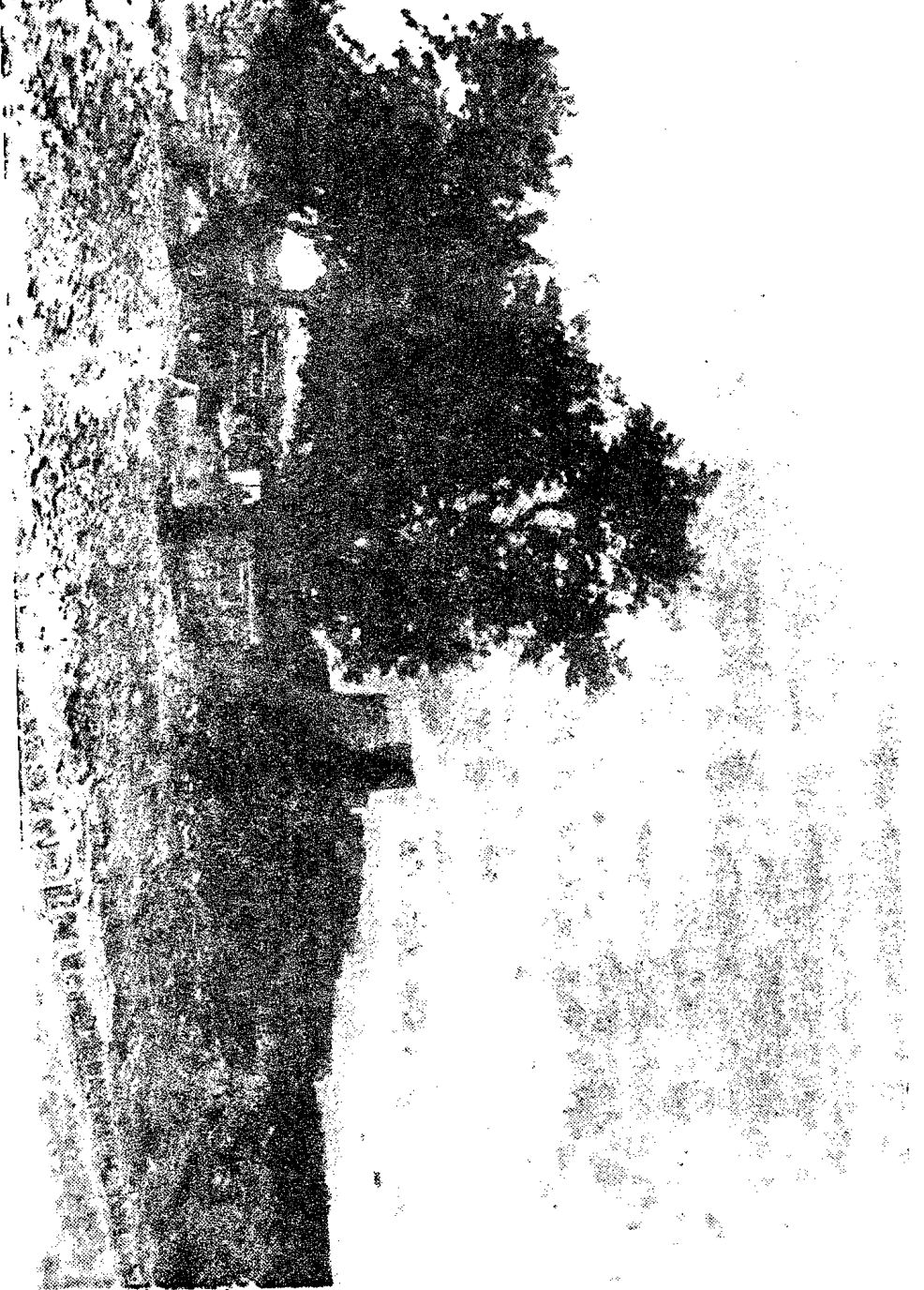
أرادوا تنظيف البئر وتعميقها ، والاعتماد ادا الوضع (موتور حديث) عليها وبها ان الثور قد اخفى فالحسبانة تنوب
 عنه في اخراج الاتربة و الاحجار من البئر .
 (شمسك رقم ١٨)

رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



(البئر) وعليها موتور بالديزل لإخراج الماء بدلاً من الثور . ولاحظ وجود الأنبوب الذي يمتص الماء في (صف البئر)
بشار الحورة ...
(شكل رقم ١٩)

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الفردوس
www.moswarat.com



(تلمسان) الى بين الصمورة وتحيط بها منازل قديمة ، بينما تظهر المنازل الحديثة يسار الصمورة ..
(شكل رقم ٢٠)

رفع
عبد الرحمن البخاري
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



(الحصار) كان الوسيلة الوحيدة للمواصلات ، واختفى بوجود السيارات . لاحظ (الخرج) على ظهوره ومن فوقه
(الفروة) وهي عبارة عن جلد حروف مدبوع يسمى به (حاعد) .
المشكل رقم ٢١

رَفَعُ
عبد الرحمن الجَدِّي
أسكنها الفردوس
www.moswarat.com



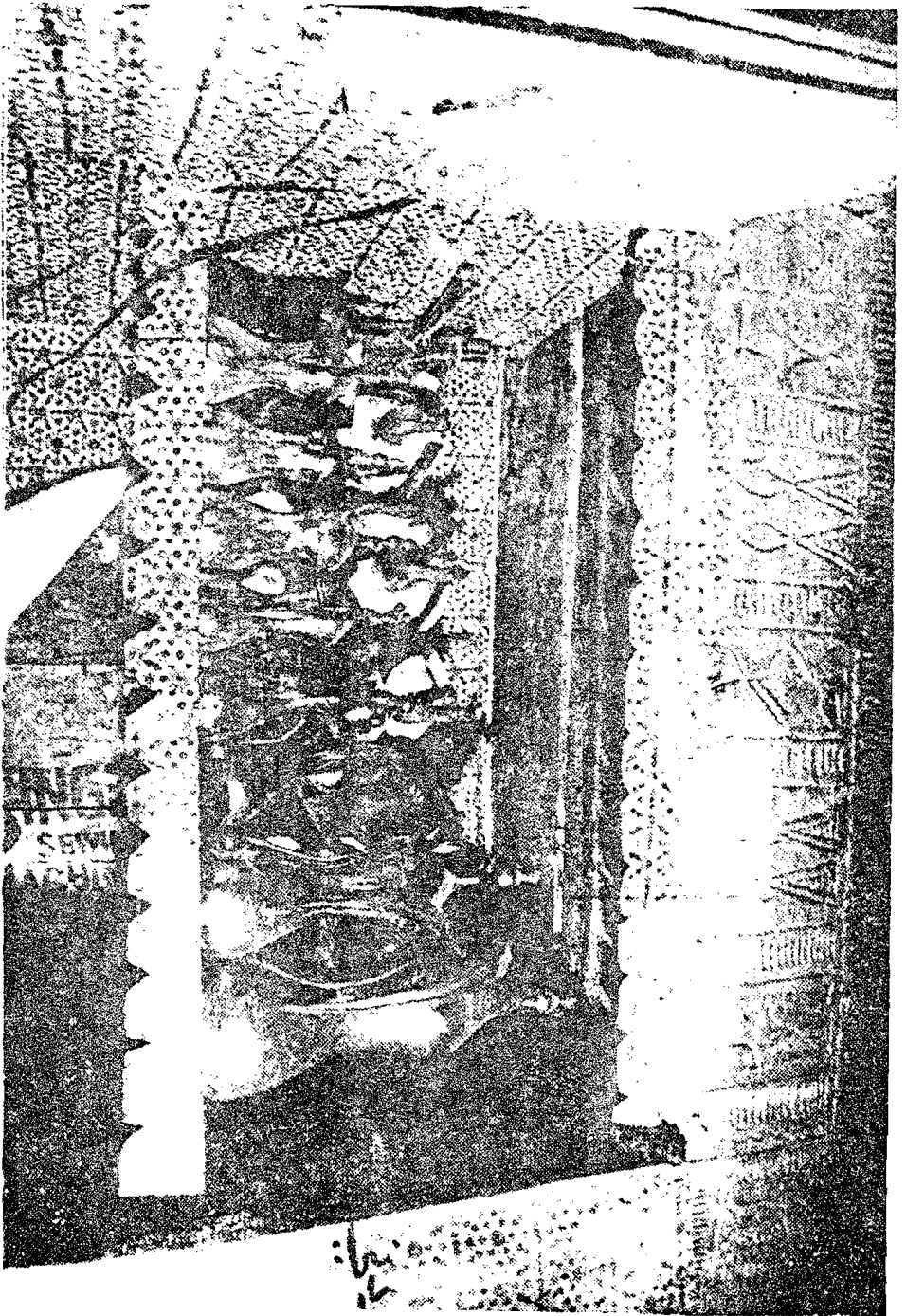
النجوى وابتنته ، لا يزال الصغار لثيها وسيلة للنيل ؛ وهو في الصورة يحمل الحطب وبعض المتساع . .
(شكل رقم ٢٢)

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



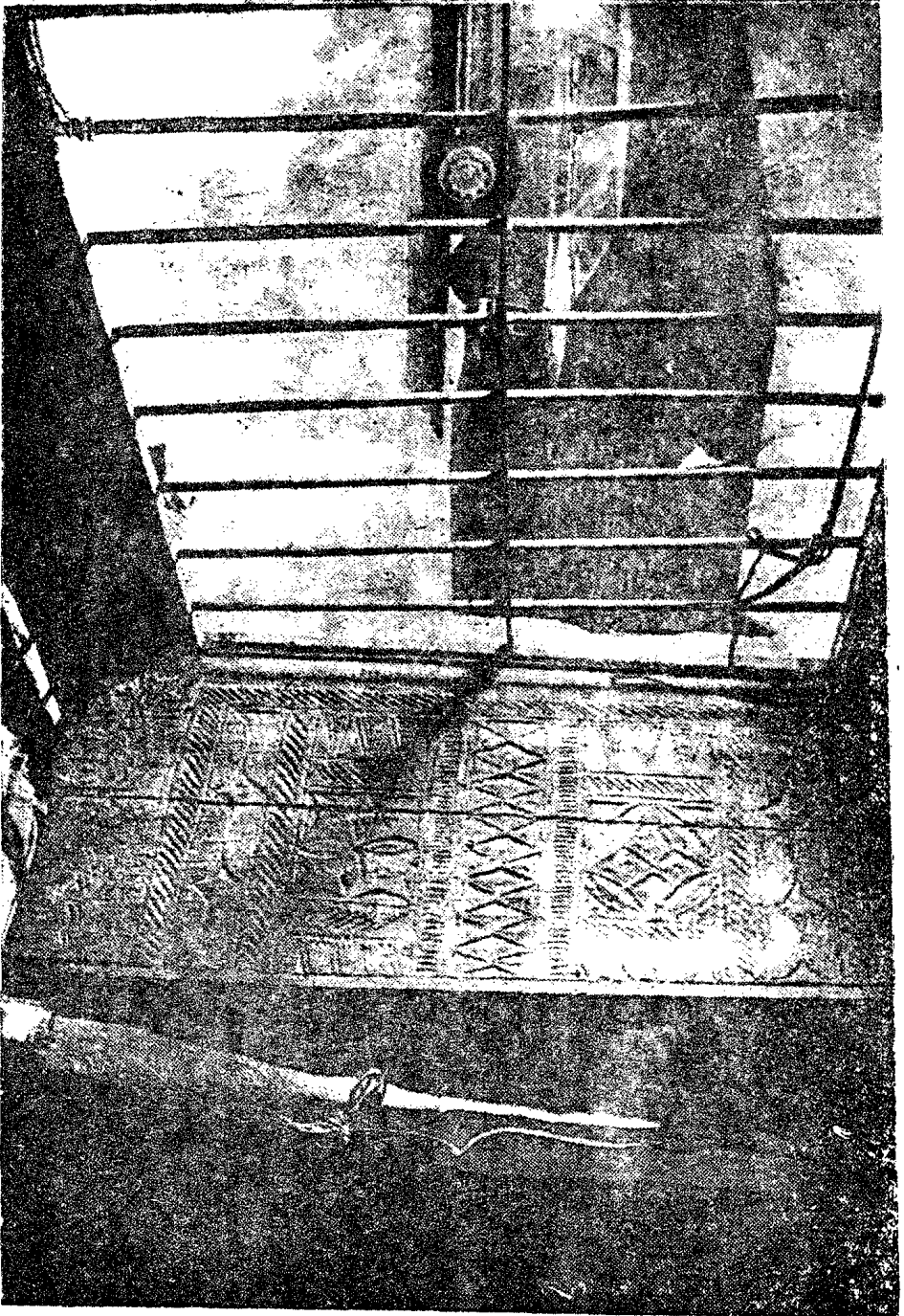
حصه في الساده . و حوزة مدلا من الامم
المسكل رقم ١٢٣

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



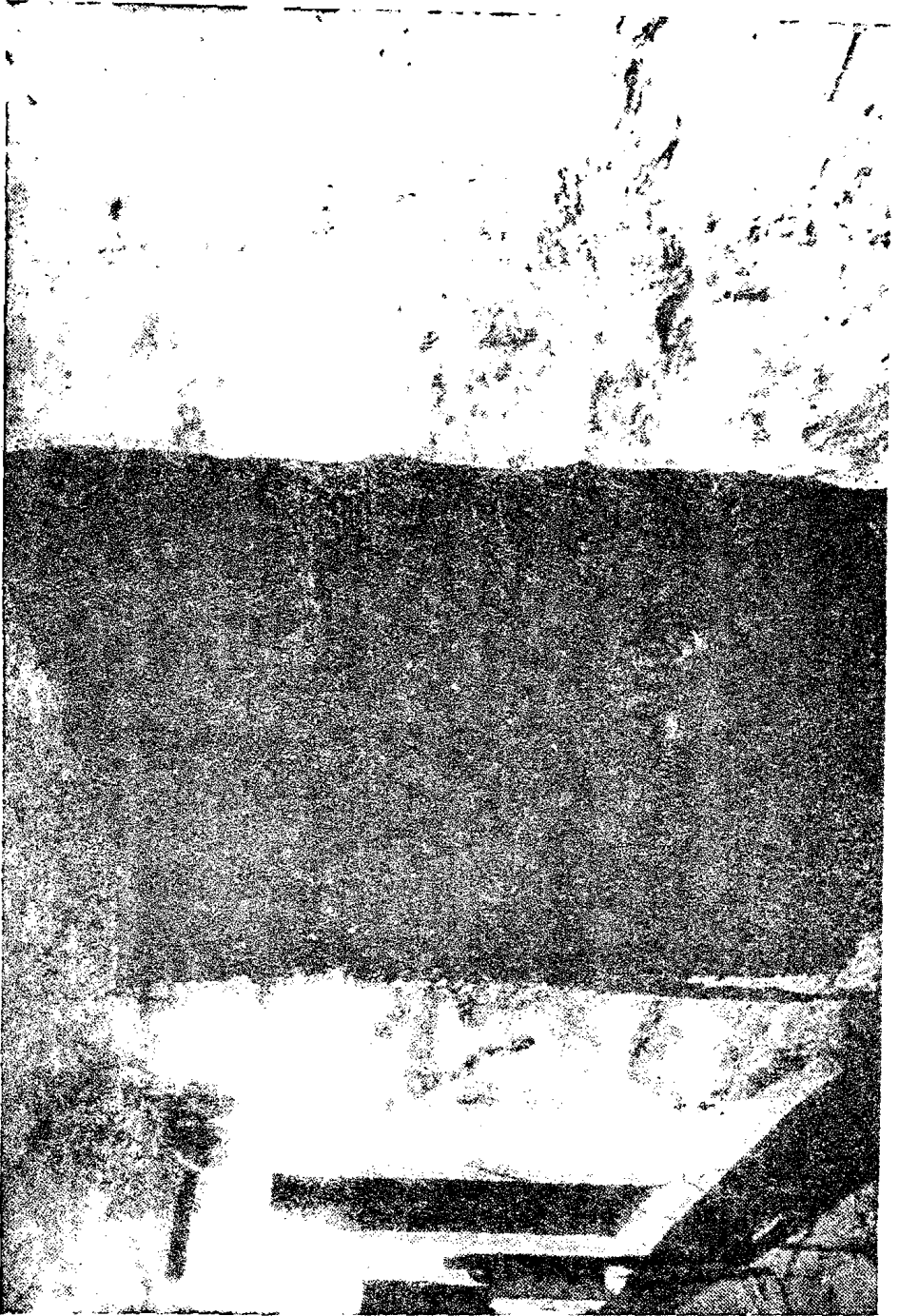
آنية العنوة و الشساي ، من الأشياء التي كانوا يهتجون بملازمها في المجالس في المنازل القديمة . .
(بشكل رقم ٢٤)

رفع
عبد الرحيم البخاري
أسكنه الفردوس
www.moswarat.com



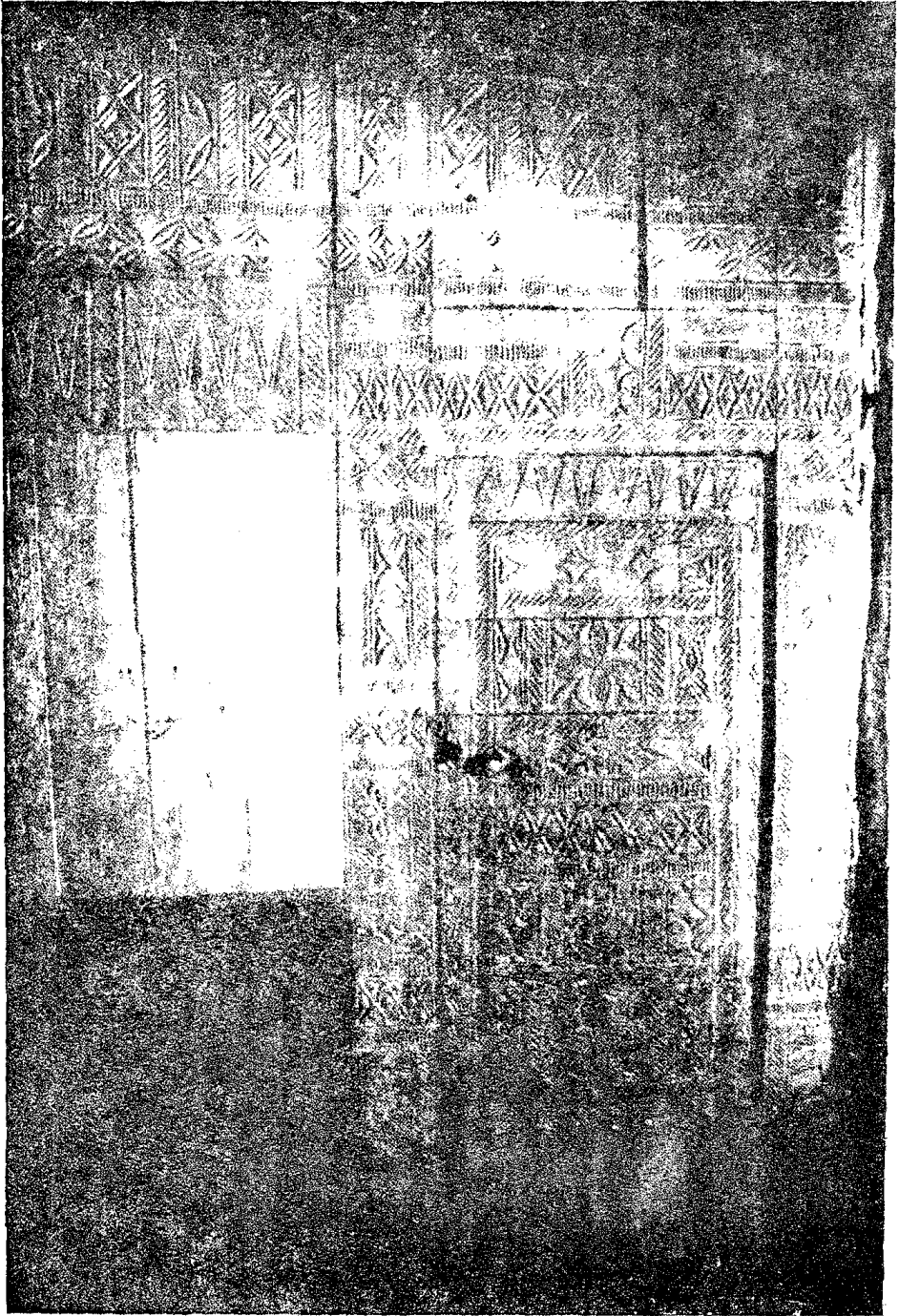
شباك البرق القديم . لاحظ القوس عليه . والاسيد المصنوعة من الحديد . ثم السيارة تتقف في الحوش وفي آخر العمود . جانبها من غير حطمت له منه العمل فيه بعد . (شكل رقم ٢٥)

رفع
عبد الرحمن العبدوي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



باب العروش في المنزل القديم المنوع من الخشب السميك ، ارتفاعه اكثر من ٢٥٠ سم وعرضه ٢٠٠ سم
(تمسك رقم ٢٦)

رفع
عبد الرحمن العبدى
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



باب العلو، في المنزل القديم . والتنصيف المكتوب عليه كلمة لا اله الا الله محمد رسول الله ، ويعود تاريخ بناء هذا المنزل الى عام ١٣٤ هـ - ١٩٢٠ م .
شكل رقم ٢٧ ،

رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَصَلَّى عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
 أما بعد لقد وقع علينا من الله الكريم وقتنا عظيماً بعد نازة قطاعه
 سبع سنين ووصل السمر فيها خمسة أمداد وانقطع من البلاد
 الطعام ورزق الله الناس من بلاد مصر بهذا عجزاً ثم ان
 حنطه ثم ان الناس ما تروى القفا إلا ما شاء الله ثم ان
 الله غارت الناس بالمطر وخرب بلاد وبيات
 فاستولوا الناس من جور ذلك الرحمة لهذا الزمان
 وجاء في يوم الثلاثاء وليلة ويوم الربوع وليلة ما فصل
 المطر (ما انقطع) من شهر جماد الآخرة في سنة ١٢٧٧ من الهجرة . كتب ذلك
 القول . محمد بن سعد بن سويد ابن الزين ، الفامدي منسبى والشافعي
 مذهبى . رحمه الله والديه .
 آمين يا رب العالمين .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ
 أما بعد . لقد وقع علينا من الله الكريم وقتنا عظيماً . قطعنا في قطاعه
 (حلت بنا مجاعة) سبع سنين . ووصل السمر فيها خمسة أمداد . وانقطع من
 البلاد الطعام . ورزق الله الناس من بلاد مصر بطعام (أرز) وحنطه . ثم ان
 الناس ماتوا من القضاء (المجاعة) إلا ما شاء الله ثم ان الله اغاث الناس بالمطر .
 وخرب بلاد وآبار واستولوا (استهالوا الناس من جور ذلك (تلك) الرحمة في
 هذا الزمان .

وجاء في يوم الثلاثاء (الثلاثاء) وليلة ويوم الربوع (الأربعاء) وليلة ما فصل
 المطر (ما انقطع) من شهر جماد الآخرة في سنة ١٢٧٧ من الهجرة . كتب ذلك
 القول . محمد بن سعد بن سويد ابن الزين ، الفامدي منسبى والشافعي
 مذهبى . رحمه الله والديه .

آمين يا رب العالمين ...

وثيقة تؤرخ حدوث مجاعة في المنطقة

(شكل رقم ٢٨)

رقم الايداع ٢٩١٥ لسنة ١٩٨١

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنم الله الفردوس
www.moswarat.com

مطبعة الانتصار
ELENSAR PRESS
شارع الانتصار - مكة المكرمة - 21565

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com